عدد خاص بعيد العرش المجيد



جمادى الأولى 1403 / مارس 1983
العدد 227 / الثمن 5 دراهم

- من الحسن الأول إلى الحسن الثاني، هل يوجد بين العاهلين قاسم مشترك؟

- البدايات الأولى للاحتفال بعيد العرش سنة 1933

من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

المصاحف الحسنية



طبعة فاخرة ملونة / الثمن 350 درهما.



حجم كبير ابيض وأسود / الثمن 250 درهما.



حجم متوسط / الثمن 150 درهما.



حجم صغير / الثمن 100 درهم



شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الرباط - المملكة المغربية



أسسها
جلالة المغفور له
محمد الخامس
قدس الله روحه

سنة
1376 هـ — 1957 م

التحرير:
الهاتف: 601.85

الإدارة و التوزيع
636.93
627.03
627.04
608.10

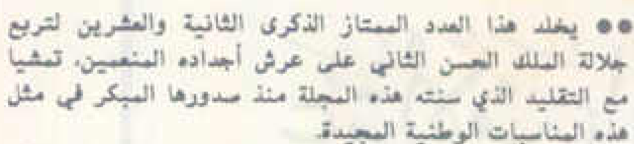
*

الاشتراكات:
في المملكة المغربية: 55 درهما
في البلاد العربية: 67 درهما
في العالم: 77 درهما

الحساب البريدي: رقم 55-485. الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

● المقالات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي كاتبيها ولا تلزم المجلة أو الوزارة التي تصدرها ●



هذا العدد

●● يخلد هذا العدد الممتاز الذكرى الثانية والعشرين لتربع جلالة الملك الحسن الثاني على عرش أجداده المنعمين، تمشيا مع التقليد الذي سنته هذه المجلة منذ صدورها المبكر في مثل هذه المناسبات الوطنية المجيدة.

● ويعكس هذا العدد، في جلاء ووضوح كاملين، مستوى الفكر الوطني الملتزم بالمقدسات والمؤمن بالقيم والمقومات، على نحو يبرز الولاء الوطني العام لملك المغرب وقائد مسيرته ورائد نهضته المباركة جلالة الحسن الثاني.

●● لماذا عدد ممتاز، من دعوة الحق، بهذه المناسبة ؟!

● الواقع أن (دعوة الحق) باعتبارها منبرا للفكر المغربي ومنتدى للثقافة، العربية الإسلامية في هذه البلاد، تحرص أشد الحرص على أن تعيش الأحداث الوطنية وتشاركها، من موقعها الفكري المتميز، في صياغة الرأي العام وكتابة التاريخ.

●● ولذلك، كان اختيار هذه المناسبة لإصدار عدد ممتاز، من حيث الشكل والمضمون - أو بتعبير أدق، عدد أكثر امتيازا، لأن جميع أعداد (دعوة الحق) ممتازة ما في ذلك شك - شكلا من أشكال تعبير الصفوة المفكرة في البلاد عن تعلقها بالعرش وصاحبه، وولائها الكامل، القائم على أساس الفهم والإدراك والعلم لجلالة الملك الحسن الثاني، الذي ترى في شخصه الكريم رمزا للمفكر العربي الإسلامي الذي يجاهر باعتزازه بالانتساب إلى هذه المدرسة العريقة التي إليها تنتمي كل مدارس الفكر في العالم اعترف بذلك الغير أم لم يعترف.

● ونحن نجد في الدراسات والأبحاث والمقالات التي يتضمنها هذا العدد مستوى رفيعا من الفكر الوطني الذي يحلل شخصية جلالة الملك الحسن الثاني ويدرس دور العرش العلوي في خدمة قضايا العروبة والإسلام، على شتى المستويات ومختلف الأصعدة وفي جميع مراحل تاريخ أمتنا المجيدة.

●● هل هو - إذن - عدد تسجيلي ؟

● ليكن ذلك فإن الدور العظيم الذي يقوم به العرش العلوي في هذه المجالات جميعها يقتضي منا أن نبذل الجهد لرصده وتحليله ودراسته وتسجيله ليكون درسا لأجيال اليوم والغد، بإذن الله تعالى.

●● ولقد اجتمع في هذا العدد قدر كبير من العطاء الثقافي والفكري والأدبي يقوم شاهدا على التطور العقلي الذي بلغته الحركة الفكرية والعلمية بالمغرب في عهد جلالة الملك الحسن الثاني، وذلك بفضل الإمكانات الكبيرة والعناية الشاملة وفرص المبادرة والاجتهاد وحرية الكتابة والتفكير التي تطبع العهد الحسني الزاهر بطابع تنفرد به.

● وندع القارئ، يكتشف هذا العطاء، في الصفحات التالية.



بسم الله الرحمن الرحيم

عرش الأمة العربية الإسلامية

●● يقود العرش المغربي اليوم معارك الأمة العربية الإسلامية على مختلف الأصعدة دفاعا عن شرف الإسلام وكرامة العروبة وحق الإنسان المسلم في الحياة الحرة. وقد تهيأت الظروف، لجلالة الملك الحسن الثاني، ليتبوأ مكانة هو أهل لها من كل النواحي، وليشغل منصبا هو مؤهل له على كل المستويات، وليمسك بزمام الأمر، في وقت تتأهب فيه الأمة العربية الإسلامية لتخطي مرحلة الجمود والركود والغفلة والتيه، إلى مرحلة الحركة والفعالية والصحوة والرشد، وليمضي على طريق النصر في قوة وعزم مستشرفا آفاق جديدة في مطلع القرن الهجري الوليد.

● ولقد أجمعت الأمة على مبايعة العرش المغربي في شخص جلالة الملك الحسن الثاني واضعة ثقتها في جلالته مطمئنة إلى حسن قيادته وحزم إرادته وعمق ولائه للقيم والمثل التي تشكل الأساس المكين لاختياراتنا العربية الإسلامية. وبهذا الاعتبار، فإن العرش في المغرب، يتجاوز المفهوم التقليدي لأساليب الحكم وأنماط التسيير وأشكال الولاية إلى مضمون أشد رحابة وأبعد امتدادا وأوغل عمقا. فهو عرش للعرب والمسلمين أجمعين، يتبنى قضاياهم، ويدافع عن مصالحهم، ويجاهد أمر الجهاد وأشقاه من أجل نصرتهم وعزتهم وخلاصهم.

●● هذا البعد العربي الإسلامي للعرش المغربي ليس وليد اليوم، ولن يكون بأية حال من الأحوال، وإنما هو امتداد للماضي الذي شهد مواقف وبطولات أبلى فيها المغاربة البلاء الحسن العظيم، النادر المثال، بقيادة العرش على مر العصور، مما يعز نظيره، في افريقيا المسلمة، والأندلس، والبحر الأبيض المتوسط، والشرق العربي، دفاعا عن العروبة والإسلام، وانتصارا للأمن والسلام، ونشرا للمحبة والوئام. وقد توج هذا الجهاد الطويل الحافل بالأمجاد المضمخ بالبطولة والشهامة، في هذا العصر بما ما فتىء جلالة الملك يبذله من جهد جهيد وعمل سديد، من أجل الأهداف والغايات الخالدة التي لم ينل تغير الأزمان والعصور من شرفها وقداستها وحرمتها.

● إن الحضور المغربي المتميز على الساحة العربية الإسلامية يعكس تلك الخاصية الفريدة التي تطبع العرش في هذه البلاد مما يتمثل بوضوح كامل في السياسة العربية الإسلامية التي ينهجها جلالة الملك الحسن الثاني والموسومة بالحكمة والتؤدة والتبصر والواقعية وحسن الفهم لطبيعة العصر، وتحديات المرحلة الراهنة ومخططات الخصوم والأعداء المتربصين الدوائر بالعروبة والإسلام.

●● هو، إذن، ومن واقع التاريخ والحضارة، عرش الأمة العربية الإسلامية، وليس فقط عرش المغرب بالمصطلح الجغرافي، بمواقفه وأعماله، ومبادراته، وتحركاته، وأهلية عاهله المفدى، وبالتوفيق الذي يحالفه في كل شوط من أشواط معركة اليوم والغد على هدي من الله ورضوان.

● إن هذه الانتصارات العظيمة التي يحققها العرش المغربي بقيادة جلالة الملك الحسن الثاني لصالح الأمة العربية الإسلامية، وليس لفائدة المغرب فحسب، تنهض شاهدة على أهمية الدور الذي يضطلع به نظامنا القوي الراسخ، وتقوم ناطقة بصواب الرأي وحصافة الفكر واستقامة الطريقة التي ينهجها جلالته في هذه السبل جميعا. ونحن لا نسجل هذا من قبيل المباهاة والافتخار، وإن كان من حقنا ذلك، وانما نبرز هذه المعاني من باب التحدث بنعمة الله التي خصنا سبحانه وتعالى بها.

● وليس من شك أن المغرب يقف اليوم على رأس مرحلة حاسمة من تاريخ العرب والمسلمين، وقيادته الواعية الرشيدة تدرك بعمق وبما حباها الله من بصيرة نافذة وإرادة فاعلة المسؤوليات التاريخية والحضارية التي يتحملها المغرب في هذه المعارك الضارية التي تعددت جبهاتها من اقتصادية وتنموية وفكرية وسياسية وديبلوماسية تحشد لها طاقات الأمة حشدا كاملا.

●● ولا أحد يرتاب الآن في قدرة المغرب بقيادة ملكه العظيم - بمزاياه وسجاياه وخصاله الجهادية - على المواجهة الشاملة دفاعا عن حق الأمة العربية الإسلامية في الحياة الحرة الكريمة.

● ومن هذه الزوايا، وبهذه الاعتبارات، ننظر اليوم، ونحن نحتفل بالذكرى الثانية والعشرين لجلوس جلالته نصره الله، على عرش أجداده المنعمين، إلى العرش العلوي في مسيرته الجهادية على الصعيد الوطني لحماية السيادة وصيانة الوحدة وعلى امتداد الساحة العربية الإسلامية لتحرير أولى القبلتين وثالث الحرمين.

●● قطعا، هو عرش الأمة العربية الإسلامية، ولذلك يحق لنا أن نقول، بكل الثقة واليقين، إن جلالة الملك الحسن الثاني ملك الأمة... حفظه الله.

عبد القادر الإدريسي

قبس من ذلك الماضي يهتدي به الملك والشعب

بقلم: الأستاذ الهاشمي الفلالي
وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

لقد ازددت من دراستي الطويلة لتاريخ الدولة المغربية، عبر مختلف العصور، وعيا بالذاتية المغربية، وادراكا للهوية الوطنية، ومعرفة بالخصائص المميزة لتاريخ بلادنا، سواء في جانبه السياسي والعسكري والدفاعي الموسوم بطابع الجهاد الإسلامي الشرعي، أو في جانبه الفكري والأدبي والفقهي والثقافي واللغوي والفني والحضاري، أو فيما يتصل بالعلاقات مع الأمم والدول الشقيقة والصديقة، بافريقيا والوطن العربي الإسلامي جنوبا وشرقا، أو بأوروبا وأمريكا شمالا وغربا، وأحسبني قادرا على أن أجزم، في قوة يقين، أن العرش في المغرب، عقيدة وفكرة واختيارا ونظاما، هو الأساس الحضاري والفكري والسياسي لجميع ما طبع تاريخنا من مجد وسؤدد، ووسمه بالخلود والبقاء، وأضفى عليه التألق والاشراق.

لقد تهيأ لي، في مرحلة مبكرة من حركتنا الوطنية المرتبطة بالعرش العلوي المجيد، أن تفرغت لكتابة تاريخ المغرب كرد فعل للقرار الاستعماري الغاشم الذي كان يقضي بمنع تدريس التاريخ المغربي في جميع المدارس المغربية دون استثناء . فشاءت إرادة المولى أن أعكف على أمهات الكتب قراءة ودراسة وتحليلا، فتوفر لي من طول الانكباب والانقطاع، والنظر والتأمل خلاصة أفرغتها في قالب تعليمي توجيهي راعيت فيه أولا أن يكون غذاء لناشئتنا يمدها بأسباب التحدي للقرار الصليبي الذي استهدف قطع الجذور وبتر الأصول ومحو تاريخ أمة من ذاكرة الأجيال.

كان هذا من نحو خمسين سنة، والمغرب محاصر بالمسخ والتشويه، مطوق بالمكر والخبث، مقيد بالاحتلال والاستعمار، وقد قصدنا بهذا العمل ابراز الدور العظيم الذي نهض به العرش عبر مختلف الدول المغربية، والوحدة الوطنية، ومنتهين إلى دولة العلويين التي قامت أول ما قامت لحماية هذه المقدسات والنضال في سبيلها على مدى ثلاثة قرون ونصف القرن أو يكاد.

وكان هذا الصنيع مظهرا من مظاهر التحدي الوطني العارم لإرادة المستعمر، وتأكيدا على مكانة العرش، وتأصيلا لدوره، وتمكينا له في القلوب وواقع العمل والمواجهة مع القوى المناهضة لنا عرشا وشعبا.

ولعله من نافلة القول إن الاحتفال بأعياد العرش سنة شعبية، وتقليد وطني، نبع من واقع الحركة الوطنية كتعبير قوي الدلالة عن تلاحم الشعب بالعرش، في أخطر مرحلة مرت بها بلادنا واستهدفت فيها قيمنا ومقدساتنا وكياننا الوطني والديني كله للمحو والإبادة والغارة الحاقدة. وكان هذا يحدث لأول مرة في تاريخ العالم، إذ يختار الشعب، بملء إرادته، وحر اختياره، ذكرى جلوس ملك البلاد على عرش أجداده ليكون عيدا يرمز إلى الترابط والتلاحم والتمازج والالتقاء الذي لا افتراق فيه، ذلك أن الشعب المغربي، ممثلا في الصفوة الأولى من طلائع الحركة الوطنية المباركة، هو الذي سن هذه السنة الحسنة، وقرر، في تحد كان له ما بعده، أن يجعل من يوم تولية جلالة المغفور له محمد الخامس الحكم عيدا للوطنية والجهاد والنضال والكفاح يظهر فيه الإصرار والعزم والاقدام والاستعداد لمواجهة كافة أشكال القمع والارهاب والاعتداء على إرادة المواطنين.

وحدث هذا، بالضبط، منذ ما يقرب من خمسين سنة، بعد أن زار فقيد العروبة والإسلام، وبطل التحرير والاستقلال محمد الخامس مدينة فاس، تلك الزيارة التاريخية التي اهتزت لها المدينة وكانت الشرارة الأولى التي أضرمت نار الثورة ضد المستعمر فيما تلى ذلك من أحداث ومواقف وملاحم على امتداد العقود الثالث والرابع والخامس من القرن العشرين مما يطول مجال سرده وروايته.

وتحضرني هذه الأحداث، في الوقت الذي يتأهب فيه الشعب المغربي للاحتفال بالعيد الثاني والعشرين لجلوس محرر الصحراء ورائد الديمقراطية جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله على عرش أولائك الأجداد الذين دافعوا عن المغرب خير دفاع وكانوا ملوكا عروشهم من أفئدة شعبهم. وأجدني راجعا بذاكرتي إلى تلك الفترة الحاسمة من تاريخ المغرب، حيث كنا نخوض معركة غير متكافئة مع قوى البغي والكفر والعدوان، متطلعين إلى وطن حر لمواطنين أحرار تحت قيادة الملكية الدستورية. ولربما كان من حق الأجيال الجديدة علي أن أسجل هنا، في هذا العدد التذكاري من مجلة (دعوة الحق) أن حلم الحركة الوطنية الملتحمة أبدا بالعرش قد تحقق، وأن في سيرة وسلوك وسياسة جلالة الملك الحسن الثاني اليوم ما يملأ القلب اطمئنانا وارتياحا، ويغمره غبطة وسرورا. فلقد استلم جلالته أمانة التاريخ من والده الوطني الأول المعظم، وألهمه الله إلى انتهاج سبيل الحكمة والرشاد، لبناء المغرب المستقل، واستكمال سيادته الترابية. وأتم الله تعالى على يده الكريمة فتح ما لم يفتح من قبل، وتحرير ما لم يحرر في السابق، وإقامة قواعد للشعب المغربي سياسيا ودستوريا واجتماعيا واقتصاديا، بما يقطع الشك باليقين أن جلالته، وهو خريج مدرسة الحركة الوطنية، والمتشبع منذ الصغر واليفاعة بمبادئها، حريص الحرص القوي الشديد على الاستمرار في شوط جديد من تلك المعركة التي بدأناها، منذ أن وعينا، مع والده الرائد قدس الله روحه.

لقد مضى جلالة الملك الحسن الثاني، مزودا باطمئنان المؤمن وصدق الرائد القائد وحنكة السياسي الماهر وسط الأعاصير يبني ويشيد، ويحرر الأرض والفكر والوجدان، ويقوي الكيان ويوطد السيادة، وينشىء مدرسة في الفكر السياسي يعتز الجميع - شيبا وشبابا - بالانتساب إليها. وهي مدرسة الحرية الواعية المسؤولة، والديمقراطية الرشيدة المتفتحة، قوامها التعايش السياسي، والتمازج الفكري، والتلاقي على هدف واحد، يستمد عناصره من العرش والدين والوفاء للوطن في البدء والانتهاء.

والحق الذي لا مراء فيه، أن هذا النمط المغربي المتميز الشديد الخصوصية يجعل من بلادنا، بقيادة جلالة الملك الحسن الثاني العظيم

موطنا للإشعاع الديمقراطي، كما كانت دائما ومنذ التاريخ القديم مصدرا للإشعاع الديني والفكري والحضاري.

وفي اعتقادي، وقد وعيت دروس التاريخ ووقفت على عبره، أن عناصر القوة والمناعة والصمود والتحدي تجمعت كلها في هذا النمط الشامخ الذي يشهد ـ شهادة حق ـ أننا جادون غير عابثين، نمضي في دروب، وإن كانت شديدة الوعورة، فإنها واضحة المعالم، نحو المغرب القوي السامق القادر دائما على صنع مصيره وفرض إرادته وصون سيادته ووحدته تحت قيادة عرشه المجيد.





للأستاذ الرحالي الفاروقي

يشرف رئيس المجلس العلمي الإقليمي بمدينة مراكش الفيحاء، قاعدة الجنوب والصحراء، أن يحيي مقام الحضرة العلية، والسدة المولوية، أمير المؤمنين وحامي حمى المسلمين جلالة الحسن الثاني المؤيد بالسبع المثاني، وأن يرفع لمولانا الإمام أطيب الأماني، وأخلص التهاني الممزوجة بالولاء، والصفاء، وبالإكبار والوفاء، بمناسبة جلوسك يا مولاي على عرش أسلافك الميامين وصعودك على منصة أجدادك المنعمين الذين طابت عناصرهم وتفتحت أصولهم وفروعهم، فنصحوا وأصلحوا وأخلصوا دينهم لله، ورجحوا وأنجحوا واعتصموا بحبل الله وأقاموا شرع الله الحكيم وصراطه المستقيم. هذا وإن من تمام كتابة الذكرى الميمونة ذكرى عيد العرش المجيد الذي أمضى عددا من سنوات الاستقلال الحميد، وقد رفع راية البلاد ولواءها وحصن حريتها واستقلالها حسبما اقتضاه جهاد خطير وكفاح مرير خاضه شعب المغرب البطل في سبيل عودة ملكه المرحوم مولانا محمد الخامس إلى عرشه، وفي سبيل تحقيق حرية واستقلال وطنه ضارعا وراغبا أن يلحظك سبحانه بعينه الساهرة ويحفظك بيمينه القادرة، وأن يواصل جهودك المتوالية في ميادين التربية الاجتماعية والتنمية الاقتصادية والحكمة السياسية، وفي الذود عن الوطن العزيز وضمان استقلاله ووحدة ترابه، وأن يحقق جهادك المتوالي في انتزاع القدس الشريف من أعدائه وتخليصه من ذلك القرار الجائر والتحدي السافر الحائر، وسائلا وآملا أن يعيد الله أمثال هذه الأفراح القومية والمسرات الوطنية على جلالتك وأسرتك ومملكتك وأنتم يا مولاي ترفلون في نعمة سابغة ظاهرة وباطنة تلقنون شبابك الصاعد تعاليم الإسلام العليا ومبادءه المثلى وتستقبلون عهدا كريما أساسه القومية العربية والعقيدة الإسلامية والأخوة الإنسانية وإزاء هذه النعمة الربانية والمنحة الإلهية يحق أن يقابل هذا الإنعام بالحمد والشكر لله في السر والجهر، فيجدد الإيمان بألوهيته والاعتراف بربوبيته حتى ينطلق الحق من أصالته ويأتي الأمر من بابه.

وإننا لنثني ثناء عاطرا على ما أبديتم من مشروعات إنشائية وما أتيتم من حملات نضالية حفاظا على المقدسات الوطنية وإشادة بالقوات الملكية التي ما فتئت تحافظ على رسالتها التاريخية وقيمتها العسكرية التي طردت كل طامع في أراضيها الشرعية، ذلك أن أول ما يقوم عليه البناء ويحسن فيه المدح والثناء، حركة العقل السليم ومصلحة العلم والتعليم، إذ الحياة أخلاق وأرزاق وجادة ومادة وما زاد

عليهما فهو من تمامهما وكمالهما وبلدنا ولله الحمد موطن العروبة والإسلام وموطن الرجولة والبطولة وموضع الذكاء والثروات الطبيعية والبشرية ومن ثم كانت العناية بمراكز التدريب والتعليم ومصالح التنمية والترميم تحظى بعناية الله وتتقاضى حق الله. وتتعاطى العمل في سبيل الله. والعمل في هاذين القطاعين يشرف المسؤولين والقائمين ويرفع درجة العاملين والمخلصين ألا فلنعمل ولنتحد في العمل ولنخلص للبيئة الطاهرة والراية الظافرة. وانكم تعلمون يا مولاي أننا في يوم عيد أغر ووقت حسن أبر وعهد أسعد وأطهر، وان دولة الحق والعدل قد حلت ركائبها وثبتت بإذن الله سلطانها. وان عهد البغي والعقوق والاستطالة على الحريات والمقدسات قد ذهب وولى إلى غير رجعة. نعم قد كان هذا العيد القومي واليوم الرسمي الخالد مقرونا بعدوان وظلم، ومشوبا بحوادث شؤم أدمت قلوبنا وألمت صدورنا وحركت أجزاء المغرب العربي وهي حوادث داخلة في عداد حوادث الاستعمار ومغامراته التي ألفها واعتادها. ونعتقد أن هذه الحوادث هي رجفة الاستعمار الأولى والأخيرة فإما أن يعيش قليلا وإما أن يلفظ نفسه الأخير فيموت نهائيا. ونحن وان كنا متساندين ومساعدين لإخواننا العرب في سائر أنحاء المعمور بظاهرنا وباطننا فلا نملك من القوة ما نستطيع أن نرد به كيد الكائدين ولا ندخل به في معركة الخائنين الذين نفذوا خطتهم المجرمة فأغاروا بروح جبارة ووسائل فتاكة على شعوب سالمة ووادعة لا ذنب لهم إلا أنهم احتفظوا ببلادهم وسيادتهم. ونضرع إلى الله شديد العقاب أن يهلك الجبارين ويقوي المستضعفين. ومن الواجب أن نعلم أننا سنمتحن بأعدائنا كما امتحن إخواننا بأعدائهم. اللهم إلا إذا أراد الله وهو القاهر فوق عباده أن يقبر الاستعمار بوسائل الخراب والدمار التي لا يعلمها الاستعمار ولا نعلمها نحن والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وإن أفضل عملكم وعبادتكم هو امتثال أمر الله للعباد أن تحيطكم بهم دائرة الاتحاد، وأن يقوم كل واحد بواجبه نحو وطنه بإخلاص في دائرة عمله الخاص وأن يفهم أننا كلنا إخوة مجتمعون على تقديم الخير لبعضنا بعضا والعمل في مصالحنا المشتركة.

وليس للعالم الآن من رابطة ولا ثقة واجتماعاته كلها نفاق وغش وتدليس وكيد ومكر وخداع للإيقاع بالشعوب الضعيفة فكونوا حماة بلادكم أمناء وطنكم يدا واحدة على عدوكم حتى تتم حريتكم وتكمل سيادتكم. ولا تغفلوا عن شكر النعم التي أسبغها الله عليكم وأدوا حق الله من تقديس وعبادة ومحبة **(والذين امنوا أشد حبا لله والذين ظلموا اتخذوا أندادا من دون الله يحبونهم كحب الله)** وواجب أن تتوفر فينا مقومات العرش الذي خلق للأمة وخلقت الأمة له فنحيطه بسياج من العظمة والتكريم والقداسة ونحفه بقلوب واعية ونؤيده بأخلاق سامية وأعمال وافية ونعززه بالشعور والتبصر والتفكر، ونرفع مكانته بين العروش بإتيان المعارف وبناء المصانع وتناول الصنائع وبإدراكنا مدى الخطر الذي يهددنا من بقايا الاستعمار وآثاره السيئة وحركاته المشئومة ومكايده المسمومة وشبكاته المنصوبة وحججه الواهية المغلوبة فنكون في مجموعتنا سدا منيعا يمنعه وقوة رهيبة تنذره بالسخط والغضب والويل إن اقترف أو اقترب وبذلك وبالأعمال القائمة المتقدمة والمنشآت الخيرية والمشاريع الانسانية والخطط الإنمائية والانشائية نكون قد اقمنا الذكرى الحقيقية للعرش المغربي المجيد ووفينا بالقول والعمل لصاحب العرش الفائز المنتصر وحافظنا على ما أخذناه بأيدينا ونزعناه بقوتنا وإن تقاعسنا وتأخرنا واشتغلنا بالسفاسف والفضول والقشور وأخلدنا للدعة والراحة والفجور تكون الحماقة والسفاهة قد بلغت منا مبلغ التهور والتدهور ونكون قد أسأنا إلى عرشنا وأمتنا إساءة كبرى لا تغفرها الأعوام والشهور وأصبحنا في عداد الساقطين الذين لا قدر لهم بين العالمين.

وليس للحياة مزية وذكر واعتبار إلا عندما يشعر الإنسان بعزته وكرامته وحرية أفكاره وآرائه واستقلال أرضه ووطنه. وليس لها أيضا من نفوذ ولا وجود إلا بالعمل الجدي القائم على سمو الروح ورسوخ العقيدة وهداية الدين والمبني على تجربة واسعة وخبرة كافية بحيث يكون المرء في مأمن من نزوات النفس وشهواتها وبمنجاة من

أغلاطها وأخطائها. واذا كانت الحياة تستمد نشاطها مما تحس به من رعاية واحترام وامتلاك للحقوق وأخذ بالزمام فلها بهجة ورونق وسر وبهاء. واذا كان العمل يقوم على أساس تلك الأسس فله أثر عميق وذكر ملموس وسعادة دائمة في الدين والدنيا.

ثم ان الإنسان متميز بعقله ومتمدن بطبعه وقوام لله على غيره، وان كل من له قلب صالح وعقل راجح، وكل من له اتصال بالأعمال واطلاع على الأحوال، لا بد وأن يدرك تمام الإدراك أن العناية بمآخذ السلوك والتربية ومنافذ العلوم والتقنية، تحظى بعناية الله العظيم وتنال رضاه وثوابه الجسيم. وتمتاز بقيمة الإدراك الصحيح والنشاط الصريح. ومن منطلق هذا المنطق الثابت والقانون الثابت يتبين أن أي جهد يبذل في هذا الوضع الهام الذي يهدف إلى نفع المجتمع العام، يتلقى من مختلف الجهات ومن مجموع الهيئات الإشادة والتنويه، والثناء والتنبيه، ويرفع درجة العاملين ويشرف قائمة القائمين كل هذا يأتي مع اعتبار أن المدرسة أو الجامعة ليست في واقع الأمر إلا تجربة من التجارب العادية، ومختبرا من المختبرات الهادية، من حيث ان العلم منوط بالتعليم، وطريق للتقدم. واما الحصول على حصة من العلم ونسبة من الفهم فذلك من عطاء الله **(وما كان عطاء ربك محظورا)** ومن المتعارف أن الاتصال بالعلم قبل الاتصال بالعمل، وأن من أجل أبواب الخير وأنواع البر التي تكفل لصاحبها المسارعة إلى تشييد مراكز العلم ورفع معالمه واصلاح مناهجه وانتقاء هياكله، من أجل أنها تعمل على تحقيق معايير الأوزان وتنهض بمقاييس عقول الإنسان وتتربى فيها ملكات الأطفال والرجال، وتترقى بها معارف العصور والأجيال، فيتدربون على طبيعة الحياة وسيرتها ويتدرجون في مراحل نموها وتطورها.

وبذلك يصبحون قادرين على تحمل مسؤولياتها وممارسة شؤونها، حتى لا تفاجئهم وهم جاهلون بمقتضياتها، وغافلون عن متطلباتها إلا أن مثل هذه الأعمال الإنسانية، والمشاريع الإنشائية، كثيرا ما ينازع فيها أدعياء الشيطان وأولياؤه، ولا تتخلى عن منازعاتهم ومعارضتهم إلا إذا صحت العزيمة والإرادة، وتغلبت قوة الإيمان واليقين وتعاون المخلصون والراشدون على إيقاف الشيطنة التي تعمل على عرقلة المنشآت النفعية والمشروعات الخيرية، ومعلوم أن الشيطان لئيم وأثيم لا يروقه أن يبصر أعمالا تحيي النفوس بروح المعرفة وتنور القلوب بنور الحكمة وتنقذ النشء من مهاوي الجهل والظلام ومساوئ الشر والآثام على أن الناس وإن كانوا في أصل النشأة متساوين، وفي أصل الإيمان بالله متآخين فإنهم يختلفون في مشيئتهم وإرادتهم وفي يقظتهم وغفلتهم وفي عبقريتهم وبساطتهم إلا أن خلاف الرأي له مقام الإخاء، وخلاف الشيطان له مقام العداء، وكل يجزى بكسبه وعمله، وكل ميسر لما خلق لأجله.

الرحالي الفاروق -

البدايات الأولى للاحتفال بعيد العرش
سنة 1933

للأستاذ أبو بكر القادري

كان يوم 16 مايو 1930 قمة افتضاح السياسة التي كان يخطط لها الاستعمار الفرنسي، ضدا على مصلحة الشعب والعرش. ففي فصول الظهير البربري المؤرخ بالتاريخ المذكور، برزت النوايا الاستعمارية بأجلى مظاهرها، وظهر أنها تبيت للشعب والعرش. تبيت للشعب بإدماجه في العائلة الفرنسية، ومحاربة جميع مقوماته الأساسية من لغة ودين وحضارة وقيم. وتبيت للعرش بنزع جميع اختصاصاته التشريعية والقضائية والسياسية، وتبقيه جسدا دون روح، وهيكلا دون نفوذ.

لقد التزمت فرنسا في معاهدة الحماية التي فرضت على المغرب فرضا ـ بأن الاصلاحات التي ستقوم بها مساعدة للمغرب لا تمس الدين الإسلامي من قريب ولا من بعيد بسوء، ولا تلحق بنفوذ جلالة السلطان أي تغيير أو أذى، بل بالعكس من ذلك، ستعمل على تقوية نفوذه، وبسط سلطانه على مختلف أنحاء البلاد بما فيها الجهات التي كانت ثائرة على الاحتلال الأجنبي. ومعنى ذلك أن فرنسا كانت ملتزمة بالحفاظ على وحدة البلاد المغربية تحت نفوذ وسلطة جلالة الملك وحدها، باعتباره صاحب السلطة الشرعية، ورمز كيان البلاد، والحارس لوحدتها وعقيدتها ووجودها. ولكن السلطات الاستعمارية، كانت تعتبر كل ذلك مجرد مرحلة. فما كادت تثبت أقدامها، وتوطد أركانها، حتى صارت تدبر للتنكر لكل ما تعهدت به. وصارت تخطط لتحقيق أحلامها التي طالما راودت عقول ساستها، وأسالت لعابهم من خلق امبراطورية شاسعة الأطراف في افريقيا، سموها ، فرنسا ما وراء البحار. وهكذا ابتدأوا بالجزائر فاعتبروها قطعة فرنسية ملحقة ببلادهم، وثنوا بتونس ودبروا ومكروا للقضاء على شخصيتها. ثم جاء دور المغرب ليلحقوه ويدمجوه بفرنسا عن طريق التفريق والتشتيت وقطع الأطراف وعن طريق التبشير والتمسيح وخلق أعراف ما أنزل الله بها من سلطان.

وهكذا استصدروا ظهير 16 مايو ـ 1930 الذي قالت عنه جريدة «الطان» إذ ذاك، وهي جريدة يومية شبه رسمية تماثل جريدة «لوموند» اليوم في قوة الانتشار، وكثرة القراء. قالت «الطان» في مقال نشر بتاريخ 27 مايو أي بعد مرور أحد عشر يوما ـ على صدور الظهير البربري ، «إنه عمل عظيم، جدير أن تهنأ عليه فرنسا. فلقد تخلصت

قبائل البربر من سلطة الشريعة الاسلامية، وانه بصدور هذا الظهير تـ للسلطة الفرنسية إبعاد الشرع الإسلامي، وطرد السلطة المخزنية من التحكم بالبلاد.

لا أود أن أحلل في هذا المقال فحوى الظهير البربري بفصوله السبعة، ولا أود أن أتناول هذه الفصول بالتعليق والتحليل، وانما أود أن أقول : إن صدور الظهير المذكور، هز مشاعرنا نحن شباب ذلك الظرف، وحرك أوتار قلوبنا، وفتح أعيننا على ما يراد ببلادنا وعرشنا، وما يدبر لهما من مكر.

لقد كنا مقتنعين تمام الاقتناع أن بلادنا عاشت بالاسلام وللإسلام، فما ارتضى المغاربة دينا غير دين الإسلام، منذ أن شرح الله صدورهم للدخول فيه، وما ارتضوا حكما غير الحكم الإسلامي، وما تعاملوا وتثقفوا وتعلموا إلا بالثقافة الإسلامية العربية، فكيف يمحى تاريخهم وعقيدتهم ولغتهم في رمشة العين.

ولقد كنا مؤمنين كل الإيمان أن العرش المغربي العلوي استمرار لوجودنا الحضاري والديني، ورمز لوحدتنا الوطنية والدينية والترابية والسياسية، فكيف نقبل أن ينقص من نفوذه أو يزال من سلطته ليستبدل بنفوذ أجنبي، وتحكم استعماري عات ظالم.

لطالما ناضل الملوك العلويون أمثال المولى الرشيد والمولى اسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله والمولى الحسن الأول لتصان الوحدة الوطنية، ويتثبت مركز الدولة المغربية، ويتقوى جانبها، فلا تخضع لأي أجنبي، ولا تركع لأي دخيل، بل يبقى نفوذها قويا في الداخل والخارج، وصيتها مسموعا بين مختلف الدول الأجنبية، وهيبتها تملأ مسامع العالم الأروبي بجيشها وأسطولها وشجاعة أبنائها. لقد تآمر على المغرب كثير من الخصوم والاعداء، وحاولوا السيطرة على بعض مدنه وشواطئه فقام ملوك هذه الدولة العلوية بالدفاع عن حوزته، وتطهير أطرافه من غارات المغيرين وكيد الكائدين، واسترجعوا سلما أو حربا، بعض الأطراف التي كانت اغتصبت مكرا واعتداء عليه، وقاموا بواجبهم في الدفاع عن حوزة الوطن وبيضة الدين، ونشر ألوية الأمن بين المواطنين. واذا كانت أفة الحماية حاقت بهذا الشعب الأبي الحر، فإن بيعة السلطان الشاب سيدي محمد بن يوسف ضمينة باسترداد ما ضاع، وتحقيق ما يطمح إليه الشباب الوطني والشعب المغربي قاطبة.

إن الاستعمار إذا ما كان يخطط لاستمرار وجوده، فإن الشعب المغربي كفيل إن شاء الله بإفساد هذه المخططات ومقاومتها، وإن العرش المغربي كما كان في الماضي حارسا أمينا للبلاد، مدافعا عن حوزتها، مناضلا في سبيل الحفاظ على وحدتها وعقيدتها سيبقى جاعلا يده في أيادي شعبه، صيانة للأمانة، وذودا عن الحرمات، وافتكاكا للكرامة واسترجاعا للاستقلال.

لقد وعت الحركة الوطنية في بدايتها مسؤوليتها، وأدركت بتوفيق من الله أن التآمر الاستعماري لا يقاوم إلا بوحدة ملتحمة بين الشعب والعرش، وأنه بهذا الالتحام سد الطريق أمام العدو المتربص بالشعب الدوائر، والذي جعل شعاره الدائم : فرق تسد، فهو يريد أن يفرق بين الملك وشعبه، وهو يريد أن يفرق بين الشعب بعضه بعضا، وما سياسته البربرية إلا نموذج واحد رهيب من تخطيطاته في التفرقة والتشتيت.

لقد أصبح شعارنا في بداية الحركة الوطنية هو الوحدة : الوحدة في العقيدة، الوحدة في العمل، الوحدة في اللغة، الوحدة مع العرش، فالشعب بالعرش، والعرش بالشعب، ولن يفترقا.

وزاد في هذا الالتحام الوحدوي، ما كنا نسمعه ونقرأه عن الملك الشاب محمد بن يوسف، ألم ينطق ساعة تنصيبه على عرش أسلافه المقدسين قائلا : «إن الشعب المغربي ينتظر منا مجهودا مستمرا، لا من أجل سعادته المادية وحدها، ولكن لنضمن له تطورا فكريا يكون متلائما مع عقيدته، ويدفعه ليرتقي درجة عليا في الحضارة بأكثر ما يمكن من السرعة». إذا لقد نصب نفسه للعمل الجاد الدائب حتى تتطور بلاده التطور المنشود في دائرة الحفاظ على عقيدة الشعب ووجوده الحضاري، وأي شيء تهدف إليه الحركة الوطنية الشابة غير التطور في دائرة الحفاظ على العقيدة، وصيانة وجود المغرب الحضاري من عبث العابثين، وتأتي حركة مقاومة السياسة البربرية المشؤومة ليقف الشباب الوطني ومن ورائه الشعب المغربي، وقفة رجل

واحد يدعو إلى بطلانها، ويعمل على إحباطها، ويلتجىء الشعب إلى العلي القدير، اللطيف الخبير، مجتمعا بالمساجد، متظاهرا بالشوارع، مستنكرا ومحتجا، رافعا صوته مطالبا بالاعتصام بالوحدة التي لا انفصام لها. ويمضي وفده الأمين إلى القصر الملكي العامر، مستجيرا ومستغيثا، رافعا عريضته إلى أمير المؤمنين، وحامي الوحدة والدين قائلا فيها : فالقصد منا بهذا الكتاب، والتضرع المستطاب، استعطاف ذلك الجناب، واستمناح مواهبه السابغة الجلباب، بمناسبة المسألة البربرية التي أهم شأنها بإيالتكم الشريفة كل البرية، رغبة في دين الاسلام، إذ من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم كما قال عليه السلام، وتمسكا بأذيال كلمة الله العليا، دون تفرق في الوحدة المغربية أو انقسام، وتشبثا بالعروة الوثقى، وجريا على سنن السلف الصالح أهل الديانة والتقى، واعتصاما بحبل الله تعالى التجاء وتضرعا، لئلا نكون من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا، راجين من جنابكم العالي السامي المقدار، ذي المجادة والفخار، أن تلتفتوا لهذه المسألة بهمتكم العلية، وفكرتكم الذكية، الثقافة تبصر واعتبار، واهتمام ذي شهامة واقتدار، حتى ينجلي عن رعيتكم المخلصة في طاعتكم، الكرب الذي حزبها، وينكشف الغم الذي نابها، فمد يدكم الشريفة لمناولة هذه اللائحة التي توافي جنابكم الرفيع، وتؤم ربع ناديكم البديع، مشتملة على رغبات هي أجدر أن تحظى من سيادتكم بجوائز الاجازة والمساعدة، وأن تصادف من شيمكم السامية درر الاستحسان والاجادة، بظهير شريف تلقونه يوم القيامة كتابا منشورا، وعملا متقبلا مشكورا وجزاء موفورا» ثم تتمادى العريضة في شرح الحالة والدور الذي قامت به القبائل البربرية في نشر الاسلام والدفاع عن حوزته، ثم المطالب الأساسية التي في طليعتها : احترام نفوذ جلالة الملك أيده الله وتثبيت سلطته الدينية والدنيوية، وجعل سائر الحواضر والبوادي خاضعين لحكم الشريعة الإسلامية وتوحيد برامج التعليم واحترام اللغة العربية لغة البلاد الدينية والرسمية في الادارات كلها، وعدم إعطاء أي لهجة من اللهجات البربرية أي صفة رسمية ومن ذلك عدم كتابتها بالحروف اللاتينية، وإيقاف حركة المبشرين إلى آخر ما جاء في العريضة.

ويحمل الوفد الأمين تحت رئاسة عالم فذ وقور من علماء القرويين هذه العريضة، ويتشرف بالوقوف بين يدي العاهل الشاب - وهو أول يوم يمثل فيه ممثلو الشعب بين يدي جلالته - فيلقي رئيس الوفد كلمة مؤثرة أمام جلالته، ويعبر عن شكوى الشعب المغربي وألمه وحزنه واحتجاجه من السياسة الاستعمارية التي خطط لها الاستعماريون بصدور ذلك الظهير البربري المشؤوم، ويطلب منه أن يقف جنبا إلى جنب للدفاع عن وحدته وعقيدته وتلبية المطالب التي أشرنا إليها من قبل، ويلاحظ أعضاء الوفد جميعهم أن عيني جلالة العاهل الكريم تنهمران بالدموع وهو يستمع إلى كلمات الشيخ الوقور، متأثرا أيما تأثر من تلك الكلمات الصادقة المخلصة، ومؤكدا أنه سيبذل جهده وكل ما يستطيع لعرقلة تطبيق تلك السياسة الخرقاء، وكل ما من شأنه أن يضر بوحدة البلاد وعقيدتها، والشعب المغربي ومطامحه ومطالبه، وتتناقل الأفواه، وتتحدث الألسن عن ذلك اللقاء التاريخي بين ملك مخلص شاب، وممثلي شعب تواق إلى الوحدة والعزة والكرامة والتحاكم بما أنزل الله، ونشعر نحن الشباب الوطني المتوثب إلى الحرية والكرامة والمجد، أن جانبنا تقوى، ووحدتنا تحققت، ومستقبلنا قد ضمن، فما كان لحركة يرعاها ملك مخلص، ومطالب يتجاوب معها عاهل شاب صادق، أن تفشل فلا تحقق ما تطمح إليه، وما كان للسياسة الاستعمارية المفرقة أن تنجح وقد وقف ضدها شعب متمسك بوحدته، وعرش حريص كل الحرص على الاستمساك بحقه وحقوق شعبه.

وتتوالى الأيام، وتتبعها الشهور والأعوام، ليزيد الالتحام والوثوق بين الحركة الوطنية وملكها الهمام، ويتأكد للاعداء والخصوم، قبل الأصدقاء والأحباب أن هذا الشعب وضع يده في يد ملكه الشهم الهمام، وأنه لا فرقة بينهما ولا خصام، فهو تعلق ومحبة في الله ولله، وما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل.

لقد أصبح اسم الملك محمد بن يوسف أنشودة يتغنى بها الشعب، والتعلق بالعرش مبدأ من مبادىء كل التزام وطني شريف، وتغنى شاعر الشباب الوطني إذ ذاك المرحوم علال الفاسي قائلا :

يـا مـلـيـك الـمـغـرب
يا ابن عدنان الأبي
نحن جند للفـــــدا

نحمي هذا الملـــــــك.
عرش مجد خالــــــــد
ماجد عن ماجـــــــد.
قد بناه الأولـــــــون
في شموخ الفلـــــك.

وتغنى غيره من الشعراء بمثل ما تغنى به. وأصبح اسم الملك والعرش ملء الأسماع والأبصار والقلوب. وتساءل بعض اليساريين الأجانب لماذا هذا التعلق بالعرش ؟ والعروش ليست علامة على التطور والتقدم. وأجبنا بأن العرش المغربي يختلف عن العروش. فهو من الشعب وإلى الشعب. وبتلاحم الشعب مع العرش استطاع المغرب أن يطهر البلاد من الغزاة، وأن يصمد أمام المغامرين. والعرش العلوي بصفة خاصة لم يصمد ثلاثة قرون ونصف قرن الا لخواص اختص بها دون بقية العروش. فهو ضمان الوحدة الوطنية. وهو رمز السيادة القومية. وهو ضامن الدفاع عن وحدة التراب. ووحدة العقيدة. ووحدة اللغة. وهو مع ذلك كله تشخيص لسلالة الرسول محمد عليه السلام. رسول البشرية. وهاديها إلى الطريق القويم والصراط المستقيم.

إننا نرى في العرش المغربي. أمجاد ثلاثة قرون. بل أمجاد ثلاثة عشر قرنا. وإننا نرى في اعتلاء محمد ابن يوسف العرش المغربي. انبعاثا للأمجاد. وانتعاشا للأرواح. فلأمر ما. أرادت القدرة الإلهية أن يبتدىء الانبعاث الوطني أواخر العشرينات. وأوائل الثلاثينات. وأن يسامتها في الوقت نفسه مبايعة هذا الملك الشاب الذي سيكون إن شاء الله مجدد القرن ومحرر الشعب وأن الله سيبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها، وأنه هيأ لها من سيعمل على تحريرها.

وهكذا تجلى للأنظار أن ما كانت تخطط له السلطات الاستعمارية من تقليص نفوذ جلالة السلطان. إن هو إلا تخطيط لعرقلة تقدم الشعب ومقاومة تجديد أمر دينه ودنياه. وهكذا قررت الحركة الوطنية الفتية أن تزيد من تشبثها بالعرش العلوي في شخص محمد الخامس. وهكذا صارت فكرة التحدي للاستعمار والتشبث بالعرش تزيد قوة ومناعة. وهكذا بدأت تبرز فكرة الدعوة إلى اتخاذ يوم عيد جلوس جلالة الملك على عرش أسلافه المقدسين عيدا وطنيا. يبرز فيه تعلق الشعب بملكه. والتحام الملك مع شعبه.

لقد كان أول من كتب في هذا الموضوع الذي كان يشغل الأفكار حسب علمي المرحوم محمد حصار. ففي مقال كتبه بمجلة «المغرب» التي كان يصدرها السيد محمد صالح ميسه الجزائري. تحت عنوان «الأعياد الإسلامية» طالب علنا في ختام مقاله اتخاذ يوم عيد جلوس الملك على عرش أسلافه عيدا وطنيا. وعلقت المجلة على المقال محبذة ومؤيدة. لقد كان ذلك في أوائل سنة 1933 وما أن أقبل شهر نوفمبر سنة 1933 حتى تجند الشباب الوطني في كل من سلا والرباط وفاس ومراكش للاحتفال بهذه الذكرى. وهكذا تأسست لجان وطنية بهذه المدن. للدعوة إلى إقامة الحفلات بهذه المناسبة السعيدة. ففي «سلا» نشطت اللجنة الوطنية الموكول اليها تنظيم الاحتفال. ودعت إلى إغلاق المدارس والإدارات واظهار معالم الزينة والأفراح. ووجهت البرقيات المتعددة من العلماء، والأشراف والأعيان والشباب إلى صاحب الجلالة تهنئه بعيد جلوسه على العرش. وتتمنى له الحياة السعيدة والعمر المديد.

إنني لا أنسى ذلك اليوم الأغر في حياتنا الوطنية. فلقد لبسنا ثيابنا الوطنية الجديدة وأخذنا تلامذة (المكتب الإسلامي) وهو مدرسة النهضة الآن إلى المكان الذي أعددناه للاحتفال، وهم ينشدون الأناشيد الوطنية. ويتغنون بأمجاد العرش العلوي. ومن جملة ما كانوا ينشدونه في ذلك اليوم نشيد كان وضعه الأستاذ الشهيد السيد محمد القرى رحمة الله عليه. و من جملة أبياته التي أذكر :

أيهـا الشبـان هبــوا إنكـم روح النشـــاط
ولتحيــوا فــي ســرور وابتهـــاج واغتبــاط
ملكـــا يحيـــى البــــلاد

ملـك الأوطـان من هـ ـذا الشبـاب المستطـاب
وشبـاب الشعـب منـــ ـسوب إلـى ذاك الجنـاب
فلتقولــو فــي افتخـــار إنمـا الشعـب الشبـاب
وهـــو ربـــان البـــــلاد

وبعد انتهاء الحفل الوطني الأول من نوعه، نظمت جموع الشباب التي كانت مجتمعة تظاهرة وطنية، وقصدت منزل الباشا مطالبة بأن يصبح هذا اليوم عيدا رسميا، تعطل فيه الأعمال، وتظهر معالم الزينة والأفراح.

وبالإضافة إلى هذا الاحتفال تقرر توجيه جماعة من الشباب السلوي إلى الشباب الوطني الرباطي لتقديم التهاني، كما ورد على «سلا» وفد من الشباب الوطني الرباطي للتهنئة واظهار الالتحام. كما قرئت آيات من القرآن في المساجد، ورتلت أمداح نبوية تجاوبا مع المحتفلين ودعاء لجلالة الملك بطول العمر. أما في فاس فقد أقيم احتفال بجنان أبي الجنود. أعطت وصفا له في ذلك الوقت جريدة «عمل الشعب» الأسبوعية. وأما في مراكش فقد زينت قيسارية السمارين بالأعلام، ووزعت الصدقات على الفقراء والمساكين والعجزة (1).

ولقد كنت وجهت برقية إلى جلالة الملك باسم شباب سلا الوطني، نشرتها مجلة «المغرب» المذكورة، وجاء فيها بالخصوص ما يلي : إن شبان «سلا» ينتهزون فرصة عيد العرش السعيد، ليرفعوا إلى جلالتكم ولاءهم واحترامهم الخالص، ويعبرون لجلالتكم عن تمسكهم بجلالتكم وسمو الأمير مولاي الحسن، ويرجون من رحمتكم العفو عن السجناء السياسيين.

عن شبان سلا : أبو بكر القادري

مضى يوم 18 نوفمبر 1933 في منتهى ما يكون من الروعة والجمال، لم تر له البلاد نظيرا وأقبلنا على أعمالنا في اليوم الموالي، وأقبل الشعب على أشغاله. وبينما أنا أعطي الدرس بأحد أقسام «المكتب الاسلامي» بالزاوية القادرية يوم 19 نوفمبر إذ أبصر من نافذة الفصل (مخزنيا) عونا من أعوان الباشا يدخل الزاوية باحثا عني، فأقول في نفسي : لعل الادارة الاستعمارية لم تطق صبرا على ما وقع بالأمس، ولذلك تكون أوعزت للباشا باستدعائي لتهديدي أو محاكمتي، ويتقدم إلي «العون» المذكور ليقول لي : إن الباشا يستدعيك باستعجال، فلم يسعني إلا أن أوقف الدرس الذي كنت أعطي، وأخبر بعض إخواني المعلمين بأني مدعو عند الباشا لغرض لست أدري عنه شيئا، وأقصد منزل الباشا صحبة العون. وكان مكتب الباشا الذي يستقبل فيه مدعويه ولربما يحكم عليهم فيه بجانب داره إذ كان الباشا ليس رئيس بلدية فحسب، ولكنه حاكم أيضا ـ أقول أقصد الباشا ليستقبلني لا في مكتبه أو محكمته كما جرت العادة، ولكن ليستقبلني باحدى قاعات منزله.

لقد وجدته جالسا وبجانبه أحد الاشخاص، وأمام هذا «أواني الشاي» فسلمت عليه فرد السلام بأدب واحتشام، وطلب مني أن اجلس بجانبه، ثم خاطبني قبل أن يناولني الخادم كأسا من الشاي قائلا : لقد اتصل بي الفقيه المعمري من القصر الملكي، وأمرني باسم صاحب الجلالة أن أبلغك وأصدقاءك شكره ودعاءه على ما قمتم به أمس من احتفال واحتفاء، بمناسبة جلوسه على عرش أسلافه المقدسين، ولقد وصلته البرقية التي وجهت إليه بهذه المناسبة وهو أعزه الله يشكرك عليها ويدعو لك بالتوفيق. وانتهت الجلسة بهذا التبليغ الملكي الكريم، ورجعت إلى المدرسة لأبلغ إخواني وأصدقائي رضا جلالة الملك وشكره ودعاءه لنا بالتوفيق، وشعرنا بنشوة من الفرح ما عليها من مزيد، وتبادلنا التهاني مع بعضنا بعضا، لقد حققنا ما كنا نطمح إليه، ولقد تجاوبنا مع ملكنا الشهم الشاب الهمام، فلنسر في طريق هذا التجاوب الصادق المتين، والله سبحانه كفيل بتحقيق الأماني إذا ما حسنت النيات.

لقد اندهش الاستعماريون من هذه المبادرة الشعبية التي لم يكونوا ينتظرونها، والمفاجأة التي لم يكونوا يتوقعونها، ففكروا وقدروا، ولكن لم ينفعهم تفكير ولا تقدير، لقد تحطمت أحلامهم في فصل الملك عن شعبه، ولقد ذهبت مخططاتهم أدراج الرياح وهم يعملون على التنقيص من نفوذ جلالته وارتباط شعبه به، فلقد زادت

---

(1) راجع وصف هذه الاحتفالات في مجلة المغرب سنة 1933 ونصوص البرقيات التي وجهت إلى جلالة الملك.

مكانة هذا الملك الشاب في نفوس الشعب وأصبح الشباب الوطني يتغنى به، ويهتف باسمه ويعلق الآمال الكبيرة عليه. لقد قررت كتلة العمل الوطني تقديم المطالب الأساسية لجلالة الملك وللسلطان وكان في طليعتها ما يلي : اعتبار يوم تتويج جلالة السلطان يوم عيد رسمي للدولة المغربية ووجوب ذكر اسم جلالة السلطان في خطب الجمعة والأعياد بسائر أنحاء المغرب، حواضر وبوادي.

وتمضي الأيام والشهور سراعا. ويأتي شهر أكتوبر من سنة 1934 ليشعر المسؤولون أن نوفمبر على الأبواب. وسوف لا يتركه الشباب الوطني يمر دون أن يكرروا ما فعلوه في نوفمبر 1933، ولربما سيكون بصورة أقوى. فلقد بلغتهم أخبار بأن الشباب الوطني يستعد كل الاستعداد للقيام بمهرجانات بمناسبة الذكرى، وأن الشعراء والخطباء تحركت مشاعرهم، وانتفضت قرائحهم، فهم في غمرة من النشاط والاستعداد. لقد قدم شاعرهم الفذ علال الفاسي إلى المطبعة قصيدة حول العرش المغربي تزيد أبياتها على المائة والستين. ولقد طبعوا الأناشيد الصغيرة والكبيرة وصاروا يوزعونها على الأطفال والشبان في المدارس والنوادي وحتى في الأسواق. فلا مناص أمام هذه الموجة من الاستعدادات أن يعملوا على إصدار قرار ينظم الاحتفال، ويعترف بالأمر الواقع. وهكذا صدر قرار وزيري من ثلاثة فصول، ينظم كيفية الاحتفال بذكرى 18 نوفمبر. ويعتبر ذلك اليوم عيدا رسميا، تحتفل فيه المدن، وتتزين الأسواق، وتعطل فيه الأعمال. ويتقبل باشا المدينة تهاني الأعيان. أما في العاصمة فيتركب وفد من أعيان المدينة وباشاها ليقدم التهاني إلى جلالة الملك وينص أحد الفصول على أن الاحتفال لا يتعدى يوما واحدا. وأن لا تلقى فيه خطب ولا قصائد ولا يرد على المحتفلين وفود من غيرهم.

لقد صدر هذا القرار الذي وقعه الصدر الاعظم الحاج محمد المقري ووافق عليه المقيم الفرنسي العام مسيو بونصو بتاريخ 16 رجب 1353 الموافق لـ 26 أكتوبر 1934.

وهكذا اضطرت السلطات الاستعمارية للموافقة على قرار اتخذه الشعب بنفسه. باعتبار يوم جلوس جلالة ملك المغرب على عرش أسلافه المقدسين عيدا وطنيا رسميا.

ومنذ ذلك اليوم والشعب المغربي يحتفل بذلك اليوم الأغر. ويعتبره من أعياده الوطنية الكبرى. وأيامه الخالدة التي يحيى فيها أمجاده. ويستعيد ذكريات أبطاله الميامين ليواصل سيره إلى الأمام. ويستفيد من ماضيه ما يساعده ويقوي جهوده في بناء المستقبل. واليوم والشعب المغربي بحواضره وبواديه يحتفل بذكرى جلوس عاهله العظيم. وحارس وحدته الأمين. مبدع المسيرة الخضراء. ومحرر أراضيه في الصحراء جلالة الحسن الثاني لا يسعنا إلا أن نتباهى ونتفاخر بما تقوم به بلادنا تحت زعامة وريادة جلالته من دور في الدفاع عن مقدسات المسلمين. وسعي حثيث في جمع شتات العرب. ونضال مستميت لتحرير القدس والأقصى. وعمل دؤوب للنهوض بهذه البلاد. ورفع مكانتها في المعمور.

فلنبتهل إلى الله أن يرعى جلالة ملكنا الهمام بعنايته التي لا تنام. وأن يحفظه في ولي عهده ووارث سره الأمير سيدي محمد وصنوه السعيد المولى الرشيد. وجميع أفراد أسرته الكريمة. وأن يبقى هذه البلاد مركزا للإشعاع الإسلامي. ومنبعا يستقى منه من يريد أن يهتدي بهدي النبوة والرسالة المحمدية. وليوفق الله قادتنا وعلماءنا وزعماءنا وساستنا وإخواننا لما فيه صلاح دينهم ودنياهم. إنه سميع مجيب.

أبو بكر القادري

من الحسن الأول إلى الحسن الثاني

هل يوجد بين العاهلين قاسم مشترك؟

للأستاذ الشيخ محمد المكي الناصري

منذ عهد الفتوة والشباب أحسست بميل كبير إلى دراسة حياة الحسن الأول، وأعجبت بشخصيته الفذة أيما إعجاب، حتى اقترحت على رفاقنا التطوانيين في (جمعية الطالب المغربية) خلال الثلاثينات إقامة حفل وطني كبير يكون تذكارا لزيارته لتطوان، على أن يشترك فيه شباب الجنوب إلى جانب شباب الشمال، لكن لم يكد يشيع هذا الخبر، وتوضع الخطوط العريضة للذكرى الحسنية، حتى كان رد الفعل من جانب المندوبية الإسبانية عنيفا، وصدر الأمر بالمنع من تنفيذ هذه الذكرى بالمرة.

وعاودني الحنين إلى نفس الموضوع عندما دعتني عمالة إقليم أكلميم منذ ستة عشر شهرا إلى المساهمة في احتفالها بذكرى مرور قرن كامل على زيارة السلطان مولاي الحسن لذلك الإقليم الذي هو باب الصحراء، وما وراءه من صحراء المغرب، فعدت إلى مراجعي وأوراقي القديمة أعيد فيها النظر، وأستخلص منها على ضوء تجربتي الجديدة جملة من المواعظ والعبر، وإذا بي أكتشف من وجوه الشبه بين الحسنين، الحسن الأول، والحسن الثاني، ما كان من الصعب علي أن أتخيله أو أتصوره قبل أن يبرز الحسن الثاني في الميدان، ويبرز على جميع الأقران.

واقتنعت من خلال هذا البحث الطريف في وجوه الشبه بين الحسنين - وهو بحث لا يزال في بدايته - بأن للعائلة العلوية الشريفة تقاليد عائلية ثابتة لا تتغير في جوهرها، وإن تغيرت في مظهرها، وبأن لها خطة سياسية مرسومة بالنسبة للداخل والخارج، ورسالة وطنية متبعة لا تتغير أهدافها، ولا تتبدل مقاصدها، وإن اختلفت الوسائل وتغيرت الظروف.

- ولنضرب بعض الأمثلة لوجوه الشبه القائم بين الحسنين الأول والثاني، حتى نرى هل يوجد بينهما قاسم مشترك أم لا ؟

- **المثال الأول :** نجده متجليا في نوع التربية العائلية والدينية التي تلقاها كل من الحسنين، فقد حرص محمد الرابع كل الحرص على أن يسلك في تربية إبنه الحسن الأول مسلك الحزم والجد والاستقامة والتقشف، وقد اختار لتربيته وتعليمه نخبة من العلماء الأفذاذ خارج العاصمة، حتى يلقنوا لإبنه الحظ الكافي من الثقافة الإسلامية السائدة في عهده، وحتى يتلقى على أيديهم تربية إسلامية وطنية خالصة، بعيدا عن أبهة الملك وبريق السلطان.

وعندما جاء دور محمد الخامس وجدناه يسلك في تربية ابنه الحسن الثاني، نفس المسلك، ونراه يتتبع خطواته عن كثب، فيخصص لتربيته وتعليمه وإقامته المدرسة المولوية، التي أقامها خارج القصر، ويلاحق خطواته التربوية خطوة خطوة، ويتتبع مراحله الدراسية مرحلة بعد أخرى، ويعنى - قبل كل شيء وأكثر من كل شيء - بتربيته الإسلامية والعربية عناية خاصة، إلى جانب تزويده بأفضل زاد من الثقافة الحديثة السائدة في وقته.

وها هو الحسن الثاني، نفسه يسلك في تربية فلذة كبده وولي عهده سمو الأمير المحبوب سيدي محمد وبقية اخوته أصحاب السمو الأمراء، والأميرات نفس الاتجاه التربوي الحازم، فهو حريص كل الحرص على أن تكون تربيتهم جميعا مطبوعة في الدرجة الأولى بالطابع الإسلامي الصحيح والقومي السليم، دون استيلاب ولا استغراب.

- **المثال الثاني** : نجده واضحا في نوع التربية السياسية التي تلقاها كل من الحسنين، فقد وجدنا محمدا الرابع يكلف ابنه الحسن وهو لا يزال في ريعان الشباب بإنجاز عدة مهام مخزنية شاقة، وقضاء عدة أغراض رسمية كبرى في عدة أقاليم من المملكة، ثم نجده يعمل خليفة عنه بإقليم مراكش لمدة اثنيْ عشر عاما دون انقطاع، مما اهله لحمل مسؤولية الحكم والجلوس على عرش المغرب بعده، عن خبرة تامة، وبعد تجربة طويلة.

وعندما جاء دور محمد الخامس نجده يتخذ من ابنه الحسن، بمجرد ما ظهرت نجابته، ولاحت عبقريته - وإن كان لا يزال في ميعة الشباب - أنيسه الملازم في الشدائد، ومستشاره المؤتمن في الملمات، وممثله لدى مختلف الطبقات والهيآت، والناطق باسمه والمعبر عن رأيه بكل صراحة وشجاعة في أحرج الأوقات، وشريكه في المتاعب والتضحيات، وما كاد ينجلي غبار الاستعمار عن هذه الديار حتى رشحه وليا لعهد المملكة، فتقبلت الأمة ترشيحه لذلك المنصب السامي بالقبول والإجماع، ثقة منها بكفاءته ووطنيته، واعتمادا على متانة تكوينه وواسع تجربته، وما كاد محمد الخامس، ينتقل إلى رحمة الله، حتى كان الحسن الثاني، خير خلف لخير سلف، يتمتع بكل المؤهلات لحمل أخطر المسؤوليات.

وها هو الحسن الثاني، يسلك مع سمو ولي عهده الأمير سيدي محمد نفس المسلك الذي سلكه معه والده فيدربه على مواجهة الحياة العامة ويكلفه بالخطابة أمام الخاصة والعامة ويرشحه لتمثيل جلالته في مختلف المناسبات في الداخل والخارج ويشركه معه في حضور المواقف التاريخية الوطنية والدولية ويمكنه من التعرف عن كثب على قادة الدول وزعمائها البارزين ممن يزورون المملكة وفي ذلك كله حظ كبير من التربية العملية الوطنية والسياسية.

● **المثال الثالث** : نجده بارزا فيما تحلى به كلا الحسنين من الرفق بالرعية، والتلطف بها والحدب عليها، فقد سجل التاريخ بأحرف من نور أن الحسن الأول كان يبذل قصارى جهده في سبيل ضمان العيش الكريم لكل أفراد الرعية،وكان يعنى العناية التامة بأن تظل أسعارالمواد الأساسية في مستوى معقول لا غبن فيه ولا شطط، وكان أسرع الناس إلى إعانة الفلاحين بالبذور إن لم يكن عندهم منها ما يكفي، كما كان أسرع الناس إلى إعانة التجار بالسلفات والقروض ان ضاقت وسائلهم الخاصة، وذلك حتى لا ينقطع الفلاحون عن مواصلة نشاطهم الفلاحي، ولا ينقطع التجار عن مواصلة نشاطهم التجاري، لأن نشاط كلا الفريقين يعود على الأمة بالنفع العميم، ولم يكن يسمح بتصدير أي شيء إلى الخارج إلا إذا استوفى الشعب حاجته من الاكتفاء الذاتي، وإذا طرأ على المغرب طارىء قحط أو جفاف بادر إلى إغاثة الرعية بمخزون الدولة من المواد الغذائية، إلى أن تعود المياه إلى مجاريها، ويمر عهد الجفاف بسلام.

وعندما نستعرض اهتمامات الحسن الثاني، ومشاغله الكبرى منذ اعتلى عرش المملكة نجد هذا الجانب الحيوي يستأثر منه ببالغ الاهتمام، ويأخذ من تفكيره وعنايته حصة الأسد، فهو شغله الشاغل الذي لا يفتر عن ترديده والتذكير به، والدعوة إلى إحاطته بكل الضمانات، ولا سيما عندما يبدو في الجو شبح أزمة من الأزمات، وقد سخر

لخدمة المواطنين، منتجين ومستهلكين، عددا كبيرا من المصالح الإدارية المتنوعة، والمرافق العامة المتخصصة، حتى يظل الشعب في بحبوحة من العيش، ولا يتعرض أمنه الغذائي لأي خلل أو خطر.

- **المثال الرابع :** يتجلى في تفكير الحسنين وعملهما معا على تزويد الدولة بالأطر الضرورية لتسيير أجهزتها وحمل مسؤولياتها، بما يناسب احتياجات وإمكانات عهد كل منهما، فقد كان تكوين الأطر ونشر الثقافة والتعليم محل عناية مستمرة لدى الحسن الأول، لا فرق بين التعليم الإسلامي والقومي الأصيل، الذي كان يشجع أساتذته بالمنح والصلات، وبالغ الالتفات، ويشجع طلابه بمختلف الإعانات، تعزيزا منه للثقافة الإسلامية القومية، كي تبقى مزدهرة سائدة في البلاد، وبين التعليم العصري، الحديث الذي أخذ يوجه لتلقيه وتحصيله في الخارج البعثات تلو البعثات، حتى بلغ عدد طلابها في مدة قصيرة ثلاثمائة وخمسين طالبا، سعيا منه لتكوين أول فوج من الأطر الفنية التي يعتمد عليها في تلقيح المرافق العامة المحتاجة للإصلاح والتجديد.

وهذا الاتجاه الرشيد الذي كان في عهد الحسن الأول، مجرد بداية حسنة وبادرة طيبة، بلغ القمة في عهد الحسن الثاني، الذي أنشأ - علاوة على جامعة محمد الخامس - شبكة من الجامعات المغربية الحديثة، وفتح أبواب كلياتها على مصاريعها لتكوين العدد الكافي من أطر الدولة، إلى جانب كليات الجامعة الإسلامية القديمة التي وكل إليها حفظ التراث الإسلامي الخالد، ولم يكتف بجامعات المغرب وحدها، بل واصل تشجيعه لإرسال عشرات الآلاف من الطلاب إلى جامعات الأقطار الأجنبية، على اختلاف لغاتها وأنظمتها، عسى أن يقتطف شباب المغرب منها خير ما عندها من ثمار، لتلقيح النهضة القائمة بالمغرب حتى يبلغ مستوى غيره من متقدمي الأقطار.

المثال الخامس : هو ما يوجد من الشبه القوي بين نشاط الحسنين في ميدان السياسة الخارجية ومجال السياسة الدولية، فمن راجع نشاطهما في هذا الميدان - ولو بقدر محدود - يندهش كل الاندهاش من التشابه، بل من التماثل القائم بينهما في الأهداف والغايات، القريبة والبعيدة، مما يدعو إلى الاقتناع بأنهما ينطلقان معا من منطلق واحد، وينظران لنفس القضايا من منظور واحد.

والمنطلق الأول لكلا الحسنين الأول والثاني، هو العمل المستمر على حضور المغرب الدائم في المحافل الدولية، وتوثيق العلاقات السياسية والاقتصادية مع مختلف الدول والهيآت لصالح الشعب المغربي والدولة المغربية، وربط الصلات المباشرة مع كبار الملوك والرؤساء البارزين.

والمنطلق الثاني لهما هو بذل كل الجهود لإبقاء المغرب خارج دائرة الصراعات الدولية التي عرفها العصر الحديث، مما له طابع ثنائي بين دولة وأخرى، وذلك بالرغم من المحاولات العديدة التي بذلتها بعض الدول، ليقف المغرب بجانبها، وينضم إلى معسكرها، من أجل الدفاع عن مصالحها الخاصة، وهذا الموقف هو ما كان يعرف من قبل بسياسة «الحياد» وما تطور الآن إلى سياسة «عدم الانحياز».

والمنطلق الثالث لهما هو التمسك بعلاقات الاخوة الصادقة والمودة الخالصة مع العالم الإسلامي والدول العربية، ومن ذلك علاقات الحسن الأول مع عبد الحميد الثاني خليفة بني عثمان الذي كان معاصرا له، ومع خديوي مصر الذي كان على عهده.

وهذا المنحى الخلقي الرفيع والأخوي النبيل هو الذي هيمن على سياسة الحسن الثاني، في علاقاته مع العالمين العربي والإسلامي، ولم يمنع هذا الاتجاه من ربط علاقات خاصة مع الفاتيكان والبابا الجالس على عرشه، بين الحسن الأول والحسن الثاني، مراعاة لشعور العالم المسيحي.

والمنطلق الرابع الذي يشتركان فيه هو الدفاع المستميت عن سيادة المغرب ووحدة ترابه بالوسائل السلمية قبل غيرها، وعن طريق التفاوض والحوار، كلما كان الطرف المقابل مستعدا لذلك، ففي مؤتمر مدريد الذي انعقد على عهد الحسن الأول بطلب منه انتزع المغرب الاعتراف من جديد بكيانه الدولي الخاص، وجنسيته المتميزة، ونظامه الملكي القائم، وضيق نطاق «الحمايات القنصلية»، وكان ذلك عن طريق المفاوضة والحوار، الأمر

الذي شجع الحسن الأول على أن يواصل السير في نفس الطريق، ويسعى من جديد إلى عقد مؤتمر دولي آخر ينتهي بوضع معاهدة دولية أخرى تكون أفضل وأكمل من معاهدة مدريد، بحيث تضع حدا نهائيا لنظام «الحمايات القنصلية»، وتضمن للمغرب حريته وسلامته، وعدم الاعتداء على أراضيه، وتعتبر المملكة المغربية في معزل عن النزاعات الدولية، وموضع احترام من جميع الدول. لكن هذا المشروع الحسني الطموح لم يتحقق على يده، لكونه برز به في أواخر عهده. وكما وجدنا الحسن الأول يدافع عن حقوق المغرب في مؤتمر مدريد عن طريق المفاوضة والحوار نجد الحسن الثاني، يدافع بنفس الأسلوب ونفس الروح عن نفس الحقوق في ساحة الأمم المتحدة، وأمام محكمة العدل الدولية، ويعيد لحظيرة الوطن الأب أقاليمه المغتصبة في الجنوب، ويكسب الرهان على صحرائه المغربية بصفة قانونية وشرعية، وها هو لا يزال يحاور ويفاوض لاسترجاع سبتة ومليلية والجزر الجعفرية.

وكما كان للحسن الأول «سياسة صحراوية» ونفوذ ديني قوي بين قبائل الصحراء، واتصال وثيق مع زعمائها وأعيانها، وحرص شديد على صيانة حقوق المغرب الثابتة في تلك المنطقة، حتى اشتبك مع فرنسا، في صراع سياسي ودبلوماسي عنيف، عندما شرعت في وضع يدها على واحات توات وما جاورها، وأخذت تحاول ضمها إلى منطقة نفوذها في التراب الجزائري قبيل وفاته بحوالي عامين ونصف، نجد الحسن الثاني، متمسكا كل التمسك بحقوق المغرب الثابتة في صحرائه لا يبغي بها بديلا، حتى اشتبك هو بدوره مع إسبانيا، في صراع سياسي ودبلوماسي عنيف، بدأ ثنائيا أولا، وانتهى دوليا أخيرا، إلى أن تم على يده تحرير الصحراء، بالمسيرة القرآنية الخضراء، وجدد له «البيعة» أبناؤها الأشاوس، من المغاربة الأقحاح، فحلت الراية المغربية الأصيلة محل راية الاستعمار الدخيل.

ولو فسح الله في الأجل للحسن الأول لنازل الاستعمار الفرنسي، ولحال بينه وبين ضم واحات «توات» وما جاورها، ولظل ذلك القسم المترامي الأطراف من الصحراء داخل حدود المغرب إلى الآن وحتى الآن.

- المثال السادس : هو ما يلاحظ من الاهتمام الخاص عند كل من الحسنين بإحياء الأسطول المغربي ذي التاريخ المجيد والملاحم الخالدة، وإذا كان الحسن الأول يدشن أولى وحداته لمراقبة السواحل المغربية بما أطلق عليه اسم **(بشير الإسلام بخوافق الأعلام)** تفاؤلا بالحاضر إذ ذاك، وتخطيطا لمستقبل الأيام، وإذا كان الحسن الأول، يفكر في إنشاء أسطول تجاري يسد حاجة المغرب إيرادا وتصديرا، ويدشن أولى وحداته بما أطلق عليه في عهده اسم (البابور الحسني) فإننا نجد الحسن الثاني يومن بنفس المبدأ ويسير في نفس الطريق، لكن بخطى ثابتة وواسعة تتناسب مع عهده الزاهر، مما أثار الانتباه والاعجاب، وها هو مغرب الحسن الثاني، يفخر بأسطوله التجاري الكبير الذي يمخر عباب البحار ذهابا وإيابا، كما يفخر بوحداته البحرية التي تقف ليل نهار بالمرصاد لكل من تحدثه نفسه بالتوغل في شواطىء المغرب وانتهاك حرمة مياهه الإقليمية، دون اذن سابق، ولا هدف واضح مشروع.

هذه أمثلة ستة لوجوه الشبه القوي القائم بين الحسنين الأول والثاني، وهي كافية للجواب عن السؤال الوارد في عنوان هذا المقال، واثبات أنه يوجد فعلا بين الاثنين عدة «قواسم مشتركة» لا قاسم مشترك واحد.

والذي يلاحظ هذه الوجوه جملة، وكل وجه منها على انفراد، لا يستطيع أن ينكر أن للعائلة العلوية الشريفة تقاليد عائلية ثابتة لا تتغير في جوهرها، وان لها خطة سياسية مرسومة للداخل والخارج لا تتغير أهدافها، وان اختلفت وسائلها، وذلك هو أحد «الأسرار» فيما لنظامنا الملكي من استمرار واستقرار.

والآن فلنختم هذا البحث بالإشارة إلى وجهين آخرين من وجوه الشبه في الخلقة والأخلاق، هما من قبيل الملكات الفطرية والمواهب، لا من قبيل المزايا الطارئة والمكاسب.

فمن الناحية الأخلاقية تثبت لنا المصادر الأجنبية لبعض الدبلوماسيين الأجانب الذين عاصروا الحسن الأول (أنه كان كريم الطبع، منطقي العقل، لا ينخدع بالثرثرة

والكلام الفارغ. ولا يقبل عند مناقشته إلا البراهين الساطعة. وأنه كان ميالا إلى العدل والإنصاف في حل المشاكل. وأنه عند الضرورة القصوى قد يساير الضغوط الطارئة. لكن لا يستسلم لإرادة أصحابها. بحيث لا ينال الغير منه في النهاية أي شيء مما كان ينتظره تحت الضغط. وانه كان مثلا عاليا في الشجاعة. وانه كان في الأوقات العصيبة لا يبدو على وجهه أي أثر للقلق والاضطراب. بل كان يبدو في منتهى الهدوء والثبات دائما.

أليست هذه الصفات الممتازة التي تحلى بها الحسن الأول هي الصفات البارزة في سلوك الحسن الثاني. في السراء والضراء والشدة والرخاء ؟

ومن ناحية الخلقة والمظهر تثبت لنا نفس المصادر الأجنبية «أن الحسن الأول كان ذا وجه جذاب. وانه كان ذا نظرات هادئة عميقة. وأنه كان ذا نبل وهيبة. وأنه كان يتميز عن غيره من ملوك عصره بخلقته الجذابة ومنظره الرائع».

أليست هذه الصفات الجميلة التي أكرم الله بها الحسن الأول. جزءا لا يتجزأ من شخصية الحسن الثاني. ومنظره الجذاب المهيب ؟

ومن من المواطنين أو الأجانب لا يجد نفسه مشدودا إليه كلما واجهه. معجبا بشخصيته الفذة أشد الإعجاب ؟

فليهنأ المغرب بقيادة عاهله العظيم الحسن الثاني. وارث سر العائلة العلوية الشريفة. والمؤتمن على تقاليدها العريقة. والمجدد لأمجادها الخالدة. وليدم الله على جلالته نعمة العافية والتوفيق والسداد. لخير البلاد والعباد.

الرباط ـ **محمد المكي الناصري**

مقال الأستاذ الكبير عبد الله كنون

• نعتذر للأستاذ الكبير السيد عبد الله كنون عن عدم تمكننا من إدراج مقاله الممتاز (بطل الاستقلال محمد الخامس) ضمن مواد هذا العدد لوصوله إلينا متأخرا (23 / 2 / 1983). في الوقت الذي تم فيه ترقيم صفحات هذا العدد وتصويرها.

نجدد اعتذارنا لأستاذنا الكبير شاكرين له مساهمته القيمة في مد هذه المجلة بإنتاجه الجيد •

ـ لمراجعة أقوال الأجانب عن الحسن الأول وسياسته الصحراوية بالفرنسية انظر المرجعين الآتيين

1) Bulletin du comité de l'Afrique Française –
Années 1891 – 1892 – 1893 – 1894.

ـ ولمراجعة أقوال الأجانب في وصف خلقة الحسن الأول وأخلاقه بالفرنسية والاسبانية، انظر كتاب هنري دي لامارتينيير أيضا، وكتاب،

2) Souvenirs du Maroc par Henri de la matinière.
3) Viaje por todo Marruecos – por Julián A. de Sestri.



للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

إن سياسة ملوكنا الأماجد وخاصة العلويين ازاء الصحراء، كانت سياسة قارة تستمد قوتها واستمراريتها من الشعور بوحدة الكيان وتلاحم الجماهير من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال في تداخل عميق عريق يجعل أشتات القبيلة الواحدة منبثة تلقائيا من أقصى البلاد إلى أقصاها دون أية فروق أو مميزات خارج المواطنة الموحدة.

وكانت صحراؤنا تمتد إلى حدود نهر السنغال دون منازع غير أن الاستعمار الغربي الذي تجددت أطماعه حول افريقيا الغربية المغربية أواخر القرن الماضي بدأ يضع التخطيطات للغزو متذرعا بشتى الوسائل غير أن الشعب المغربي الباسل بقيادة ملوكه العلويين الأشاوس وخاصة جلالة الحسن الأول أفشل كل هذه المحاولات. وقد قام جلالة الحسن الأول عام 1304هـ/ 1886م برحلة إلى طرفاية Cap July التي ضمت دائما كولمين والطنطان لاقامة مركز وحامية. وفي عام 1313هـ/ 1895م وصلت إلى طرفاية بعثة سلطانية استرجعت المنشآت التجارية التي أسستها شركة ماكنزى الانجليزية فرابطت منذ ذاك حامية عسكرية مغربية بأشراف أول قائد هو حميدة الدليمي الشرادي.

وبفضل الجهود الحسنية ابرم عام 1313هـ/ 1895م اتفاق بين المغرب وانجلترا علقت عليه جريدة State Papers (م 87 ص 972) بأنه «لا يمكن لأحد أن يطالب بالأقاليم الواقعة بين وادى درعة وراس بوجدور Cap Bojedor التي تشكل اقليم طرفاية ولا بأي اقليم يقع وراء طرفاية لأن جميع هذه الأقاليم ملك للمغرب» وهذه شهادة دولية تؤكد ما لسنا في حاجة إلى تأكيده - الا لدحض مزاعم الخصوم -

وقد خلق الاستعمار قضية افتعلها افتعالا وهي قضية سانطا كروز Santa Cruz de mar Pequenà حيث انطلقت الدسيسة في نفس القرن الذي سقطت فيه غرناطة أي 882هـ/ 1478م في نطاق الزحف الرجعي المسمى Reconquista وسانطا هذه قلعة بناها البرتغالي دييكوكارسيا هيريرا (Diego Garciadi Herrera) قبالة الجزر الخالدات ثم سلمها لحامية مع مركز تجاري تنازل البرتغاليون عنه للاسبان بمقتضى معاهدة سنترة Cintra (عام 915هـ/ 1509م) ولكن القبائل المناضلة استرجعتها (عام 931هـ/ 1524) ولم يقدم اليها الاسبان إلا بعد هزيمة تطوان عام 1277هـ/ 1860م غير أن جلالة الحسن الأول

ظل يكافح دبلوماسيا لانتزاعها من جديد حيث وجه سفارتين عام 1281هـ/ 1877م وأخرى عام 1282هـ/ 1878 إلى مدريد مع مذكرة رسمية عام 1299هـ/ 1881م عن طريق نائب جلالة في طنجة مدافعا المطالب الاسبانية المزعومة التي لم يعترف لها بها رغم الضغوط التي استمرت الى عام 1909 بعد أن توفي بأزيد من العقد من السنين.

وقد استطاع المغرب بفضل تلاحم الشعب والعرش أن يثبط كل المناورات. وقد كان المجاهدون من كلميم فما وراءها شمالا من قبائل سوس وخاصة (زاغو) يفرون من الاحتلال الفرنسي الى الساقية الحمراء التي أضحت آنذاك مركزا للتجمع والمرابطة للجهاد وتحرير الجزء المحتل من شمال المغرب بقيادة الجيوش السلطانية العاملة في موريطانيا تحت امرة محمد الأغضف ابن الشيخ ماء العينين وظل هذا الجيش يعمل باسم السلطان الذي أصبح آنذاك سجينا في قبضة الفرنسيين. وبذلك ظلت المقاومة مستمرة في جنوب المغرب إلى عام 1353هـ/ 1934م. وكان الأمراء العلويون أنفسهم يقودون حركة الجهاد في الصفوف الأولى حيث اتخذ مولانا الحسن صهوة جواده عاصمة متنقلة له وكان يوجه اخوته الأمراء حيث تعذر وجوده فوجه أخاه الحسن الصغير عام 1293هـ/ 1856م لحشد قبائل الدير والجيش المتفرق بها لمواجهة دسائس الاستعمار في الجنوب.

وكان اسهام الصحراء والسهول متوازيا في النضال عن المجموع فهذا عسكر الداخلة وحده يتألف في العهد السعدى (حسب مناهل الصفا ـ مختصر الجزء الثاني ص 165) من البياك والسلاق (أهل القلانس) ولبردووش وهي فرق ثلاث تسير أمام أمير المومنين صفوفا متوالية يقودها صنف السراجة وجيش الصباحية. وكان هؤلاء السراجة هم صنف قيادة الوية ما كان ما يسمى بعساكر النار في الداخلة.

وقد كان القائد أحمد بن ابراهيم السوسي هو شيخ الرماة في عصره على الصعيد الوطني. وقد وردت في أجهزته أسماء آلات وأدوات وأسلحة حربية فيها المكاحل أى البندقيات الرومية وأبورى وتاسدا وأملوح واحوان وظهر السطح وجوهر الدار ومجدام وأعمال بالإضافة إلى الزناد والأنواع المكناسية والفاسية.

وفي العهد الحسني واجه الجيش المغربي تحديات من نوع جديد فتأسست فرقة مدربة من الطبجية (أي المدفعية) كان لها عشرون بطارية من نوع (كسروب) (وشنايدر) أو نوع رشاشات (ماكسيم). وأصبح المشاة يستخدمون البنادق من طراز (شاشبو) أو (مارتيني هانرى) المصنوعة بفاس على نسق خمس في اليوم. أما الفارس فإنه كان يستعمل الحراب والرماح والمسدسات والسيوف والخناجر والمكاحل وهي البندقيات وكان الحسن الأول يحضر تدريب الجند كل يوم اثنين ويستعرض الجيش كل يوم أربعاء (1).

وقد عمل السلطان من أجل تجهيز القبائل بالعتاد العسكري وتمكينها من الدفاع عن حوزة البلاد بجدوى ـ إلى تكديس مختلف الأسلحة بفاس ودافع بين ممثلي الدول فأسند إلى ضابط انجليزي قيادة أحد الفيالق وإلى بعثة من الخبراء الفرنسيين التدريب العسكري للجنود. وأناط بضباط ايطاليين ادارة مصنع الأسلحة بفاس.

وقد تحدث (كودار) في كتابه (وصف وتاريخ المغرب) عن الروح العسكرية لدى الجيش المغربي فقال، «إن هذا الجيش تذكيه كثير من العوامل التي تخلق الجندي المثالي وهي العقيدة الدينية وحب الاستقلال وأرض الوطن» (2).

وكان الأسطول المغربي في هذه الفترة ينقل الزاد من طرفاية إلى الشواطىء المقابلة لسمارة مركز الشيخ ماء العينين وكان أسطولنا قد بدأ يفقد قوته بعد أن كان الأسطول الأول في البحر الأبيض المتوسط في عهد

1) (سوردون ـ فرنسا في إفريقيا الشمالية ص 201).

2) (Godard, Description et Histoire du Maroc p. 151.

الموحدين حيث استنجد به صلاح الدين الأيوبي لمدافعة الصليبيين وهي مكانة لم يدركها لحد الآن أي أسطول عربي ولا اسلامي في المحيط والمتوسط.

وقد كان للسلطان سيدي محمد الثالث أسطول يتكون من خمسين قطعة منها ثلاثون حراقة أو فركاطة بأمرة ستين رئيسا أو ضابطا يشرفون على خمسة آلاف بحار والفين من الرماة وكانت هذه السفن الحربية مجهزة ببطاريات بلغ عدد مدافها ما بين 26 و36 عدد الحراقات التي كان لها 45 مدفعا وقد أسهم شباب الجنوب في حركة تكوين الرماة البحريين حيث وجه السلطان أنذاك ستمائة شاب من أية عطا بالصحراء وأربعمائة من تافلالت إلى طنجة للتمرن على المناورات البحرية وكان أسطولنا يحمي لا راية المغرب فحسب بل راية المغرب العربي كله حيث اعترض أسطولنا الوطني عام 1207هـ/ 1803م الأسطول الأمريكي المحاصر لطرابلس ففك الحصار ثم بدد عمارة أجنبية ثانية. وقد ورد ذلك في رسالة رسمية وجهها (المولى سليمان لأمير ليبيه يوسف باشا).

وقد اضطلع ملوكنا العلويون الأماثل برسالة أخرى هي تحقيق التلاحم بين الشمال والجنوب فكانوا في ميدان الحياة العملية اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا يستعينون برجال الفتوى من علماء المذهب المالكي ابتداء من مشارف الصحراء في كلميم إلى أقصى الجنوب في سواحل النيجر مثال ذلك محمد البوهالي الركانبى الذي استقدمه جلالة الحسن الأول عام 1291هـ/ 1874م. وعاش في بلاطه عشر سنوات ثم عاد إلى الصحراء مزودا بتكوين أقوى في مدرسة القصر الملكي العامر التي كانت منبرا يتبارى فيه كبار العلماء الصحراويين الذين كان بعض القضاة يعينون من بينهم في أكبر حواضر الشمال وقاضي تارودانت هو قاضي القضاة ينسحب نظره على كل قبائل الصحراء ومن هؤلاء محمد بن أبي بكر الأقاوى الذي تولى القضاء بظهير شريف مؤرخ ب 1124هـ كقاض للقضاة ومفتى أكبر في تخوم الصحراء. وكان أحمد دوكنا بن محمد المختار هو مفتي تيندوف ومرجع الصحراء كلها في الفتيا. وظلت روح الوطنية الصادقة متغلغلة في سويداء الشعب المغربي في شماله وجنوبه تبلورت في انتفاضات كان آخرها قيام جيش التحرير الصحراوي الباسل معززا بإخوانه الشماليين عامي 1957 و1958 بالاجهاز على قلاع الاستعمار رغم تضافر فيالق الاسبان والفرنسيين لرد رجال الكومندو المغاربة إلى خط العرض 27 درجة. وبزعامة جلالة الحسن الثاني اشتبك المجاهدون الأحرار من رجال الصحراء المغاربة وإخوانهم في شمال المغرب مع العدو من جيش الاحتلال الاسباني في 13 يناير 1958م وكانت قوات العدو تقدر بـ 1800 جندي وعشر طائرات من بينها ثلاث طائرات فرنسية ودامت الاشتباكات يومين اثنين في كل من (المسيد) و(الدشيرة) قرب مدينة العيون مات أثناءها 600 من العدو من بينهم عشرون ضابطا (أحدهم كولونيل وثلاثة قباطنة) كما جرح عدد كبير واحرقت 19 سيارة وغنم الفدائيون 85 بندقية وعشرة مدافع رشاشة وسيارة كاميون مشحونة بالمؤن والذخائر الحربية.

وقد حاصر المجاهدون مدينة (العيون) عاصمة الساقية الحمراء بتاريخ 15 يناير 1958 واصطدموا بالجيش الاسباني في معركة مات خلالها كل أذناب العدو من أعداء الشعب وكان رجال التحرير قد هاجموا قبيل ذلك ثكنات العدو داخل (العيون) فأصابتها ست وعشرون قذيفة من قنابل الهاون وتفجر مخزن للعتاد.

وقد ربط جلالة المرحوم محمد الخامس الماضي المجيد بالحاضر الزاهر فكرس عصارة فكره وثمالة حياته لتحرير الصحراء وخلفه في وصل الجهاد وارث سره جلالة الحسن الثاني حفظه الله الذي ألقى خطابات ونظم استجوابات لشرح أبعاد قضية الصحراء مبرزا مفهوم حق تقرير المصير منذ البداية ومؤكدا معارضة جلالته لكل ما من شأنه أن يؤدي إلى (فتنمة) الصحراء أو فصل الأجزاء المغتصبة عن الوطن الوالد باستقلال مزيف ولذلك قرر حفظه الله رفع المشكل إلى محكمة لاهاي وتزويد الفكر الدولي بملف ضخم يضم مأت المستندات تشهد بمغربية الصحراء. مؤملا أن يحل المشكل بالوسائل السلمية في مسيرة خضراء والا اضطر المغرب لحمل السلاح لانتزاع حقه المشروع واسترجاع أراضيه المغصوبة. ولكن رزانة

جلالة الحسن الثاني الذي أدهش العالم بتؤدته وحسن تأتيه وبعد نظره ورصين تخطيطه قد جمع في ترصيص الدفاع عن حوزة الصحراء بين الاعداد العسكري والاقناع السياسي فأتى جهاده ثماره اليانعة في اللقاء الثاني لنيروبي.

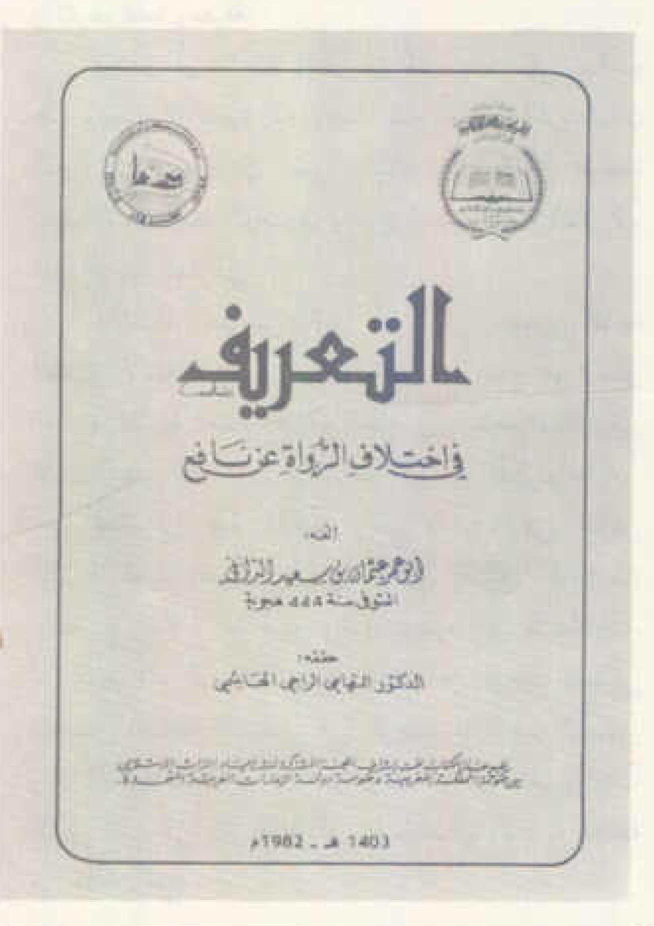
وهكذا تزاوج جهاد الحسنين الماجدين الحسن الأول والحسن الثاني طوال قرن كامل لضمان وحدة التراب الوطني في مغرب القرن العشرين.

عبد العزيز بن عبد الله

كتاب جديد:

التعريف في اختلاف الرواة عن نافع

تحقيق: د. التهامي الراجي الهاشمي



أصدرت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية كتاب (التعريف في اختلاف الرواة عن نافع) لأبي عمر عثمان بن سعيد الداني بتحقيق الدكتور التهامي الراجي الهاشمي. وقد طبع الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة لإحياء التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية، وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.

ويقع هذا الكتاب في 474 صفحة، من الحجم المتوسط . ويبحث في القراءات الواردة في القرآن الكريم مع التعريف؛ لاختلاف الوارد فيها بين أصحاب الإمام نافع الأربعة : بن أبي كثير الأنصاري، بن المسيب، قالون المدني، وورش المدني.



أمين على وحدة البلاد

للأستاذ: محمد الخطيب

من الأمنيات التي كان الأستاذ الطريس يأملها ويتمنى تحقيقها بعد الاستقلال ويعرب عن ذلك في كل وقت وحين. خصوصا عند أحاديثه معنا. تأسيس جامعتين مغربيتين بعد الاستقلال. الأولى في أحمر. والثانية بمقر الزاوية الدلائية ما بين خريبكة وتادلة في قلب الأطلس المتوسط.

وقد سألته يوما عن سبب تعلقه بالفكرة والدعوة لها. فعلمت منه أن ذلك كان من رجاءاته وآماله بعد تحقيق الاستقلال. تأكيدا لجمع الشمل واستمرارية الوجود الوحدوي والسير على النهج التوحيدي لمحاربة الفرقة وضم الشتات تحت راية القرآن.

وشاءت الظروف أن امر يوما وأنا في طريقي من مراكش إلى أكادير أن مررت بشارة طريقية تشير إلى الدخول لأحمر. فعادت إلى الذاكرة أمنية أستاذي ورغبته في رؤية جامعة من جامعات المغرب هناك.

وأحمر هذه قد كانت هي المقر الذي اختاره ملك المغرب المولى الحسن الأول لدراسة أنجاله. وفيه ارتووا جميعا خصوصا المولى عبد الحفيظ الذي كان أنبغ أبنائه وأكثرهم علما ومعرفة.

وعندي أن الأستاذ الطريس كان يصدر في تفكيره هذا. ويصرح بالدعوة إليه. إيمانا منه بصواب فكرة الملك الذي كان ديدانه أن يسير بالبلاد على طريق الوحدة استهدافا للتخطيط الوحدوي والنزع لدعم الأساس الذي قام عليه الوجود المغربي.

فالأستاذ الطريس الذي كان إلى جانب كفاحه لتحقيق الاستقلال. يرى أن دعامة ذلك الكفاح هو تحقيق الوحدة الشاملة لجميع أطراف البلاد. ولن يتيسر ذلك بغير الاعتماد على النبع الأول والأساسي بتوحيد الفكر والغاية.

تحضرني هذه الفكرة وأتذكرها وأنا في معرض الكتابة لعيد العرش. إذ أن الحكم العلوي الذي دام بالمغرب زهاء أربعة قرون والذي سيدوم إلى ما شاء الله. ل يعتمد هذه الوحدة الترابية والدفاع عن الوجود المغربي وتحصين أسباب الاستمرار في الوجود على غير التمكين ونشر الدعوة العقائدية الإسلامية والتمكين لها بتعزيز أداتها الأولى التي هي نشر اللغة العربية واعطائها المكانة اللائقة في هذه الربوع.

كان هذا شأن كل جالس متربع على عرش المغرب. وهو شأن ملكنا المفدى حسننا الثاني الذي نحيي اليوم ذكرى تربعه على أريكة أسلافه.

إذ إلى جانب بعد نظره وضخامة تفكيره، يتفحص مذهب أسلافه الذين بنوا لهذه الأمة وجودا صانوه بنصرتهم للإسلام وتعزيزهم له وتأييدهم للغة العربية ونشرها والتمكين لها. وانتهاجه لهذا السبيل زيادة على مواهبه الخاصة، هو سير مع المبادئ التي قام الحكم العلوي لهذه الديار على أساسها.

يزكي هذا القول ويؤيد هذا الاعتبار، سلوك نفس جلالة الملك الحسن الأول الذي اختار أحمر مقرا لبنيه ومكانا لتثقيفهم إيمانا منه بالنهج القويم والسنة التي اتبعها أسلافه الذين كانوا إلى جانب عملهم المتواصل من أجل تحقيق الوحدة الترابية، يسعون لخدمة ذلك المبدأ وتحصينه والحفاظ عليه بنشر المعرفة وأصول الدين.

وإن شخصية المولى عبد الحفيظ بما كانت عليه من علم غزير، تؤيد هذه النظرية، علما من الوالد بكون الملك لا بد أن يؤول إليه، فاختار أحمر مقرا لتعلمه إبعادا له عن مواطن التشوش وإدراكا منه لما لأحمر من مكانة علمية وطريقة توجيهية.

وقد كان المولى عبد الحفيظ أهلا لمثل هذه العناية من والده، يقينا منه بكونه النجل الأبر بما كان يأمله من الاستمرار لخير وحدة البلاد وتمسكها بالأسس التي يقوم عليها وجودها. ولولا الظروف الخارجية التي كانت تحيط بالمغرب أيامه، وعجز البلاد عن مقاومة التيارات الأجنبية لكان شأنه في الملك بمثابة ما كان يأمله له وللبلاد ملكها العظيم.

بهذا يحدثنا التاريخ الذي نروي عنه أحداث الأيام وظروفها وتوازعها، فالدولة العلوية منذ نشأتها الأولى، من أيام الداخل إلى الآن، وإلى ما شاء الله لم تقم على غير فكرة واحدة هي نصرة الإسلام وتعميمه بين سائر الطبقات، وتعميم انتشار اللغة العربية كأداة أولى لنشره وتعميق اعتناقه.

وتأكيد هذه الحقيقة يقربنا من فهم واقع المغرب ماضيا وحاضرا ومستقبلا، فلولا الإسلام ولولا الحفاظ على لغته الأولى، لكان شأن هذه الأمة غير ما هي عليه الآن وما نحسه ونلمسه وندافع عنه.

المغرب أمة مسلمة، ولا شيء آخر فيه غير الإسلام، فهو الأداة الأولى والأساس الأول لتوحيد البلاد ونصرتها، فبالإسلام كانت هذه البلاد وإليه المرجع في كينونتها الذاتية ماضيا وحاضرا، والأمل في الله أن تدوم معالم هذا الوجود قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإذا كانت أحمر بهذه المثابة بالنسبة لملك عظيم من ملوك هذه الدولة، فإن الزاوية الدلائية كانت نبعا فياضا للتمكين من فهم معنى الإسلام والتمسك به خاصة وأن قيامها كان مقرونا بعهد من عهود التفرقة القومية والشتات المكين، فالدلائيون الأولون الذين قاموا أيام الدولة السعدية كانوا يسعون لغاية واحدة هي حفظ الدين والتمكين للإسلام والدفاع عنه بتعميم اللغة العربية بأساليبها وأداتها وآدابها.

فقد قصد الدلائيون لحفظ الإسلام والدفاع عنه وتعميم وتعميق مفهوم الدين الإسلامي ونشر الثقافة العربية التي كان قد اصابها التدهور والوهن في المغرب خلال القرن العاشر الهجري، ولذا كانت الدلائية الأولى تقوم على إحياء التراث الديني وانقاذه مما كان قد رآه عليه عند المغاربة أجمعين.

إذ بالرغم لما كان لفاس من المقام العالي ولجامعتها القرويين من دور فعال، فقد اصابها ما كان قد عم المغرب من التدهور والانحطاط، فورثت الزاوية الدلائية مجدها والدور الذي كانت تقوم به فأصبحت بفضل جهود مؤسسيها الأولين منهلا للمعرفة بالدين وأصول اللغة العربية وثقافتها. ولذا نجد أن الكثيرين من أبناء فاس وطلابها يستبدلون مقامهم بحاضرة المغرب وقاعدته باللجوء إلى زاوية التي كان أنصارها والدعاة إليها ينشرون الدين ويعملون لدعم أسسه.

ولعل هذا من الأسباب التي أحاطت الزاوية الدلائية بهالة تقديس المبادئ الإسلامية، وأصبحت بذلك مركزا عظيما من مراكز الدعوة الإسلامية والثقافة العربية فكانت

هذه الهالة موضع التقدير والإكبار إلى أن تخلت عن رسالتها الروحية واستبدلها بعض قادتها والمتزعمين لها بالفكرة السياسية فعمها ما كان قد أصاب المغرب من التدهور والانحطاط.

وكما كان لها شأن من التبشير بالدين والدفاع عنه، كان أيضا لرجال سلا وعلى رأسهم العياشي قوة الاعتبار عند المغاربة علما منهم ويقينا بكون العياشي وأتباعه وحركته كانوا يدافعون عن حوزة الإسلام وهيبته.

والعهد الذي نؤرخ له كان بالنسبة لكل المغاربة وعلى رأسهم إذاك الدولة السعدية عهد تخلف وانحطاط وعدم تمسك بأصول ما كان كل المغاربة متحمسين له. وما كان الدلائيون يسعون لنشره ودعوتهم له.

وإن موت العياشي أولا وانحراف السيد محمد الحاج رأس الدلائيين وزعيمهم عن جادة الحق واعتناقه مذهب السياسة. وطلب الملك لنفسه. قد زاد في يأس المغاربة من جميع الحركات. واليأس طامة كبرى وآفة للوقوع في ما زاد من تدهور المغرب وانحطاطه.

وقد تمكن اليأس من المغاربة ووصلوا حدا كبيرا من اليأس لما كانت فيه البلاد من الانحدار. وما كانت تعانيه من مطامع الخصم ومن الانحلال الذي أصاب المغاربة والتفرقة التي كانوا يشكون من آثارها. خاصة بعد سقوط الأندلس واستيلاء الملوك الكاثوليكيين عليها.

ولم يكن ما أصاب الأندلس وحل بها من سبب له غير ضعف الروح الإسلامية ضعفا تدرج بها لمهاوي ما سقطت فيه.

وسقوط الأندلس أولا. والاعتداءات الأجنبية على المغرب باحتلال مرافئه وموانئه. قد زاد في يأس المغاربة من كل مسؤول إذاك وزاد في تخوفهم للمصير مما أثر أثرا كبيرا وجعلهم يبحثون عن النجاة بالدين واتقاء ما سقطت فيه بلاد العدوة.

وقصد جماعة من المغاربة بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج. فصدعوا بشكواهم مما كانوا يعانون منه. واهتدوا في ينبع النخل لعائلة كانت تتوفر على تقدير الناس لها واحترامهم إياها نظرا لانتسابهم لبيت النبوة الكريم. وكانوا ذوي حظوة عند الناس لكبير مقامهم وتقديرهم العلمي والسلوكي. وقد وجدوا ضالتهم عند أولئك فخاطبوهم وألحوا عليهم في النزوح عن الحجاز والالتحاق بالمغرب لأداء الرسالة الإسلامية واتصلوا في هذا الشأن بأبي القاسم بن محمد ابن القاسم الذي قبل الدعوة. وأمر نجله المولى الحسن بمرافقة الوفد لأداء الرسالة الإسلامية والقيام بما كان متطلبا منه من دعوة للدين ومحاربة الخارجين عليه.

والمولى الحسن هذا هو أول الشرفاء العلويين الذين نزحوا من الحجاز للمغرب وقام بعدما نزل تافيلالت بما كان مطوقا به من دعوة للدين وسعى للتمسك به. وقد لقي كل حفاوة وتكريم لغزارة علمه وتقدير سلوكه.

ويعتبر المولى الحسن الجد الأكبر لسائر فروع الدوحة العلوية.

والمولى محمد هو أخ للمولى علي الشريف، الذي كان إلى جانب علمه واتساع آفاق تدينه ومداركه يتوفر على الشجاعة والكرامة تلك الصفات التي جعلت مسلمي الأندلس يدعونه لقيادة حملاتهم ضد الهجوم الكاثوليكي دفاعا عن الإسلام والمسلمين. ولما كان مصمما العزم على الجهاد انتقل للأندلس استجابة للدعوة الموجهة إليه لكنه لمس روح الضياع بين المسلمين فقرر العودة للمغرب والدفاع منه عن حوزة الإسلام.

ولما عاد إلى المغرب ونزل فاسا ثم سكن بعدها مدينة صفرو ويحدثنا المؤرخون الإسلاميون ممجدين صفاته ومحاسنه الدينية. ففكروا في مبايعته وتنصيبه على عرش المغرب.

إلا أنه رفض ذلك، وانتقل من صفرو لتافيلالت حيث فكر في استئناف الجهاد. وقد علم الأندلسيون ذلك فبعثوا إليه في تافيلالت يراودونه على الرجوع إليهم والاستمرار في الجهاد ضد الخصم الكاثوليكي. لكنه كان مصمما على السفر إلى الحجاز لقضاء مناسك الحج فبعثوا إليه من يراوده الرجوع عن رأيه وبعثوا إليه بفتوى من عالم إسلامي كبير هو ابن رشد الذي يوثر الجهاد والكفاح عن الإسلام بدل أداء شعيرة الحج.

وتحدثنا أخبار عام 1060 هـ . أن المولى محمد بن الشريف قد أثار تمكين المغاربة من وحدة ترابهم فقام بهجوم على الأتراك بعدما كان قد هزم الدلائيين وحرر الناحية الشرقية من كل الغزوات الأجنبية عن المغرب.

واسترجاع المولى محمد لمدينة وجدة وقهره الأتراك العثمانيين وتوغله في الأراضي الجزائرية. قد اكسبه سمعة كبيرة بين المغاربة الذين ذاعت بينهم أخبار الانتصارات التي حققتها جيوش المولى محمد.

وأعتقد أن هذا النصر ثم القضاء بعده على بقايا الدلائيين وكل ذلك قد حدث سنة 1060 هجرية. قد جعل المغاربة ينظرون إلى المولى محمد منقذهم الأول وموحدهم الكبير. إذ أن الحالة الداخلية بالمغرب كانت قد بلغت حدا كبيرا من التدهور والانحلال. فالمؤسس الحقيقي للدولة العلوية هو هذا البطل العظيم برغم أن التسلسل التاريخي يعطي الأسبقية لشقيقه وأخيه المولى الرشيد.

والاكتفاء هنا بهذه الإشارة هو التأكيد على ما نريده من جهة. وما لا ينبغي وليس موضوعه. التعرض لما نشأ من خلاف بين المولى محمد والمولى الرشيد. إذ أن أمهات الكتب التاريخية بها من ذلك ما يكفي ويزيد.

والذي نريد التأكيد بقوله هنا أن المولى الرشيد قد تمكن من لم القبائل المغربية حوله وهي التي جمعت له من المال ما يكفي للقيام بدعوته والسعي لتوحيد البلاد والقضاء على نوازع التفرقة والفتك ببقايا أنصار الدلائيين.

وليست الظروف التي كانت تحف بالمولى الرشيد سواء داخلا أو خارجا بالتي يمكن أن يغبط عليها. إذ كلها كانت لغير صالح المغرب. ويبدو أن التخطيط العملي الذي خططه المولى الرشيد قد كان نابعا عن تفكير صحيح في المصلحة العملية. فقد اغفل الاحتلالات الأجنبية كلها سواء البرتغالية أو الإنجليزية أو الإسبانية. واتجه أول الأمر للقضاء على منابع الفتنة في الداخل والقضاء على أسبابها مبتدئا بذلك من نفسه وعائلته حيث قصد تازة التي كان بها ابن أخيه ففتحها ودخلها. ولما كان الشمال مصدر الكثير من الأتعاب والمعانات. فقد قصد القسم الريفي منه واتجه لوسطه حيث فتح مدينة (الحسيمة) بعدما حاول إخضاع فاس فعجز عن ذلك. ومن بلاد الريف قصد الناحية الغربية الشمالية حيث سعى لتخليص طنجة من يد الإنجليز والقضاء على السيد الخضر غيلان.

ولست أساير الأستاذ الفاسي في ما يعتقده إزاء غيلان. فقد كانت نهايته مثل بدايته حزما وجهادا وصبرا.

ويعتبر المولى الرشيد إلى جانب عهوده التحضيرية والاهتمام بالمواصلات ذا حس تمدني حيث كان شديد الغيرة على إتمام ما بذل قبله صونا لكرامة البلاد فقام بدخول أكادير وتارودانت وأنجز ما يتعلق بعملية الاستقرار والدفاع عن الوحدة والدين.

كان عهد الملوك العلويين أبرز ظاهرة فيه هو الاحتكاك بالخارج. وتلك الصفات لا تزال قائمة إلى الآن برغم تفاوت درجات الاحتكاك وتنوع أسبابه.

كانت أيام المولى الرشيد بداية الاحتكاكات فتطلعاته للشمال جعلت المغرب في مقدمة الدول التي يلزم تحديد المواقف إزاءها.

وليس معنى هذا أن سائر الفتن كان قد تم القضاء عليها. إذ بعد احتلال فاس ودخولها اتجه المولى الرشيد إلى الجنوب ففتح مدينة أكادير ودخل مدينة تارودانت وبذلك تم القضاء على كل فلول المقاومة. فلم يسلم روحه لله والملك لأخيه المولى اسماعيل إلا بعد أن حقق للمغرب ما كان يرجوه من تمكين ديني إسلامي وتوحيد لأراضيه وشعبه.

وقد كان بالود أن نستمر مع العرض التاريخي الذي استهلناه بذكر نشأة السلالة العلوية. إلا أن المناسبة والموضوع لا يسمحان بأكثر مما تعرضنا له من الوجهة التاريخية.

على أن أبرز ما في العهد العلوي بجانب ما ذكرناه من تحقيق الوحدة في الدين واللغة ولم الشعث القومي. هو مقاومة المحاولات الأجنبية والاحتلالات الخارجية. وإذ كان تطهير البلاد والقضاء في أكثر جهاتها على الاحتلالات الأجنبية لم يتم إلا بعد المولى الرشيد وعلى يد شقيقه المولى اسماعيل بذلك كله من نصيب هذا البيت وهذه العائلة التي نحيي ذكراها بجلوس الشخص المتربع الآن

على الأريكة العلوية. إذ لولا صمود هذه العائلة من جهة وتأييد المغاربة لها. وما بذله ملوكها التحايلات وأسباب الترددات لكان المصير اليوم على غير ما يوجد عليه. ولكانت البلاد قد أصابها العديد من الأضرار بأكثر من حماية لم تدم غير ستة وأربعين سنة.

وإذا كانت لنا رجعة لهذا الموضوع الذي يتطلب بحثا أكثر وتفرعا لا يتقيد بمناسبة. فإنني لما استهلت هذا البحث أنهيه به من القول من كون الأستاذ الطريس رحمه الله قد كان دوما ينظر في المستقبل بجانب تفاؤله نظرة استمرارية وتقدم على وجوب اعتبار الأسس التي مكنت البلاد من وحدتها وصون كيانها. وإن تنمية رؤية جامعتين في أحمر والزاوية الدلائية لم يكن غير تعبير منه عن اعتباره وتقديره للدور الذي قام به الناحيتين بالنسبة لتوحيد البلاد. وقد كانت أمانيه تلك تعبيرا منه عن تعلقه الكبير بهذا العرش الذي هو رمز الوجود ورمز الوحدة الكبرى.

محمد الخطيب

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

•• في نطاق المبدأ الإسلامي (الوسط) والحد الفطري (الوسط) لا كبت ولا إباحية وإنما علاقات شرعية أخلاقية . وفي نطاق المبدأ الإسلامي (الوسط) لا محل للإسراف والتبذير، كما أنه لا محل للشح والتقتير، ولا محل للغنى الفاحش، كما أنه لا محل للفقر المدقع، ولا محل للفوضى، كما أنه لا محل للاستبداد، ولا محل للغلو في الدين، كما أنه لا محل للتطاول على قداسة الدين. ••

الذكرى الثانية والعشرون لجلوس

الحسن الثاني

على عرش أسلافه المقدّسين

للأستاذ الحاج أحمد معنينو

إنها لمناسبة فريدة، اعتدنا فيها أن نرفع التهاني والتبريك للجالس على العرش، عرش الأفئدة والقلوب الحسن الثاني حفظه الله وبالمناسبة نجدد لجلالته الطاعة والولاء، وكيف لا، وسيدنا المنصور بالله يرفع من قدرنا وقدر مغربنا سنة بعد سنة، ويؤدي الخدمات الجلى لشعبه المتفاني في حبه وطاعته.

أجل إن الحديث على خطوات التقدم والازدهار في كل الميادين الخاصة والعامة، في عهده المبارك الميمون لا يمكن حصرها ولا الإلمام بها وقد أشدنا في الماضي بالمنقبة العظمى والمعجزة الكبرى «المسيرة الخضراء» التي ردت لشعبنا مكانته وعظمته.

أما حديثي هذه السنة فيعد بحق وصدق أعظم وأفخم من السنوات السالفة، لأن توفيق الله وعونه جعله هاته السنة يسدي الخدمات الجلى للعرب والإسلام، فموقف جلالته في مؤتمر فاس يعد بصراحة مفخرة من مفاخره، ومنقبة من مناقبه، والبرهان الساطع على عبقريته، عمله المباشر على ركوب الملوك والرؤساء في سفينة واحدة، يعلنون للعالم أجمع أنهم يد واحدة، وقرار واحد، والشعب المغربي وقف بإيفران يبارك هذه الخطى، وفرسان قبائل المغرب تعلن استعدادها لتلبية النداء إذا ما دعا الداعي، والإمام الموفق في غمرة البشر والانشراح لما هداه الله إليه من التصرف الجميل في تسيير جلسات المؤتمر العربي الهام حتى انبثقت عنه وحدة الكلمة حول المشكل الشائك، مشكل الشرق الأوسط، أو مشكل فلسطين الحبيبة، أو مشكل بيت الإسلام، بيت المقدس المعظم والمقدس، يقول الله جلت قدرته : **(لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم)**.

ويقول حكيم الصوفية : «إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب إليك».

من هذا المنطلق ارتفع صيت ملك البلاد في المجتمع العربي والإسلامي بل والإنساني، حيث استخرج القرار الموحد لموقف الأمة العربية المسلمة من الخليج إلى المحيط.

واتفقت كلمة الملوك والأمراء والرؤساء على إسناد رئاسة اللجنة السباعية لجلالته، فتحمل المسؤولية العظمى، وكان بفضل الله في المستوى.

ورحلت اللجنة تحت رياسته إلى أمريكا ذات السيطرة على الموقف، وأراد الله الحكيم أن يهيء أسباب التقارب للحل أو الحلول، فأنطقت حكمة الله رئيس الولايات المتحدة السيد ريگن، ولأول مرة تصدر هذه الكلمات يتفق البعض منها بمتطلبات العرب، فكان اللقاء المشرف، وكان تبادل وجهة النظر، وأصبحنا نحن العرب نشعر بقرب الوصول إلى الحلول المشرفة، ثم حصلت اللقاءات المسؤولة، فكان التجاوب والتقارب، ورحلت اللجنة إلى المنتظم الدولي يرأسها جلالة الملك، وحلت حلول يمن وبركة، ووقف وقفة المومن الصادق يشرح وجهة **نظر الأمة العربية والإسلامية في حلول مشكل فلسطين** والشرق الأوسط، ويبلغ بأمانة قرار المؤتمر العربي في قمة فاس، وكلمته الموحدة في الحلول.

وتقبل هذا المجتمع الدولي الفكرة باستحسان، لأن الذي كلف بالتبليغ أحسن في التعبير وأجاد واستطاع أن يؤدي الأمانة في أروع مظاهرها، ونظر الكل لجلالته نظرة إكبار وإجلال، لأن كلماته الحكيمة والرزينة والمعبرة عن روح طيبة، ونفس تواقة للخير حلت قلوب ممثلي الدول قاطبة، وهذا ما يجعلنا نحن المغاربة نتفاءل خيرا، ونتوجه لله العلي القدير، أن يزيده توفيقا وسددا في الرأي، وقوة، وإرادة في العمل المثمر.

وأملنا أن يحفظه الله في سيدنا ولي عهده الأمير الجليل سيدي محمد وشقيقه الرشيد مولاي رشيد، وأن يحفظه في أسرته الصغيرة والكبيرة، ويبارك خطواته وكل تحركاته لخير البلاد والعباد.

هذا وبهذه المناسبة التاريخية التي تدرس فيها أوضاع الماضي والحاضر والمستقبل، رأيت من واجبي أن أحرر كلمة وثائقية هامة حول جلالة الملك عبد الحفيظ وعقد الحماية 1912 بما له وما عليه مستندا للنقول والمستندات والشهادات من الخصوم قبل الأصدقاء، والحق ما شهدت به الأعداء!

نعم إن الدارس لهاته الفترة، يتعين عليه أن يرجع للوراء، ويدرس بإمعان السوابق التي تقدمت هذا **الحدث الجلل**، الذي يعد بالنسبة للأمة المغربية مجرد حادثة سير ؟!

الإرهاصات للحماية بعيدة المدى :

وأول كتاب ظهر في عصرنا يشرح ما جرى من إرهاصات ومؤامرات منذ عهد ملوك المولى محمد بن عبد الله في هذا الباب ضد البلاد المغربية وحكومتها هو كتاب مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب لمؤرخ المملكة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور، ونسوق شيئا من مقدمة الكتاب للتعرف على الوضع تعرفا واقعيا، وأن اسم الحماية أطلق منذ هذا العصر ؟!

يقول المؤلف ، منحت الدول الإسلامية شرقا وغربا في القرون الغابرة عددا من الامتيازات للدول المسيحية الأوروبية وقدمت لها تنازلات مارست بموجبها في بلادها مهام هي من صميم ما تختص به السيادة الوطنية، ومن هذه الامتيازات نظام سياسي وقضائي غريب، دعي في كتب التاريخ والقانون بـ **«نظام الحماية الدبلوماسية والقنصلية»** إلى أن يقول :

ويستطيع ممثلو الدول الأجنبية منح هذه الحماية بموجب اتفاق ينبرم بين دولهم والدولة المعتمدين فيها.

وهذه الحماية تجعل المتصفين بها فوق القوانين، وتعفيهم من التكاليف، معفون منها وغير خاضعين لها ؟!

وهو نظام شاذ عجيب، لا يقبله طبع قويم، ولا يسلم به منطق سليم، لأنه يتنافى مع سيادة الدولة وانبساط سلطانها وقوة قانونها وأحكامها التي يجب أن تطبق على جميع المقيمين فوق أرضها سواء كانوا **وطنيين أصلاء أو أجانب دخلاء.**

ظهوره بالمغرب :

وأقدم النصوص التي دخلت الدول الأجنبية حقوقا وامتيازات في المغرب تتنافى مع سيادته الوطنية هي التي وردت في مختلف المعاهدات التي أمضيت بيننا وبين الدول الأجنبية على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

وفي سنة 1880 وقع البحث والحديث في قضية الحمايات القنصلية.

الحماية أضرارها بهيبة الدولة وإفقارها لبيت المال :

بدأ نظام هذه الحماية في المغرب خافتا باهتا لا يلفت النظر، ولا يشكل على الدولة خطر ! نعم زاد في الطين بلة عند استتباب الأمن لفرنسا في الجزائر، وشروع حكامها من حدود المغرب الشرقية، مباشرة في تنفيذ مخططها الرامي إلى إشاعة الفوضى، وتقوية عوامل التمرد والفتنة فيه إيهانا لجهده وإضعافا لما بقي من قوته، تمهيدا للاستيلاء عليه. وبلغت الحالة سوء منتهاها عندما احتل الإسبانيون جزر ملوية، وزاد الأمر اشتدادا، وفرضت علينا شروط سياسية واقتصادية مذلة مخزية، فصار لنظام الحماية القنصلية أبعاد عميقة وأهداف واضحة، والذي يتتبع مراحل تطورها يتخيل أن اليهود يقولون ، لم يروا بصيص النور إلا من ثقوب الحماية القنصلية، فهبوا جميعا يلتمسون أسبابها، ويتعلقون بحبالها، باذلين لنيلها كل نفيس وغال، وهذه خطة اليهود ؟!.

هذه نظرة مختصرة على الإرهاصات الخطيرة على مغربنا العزيز بالحماية والرعاية، وتجدد الطلب في العودة للنظر في أمرها في عهود كل الملوك المتعاقبين غير أن كل الجهود المبذولة من طرفهم لم تأت بنتيجة ما.

وننتقل لجلب وثائق أخرى من كتاب «الوثائق الملكية» الجزء الخامس لمؤلفه عبد الوهاب بن منصور الخاص بمشاكل الحماية القنصلية، الاجتماعات التي أجراها نائب السلطان بطنجة مع ممثلي الدول الأجنبية المقيمين بالمغرب...الخ.

الدبلوماسية المغربية والحسن الأول :

إنه الملك الشهم البطل الذي يعد ملكه فوق فرسه، هو نفسه رحمه الله هيأ سفارة مغربية، يرأسها خديمه الأيمن الحاج محمد بن الطاهر الزبدي ويوجهه لأروبا باسمه، للعمل على حل مشكل التدخل المشين الذي حاول والده السلطان محمد بن عبد الرحمن بدوره إصلاحه، حيث أوفد سفراء لهذه الغاية دون جدوى ؟!.

توجهت السفارة الملكية إلى أربع دول - كانوا طليعة عظماء العصر، وذلك في صيف 1876 فتقابل مع رئيس جمهورية فرنسا، وملوك بريطانيا العظمى التي كانت إذ ذاك لا تغرب الشمس عن رايتها ؟! وبلجيكا وألمانيا.

وأجرى معهم محادثة هامة في موضوع هذه الحماية القنصلية التي فرضت على المغرب في ظروف شاذة ؟!

وعبر السفير المغربي الحسني للرؤساء والملوك عن تفاحش الأضرار التي خلقتها هذه التدخلات المشينة، وعاد للمغرب خاوي الوفاض.

وننقل في نفس الموضوع نقولا وأقوالا وتصريحات تاريخية وقانونية لا مجال للشك فيها ولا تردد.

وعن كتاب هام، هو كتاب **«موقف الأمة المغربية من الحماية الفرنسية»** لمؤلفيه الأستاذين محمد حسن الوزاني تعريب محمد المكي الناصري صفحة 57 تحت عنوان : **دسائس الصنائع الأجنبية بالمغرب.**

كانت بلاد المغرب أثناء المعركة الدبلوماسية بين الدول الأروبية مليئة بالعناصر التي تثير الفتنة وتحوك الدسائس في جميع الأوساط متنكرا بمختلف وسائل التنكر، فأصابت بمكرها السيء سلامة الدولة المغربية، وسلطت سلاحها على السكان الوادعين أنفسهم، وكان ممن اعتدى عليهم من الصنائع الأجنبية خصوصا الفرنسية الدكتور موشان أحد الجواسس الذين تنكروا في لباس الأطباء إذ قتل بمراكش، فكان الجزاء في هذا الاعتداء الفردي، احتلال الجنرال اليوطي لمدينة وجدة ؟!

كما أن قتل بضعة عمال أروبيين مسؤولين عن إثارة الشعور في فترة توترت فيها الأعصاب توترا خطيرا جدا كان سببا في احتلال القائد دريد مدينة الدار البيضاء في نفس السنة.

وصفوة القول كان ذلك الصراع كله مؤامرات دولية دبرتها أمم تقول إنها متمدنة ؟! ضد المغرب الذي أصبح حقه في الحياة الحرة عقبة في سبيلها والحادا في القرن العشرين الذي يدعى قرن التسامح والحرية.

إننا لا نريد أن ندخل في تفاصيل هذه المؤامرات الكثيرة، ولكننا نقتصر على ذكر مراحلها المهمة :

فالمرحلة الأولى الأساسية تمت باتفاقات عام 1904 م.

منها اتفاق اليوم الثامن من أبريل 1904 بين فرنسا وأنكلترا، للفصل في المشكلة الخاصة بالسياسة الفرنسية الإنجليزية في المغرب ومصر، إذ اعترفت فرنسا لانكلترا بحرية العمل في مصر كما اعترفت انكلترا لفرنسا بحرية العمل في المغرب ؟! تبادل المصالح، وتوزيع الغنائم ؟!

ثم الاتفاق في أكتوبر الذي وقعته فرنسا وإسبانيا وبموجبه تقررت الحدود الأولى الخاصة بدوائر نفوذهما داخل المملكة الشريفة، وقد نص في المادة الأولى على أن اسبانيا بمقتضى نصوص هذا الاتفاق توافق على التصريح الفرنسي ـ الإنجليزي المؤرخ بـ 8 أبريل سنة 1904 الخاص بمصر والمغرب،

وكانت لهاتين الاتفاقيتين نتيجة مباشرة، إذ ثارت ثائرة ألمانيا، وأعلنت عن سخطها بذلك الحادث المشهور، حيث نزل غليوم الثاني بطنجة في 31 مارس 1905 وصرح قائلا :

الغرض من زيارتي طنجة هو أن أعلن عزمي على بذل كل ما يمكنني للمحافظة الفعالة على مصالح ألمانيا في المغرب.

واني أعتقد أن السلطان ملك مستقل، وأريد أن أتفاهم معه على أصلح الوسائل لتحقيق هذه الأغراض، وقد أدت هذه المنافسة إلى عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء منذ 15 ـ 17 أبريل 1906 رغم مقاومة فرنسا لعقد مؤتمر

وقد حدد عقد الجزيرة حالة المغرب الدولية على أساس المبادئ الثلاثة وهي : صيانة سيادة واستقلال السلطان، الاحتفاظ بوحدة أراضي المملكة الكاملة، ضمان الحرية الاقتصادية المبنية على المساواة بين الدول في بلاد المغرب.

بين فرنسا وألمانيا :

لقد ازدادت اعتراضاتُ ألمانيا على التفوق الفرنسي بالمغرب، بعد عقد الجزيرة.

ومن مظاهر هذه الاعتراضات الأساسية حوادث التمرد بالدار البيضاء، 1907، وحوادث أكادير، إذ ارسلتْ ألمانيا في أول يونيو سنة 1911 مركبا حربيا اسمه بانير رسا بالمياه المغربية.

وفي الفترة الواقعة بين الحوادث الأولى والثانية، تم التوقيع على الاتفاق الفرنسي الألماني المؤرخ بـ 8 فبراير 1909 الذي اعترفت فيه فرنسا بمبدإ حرية نشاط المصالح الاقتصادية الألمانية في بلاد المغرب.

واعترفت ألمانيا بمركز فرنسا الخاص في هذه البلاد، وقد صرح مسؤول ألماني «بالريخشتاغ» في جلسة 29 مارس 1909، أن هذا الاتفاق يمنح فرنسا النفوذ السياسي، ولكن لا يعطيها فرصة الاستيلاء على المغرب بأي شكل كان.

وبعد زمن يسير، انتهت المخاصمة باتفاقية وقعت في 4 نوفمبر 1911 وتنص المادة الأولى منها على أن حكومة ألمانيا بعد حصولها على قسطها الاقتصادي في المغرب، لا ترى ولا تعارض **عمل فرنسا في المغرب !**

وهكذا نجد أنفسنا في المزاد العلني بين المستعمرين سواء ؟! وحتى في عقد الجزيرة الخضراء.

ويل لشعب مستقل يحرسه البوليس الأجنبي !؟ إنها المؤامرات تدبر ضدنا فنباع ونشترى في سوق النخاسة الاستعمارية !؟ فلا عهود ولا مواثيق وويل للضعيف من القوي.

ونعود لما جرى عام 1904 من تبادل الصفقات فنجد السلطان مولاي عبد العزيز قد تنبه لما يحاك حول شعب المغرب، ودولة المغرب، وملك المغرب، وأن الأمر خطير وخطير جدا، يجب الاهتمام، واتخاذ الوسائل الفعالة للوقوف في وجه هذا العدوان، هذا التآمر على السيادة والكرامة.

نعم، تنبه، وفتح الباب على مصراعيه، وبادر الشعب بالواقع المر، وطالبه أن يتجند للمقاومة الدبلوماسية أولا ،

فكتب الرسائل الملكية لسكان المدن والقرى بالمغرب بتاريخ 12 شوال 1322 هـ موافق 20 دجنبر 1904، حيث دشن عهدا دستوريا ملائما لظروف البلاد، يحاول العمل على وقفة الملك والشعب في وجه الأطماع الاستعمارية الأجنبية !

وهذا نص الكتاب :

عرض أمر مهم من آكد الأمور التي يهتم بها الخاصة والجمهور لم يسع فيه إلا الكتب لسائر رعيتنا السعيدة، لتعيين أفراد من كبرائها وأعيانها، ممن يثقون بهم ويأتمنونهم على أمور دينهم وعرضهم ومالهم، ويرتضونهم وكلاء عنهم، ولا يرون أصلح ولا أرجح منهم؛ ويوجهونهم لشريف حضرتنا بقصد اجتماعهم على المفاوضة في علاج هذا الأمر الملم، والخطب العارض المهم، لتكون المشاورة فيه بين جميع أعيان الرعية، ونستبرئ بذلك لديننا، ونتخلص من شوائب التقصير الذي يتوهم في العمل والروية، إذ على كل حال، ان المشاورة في الأمر العام أمر مطلوب.

وعليه فبوصول كتابنا إليكم نأمركم أن تعينوا من خياركم ممن تعتقدونه في الأمانة والرياسة، وترضونهم وكلاء عنكم في أقوالكم وأفعالكم، وتأمنونهم على نفوسكم وتوجهونهم لحضرتنا الشريفة بقصد الحضور للمفاوضة في الأمر العارض المذكور.

من عرض نص هذه الرسالة الملكية، نستفيد حرص جلالة المولى عبد العزيز على صيانة الدولة، والأمانة، غير أن المحيطين به من المسؤولين جلهم جهال مع ريبة وتهم إلا من رحم الله واليد الواحدة لا تصفق كما يقال :

من هذه العروض نتعرف على الإرهاصات والمؤامرات المنظمة ضد دولة المغرب قبل الحماية بكثير.

ويضاف لذلك ما أحاط بالدولة العزيزية من أيدي خفية، كانت مسخرة من الأجانب لخلق القلق والضجر في الأوساط المغربية مع ظهور فتنة الثورة المصطنعة من «أبي حمارة» الجيلالي الزرهوني اليسفي الذي مهدت له فرنسا وزودته بالمال والعتاد والجواسيس والدعاوة المختلفة، وناهيك بصنيعة ادعى الملك وزير خارجيته فرنسي ! ورئيس حربيته مدسوس أجنبي ؟! هذه الثورة التي خلقت المشاكل للدولة العزيزية وألزمتها بتحمل الديون تلو الديون لتجهيز جيش ملكي يقضي على الثائر الفاجر، ولكن الأحابيل والدسائس وإسناد أمور الدفاع للمشبوهين كان السبب في الارتباك وانتشار السخط بين أفراد الشعب ضد الدولة.

وهنا نجد كل الدلائل تدل على هدم كيان الدولة شروط خوزيرت، ودسائس بعض المسؤولين والدعاوة بمختلف الوسائل، والتأخر العلمي، وتحجر الأفكار، وتراكم الديون.

كل هذه المصائب عجلت بالإطاحة بدولة المولى عبد العزيز، عجز جيش الدولة عن القضاء على الثورة، تراكم الديون أعمال الحمايات القنصلية، مؤامرات الدول الأروبية، وتقسيمها للغنائم، وخلقها للمصائب والنوائب للدولة، احتلال وجدة، والدار البيضاء، وما إليها.. كل هذه النوائب جعلت الأمة المغربية تفكر في طريق الخلاص ؟

نتج عن كل هذا اجتماع كلمة علماء مراكش ووراءهم شعب الجنوب على نصرة المولى عبد الحفيظ وبيعته ملكا على البلاد بدلا من المولى عبد العزيز، الذي ظهر عجزه وفشله.

قامت حرب أهلية بين المليكين الأخوين وقودها الشعب المغربي ؟! ودامت عاما ونصفا أكلت الأخضر واليابس.

اشتدت البلوى، وعمت الفوضى، وانتشرت الدعايات المغرضة بشتى الوسائل.

في هذه الأثناء، قامت قيامة علماء القرويين وسكان فاس العاصمة، وأصبح التفكير حول إعلان خلع المولى عبد العزيز، نضرب مثلا للتاريخ لا يزال مرتسما في دائرة المواطنين والأجانب على السواء، ألا وهو خلع السلطان مولاي عبد العزيز ومبايعة السلطان مولاي عبد الحفيظ من أهالي فاس العاصمة.

فقد اجتمع جم غفير من سكان فاس بضريح مولاي إدريس للمناقشة في سلوك السلطان مولاي عبد العزيز وحكومته، وقرروا انتداب خمسة وعشرين نائبا لوضع صيغة الاستفتاء، يوجه إلى علماء ومفتي العاصمة، فوضعوا

الاستفتاء المذكور، وأشاروا فيه إلى ما أخذ يجري في المغرب إذ ذاك من الغزوات الأجنبية المتتالية التي قامت بها فرنسا في كثير من الأقاليم مثل توات وفكيكة، وعيون بني مطهر واحتلال الدار البيضاء (1) ومدينة وجدة، والقواد المسؤولون في ذلك على عاتق الحكومة العزيزية بسبب أخطائها، وقصر النظر للذين يتولونها، وبميولهم إلى بعض الأمم الأجنبية التي حملتهم على عقد معاهدات معها، تجعل المسلمين مضطرين إلى الخضوع لسلطة تلك الأمم، وتسمح لها ببسط إدارتها على جميع المدن.

وبما أن الوقائع المذكورة معترف بها وبصحتها، فقد صار من الضروري خلع السلطان ومبايعة سلطان آخر قادر على الدفاع عن مصالح المسلمين، وتاريخ خلع المولى عبد العزيز عن الملك في 2 ذي القعدة 1325 هـ.

ويدين له المسلمون له بالطاعة والامتثال، والحق أن امامته «أي السلطان» المراد خلعه ليست مطابقة للشرع والقانون، ولا للنظم الجارية، لأن الإمام الذي اقتنع بعجزه عن الكفاح في سبيل الأمة يصير معزولا، ويفقد جميع حقوقه في الإمامة ؟!.

وهكذا نجد بصورة مكبرة واضحة أن سلطة القانون وممارسة السيادة الشعبية كانت دائما حقيقتين قائمتين، لا يمكن إنكارها، وأنهما تجلتا عندما سمحت الظروف بذلك، ووقفتا موقف السيادة أمام الجميع، وبالرغم عن الجميع.

وأضافوا إلى ذلك في استفتائهم الخطير، اتهام الحكومة التي كانت قائمة إذ ذاك بأنها أفرغت بيت المال بعد أن كان عامرا.

وذكروا أن البوليس غير المغربي احتل معظم المراسي، وفي 13 فبراير 1907 وقع في باريس على اتفاق بين فرنسا واسبانيا عن نظام الشرطة بالمغرب، وويل لشعب مستقل يسهر على أمنه وراحته أجانب طماعون ؟!.

كما ذكروا أن فرقة من الجيش المخزني توجهت لمساعدة الفرق الفرنسية التي غزت الدار البيضاء على إخضاع المجاهدين في: بلاد الشاوية.

وهكذا نجد بعض مؤرخي المغرب عفا الله عنهم مشوا في هذا الطريق المعوج ؟! وكال للمجاهدين المدافعين عن شرف الأمة والدولة وحرمة الأوطان وعلى رأسهم باشا البيضاء إذ ذاك البطل القائد أبو بكر مبوزيد السلوي الذي لم يخضع للمتآمرين، ولم يسر في ركابهم، وأخذ أسيرا لبحرية المحتلين، يقول عنه المتواطئون مع المستعمرين ، إنهم متهورون وطائشون، وما بعد الحق إلا الضلال المبين ؟!

وبمجرد ما تحرر هذا الاستفتاء الحر النزيه، شهد العدول على ضحية وأدى عنه القاضي لإعطائه صيغة الثبوت القانونية، ثم وقع مائة وعشرون شخصا على تصريح آخر يشهدون فيه بتأييد الوقائع المذكورة في الاستفتاء المشار إليه، ويعلنون أن السلطان قد ارتكب مخالفة للشرع والعقل بميله إلى بعض الدول الأجنبية، وشهد عدلان بصحة هذه الوثيقة أيضا.

ثم صدرت فتوى أخرى تعترف للرعايا بحق البحث بأنفسهم عمن يولونه مصالحهم، ويقوم بالدفاع عن كيانهم.

وبعد ذلك أعلن رجال القانون الفقهاء ردهم على الاستفتاء المذكور، وبهذا ظهر المولى عبد الحفيظ كبطل للمقاومة الوطنية ورمز للإرادة الشعبية، وأنه جدير بتقدير الشعب الذي عضده في صيانة العرش العلوي الشريف.

الواقع في خطر ؟!

أجل وهنا نأتي بشهادات خصوم المغرب عما شاهدوه ولمسوه في هذا الشعب من قدرة وحيوية ونشاط ونظام ومعرفة، والحق ما شهدت به الأعداء ؟!

اليوطي يقول عن المغرب قبل الحماية :

والآن لا بأس أن نواجه الحوادث القاسية التي تبرز حكمنا تمام التبريز، ونلقي عليه ضوءا شديدا فنقويه إلى أقصى حد، ونجعله حكما مقنعا سديدا، لا يتطرق إليه الخلل.

1) احتلال الدار البيضاء وقع بتاريخ 2 جمادى الثانية 1325 هـ ووقعت خسائر جسيمة في الأرواح والممتلكات.

ولم تجد فرنسا أمامها غير فرض الحماية على المغرب مجرد الفراغ والعدم. فقد أكد اليوطي في تقريره الموجه إلى حكومة باريس بتاريخ 3 دجنبر 1920 م. اننا وجدنا هنا أمامنا دولة، ووجدنا شعبا. وإذا كانت الدولة المغربية قد مرت بأزمة فإنها أزمة حديثة وحكومية ! أكثر منها اجتماعية، ويكفي أن نرجع للوراء بضع سنين كي نرى حكومة فعلية لها صفة الدولة الكاملة، بوزرائها العظام وسفرائها الذين عالجوا مشاكل الدولة، مع كبار رجال السياسة الأروبيين، ومنهم من لا تزال ذكراهم عالقة بالأذهان، وسيظلون خالدين على صفحات التاريخ.

ويقول مسيو جورج هاردي في كتابه نهضة المغرب، عاش بالمغرب شعب، ولا يزال يعيش فيه دائما، وإننا لم نجد أنفسنا هنا أمام خليط من السكان، كما هو الحال في بقية جهات افريقيا حيث وجدنا مجموعة متباينة تتكلم لغات مختلفة، وتفصلها عن بعضها خصائص جنسية ووراثية، وعادات مادية، وميول أخلاقية. فليس في المغرب إلا جنس واحد ممتاز، وهو جنس يشتمل على بعض الفصائل التي تختلف لونا بين أشقر وأسمر، وتجتمع في صفة واحدة مشتركة اشتراك أفراد الأسرة الواحدة، وتتحدث كلها بلغة واحدة !!

نظام الدولة قبل الحماية :

تتكون الدولة المغربية قبيل فرض الحماية، من أنظمة الدولة، والعلاقات بين الحكومة والشعب مبنية في عمومها على القانون الإسلامي، وهو قانون الدولة العام التوافق بين السلطة الحاكمة، وحرية المحكومين، طبق قانون الإسلام.

مولاي عبد الحفيظ وملك المغرب :

لقد فرح المغاربة باختيارهم للملك عبد الحفيظ، وقدموا لجلالته البيعة التي وجهها أهالي العاصمة العلمية، وفيها يقولون :

راجين منه ـ أي السلطان المبايع ـ أن يسعى جهده في رفع ما أضر بالرعية من شروط عقد الجزيرة حيث لم توافق الأمة عليها، ولا سلمتها، ولا رضيت بها وبأمانة من كان يباشرها، ولا علم لهم بتسليم شيء منها، وأن يعمل وسعه في إرجاع الجهات المأخوذة من الحدود المغربية، وأن يباشر إخراج الجيش المحتل، «فرنسا» من المدينتين اللتين وقع احتلالهما بالقوة، وجدة، والدار البيضاء وأن يستخير الله في تطهير رعيته من الحمايات القنصلية، واتباع إشارة الأجانب في أمور سلمية أو تجارية، فلا يبرم أمرا منها إلا بعد الصروح بها للأمة كما كان يفعله سيدنا المقدس ؟!.

السلطان مولاي الحسن الأول الحافظ للذمة حتى يقع الرضى منها بما لا يقدح في دينها، ولا في عوائدها، ولا في استقلال سلطانها، وتاريخ هذا العقد الشعبي الخطير فاتح ذي الحجة 1325 هـ موافق 5 يناير 1908، فهاته الوثيقة الشعبية الممتازة، والوثيقة الملكية العزيزية السابقة، تعطي نظرة فاحصة عما كان بين العرش والشعب من التجاوب وعما يجب أن يستمر ويدوم، وهو ما تحقق لمغربنا العزيز من إيجاد نظام ملكي ديمقراطي دستوري، تتحقق بواسطته مصالح الشعب والعرش سواء ويعيش الشعب بالعرش، والعرش بالشعب.

نعم تأخرت الدول الأروبية عن الاعتراف بالملك للمولى عبد الحفيظ لأنها وجدت شروط البيعة الشعبية، تؤذن بطردهم، وتطهير البلاد منهم ! ولم تقف هذه الدولة عند حدها، بل أصبحت تروج الدعايات وتقوي الحمايات القنصلية، وتخلق الفتن والقلاقل بجل جهات المغرب.

ولكن السلطان عبد الحفيظ عقب انتصاره على أخيه وحصول البيعة الإجماعية الشرعية من أمة المغرب بادر أعزه الله بقطع دابر الفتنة، فتنة ثورة أبي حمارة(2)، فقد أصيب بالشلل، وقبضه الجيش السلطاني مع متطوعي الأمة، وأخذ أسيرا لفاس، وطوف به في الأسواق، وابتهج المغاربة بهذا الانتصار، وحكم عليه بالإعدام، فأعدم.

---

2) التي ظهرت سنة 1902 ـ 1320 هـ وانتهت وقبض عليه عام 1909 ـ 1327 هـ بواسطة الجيش الملكي.

وتعد هذه خطوة من خطواته الميمونة لإرضاء الشعب الذي أصبح ينظر لجلالته ملك التحرير للبلاد ورجوع السلطة الشرعية لأصحابها. غير أن الظروف القاسية وقلة الأطر الكفأة مع انعدام الثقة في الولاة إلا من رحم الله. أصبح السلطان عبد الحفيظ في شبه قفص فكتب للدول الأروبية يقول، إن شرف الإمبراطورية واعتبارها واحترام تقاليدها الخاصة يلزم أن تبقى كما كانت في الماضي كاملا غير منقوص. حيث لا يمس بحال من الأحوال. والحكومة الفرنسية لا تجهل أن السلطة الحاكمة لم تزل موضوعة بين يدي العائلة العلوية. منذ أربعة قرون. فلا بد من أن تحتفظ لها هذه الحرمة. وألفت نظر الحكومة الفرنسية إلى هذه الحقيقة الواقعية. وهي أن المغرب منذ الفتح الإسلامي لم ينضم إلى أية دولة أجنبية كمستعمرة من المستعمرات. وأنه منذ ثلاثة عشر قرن لم ينقطع عن التمتع باستقلاله التام نقلا عن كتاب شذرات تاريخية» للأستاذ عبد الله الجراري.

وفي العهد الحفيظي سنة 1325 - 1908 م. نادت الأمة بالدستور، وطالبت العاهل بوضعه وتأسيس مجلس الأمة اقتداء بدول العالم الإسلامي والمسيحي.

ولم تكد تمضي على بيعته تسعة أشهر حتى تم وضع مشروع الدستور المغربي غير أنه أقبر بعد، ولم يجر به عمل لأسباب سياسية داخلا وخارجا.

مرت سنوات على سلطنة المولى عبد الحفيظ. وكادت تحقق بعض الانفراجات ولكن كثرة المناورات والمؤامرات الدولية بالأخص الفرنسية والإسبانية جعلته يصبح محاصرا في قصره، ومهددا في ملكه. الأمر الذي جعله يطلب النجدة من الدولة الفرنسية. وهذا منتهى العجب. صانعة الأحداث، وخالقة الثورات والتهديدات. إليها المصير والمطالبة بالعون والتأييد ؟

يقضي على المرء في أيام محنته

حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

وهكذا نجد جلالته يطلب النجدة من فرنسا، وفي يوم 12 جمادى الثانية 1329 هـ موافق 1911 وصلت الجنود الفرنسية إلى مدينة فاس.

وفي 8 نوفمبر من نفس السنة، احتلت دولة اسبانيا مدينة العرائش وبعدها مدينة القصر الكبير.

وفي فاتح يوليوز من نفس السنة حضرت بارجة ألمانية حربية إلى مدينة أكادير.

الشر المستطير يحيط بالدولة المغربية من كل الجوانب ؟!

ولله الأمر من قبل ومن بعد، أراضي مغربية توزع بين الدول الاستعمارية. والأمة. والدولة المغربية لا طاقة لها بمقاومة كل هذه القوة. ولا الوقوف في وجه هذه المناورات والمغامرات.

نعم. بتاريخ 28 ربيع الثاني 1330 هـ موافق 1911 وقعت المذبحة المهولة الفظيعة بفاس. والتي قضى فيها على خلق كثير، وهدمت البنايات وهتكت الحرمات هدم ضريح «علي بوغالب» واتخذ مسجد عجيسة مربطا لدواب الاحتلال. ونهبت حارة اليهود وملاحهم.

وتعرف هذه المذبحة بفاس بوقعة دخول الفرنسيين. وقد أظهر فيها المواطنون **شجاعة مثالية** كان يعوزها النظام. والا فهي ملحمة من ملاحم الجهاد المقدس ضد العدو المحتل، وتبا للجبناء !؟.

والغريب المستغرب هو أن الثوار أحاطوا بالقصر الملكي بفاس، وطلب جلالة الملك العون والنجدة من الفرنسيين لوقفهم عند حدهم.

يقول مؤلف كتاب الحماية الفرنسية الدكتور عبد الهادي التازي في صفحة 49 تحت عدد 10 ،

توجه المولى عبد الحفيظ نحو الثائرين يسألهم عما إذا كانوا يرغبون في شيء ؟ فكان جوابهم ، - إنك سلطاننا، وردنا عليك لنقدم شكوانا بالضباط الفرنسيين الذين يعاملوننا معاملة قاسية. والذين يحتفظون لنا بالأعمال الشاقة التي يقوم بها عادة البغال والحمير، هذا إلى أنهم ينقصون من أجرتنا.

فأجابهم السلطان قائلا ،

عليكم أن تذهبوا إلى الوزير المقري لترفعوا أمامه شكواكم، وحالما يعرضها علي سأدرسها بإمعان !! الصيف ضيعت اللبن ؟!

ألقاه في أليم مكتوفا وقال له

إياك إياك أن تبتل بالماء !؟

وهنا يجب أن نستعرض أطوار تقديم بنود الحماية لجلالة الملك بصفة رسمية. يقول المؤلف التازي نقلا عن كتابه «أيام فاس الدامية» فلنقرأ ما كتبه المؤلف، حامل الوثيقة من باريس هو المسيو رونيول، توجه من مدينة طنجة لفاس العاصمة، وصل يوم 24 منه وتقابل مع المقري، يوم 26 تقابل مع جلالة الملك يحيط به رجال المخزن، وهنا تليت رسالة الحكومة الفرنسية، وتقدم المقري بالجواب عنها، وبعد برهة من الزمان غادر الفرنسي بساط الملك، وفهم السلطان ماذا كان ينتظره من عناء، وهل يشطر الإسلام كذلك من مذلة وهوان ؟ وذلك الإسلام الذي عرف منذ أيامه الأولى بمناوأته لكل تدخل أجنبي.

إن قبول التدخل الأجنبي من طرف المولى عبد العزيز كان من أبرز ما حفز بالمولى عبد الحفيظ إلى القيام ضد أخيه، فكيف يدعي اليوم لما قاومه بالأمس ؟

لقد اختير مولاي عبد الحفيظ ليكون كنموذج للمولى إسماعيل، فكيف يرضى أن يتنازل قيد شبر عن الواجب الذي ينتظره.

وهنا تظهر عظمة المولى عبد الحفيظ «سلطان العمل» «سلطان الإصلاح» يتحول بكل صراحة من شخص مجامل إلى شخص يصارع وزراءه وسائر أفراد حاشيته. آه ! ياليتني لم أطلب منهم عونا !؟ وياليتهم لم يكونوا من ورائي !؟ في هذا الوقت العصيب الذي يتطلب المزيد من العمل، إنني أريد أن أجعل المسلمين في مأمن من هذه الكارثة التي تهددهم من جراء هذه الوصاية الأجنبية، وهذا النفوذ المسيحي دمره الله.

اشتد الأمر على الملك، وأصبح يفكر في الالتحاق بقبائل زيان، ويعتصم بالجبال، ويشن حربا لا هوادة فيها ضد المستعمرين وأذنابهم، الذين أثقلوه بالكلام المأهول، وأن فرنسا لها ولها، ولا أحد يقف في وجهها، وكلام هذا معناه !؟ إنهم مسخرون لأسيادهم، يمهدون السبل للأجانب كي يغل المغرب بالحديد والنار، ويخضع للمذلة والحسرة والنكبات، وهو الشعب العظيم الذي له تاريخ الأمجاد.

ويقال عن المقري الصدر الأعظم إنه انتحى جهة السلطان، وفي ملاطفة وتحفظ قال له ، مولانا... إن ذاتك الشريفة هو الأمل الوحيد، الذي بقي للإسلام، والذي سيقف حجر عثرة في طريق من يريد النيل منه، وانه بمجرد ما يغيب عنا وجهك، فإن المسلمين هنا سيغرقون في بحر لجي من العار، وستكون النهاية الموت المحقق للجميع.

لا نطيل القول، فالملك عبد الحفيظ وقف موقف الرجولة والكرامة، واستطاع بخبرته وحيويته ونشاطه بل وشجاعته أن يعكف على دراسة هذه الوثيقة المعروضة عليه، ويبدي حفظه الله من الحزم والعزم، ما يخلده له التاريخ المؤتمن من أمجاد، فطيلة خمسة أشهر وهو يحارب هذا العقد، ويشجب كل ما فيه من عار وخزي ضد بلاد المغرب المسلمة، والعرش المغربي العظيم، وكافة شؤون المسلمين، يقيد كل بند من هذه الحماية بالتنصيص الحرفي، على وجوب الاحتفاظ على كل مظاهر الأمة والدولة المغربية.

وأخيرا أقبل يوم 30 مارس 1912 فوقع المعاهدة، وحملت منذ ذلك اليوم الطابع السلطاني الشريف.

أما الشعب المغربي الأبي، فإنه يتتبع كل المجريات والمحادثات، وما سينجم عنها، ويستعد جهد طاقته للوقوف في وجه الطغيان الاستعماري، وفي فاس العاصمة كان الهيجان يتزايد، والدعايات تقول ، إن جلالة الملك سجين قصره، وأن الفرنسيين سيحملونه معهم للرباط، ومن ثمة سيرحلونه إلى فرنسا، بعد أن يحملوه بالقوة بيع البلاد للفرنسيين.

وفي شهر أبريل الموالي تعاظمت المصائب، واشتدت الأزمات، وانتشر القتل والفتك، فذهب ضحية هذه الفتن عشرات من الضباط، أما الأمة المغربية، فقد قدمت الضحايا بدون عدد، والشهداء بتتابع إعلانا عن عدم رضاها بالحماية، والزراية، وأخيرا نفذ حكم الإعدام في عدد لا يستهان به من المغاربة الأحرار.

اضطرابات وقلاقل تسببها معاهدة الحماية :

وقد زادت معاهدة الحماية حالة الاضطراب المنتشر في البلاد تعقيدا فوق تعقيد، إذ انتشرت الثورة في كثير من الأقاليم، وتمرد الجيش بفاس على ضباطه، وأصبحت الحالة خطيرة في المدينة، وتستحق أن يطلق على الحوادث بأيام فاس الدموية كما أطلق الكاتب الفرنسي في كتابه على أيام 17 ـ 18 أبريل 1912.

موقف جلالته منها، وشهادة الخصوم (وشهد شاهد من أهلها)

وفي اللحظة الرهيبة التي وقع فيها السلطان تحت الضغط الدبلوماسي دون بقاء أي عضد خارجي يشد أزره، وأمام الواقع من ثورة في بعض أجزاء المغرب على التدخل الأجنبي، واستيلاء الجيوش الفرنسية على نقط عديدة استراتيجية، في شرق البلاد وغربها فضلا عن الإنذار الذي يطالبه بالخضوع لمقتضيات القوة ؟ نعم في تلك اللحظة الرهيبة عزم السلطان عبد الحفيظ على التهرب بالمفاوضات من الالتزامات التي ستفرض عليه.

وقد طلب إيضاحات عن المادة التي تصرح لفرنسا باتخاذ التدابير الحربية التي تستدعيها حالة الاضطراب في اتحاد المغرب، ثم يطالب بضمانات لاحترام التقاليد والعادات الإسلامية، وغضب لمسألة طنجة التي يراد أن تخضع لسلطة دولية، وطالب أن تبقى جزءا من التراب المغربي تحت السيادة الشريفة، فقبل هذا المبدأ، وكان السلطان يريد أن نرفع له ثمنا باهضا مقابل توقيعه على العقد الذي كان أخطر عقد يوقع عليه !؟ وهو حائز لصفة السيادة الكاملة.

وهنا انتهت جريدة **الطان** في عددها الصادر يوم 30 مارس 1932 في تبيين ظروف معاهدة الحماية الفرنسية.

وشهادة أخرى من السيد «لويس بارتو» في كتابه **«اليوطي والمغرب»** صفحة 47 يقول : ظل المقيم العام **«اليوطي»** مدة ثلاثة أشهر يقاوم عداوة السلطان عبد الحفيظ **فقد صار الموقع على المعاهدة عدوا لها**، واجتهد في إفساد **براءة أعمالها بوقوفه في كل خطوة** من خطواتها معترضا **ومهددا** بتنازله عن العرش، وإننا لا نعدو الصواب والحق إذا قلنا دون أن نضيف إلى ما قدمناه شيئا آخر عن السلطان لم يكن متحدا معنا قلبا وقالبا انتهى منه بلفظه.

وبهذا ظهر مولاي عبد الحفيظ الذي بويع كبطل للمقاومة الوطنية، ورمزا للإرادة الشعبية، انه جدير بتقدير شعبه الذي عضده في صيانة العرش العلوي الشريف الواقع في خطر !؟

وكان في إمكان مولاي عبد الحفيظ أن يظل على العرش الملكي بعد الاحتلال الأجنبي، ولكنه تنازل عنه احتجاجا على نظام فرضته فرنسا بالقوة على المغرب ؟! وبهذا أثبت بالبرهان القاطع إخلاصه السافر لماضيه المليء بالصراع في سبيل قضية المغرب وتضامنه الغالي بعواطفه وأعماله مع الأمة المغربية، ولقد كان من الصعب على مولاي عبد الحفيظ أن يسلم بأنه ملك الحماية ؟! كما يقول مسيو مورو في كتابه «اليوطي» صفحة 200.

فظل أربعة أشهر منذ إعلانها رسميا، وهو يناضل ضد النظام المفروض، وقد ناقش ليلة 15 غشت 1912 عند مفارقته للملك عندما ركب الباخرة «شايلا» التي سافر عليها هو وحاشيته إلى فرنسا، سلم ل لل للصدر الأعظم خطاب تنازله على العرش.

نقتطف منه جملا توضيحية صريحة :

لا يخفى عليكم ما تحملت من تعب ومشقة وانشغال بال في الأيام الأخيرة التي مرت، وقد أثر ذلك في صحتي وأضر بها، ورأينا أنفسنا عاجزين عن القيام بواجبنا الذي يجب أن نقوم به كملوك نحو الشعب، ولذا آثرنا الراحة لشخصنا وقررنا أن نتنازل عن عرش السيادة، فلا بأس أن تختاروا من بين إخواننا من يصلح لذلك ويتفق الشعب على مبايعته وتوليته لكي يتولى مصالح المسلمين.

والله أسأل أن يختار للمسلمين من يكون لهم صالحا

27 شعبان 1330 هـ

ووجه السلطان خطابا لليوطي المقيم، جاء فيه :

إذا وقع اختيار الشعب على أخينا مولاي يوسف لتولي إدارة الأعمال، فلا بأس، والله أسأل أن يقع الاختيار على شخص تتوفر فيه مصلحة الأمة الخاصة والعامة.

النتيجة الحتمية :

يستنتج من هذه العروض الوثائقية، والنقول التاريخية أن جلالة الملك مولاي عبد الحفيظ يستحق الإكبار والإجلال على مواقفه البطولية، وخدماته الوطنية، وكفاحه المرير ضد الحماية قبل وبعد، وان ذمته بريئة وشريفة ومقدسة.

ويرجع هول الحماية إلى الظروف المحيطة بالشعب، منذ مئات السنين، والترتيبات والمؤامرات، والتدابير المحكمة، من خصوم المغرب، وأعني بهم الدول الاستعمارية جمعاء، فهي التي أحاطت المغرب بالمصائب والنوائب ودبرت المكايد ضد سيادته واستقلاله وعزته وكرامته، هذا بالنسبة للملك المولى عبد الحفيظ.

وعند تنازله عن العرش لأخيه السلطان مولاي يوسف، قام هذا الأخير بالمهمة المنوطة بجلالته، واستطاع بخلقه الجميل واعتصامه بحبل الله وتمسكه بالفضائل ومكارم الأوصاف أن يقطع سنوات جلوسه على قمة ملك المغرب.

وأن يحافظ على قداسة الإسلام، وسيادة العرش المغربي، في هدوء وسكينة، وكان رحمه الله لا يغضب إلا إذا مست الشريعة الإسلامية أو قداسة الملك، ومرت أيام ملكه تحت نفوذ الاستعمار، ولكن حقوق الإسلام وعطفة العرش مصونة، وكان رحمه الله عندما يشعر بشيء ما يهددهم بالتنازل عن العرش فيتأخرون.

وجاء دور المحرر المجاهد البطل **محمد الخامس** رحمه الله.

فمنذ توليته عرش أجداده، وهو يكافح باطل المستعمرين بالحكمة والروية تارة، وبالتحدي أخرى، حتى اشتدت الأزمة، وضاق المستعمرون ذرعا من تصرفاته ضدهم، وضد مشاريعهم وتخطيطاتهم، فتوجهوا لجلالته، وجمعوا حولهم طوائف المرتزقة، يساندونهم في المخطط الخطير، مخطط إبعاده عن العرش، والبحث عن شخص ضعيف الإرادة، قليل التفكير في أمجاد المغرب والعرش، وتمادت المقاومة سلبا وإيجابا، وتنوعت المؤامرات، وكثرت حتى بلغ السيل الزبى، وتمت المؤامرة، واختطف الجالس على العرش بأسرته، وتيقن الشعب المغربي من المواقف الشجاعة لجلالته ضد تهديداتهم ورعوناتهم، الأمر الذي أعرب فيه الشعب المغربي أجمع بالنزول لميدان التضحية والمغامرات، نظمت الصفوف فوق ما كانت، وتحركت الإرادة الحسنة للجهاد المقدس الذي هو العلاج لكل سقم، وعاش المستعمرون وأذنابهم طيلة عامين ونيف في جحيم لا يطاق، ونوعوا حيلهم، وأجهدوا أنفسهم في مقاومة الأبطال، وحكمت المحاكم العسكرية بالإعدام لوقف تيار الكفاح الوطني المسلح، ولكن كل ذلك لم يزد الثورة التحريرية إلا نشاطا وقوة واحكاما، ووقع المستعمر في الحيرة، وتنازل عن طغيانه للتفاهم والتصالح.

فكانت الإرادة الشعبية لجانب إرادة العرش المقدسة هي الحل، ورجع جلالته معززا ومكرما، يحمل **الحرية والاستقلال** وينسخ عقد الحماية البغيض، وكأن شيئا لم يكن.

ونزل البطل من الطائرة، وقرأ قوله تعالى :

(الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، إن ربنا لغفور شكور).

سلا ج أحمد مفنينو

المـــراجـــع

- كتاب : - مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب الأستاذ عبد الوهاب بن منصور.
- كتاب : - الوثائق الملكية، الجزء الخامس للأستاذ عبد الوهاب بن منصور
- كتاب : - موقف الأمة المغربية من الحماية الفرنسية لمؤلفيه الأستاذ محمد حسن الوزاني، تعريب الأستاذ محمد المكي الناصري.
- كتاب : - شذرات تاريخية للأستاذ عبد الله الجراري.
- كتاب : - الحماية : بدايتها - نهايتها للدكتور عبد الهادي التازي.



للشاعر الأستاذ وجيه فهمي صلاح

لعيدك اليوم يشدو الطير والوتر
ومعهما يتبارى العطر والثمر

في جنة أنت يا مولاي زينتها
أحبها الله والإنسان والقدر

والقلب يشدو طروبا باسم عاهله
يمجد الحسن الثاني ويفتخر

يا ملهم الجيل طرا حسن معرفة
العقل عندك يقظان ومقتدر

مواكب العمل البناء سائرة
على هداك تراها الشمس والقمر

كم وقفة لك في الأيام شامخة
وكم أشاد بكم حفل ومؤتمر

قد صفقت نخبة الأقطاب شادية
تثني عليك ففاض المنتدى العطر

ففي تألقها من فكركـــم درر
وفي منابرهـــا مـن هديكم ســــور

وفي تقدمهـــا مـــن جهدكم خبـــر
وفي تآلفهـــا مـــن وعيكم آثـــر

لملمت في فاس شمل العرب والتأمت
جراحنـــا ليطـل النصـــر والظفـــر

عالجت بالفكر يا مـولاي معضلـة
وكم أضاءت علـى مرآتك الفكـر

تطلعت نحوك الأنظار ترشدهـــا
خير السبيل فهان الشائك الوعـــر

سنرجع القدس بالإســـلام عاطـرة
ويزدهـــي ببنيـــه المسجد العطــر

قدم مليكي حليـــف الحـــق تنصره
والحق دوما بإذن الله منتصــــــر

الأستاذ ـ وجيه فهمي صلاح

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

● فاحفظ اللهم الآصرة الواصلة بيني وبين شعبي قوية لا تنحل ولا تنفصم وسدد خطاي وأيد مسعاي فيما أبتغيه لشعبي واكتب لي ولشعبي توفيقا منك يهديني ويهدي شعبي إلى الأعمال والأقوال المقبولة لديك المحفوفة برضاك المنصورة بتعزيزك المستنيرة بنورك وأدم اللهم علي وعلى شعبي الاعتصام بكتابك المبين وسنة رسولك ونبيك الأمين وثبت الإيمان في قلوبنا وقلوب المسلمين ●

على العلم والقوة ترتكز دعائم الملك

دينا ودنيا

للأستاذ عبد الله الجراري

أجل فبروح هذا العنوان الخطير قامت وتقوم عناصر الدولة الإسلامية خلافة وملكا مستخدمة كل ما لديها من طاقات لبث المعرفة علوما وفنونا في اندفاع مستمر صوب تأسيس المعاهد والمدارس في أرجاء العالم شرقا وغربا باذلة جهودا متواصلة لخلق أجيال صالحة تستطيع تحمل أعباء المسؤولية المستقبلية عن يقين وإيمان وقد تسلحت بسلاح العلم الصحيح الذي من شأنه أن يجعل منها أمة تذود عن الأصالة والكيان وما يضمان من مفاهيم ماديا وأدبيا لا بدع تنتج ما ينبثق عن مخططاتها من جهود تحقق الهدف المرجو دينا ودنيا طالما روحها الكتاب والسنة والإجماع :

(العلم قال الله قال رسوله

إن صح والإجماع فاجهد فيه

وحذار من نصب الخلاف سفاهة

بين النبي وبين قول فقيه

وانطلاقا من هذا الخط المستقيم سار ملوك دولتنا العلوية الشريفة وأمراؤها ـ فلذات أكبادهم ـ في رعاية أبنائهم بتأسيس معاهد للتربية والتكوين الصالحين باختيار العناصر المثقفة على اختلاف أصنافها. فكانوا يكلفون بالحصص الأولى من أي الذكر الحكيم ، المهرة فيه وفي تجويده ورسمه قصد أن يلقنوه تلقينا جيدا وغضا طريا كما أنزل امتثالا لقول الرسول صلوات الله عليه ، «من أراد أن يقرأ القرآن غضا طريا فليقرأه على ابن أم عبد»(1). لهذه المأثرة الخالدة كان أبناء الأسرة المالكة منذ تربعها على عرش المغرب وطوال أربعة قرون ـ وهي تسير بفلذات أكبادها وأمرائها على ضوء هذا المنهج الدراسي الحي مترسمة في منهجيته طريقة علمية لها جدواها المنتج حسب المستوى الذي يوجد عليه أطفال الأسرة.

وطموحا منهم أكثر كانوا يلقنونهم في هذه المراحل الأولى متون العلوم وحفظ نصوصها في غير ما فرع من فروع المعرفة كتهييئهم لما ينتظر من ولوج أبواب المعرفة التي كانت تلك المتون كمقدمات وفتح لغوامضها ومغالقها.

وكثيرا ما كانت هذه المدارس تؤسس إزاء قصورهم العامرة رغبة الاتصال بها وتعاهد سيرها بأنفسهم وفي هذه الظاهرة الطيبة ما يصور لنا آونة أخرى كريم العناية التي

---

1) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. ومن كان على شاكلته في الحفاظ على تراثنا الإسلامي الخالد.

كانوا يولونها للأمراء والأميرات إيمانا منهم بالرعاية وملاحظة الوارد في طلب العلم فريضة على كل مسلم، فكانوا بهذا الاعتبار أمناء على الثقافة بهذه الديار خاصة منها الإسلامية دينا ولسانا وأدبا مما لم يلبث (والناس على دين ملوكهم) إن كان قدوة حسنة للشعب ترسم خطاها منتهجا ما سنت من مناهج ووضعت من برامج. وأسمى من هذا أن ملوكنا الأماجد كانوا يشركون في مدارس الأمراء بعض أطفال الرعية من شتى الأوساط رجاء احتكاك أبنائهم بأطفال الشعب منذ فطرتهم الأولى. وشيء من هذا القبيل لا يعتم يقوي رابطة الحب والعطف بينهم فينشأوا متآخين متجانسين خاصة ما كانت الولاية فوقتئذ يجدهم الحال دارسين أحوالهم وطبائعهم فتسود الطمأنينة الحق بين الراعي والرعية، ولا بدع أن تنعم الأمة في عيش رغيد خصيب أمنا ورفاها،وتلك هجيري ماتنشده الأمم المتحضرة .

وهذا ما عززه التاريخ واتصلت مسيرته كحلقات سلسلة محكمة الوضع إلى تأسيس المعهد المولوي في عهد العاهل البطل محمد الخامس طيب الله ثراه (2) ثم لا يفوت القلم أن يستعرض في إيجاز بعض أفراد دولتنا العلوية الفاخرة كمؤسسها بحق المولى رشيد (أسبغ الله عليه شآبيب رحمته) الذي بعدما درس حسب العادة المتبعة . انخرط في المدرسة الدلائية وزاويتها لأمر اقتضاه الحال آنذاك (3).

وكمحمد العالم بن أبي النصر المولى اسماعيل قدس الله روحه ـ الذي استحق وصف العالم عن جدارة بما كان يتوفر يتوفر عليه من معرفة وثقافة خاصة للأدب وفنونه الذي كان يضرب فيه بسهم وافر متعمقا باحثا ناقدا لا سيما الندوات التي كان يعقدها مع معاصريه من أدباء القطر السوسي وما كان يجري في حلباتها من آيات بينات من الأدب الغض وعيونه شعرا ونثرا (4).

وكالملك السلفي المحدث محمد بن عبد الله طيب الله ثراه الذي كان هو الآخر حامل لواء العود إلى السلفية الحق بالمغرب، والرجوع إلى صحيح السنن ومسانيدها مما جعله يضع مسنده المسمى : «الفتوحات الإلهية» بعدما كان من رواد الأدب ووعاة أيام العرب وأخبارها حفظا واستحضارا (5). كما له أطيب الأثر في بعث برامج الدراسة بكلية القرويين وتطعيم مناهجها وتطويرها كي تصبح مسايرة لمعاهد الشرق الإسلامي (6).

ولثقته بآرائه وأفكاره الاجتهادية لم يكترث لما كان يوجه إليه أحيانا في بعض الفروع ونوازلها بمصادمة ما عهد فيها من (عرف أو عمل) حتى من أقرب أقربائه.

وكعالم الدولة المولى سليمان برد الله مضجعه الذي كان من خيار الأسرة المالكة علما ودينا وعملا وتحررا في أفكاره سهما في سلفية أبيه ومترسما خطاه ناقلا أقدامه الثابتة على سننه علاوة على اتصاله برجال العلم والثقافة وحضور مجالسهم، ومائدهم في رعاية منقطعة النظير. وقديما قيل : (لا يعرف الفضل إلا ذووه).

وهكذا دواليك تتصل تلك الحلقات آخذا بعضها بحجزة بعض في امتداد عريق يصل حاضرا بغائب ويبرز في حلة قشيبة رائعة في البطولة والتشجيع والقفز بالشعب إلى البعث والنهوض وتنسم أرواح الحضارة الهادفة في شتى أصنافها صناعيا وثقافيا وفكريا كما شهد بذلك عهد الحسن الأول قدس الله روحه وأخذ يتصاعد أيام المغفور له محمد الخامس أسبل الله عليه شآبيب رحمته رغم السدود والقيود المضروبة من طرف الاستعمار الغاشم. نعم تجلت تلك القيم وتقمصت معالمها الخالدة في ملكنا المفدى جلالة الحسن الثاني أيده الله. فكانت أعماله المتواصلة ومساعيه الموفقة نبراسا أضاء الأرجاء. وتخطت أنواره المغرب لتسهم بدورها الإنساني والأخوي بالدرجة الأولى في الدفاع عن مقدسات الإسلام وقيم الحضارة الإنسانية التي جد وكد العرب في خلقها وتكوينها منذ عصور ساحقة، إذ لا عجب أن يصبح الحسن الثاني رجل الساعة (والحقيقة فيما نرى) ورأينا عند عقد مؤتمرات إسلامية هنا وهناك وما لعبه فيها

(2) المؤسس أوائل العقد الرابع الميلادي والسابع الهجري.

(3) نشأ عنه بعدما سجله التاريخ.

(4) وقد كان الكاتب خصص هذا الموضوع بمقال نشر قبل.

(5) له في ذلك سلف نبيل هو الإمام محمد بن ادريس الشافعي.

(6) وقد حضر أحد الإخوان من طلبة «دار الحديث الحسنية» أطروحة في العاهل المغفور له محمد بن عبد الله.

من أدوار حكيمة وبطولية لفتت أنظار العالم عامة، والعرب خاصة لا سيما في مؤتمر الرباط وصنوه الثاني عشر بفاس بعد الذي أصبح اليوم مضرب الأمثال فيما خططه من مشاريع منطقية كان لها الأثر الفعال في توحيد الصف العربي على كلمة سواء مما جعل الدول الأجنبية تومن ببنوده السليمة طبيعيا وعقليا خاصة الولايات المتحدة وزاد في بلورته تكوين لجنة سباعية من صميم أعضائه يرأسها الحسن الرائد ثبت الله خطاه وغدت تجول في عدة عواصم كأمريكا ملقية الأضواء الكاشفة على المقررات بإيضاح عاهلنا المفدى والخطيب المفوه في خطبه الارتجالية الجامعة.

وها هو جلالته اليوم يعمل على استرجاع سبتة ومليلية والجزر الجعفرية، سالكا ـ على عادته ـ الحكمة في المطالبة بإعادتهما واتخاذ كل ما يمت بصلة إلى الطرق الدبلوماسية وما يهدف إلى تجنب العنف والشدة، بعرض القضية على محكمة العدل الدولية وهيئة الأمم المتحدة رغم ما يبديه الإسبان من تعصب وتصلب في القضية المغربية وأصالتها تاريخا واقتصادا وثقافة منذ طوال سنين وسنين ـ حيث أصبحت جيوشهم أحيانا تتحرك في الشمال بين سبتة ومليلية إظهارا للقوة كتهديد أشبه ما يكون بطنين الذباب وأنى له يطير، وليس بخاف على اسبانيا وقادتها ما للمغرب والمغاربة من بطولة وشجاعة عرفهما التاريخ ويعرفهما حتى الساعة الشرق والغرب جميعا بل كان عليها أن تتخذ العبرة من جارتها (البرتغال) وتعود إلى رشدها مكتسبة بذلك عطف العالم خاصة العالم العربي راجين اتمام ما وعدت به أخيرا من انجاز علق على نيلها الجبل.

فليمض جلالة الحسن الثاني مظفرا منصورا ووراءه الشعب المومن بقضيته العادلة في الصحراء وسواها من مغصوب الأجزاء الشمالية.

وهنيئا لسدتكم العالية بذكراكم الثانية والعشرين وما تحمل في طياتها من مكارم ومزايا لها أثرها الطيب على العالم الإسلامي أجمع، محفوظا في سمو ولي عهدكم سيدي محمد وصنوه سمو المولى رشيد وباقي الأسرة الملكية.

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

• إن رغبتنا صادقة صريحة في استتباب الأمن والسلام وستجدنا جارتنا الجزائر في وسائل إحراز الطمأنينة والسلم متى تغلب الرشد على الغي ورجح جانب العقل والحكمة •

المجالس الحديثية في عهد الدولة العلوية

للدكتور يوسف الكتاني

تمهيـــد :

لعل الفتور الذي لحق الحركة العلمية أواخر الدولة السعدية وخاصة بعد المنصور السعدي، والذي كان مرده إلى انتشار الفوضى واستشراء الفتنة، ثم القضاء على الزاوية الدلائية أوائل ظهور الدولة العلوية على يد المولى الرشيد، وترحيل علمائها وشيوخها إلى كل من فاس وتلمسان لم يستمر، إذ بمجرد استقرار أحوال الدولة العلوية واستتباب الأمن في ربوعها، عادت الحركة العلمية إلى نشاطها وقوتها، بفضل محبة المولى الرشيد للعلماء، وتعهدهم ببره وعطفه، حتى جعلهم من جلسائه وخواصه وأهل بطانته (1).

وقد اتخذ الرشيد لنفسه مجلسا حافلا بالعلماء والشيوخ يحاورهم ويذاكرهم، وكان في مقدمتهم أبو عبد الله المرابط، بل كان يذهب إلى أبعد من ذلك فيتردد على منازل بعض العلماء، للقراءة عليهم (2) كما كان يحضر مجلس الشيخ اليوسي بالقرويين وبذلك انتشر العلم في عهده واعتز أهله وظهرت عليهم أبهته (3).

وإذا كانت الحركة الفكرية بوجه عام، عرفت ازدهارا متواصلا أيام العلويين، فإنها بلغت أوجها وازدهارها في عهد بعض الملوك، الذين كانوا علماء وحفاظا ومحدثين، ولم تشغلهم شؤون الدولة ومهامها عن طلب العلم والتعمق في الثقافة، والتفرغ لمجالس العلماء وخاصة الحديثية، خلال أوقات وشهور معينة وهي رجب وشعبان ورمضان، وهؤلاء الملوك هم : السلطان محمد الثالث والمولى سليمان والمولى الحسن الأول واضرابهم.

ولذلك نشطت المجالس الحديثية في عهدهم، وكانت مجالس حوار ومناظرة ونقاش تضم كبار العلماء والمحدثين، وازدهرت حلقات الحديث في عهدهم سواء في القصور أو في المساجد والزوايا وغيرها، وازداد طلبة الحديث وقوى الاقبال على حفظه ودراسته، وكثر التأليف فيه، وازدهرت الخزائن العلمية بفضل ما أضيف إليها من شروح وحواشي وتعليقات على صحيح البخاري، كما برز في أيامهم محدثون كبار، تفرغوا لدراسة الجامع الصحيح والعناية به، وما زالت آثارهم شاهدة عليهم، ومحافلهم ومجالسهم خالدة مذكورة.

ومن التقاليد المرعية لدى ملوك المغرب، أن يتخذوا من كبار العلماء شيوخهم لتعليمهم وتعليم أولادهم، والمذاكرة

---

1) الاستقصا 43/7 و44 - النبوغ 274/1.

2) مدرسة الامام البخاري في المغرب للكاتب 345/1.

3) الاستقصا 44/7.

معهم واستشارتهم. وقد يكون شيخ السلطان هو شيخ الجماعة، وغالبا ما يكون شيخ السلطان هو شيخ مجلسه الحديثي ورئيسه. وهو منصب رسمي ذو أهمية واعتبار، لكونه يرأس مجالس السلطان ويتولى القاء الدرس بحضرته. وقد جرت العادة وخاصة في أيام الدولة العلوية، بعقد المجالس الحديثية خلال الشهور المذكورة. حيث يعين الشيخ ورئيس المجلس بأمر السلطان. فئة من العلماء الممتازين لحضور المجلس مساء كل يوم طيلة الأشهر الثلاثة باستثناء يومي الخميس والجمعة لسرد أحاديث الصحيح. وإذا ارتأى الملك أن يتكلم شيخه على أحد الأحاديث المسرودة، طوى نسخة البخاري التي بيده فينبرى الشيخ للتعليق على ذلك الحديث. وقد يناقش من طرف الملك نفسه أو أحد العلماء الحاضرين. وقد يحتدم النقاش ويكثر الجدال والتدخل. فيعين الملك أحد الحاضرين لتلخيص ما راج في المناقشة واعطاء رأيه الخاص، أو يجعل حدا لذلك النقاش بعودته إلى فتح نسخته. كما كان من بين الحاضرين من هو مخصص بالسرد لحسن صوته ومتانة عربيته. وليس له حق التدخل في تقرير معاني الأحاديث لكون مستواه العلمي لا يخول له ذلك (4).

كذلك لم تكن مجالس الحديث مقصورة على الملوك وحدهم. بل كانت عامة منتشرة يعقدها خلفاء الملوك وأمراؤهم وعمالهم وأعيان رعاياهم. ويستدعون كبار الحفاظ والعلماء إلى منازلهم. لسرد الحديث ودراسته اقتداء بملوكهم وتخلقا بأخلاقهم. هذا علاوة على النشاط الممتاز والمجالس الحديثية التي تشهدها رحاب المساجد الكبرى والأضرحة الشهيرة والزوايا خلال الشهور الثلاثة. ولا سيما في رمضان حيث يوقف العلماء دروسهم المعتادة ويعوضونها بدروس حديثية، حول الكتب الستة وفي مقدمتها صحيح البخاري (5).

مجالس محمد بن عبد الله :

إن أول ما يثير انتباه الدارس لحياة هذا الملك العظيم، هو حبه للعلم واقباله عليه منذ نعومة أظفاره، وتكريمه للعلماء ومحبتهم ورعايتهم يؤيد ذلك ويؤكده أنه بمجرد بيعته ودخوله إلى فاس، كان أول ما فعل هو اتصاله بالعلماء، والفقهاء، والتعرف عليهم واحدا واحدا (6).

لقد وصف «نشر المثاني» الملك محمد الثالث، بأنه سلطان العلماء وعالم السلاطين، لكونه كان في العلم بحرا لا يجارى، وفي التحقيق والمعارف لا يمارى، وقد جمع من دراية العلم ماتقف العلماء دونه... فكملت به منة الله على العباد، واحيا به الله الدين في كل الأرض والبلاد (7).

ومنذ صار ملكا أقبل على كتب الحديث والسيرة، فأخذ يدرسها ويدارسها العلماء، ولم يقتصر على الموجود منها بالمغرب، فاستجلب من المشرق المسانيد كمسند الإمام أحمد ومسندى الشافعي وأبى حنيفة، كما أمر بشرح كتاب المغاني (8).

وقد رتب لمجالسه أوقاتا مضبوطة لا تتقدم ولا تتأخر، حضرا وسفرا، سلما وحربا، كان يحذو في ذلك حذو أستاذه وقدوته أحمد المنصور الذهبي.

كما قام بنقل العلماء إلى مراكش من فاس ومكناس وسلا وغيرهما وفرقهم على المساجد يدرسون بها ويعلمون الناس، ثم يحضرون مجلسه الحديثي يوم الجمعة، ولم تكن تلك المجالس تقتصر على العلماء والمحدثين بل كان يجالس الشعراء، والكتاب والأدباء، ويقربهم ويذاكرهم ويناقشهم أمثال، أحمد بن الونان، وأحمد الغزال والكاتب الاسحاقي، وأحمد بن عثمان وغيرهم.

وكان مجلسه بعد صلاة الجمعة بمقصورة الجامع، يحضره علماء مراكش وفقهاؤها وغيرهم من علماء المغرب والوافدين عليه، يجالسهم إكراما لهم وتنويها، ويذاكرهم في الحديث وفقهه والأدب وأيام العرب، وكان يحصل له

4) الكتاب الذهبي . المركز الاجتماعي لعلماء جامعة القرويين محمد السراج ص 151.

5) مدرسة الامام البخاري في المغرب للدكتور يوسف الكتاني 347/1.

6) الاستقصا 5/8.

7) الاتحاف 148/3.

8) المصدر السابق 150/3.

النشاط التام بالمذاكرة معهم في ذلك (9). واشتهر من علماء مجلسه الحديثي كثيرون، نذكر منهم من لازمه ملازمة مستمرة، وكان لا يفارقه اطلاقا، يسردون له كتب الحديث ويخوضون في معانيها ويؤلفون له على مقتضى اشارته (10)، نذكر منهم :

أبا عبد الله محمد بن أحمد الغربي الرباطي، وأبا عبد الله محمد بن المير السلاوي، وأبا عبد الله محمد الكامل الراشدي، وأبا زيد عبد الرحمان بن عبد القادر بوخريص، وأبا زيد عبد الرحمان المنجرة والشيخ حمدون بلحاج وغيرهم (11).

وكانت هذه المجالس أساسا للمجالس الحديثية عند ملوك العلويين، والتي سار عليها خلفه من بعده ونحوا نحوه واستمروا عليها إلى اليوم، فهو مؤسسها في عهدهم، وإليه يرجع الفضل فيها، إذ أصبح مجلس الحديث من العوائد الرسمية، والسنن المرعية للدولة التي حافظ عليها الملوك من بعده (12).

وقد سجل هذه الأيادي والصفات المشرقة أحمد الغزال الفاسي قائلا :

أتتنا بك الأيام عند مشيبها
فعادت عروسا بالبها لها قدر
وعادت رياض العلم عابقة الشذا
تغرد في افنان أدواحها الطير
وشدت ذرا الأداب فاعتز أهله
وصار لهم في كل شائعة فخر

كما وصف مجالسه العلمية الشيخ حمدون بن الحاج بقوله : (13).

به طلعت شموس لأهل فاس
باقصى مغرب للناظرينا
ولم يحرف لها من قبل ذكر
ولا طرقت بآذان السامعينا
وجامعه تضمن ماحوته
وجمعه فيه سؤال للراغبينا

مجالس أبي الربيع سليمان :

كان هذا السلطان نادرة من نوادر البيت العلوي في الاشتغال بالعلم وايثار أهله، كما كان جليلا نبيلا علامة حجة كاملا، لا يجالس إلا الفقهاء والعلماء، ولا يبرم أمرا من أمور المملكة إلا بعد مشاروتهم، ولا يقبل منهم إلا النص الصريح، ويبالغ في الثناء عليهم وتعظيمهم وصلتهم ومودتهم، وتفقد أحوالهم وأحوال كل من له صلة بهم... (14)

وقد حصر أغلب اهتمامه العلمي على التفسير والحديث، ثم انقطع للحديث وعكف عليه، وكان له مجلس خاص بقراءة الجامع الصحيح لأبي عبد الله البخاري وسماعه والمذاكرة فيه، يطفح بكبار المحدثين والعلماء أمثال الشيخ أبي الفيض حمدون بلحاج، والشيخ التاودي بن سودة، والشيخ أبي العلاء العراقي (15).

ومما يذكر من لطائف مجالسه الحديثية، أنه كان بمجلس البخاري فعطس والقارىء يتلو يرحمك الله من حديث أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال، وليقل له أخوه وصاحبه يرحمك الله... الحديث وقد سجل هذه اللطيفة أبو الفيض حمدون بلحاج في بيتين ظريفين : (16).

عطست وراو الحديث يقول
يرحمك الله قول الرسول
فكان الرسول المشمت إذ
عطست وذلك أعظم سول

9) الاتحاف 3 /183.
10) الاستقصا 8 /66.
11) الفتوحات الاهية ـ مقدمة المدني بن الحسني.
12) مدرسة الامام البخاري في المغرب 1 /354.
13) الاتحاف 3 /340.
14) فهرس الفهارس 2 /330 نقلا عن الاشراف لابن الحاج.
15) فهرس الفهارس 2 /329 ـ 331.
16) المصدر السابق 2 /330.

ومن شدة اهتمام هذا الملك بعلم الحديث، كثرة مشيخته واهتمامه بوصل سنده بسند شيوخه، من ذلك الفهرس الذي جمعه له كاتبه أبو القاسم الزياني، والذي ضم شيوخه الذين أخذ عنهم وسماه «جمهرة التيجان» وفهرست اللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ مولانا سليمان وقد تحدث صاحب «الاستقصا» عن مجالسه الحديثية التي استمرت طوال عهده وتتأكد في رمضان قال :

«وأما الدين والتقوى فذلك شعاره الذي امتاز به، ومذهبه الذي يدين به، من أداء الفريضة لوقتها المختار حضرا وسفرا، وقيام رمضان وإحياء لياليه بالاشفاع، ينتقي لذلك الأساتيذ ومشايخ القراء، ويجمع أعيان العلماء لسرد الحديث الشريف وتفهمه، والمذاكرة فيه على مر الليالي والأيام، ويتأكد ذلك عنده في رمضان ويشاركهم بغزارة علمه وحسن ملكته، ويتناول راية السبق في فهم المسائل التي يعجز عنها غيره فيصيب المفصل» (17).

مجالس الحسن الأول :

لقد أظهر الحسن الأول منذ أول عهده اهتماما عظيما بنشر العلم ورعاية العلماء وتعظيمهم، ولذلك كان يبعث البعوث إلى الخارج لتلقي شتى أنواع العلوم، كما كان يحضر مجالس العلم بنفسه ويناقش العلماء ويستشيرهم في أمور الدولة (18).

ومن تشجيعه للعلم وأهله اجزاله لهم العطايا والمنح، حتى تسابق الناس في البادية والحاضرة إلى حفظ المتون واتقان القراءات، وكانت كل أسرة تنجب ولدا يحفظ متنا أو يتقن علم القراءات، تكرم وتعفى من الخدمات والتكاليف، وتمنح ظهير التوقير والاحترام، زيادة على منح الحافظ صلة مهمة.

وقد كانت عنايته بالحديث والمحدثين فائقة، إذ استمرت عادة المجالس الحديثية التي يحضرها بنفسه ويستدعي لها العلماء من كل حدب وصوب حيث تدرس الكتب الستة والموطأ في نحو ستة وثلاثين مجلسا طوال عهد ملكه لا تنقطع أبدا وفي ذلك يقول ابن زيدان : (19).

«وعلى هذا كان العمل جاريا من لدن الدولة الرشيدية إلى أواسط الدولة اليوسفية، وكان من العادة تقديم الطعام للعلماء أثر انتهاء الدرس، وفي الختام تلقى القصائد تمجيدا وتعظيما للمناسبة، وفي عهد المولى الحسن اجزلت لهم العطايا والهدايا وزيدت في المبرات».

ومن شدة اهتمام هذا الملك بصحيح البخاري وتعظيمه، أنه عندما بنى قصره بالرباط دشنه بحفل عظيم ختم فيه صحيح البخاري بمحضر رجال الدولة وعلمائها كما كان يقيم حفلات ختمه وسرده، وتدريسه حاضرا ومسافرا، كما فعل ذات مرة وقد حل بالرباط خلال شهر رمضان، فاتم بها صيامه واحيا العيد، وختم صحيح الإمام البخاري بمحضر جم غفير من القضاة والعلماء والأعيان.

وكانت رأسة «مجالسه الحديثية للشيخ أبي عيسى المهدي بن سودة المرى المتوفي سنة 1294 ومن بعده لشقيقه الشيخ أحمد بن سودة المرى المتوفي سنة 1321. (20).

مجالس عبد الحفيظ :

وفي عهد هذا السلطان زادت العناية بالحديث وأهله، لكونه كان عالما شغوفا بكتب الحديث وعلوم السنة، تفرغ لها واشتغل بها عندما كان خليفة للمولى عبد العزيز بمراكش.

ولذلك استمر في عقد مجالس الحديث التي كان يجمع لها العلماء من كل أنحاء البلاد، وخاصة علماء شنجيط الذين كان يضمهم إلى مجالسه العلمية، التي كان يميزها الحوار والنقاش والمناظرة، كما كان يشارك فيها بنفسه مشاركة تدل على اطلاعه الواسع وفهمه العميق

---

17) الاستقصا 170/9.

18) مدرسة الامام البخاري في المغرب 1/.

19) الاتحاف 143/2 وما بعدها.

20) الكتاب الذهبي - المركز الاجتماعي لعلماء جامعة القرويين محمد السراج ص 153.

وخاصة في الدراسات الحديثية، ويتدخل في النقاش بالسؤال والتعقيب كما حصل له مرة مع الشيخ أبي شعيب الدكالي، عندما كان يتكلم على حديث في صحيح البخاري مستنبطا منه سأله عن بيت شعر ورد في الصحيح وفي قائله : (21)

يذكرني حاميم والرمح شاجـــر
فهلاتلى حاميم قبل التقـــــــدم

وقد امتازت المجالس الحديثية على عهد المولى عبد الحفيظ، بما كانت تزخر به من كبار العلماء والمحدثين وفي مقدمتهم شيخ الجماعة أبو العباس أحمد بن الخياط الزكاري، والشيخ أبو شعيب الدكالي، والشيخ عبد الكبير الكتاني وشيخ الجماعة بالرباط أحمد البطاوري والشيخ أبو الفيض سيدي محمد الكتاني وسواهم (22)، كما تميزت بطابع النقاش، واحترام النزاع بين المحافظين من العلماء المتشبثين بظاهر النصوص مثل أحمد بن الخياط وأحمد بن الجيلالي وبين الجماعة التي كانت تدعو إلى السلفية والتجديد مثل الشيخ أبي شعيب الدكالي الذي كان يشايعه السلطان في بعض ما يذهب إليه (23).

مجالس محمد الخامس :

لم تنقطع هذه المجالس على عهد السلطان أبي المحاسن يوسف، إذ استمرت حافلة بالعلماء وتولى رئاستها عالمان جليلان هما : الشيخ أبو شعيب الدكالي، ثم خلفه فيها الحافظ عبد الرحمان بن القرشي الفيلالي المتوفي سنة 1358.

غير أن هذه المجالس عادت إلى الازدهار والانبعاث في عهد الملك محمد الخامس، بسبب النهضة التعليمية التي دعا اليها وتبناها، والحركة الاصلاحية التي كان رائدها، وقد كانت تختلف أوقاتها أحيانا وتتعطل أحيانا للظروف الصعبة القاسية التي كان يمر بها المغرب، والتي كان يفرضها الاستعمار بسبب سياسته وتعنته.

وكانت هذه المجالس في أول عهدها تتكون من علماء المغرب الموظفين بالقصر الملكي، كالوزراء وبعض أعضاء مجلس الاستئناف الشرعي والمحكمة العليا وقليل من كتاب مختلف الوزارات أو الموظفين خارجها كبعض أعيان القضاة ويرأسها، إما وزير العدل أو رئيس مجلس الاستئناف الشرعي.

وقد كان شيخ هذه المجالس الحديثية في عهد محمد الخامس الحافظ الشيخ أبو شعيب الدكالي، فلما توفي تناوب على رئاستها الشيخ محمد العربي العلوي والشيخ المدني بن الحسني، كما كان من بين أعضائها العلامة محمد الحجوي والعلامة محمد السائح وغيرها (24).

مجالس الحسن الثاني :

لقد أحس الحسن الثاني بضرورة استيعاب تراثنا السامي وتعميم الفكر الإسلامي، فعمل على تفجير طاقاته وتحريك دواليبه وتيسير أساليبه، ومن هذا المنطلق يلاحظ الدارس بأن هذا العهد، تميز بمعلمتين فكريتين رائدتين، كان لهما أكبر الأثر في الحياة الفكرية ببلادنا وهما :

- المجالس الحديثيـــة.
- ودار الحديث الحسنيـــة.

لذلك حافظ الحسن الثاني على سنة المجالس الحديثية التي عرفها المغرب منذ القديم، إلا أنها تميزت في عهده بكونها تطورت وتجددت في شكلها وإطارها، وفي مفهومها ودلالتها، وفي موضوعاتها وشخصياتها، إذ بث فيها قبسا من روحه وعزيمته وطموحه.

- فلم تعد مقتصرة على شهر رمضان وحده، فقد كانت تقام أحيانا في بقية شهور السنة، إذ أصبح الملك يعقد مجلسا شهريا في مختلف مدن المملكة، كما وقع بمدينة

---

21) مدرسة الامام البخاري في المغرب 1/363 وما بعدها.

22) الكتاب الذهبي ص 153 و154.

23) انظر مقالنا عن الدولة العلوية وعنايتها بالحديث الشريف دعوة الحق ع 2 س 18 ـ 1397/1977.

24) انظر ذلك مفصلا في كتابنا مدرسة الامام البخاري في المغرب 1/365.

طنجة حيث ألقى العلامة عبد الله كنون درسا حديثيا للتعريف بمالك وموطأه. وبمكناس حيث ألقى المرحوم العميد مولاي عبد الواحد العلوي درسا أدبيا. وبمراكش حيث ألقى أستاذنا العميد الرحالي الفاروق درسا حديثيا موضوعه : «الدين النصيحة» كما أن أوقات تلك المجالس اختلفت في هذا العهد، فمرة تعقد بعد العصر إلى المغرب، وأخرى بعد صلاة العشاء وأحيانا بين العشاءين كما هو الشأن في المجالس الشهرية خارج العاصمة.

ـ أصبحت المجالس ندوة إسلامية واسعة، وفرصة لتلاقح الأفكار وتبادل الآراء، ولتمتين الروابط وابراز معالم الوحدة التي تجمع بين القلوب، مهما تناءت الديار وبعدت المسافات.

ـ صارت المجالس تنقل مباشرة بواسطة مختلف وسائل الاعلام المرئية والناطقة والمكتوبة، وبذلك عمت فائدتها، واتسع مجال الاهتمام بها، وفتحت عيون الناس من جديد ليتعرفوا على حقيقة دينهم.

ـ ولقد طفحت هذه المجالس وما زالت بنوابغ العلماء والمحدثين من المشرق والمغرب، الذين كانت لهم مشاركة فعالة واسهام كبير بدروسهم ومحاضراتهم ؛

وتعتبر هذه المجالس نبراسا مضيئا في طريق البعث الإسلامي، الذي تزعمه الحسن الثاني ودعا له وتبناه، من أجل أن يستعيد المسلم في ظلاله إنسانيته وكرامته، ويسترجع هويته وحقيقته، ويعطي للدين في المجتمع مكانته وسلطته.

ـ لقد خرج الحسن الثاني بالمجالس الحديثية من اطارها المحلي الضيق إلى اطار أوسع وأشمل ؛

حيث أخذ يستدعي لها طائفة من علماء المسلمين من مختلف البلاد الاسلامية من المشرق وغيره إلى جانب إخوانهم علماء المغرب، العلامة المرحوم الفاضل بن عاشور والشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة من تونس والدكتور محمد عبد الحليم محمود والشيخ محمد متولي شعراوي، والشيخ أحمد عبد الرحيم عبد الله من مصر، والعلامة أبو الأعلى المودودي من الهند، والدكتور صبحي الصالح من لبنان.

ولم تعد هاته المجالس قاصرة على التفسير والحديث وحدهما، بل ضمت جوانبها الطارف والتليد في عالم الفكر والثقافة، من تفسير كتاب الله وتجلية معانيه، وشرح لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام وبيان مقاصده، وبيان لفقه الحياة والواقع ووضع كثير من المفاهيم في موضعها الصحيح ووزنها بميزان الإسلام ومقارنتها بغيره من الأديان.

وأعظم ما تميزت به تلك المجالس هو ما توفر لها من جو الحرية (25) فيما يعرض من أفكار وآراء ونظريات وفي اختيار الموضوعات التي نذكر هنا بعضها لأهميتها وما تناولته من قضايا الساعة ورأي الإسلام فيها واستنتاج الحلول والمقاصد منها وفي مقدمتها ، درس جلالة الملك عن الأمانة وجلال قدرها في شريعة الإسلام، وشرح حديث كم من رجل لو أقسم على الله لأبره، وشرح حديث النصيحة للشيخ الرحالي الفاروق.

ويعتبر الحسن الثاني أول ملوك الدولة العلوية الذي اختص بدرس مستقل في المجالس الحديثية، يلقيه بنفسه شأنه في ذلك شأن العلماء، يتناول فيه تفسير آية قرآنية أو حديثا نبويا بأسلوب فريد وطريقة مبتكرة تعتمد على الاجتهاد والاستنباط، واظهار مزايا هذا الدين وصلاحيته لكل زمان ومكان ومظاهر تجدده الدائم.

---

25) الدروس الحسنية عام 1395 ص 213 ـ الحرية ومفهومها الايجابي في الاسلام للدكتور صبحي الصالح.

مفخرة العرش والشعب

سيدي محمد بن عبد الله العلوي

للدكتور عبد الله العمراني

لن نفتات على الحقيقة أو التاريخ حينما نعتبر محمدا الثالث - مثل جده مولاي إسماعيل (1082 - 1139 هـ) وحفيديه الحسن الأول (1290 - 1311) والحسن الثاني (مد الله عمره) - من مفاخر الأسرة العلوية خاصة، والمغرب عامة، والعالم الإسلامي بشكل أعم. حقا، ان هؤلاء الملوك هيأتهم العناية الربانية - كلا في وقته وعلى رأس مائة من السنين - ليجددوا للأمة دينها، ويبعثوا عظمتها، ويحيوا أمجادها، فكانوا إيماضة نور برقت وسط دجنات حالكة السواد، جنت الأرجاء، وأظلت السماء، وأسهمت في إيجاد قوى للشر، تمثلت في دهاقنة الاستعمار الحديث تارة، وتسربلت - تارة أخرى - بسرابيل طغمة من قادة «عبيد البخاري» الذين طغوا فترة من الزمان وتجبروا، ولو أسعفهم الدهر، وواتتهم الفرصة وسمحت لهم التقاليد المغربية، للعبوا دورا شبيها بما لعبه «المماليك» في مصر، أو «الحرس البريتوري» في رومة القديمة. لكن أي عملاق متجبر منهم، لم يكن - لحسن الحظ - لتوازي أعلى مؤهلاته، أدنى مؤهلات فرد من الأسرة المالكة، ولا كانت أرومته بمضاهية لورقة واحدة من الدوحة الهاشمية الوارفة الظلال.

من أساليب التدليس: مهما حاول المدلسون المغرضون أن يشوهوا تاريخ المغرب، أو أن يمسوا سمعة هذا الملك أو ذاك بسوء، فإن أحدهم لا يعدو أن يكون بمثابة نافخ في رماد، أو باني قصر في خواء هواء، أو محرر رسالة فوق صفحة ماء، أو ناشد ري من سراب صحراء.

مهما حاولوا أن يقترفوا في حق المغرب نقيصة فيرسموه وسط إطار من الضآلة والتهافت، أو يضفوا على ملوكه سمات الضعف والعجز والانحلال، فإنهم في حقيقة الأمر مغرضون، لن يبلغوا مأربهم، ولن يشفوا غليلهم، ولن يجنوا من الشوك العنب، لأن المغرب وطيد الأركان عبر التاريخ، سامق البنيان في مضمار الحضارة سيظل صامدا وسط الزوابع والزعازع، وسيظل عاهله العظيم محمد الثالث - وكذا جده وحفيداه - قذى في أعين الحساد، وشجى في حلوقهم، وسيظلون - أبد الدهر - ملوك المغرب المفضلين، وقممه السامية، ورجال الدولة بكل ما يحمل هذا المصطلح الحديث من معان.

محمد الثالث ـ موضوع حديثنا وبيت القصيد في هذا المقال ـ هو الذي هاداه معاصروه من الملوك، وخطبوا وده، وتقربوا إليه فرحا إن تقرب هو إليهم شبرا. وهو الملك الذي كان أول المباركين لنجاح الثورة الأمريكية، وأول المعترفين باستقلال جمهورية الولايات المتحدة. وهو الذي أرغم بعض ملوك أوربا على دفع الأتاوات عن يد وهم صاغرون، كلما أرادوا لسفنهم أن تشق ـ بسلام ـ أمواج المتوسط، أو عباب المحيط.

أصناف المغرضين : يمكن تصنيف المغرضين حسب تسلسلهم التاريخي إلى :

1) ـ كتاب معاصرين لسيدي محمد بن عبد الله (1171 ـ 1204 هـ/ 57 ـ 1790 م) ولم يكن غرض هؤلاء كشف الحقيقة التاريخية أو الاجتماعية، بقدر ما كان هدفهم الإحماض والإغراب في الكتابة، بغية لفت أنظار مواطنيهم وتسليتهم وإغرائهم بمطالعة ما يكتبون.

2) ـ كتاب من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وكان هؤلاء بمثابة الطلائع للجيش، أو الخريتين لقافلة الاستعمار الحديث، يغذون السير قبل أن تدركهم القافلة، ويجهدون في استكشاف السبيل، وتعبيد الطريق، واستطلاع طلع البلاد، واستكناه طبيعة أهلها، تحقيقا لمآرب ساستهم، وتوسيعا لمناطق نفوذهم، واستنزافا لأرزاق البلاد المنكوبة بهم.

3) ـ كتاب عهد الحماية، وهؤلاء تجندوا للكتابة تلقائيا، أو جندتهم حكوماتهم بعد أن احكمت قبضتها على تلابيب فريستها، وتم لها أن حكمتها بطريقة مباشرة، ضاربة عرض الحائط بكل المواثيق الدولية، وبكل المقومات الحضارية الأصيلة، والقيم الأخلاقية المتينة، والتقاليد الدينية العريقة.

في قمة الشموخ : لكن على الرغم من هؤلاء وأولئك، ظل ـ ويظل ـ محمد الثالث في قمة الشموخ، معلمة في تاريخ الإسلام، ومفخرة في ضمير الزمان :

ففي الداخل : مهد البلاد، وجيش الجيوش، وأدب العصاة، وبنى المساجد والمستشفيات، وشيد المدارس، وشجع التعليم والتأليف، وألف الكتب، وطاف أرجاء البلاد من أدناها إلى أقصاها، متفقدا أحوالها، محصنا قلاعها، متعهدا أبناءها من مرابطين وقادة ووجهاء وعلماء وأشراف، عارفا لكل قدره، ومشجعا للجميع على دعم الحضارة المغربية وحماية بيضة الإسلام (1).

وفي مضمار الكفاح الوطني : نجده رد بعض هجمات الأساطيل الأجنبية على بعض المدن الساحلية المغربية، كما حاصر بعض المدن المغتصبة، واسترد مدينة (الجديدة) التي رزحت تحت نير الاحتلال البرتغالي سنين طوالا.

أما في ميدان السياسة الخارجية، فأبان سيدي محمد بن عبد الله عن سمو فكر، وتفتح ذهن، وسعة أفق، فكان أول ملك من العالم القديم، اعترف بأول جمهورية من العالم الجديد : جمهورية الولايات المتحدة. كما ألمحنا، ونراه عاهد بعض الدول، وتعاقد معها على أساس من العدل

---

1) إثباتا للرعاية السامية التي كان يضفيها ملوكنا الأماجد على بعض رعاياهم الأوفياء، أنشر لأول مرة ظهيرا ملكيا ساميا، تعتز به مكتبتي، ورثته عن جدودي رحمهم الله.

بين سطري الافتتاح المرسوم الملكي السامي، طابع هاشمي شريف، نقشه : (محمد بن عبد الله بن إسماعيل الله وليه ومولاه)، ومستدير به قول الإمام البوصيري في بردته :

(ومن تكن برسول الله نصرته
إن تلقه الأسد في آجامها تجم)

نص الظهير الشريف :

الحمد لله

الفصل الأول : يعلم من كتابنا هذا، أننا أذنا السادات الأشراف أولاد السيد الحاج عمران القاطنين الآن بتطوان، والنازلين ببني بويفرح : يصرفون زكاتهم وأعشارهم على ضعفائهم ومسجدهم إن لم تكن له أوقاف، فإن صرفوها في غير محلها، فعهدتها في رقابهم...

الفصل الثاني : لا مدخل لعاملهم في زكاتهم، ولا في أعشارهم، ولا في أمورهم، بل يصرفونها كما ذكر أعلاه، وإن طمحت نفس العامل لأخذ البعض منها، فإنه يعاقب عقوبة شديدة، ويعزل عن عمله...

الفصل الثالث : إن اشتغل أحد منهم بالفساد مثل السرقة أو غيرها من الفواحش والتعدي على البعض من المساكين، ويزعم أنه من أولاد السيد الحاج عمران، وليس ذلك المسكين مثله في الدرجة، فقد كذب، فإن عامل بلده يعاقبه بما يناسب جنايته بالحدود الشرعية، لأن المسلمين كلهم في حق الله سواء، ولا يعاقب بالمال. انظر إلى قوله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، وانظر إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيها الناس، إن ربكم واحد، وأباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى»، وعلى السادات المذكورين أعلاه، بتقوى الله في السر والعلانية، ولله در القائل (ألا إنما التقوى هي العز والكرم وحبك للدنيا هو الفقر والعدم) والسلام في أول شوال عام اثنين ومائتين وألف 1202هـ.

والمساواة، وفوق أرضية صلبة من الحق والقوة، وخاطب الملوك والأباطرة مخاطبة الند للند، كما تشفع وتوسط بين الدول، وسعى في فك أسارى المسلمين وفدائهم بصرف النظر عن البلدان التي ينتمون إليها.

أجل هكذا يقف محمد الثالث في رحاب التاريخ، حكيما، شجاعا، ثابت الجنان، رابط الجأش، مهيب الجانب، رافعا رأس بلاده وقومه عاليا، لا يضيره ما يرجف به المرجفون، ويثيره المغرضون من زوابع مصطنعة، يحاولون بها طمس وقائع تاريخية، وحقائق واضحة وضوح الشمس في رائعة النهار.

أضل التواريخ سبيلا : في سنوات 48 ـ 1952، والأزمة السياسية محتدمة بين المغفور له محمد الخامس، وبين الإقامة العامة الفرنسية بالرباط، لفظت إحدى مطابع الدار البيضاء، كتاب «تاريخ المغرب» لهنري تيراس، وفي أوائل الستينات خرجت ترجمته الإنكليزية المختصرة، فاقتنيتها، وأدركت مدى الجناية التي جناها هذا المؤلف على تاريخ المغرب.

وفي أوائل السبعينات، أهداني مستعرب صديق هو الدكتور رامون لوريدو دياث الملخص المطبوع من رسالته الجامعية المتعلقة بتاريخ سيدي محمد بن عبد الله... ومنذ أيام قلائل، تمكنت من اقتناء نسخة من النص الأصلي للرسالة الجامعية، فوجدتها بعنوان (المغرب خلال النصف لثاني للقرن الثامن عشر، الحياة الداخلية، سياسيا، واجتماعيا، ودينيا أثناء سلطنة سيدي محمد بن عبد الله 57 ـ 1790).

بدأ المؤلف كتابه بإهداء «إلى المغرب ـ بلدا وشعبا ـ البوتقة التي انصهرت فيها عبر القرون، انطلاقا من مجموعات سلالية قوية ومتنوعة، جماعة بشرية متلاحمة، جديرة بالإعجاب» ثم أتى بقدمة، ودراسة نقدية لمصادره التاريخية المشتملة على مؤلفات عربية وأوروبية، ووثائق ديبلوماسية، وسجلات (أرشيفات) أوروبية وإسبانية ومغربية، وبعد ذلك طرق الأبواب الرئيسية التالية :

1) العزلة السياسية، والفوضى السائدة بالمغرب قبل سنة 1957.

2) مشاريع إعادة تنظيم البلاد تحت حكم سيدي محمد بن عبد الله.

3) الأطر المختلفة للجيش، ونشاطه السياسي والحربي.

4) تحركات الصنهاجيين في بلاد «السيبة» وعواقبها السياسية والاجتماعية والحربية.

5) الصعاب التي عانتها البلاد الخاضعة لسلطة «المخزن».

6) المعارضة التي سماها المؤلف «بالمرابطية» ويعني بها رجال الطرق الصوفية.

7) بعض أفراد الأسرة المالكة، والرجات العنيفة التي هزت البلاد... ثم يختم المؤلف بتعقيب وفهارس.

أحدث كتاب عن محمد الثالث : لإعطاء فكرة عن بعض محتويات الكتاب، نفتح صفحة 60 مثلا، فنجد الدكتور لوريدو يتحدث عن الخطوط العميقة لتاريخ المغرب ويقول : «ابتداء من أواخر القرن السابع ـ وأهمل ما قبل الفتح العربي الإسلامي ـ نجد تاريخ البلاد المغربية، في جوهره محكوما بعاملين أساسيين : العنصر البشري، والدين الإسلامي الذي يعتنقه. فحول هذين القطبين، تدور كل الأحداث التاريخية التي ستجري في أرضية مغرب المستقبل، حول هذين القطبين، تجد تلك الأحداث أصلها وتفسيرها النهائي، أي عامل آخر، هو عرضي، وأهميته التاريخية تتوقف إلى درجة كبيرة على مدى العلاقة التي تربطه بالعاملين السالفي الذكر.

وفي نفس الصفحة يتحدث المؤلف عن الموقف التاريخي لتيراس قائلا : «في التأليف التاريخي لهنري تيراس ـ أكمل كتاب ظهر حتى الآن ـ يقدم المؤلف نظرات هي في جملتها جديرة بالالتفات والفحص، هدفها فك رموز المجاري العميقة التي جرت فيها حوادث الحياة المعقدة لهذه البلاد. يحاول تيراس أن يضع في أيدينا مفتاح السير التاريخي المغربي، وأن يشرح لماذا لم يبلغ المغرب السلم ـ قط ـ مبلغ الاختمار والتبلور ـ عدا أيام المرابطين والموحدين ربما ـ في شكل دولة جديرة بهذا الإسم، ومرتكزة على الوحدة المزدوجة السياسية، والأخلاقية. (تاريخ المغرب ج 2 ص : 422).

«لكي يصل تيراس إلى نهاية الشوط المفترضة لديه، قام بتحليل المشكلات الأساسية التي واجهها المغرب طوال

تاريخه : السياسية والاجتماعية والدينية واللغوية والاقتصادية، وأخيرا مشكلة الحضارة. كل هذه المظاهر الإشكالية كان يمكن أن تتكاثر، كما يمكن أن تختصر إلى المشكلات الجوهرية المعلن عنها، والتي تستقطب كل المشكلات الأخرى، على الأقل حتى الفترة التي استقر فيها عرب بني هلال ومعقل نهائيا بالمغرب الأقصى.

«عند الموازنة النهائية والسياسية للتاريخ المغربي، يصر هنري تيراس على أن مسئولية فشل المغرب كأمة، منوطة بالدين الإسلامي، حيث إن هذا الدين لم يمد البلاد - حسب رأيه - بقوى ونماذج للتنظيم قادرة على قهر السلطات التقليدية للتشتيت والتفرقة التي يتسم بها السكان الأصليون إلى حد أن الجنس والأرض ليسا أكثر من أنهما - جزئيا - مذنبان. (نفس المصدر ص 445).

«ويضيف تيراس أن الإسلام لم يؤت المغرب ما كان يعوزه، ولا أعطاه الوحدة الأخلاقية القادرة على أن تقوده إلى الوحدة السياسية. إن ردي الفعل الإجماعيين من طرف المغرب : رد فعل الخوارج خلال القرن الثامن، ورد فعل الطرق الصوفية، ضد المحاولات الإسبانية البرتغالية بصدد تملك الساحل المغربي في القرنين 15 و 16 م كانا - فقط - دفاعيين، ودون صمود إيجابي.

«يواصل تيراس حديثه قائلا : إن الإسلام، في الوقت الذي كان فيه المغرب هو السلطة السياسية الكبرى في العالم الغربي، تحت حكم المرابطين والموحدين، ساق المغاربة عبر طرق الحرب المقدسة، بعيدا عن كل ما كان لهم فيه المصلحة الخاصة، وخلاص البلاد (المصدر نفسه ص 423).

«ويقول أيضا : أعني تدينا عميقا، لكن دون امتداد ميتافيزيقي، وذلك بالإضافة إلى ميل حي صوب العبادات المحلية، وكره للأجانب غريزي وعنيد».

ويتصدى صاحبنا للرد على ترهات تيراس- لكن في رفق، فيقول :

«نعتقد في تواضع أن هـ تيراس قد عمم أحكامه أكثر من اللازم، ولم يلتفت كثيرا إلى الأطوار أو المراحل المختلفة التي مر بها تاريخ المغرب، حيث ان كل مرحلة تضفي على كل من المشكلات المغربية طابعا جد مختلف، وبخاصة المشكلة الدينية. إذا كان التطور التاريخي يحكم عليه من خلال طوره الأخير، فلا ريب أن تقديرات المؤرخ الفرنسي تكون مضبوطة، لكننا نعتبر أن من الإجحاف أن نترك جانبا الطورين الآخرين السابقين اللذين - فيما يختص بالناحية الدينية حسب رأينا - يضيفان على تاريخ القطر المجاور طابعهما الخاص، ويفسران تطوره الطبيعي.

يمكن أن تمتد أولى هذه المراحل التاريخية من الفتح العربي - الإسلامي لافريقية الشمالية، إلى بداية حكم الأسر البربرية المسلمة، اللائي - بدورها وخلال حكمها - وضعت تعاليمها المختلفة من دينية وسياسية.

«والمرحلة الثانية محدودة بالامبراطوريتين : المرابطية والموحدية، وبجزء من المرينية، أما المرحلة الثالثة والأخيرة، فهي - فقط - التي تمثل المظاهر المطابقة لفكرة هنري تيراس المعممة».

استهواء : لضيق الوقت، ولحداثة عهدي برسالة صديقنا الدكتور لوريدو، لم أستطع حتى الآن، أن أقرأ إلا صفحات قليلة، ومع ذلك استطعت أن أكون عنها رأيا قد أصارح به صاحبها في أول لقاء، ذلك أن كثيرا من آراء تيراس - فيما يبدو - قد استهوت مؤلف الرسالة، فتطابق بعض آرائهما. لنفتح صفحة 135 من الرسالة لنجد الدكتور لوريدو يعالج موضوع السياسة الدينية قائلا :

«رأينا في الفصل السابق كيف أن المرابطية (يعني الطرق الصوفية)، اغتناما منها للانحلال التدريجي للأسر البربرية الكبرى المالكة، ابتدعت في المغرب إسلاما فصلته على قدر العقلية المغربية : التصوف الأنتروبولوجي للطوائف الدينية المغربية المبتدعة كفن جاء ليرضي الخصلة الفطرية - وبالتالي - غير المنطقية للقبائل. إن الرابطة الدينية التي كانت في البداية تميل إلى ضم العوام في وحدة سياسية، كانت في المغرب عرقلة أخرى في سبيل تكوين الأمة.

«كانت الطوائف الدينية المغربية، تخدم دائما ـ بطريق لا شعوري دون ريب ـ من أجل التفرقة السياسية للبلاد، في فرصة واحدة فقط، وأمام القوة الكبرى التي يفرضها هجوم «الكفار» على البلاد، كانت تتحد فيما بينها، لتخلي السبيل للسلطة المركزية كي تتصرف....»

ختام : أمام هذه المتاهة من الأفكار المغرضة المسمومة، لا يسعنا إلا أن نبدي العجب من أن يجرؤ مؤلف في منتصف القرن العشرين، فيقدم على تشويه تاريخ المغرب، على مرأى ومسمع من أبنائه. بينما هؤلاء لم يحركوا ساكنا، ولا بروا قلما، حتى بعد تحرر بلادهم من ربقة التبعية السياسية !

المجهودات الفردية قد لا تغني في هذا المجال. لذا ينبغي التعاون، وتوحيد الجهود، وتشجيعها رسميا، حتى يمكن أن نغربل تاريخنا، ونصفيه من كل ما علق به من شوائب. إنها لمسئولية ثقيلة، طوقت بها حقوق الأجداد، كواهل الأحفاد. فلعل هؤلاء، يشمرون عن سواعد الجد، ويبادرون لتحمل المسئولية بهمة وكفاءة وشجاعة، لأنهم أدرى بتاريخهم من غيرهم. وكما قيل بحق وصدق، أهل مكة أدرى بشعابها....

و

إذا قالت حذام فصدقوها

فإن القول ما قالت «حذام»

د. عبد الله العمراني

تاريخ الخزائن الملكية بالمغرب الأقصى

• وصلنا، وهذا العدد قيد الطبع، بحث قيم ممتاز للكاتب الفاضل الأستاذ الكبير السيد محمد المنوني، مشاركة منه في العدد الخاص بعيد العرش المجيد، ويدور البحث حول تاريخ الخزائن الملكية بالمغرب الأقصى.

و (دعوة الحق) إذ تأسف لعدم تمكنها من إدراج مقال الأستاذ المنوني في هذا العدد تعتذر للكاتب وتعده بالنشر في العدد القادم إن شاء الله •

في سبيل
الإسلام والعروبة والوحدة الترابية
ومن أجل الأمن والنماء والإزدهار والإستقرار والإستمرار

للأستاذ محمد بن محمد العلمي

تمهيد :

كلما أمسكت القلم، ملبيا داعي القلب والفكر، ومستلهما مواقف البطولة والجهاد، فتح الله علي بما لا كان في خلدي، ولا خطر على بالي، خصوصا وأن المناسبة شرط كما يقولون. فمع الجمال تتهذب الأذواق، وتتسع الآفاق، ومع الجلال تتقلص المسافات، وتتضاءل المعايير، وتنقزم الحسابات. فما هو سماوي ليس كما هو أرضي، وما هو سميك كثيف، ليس كما هو نوراني لطيف. ففي ثلاثة ميادين بالخصوص، تملأني شحنة عاطفية تملك علي شعوري وإحساسي من جميع الوجوه : ميدان الأنس بالله والاعتزاز بمعيته، ولذلك لا يجد الحزن والاغتراب إلى قلبي سبيلا. فإذا رضي عني ربي فلا أبالي، وكيف أضام وأنا أعوذ بوجهه الكريم الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ؟ - وميدان الحضور مع الجناب المحمدي الرفيع، في السر وفي العلانية، وكيف يخيب من تشمله عناية من هو على خلق عظيم ومن كان فضل الله عليه عظيما ؟ فالحمد والشكر على ملهم الحمد والشكر، فضيلة لا توازيها فضيلة، ونعمة كبرى ليس فوقها نعمة.

- وميدان الاقتباس من الأنوار الوهاجة، للنفحة النبوية الطاهرة، وسليل دوحة الطيبين الأكرمين، مولانا أمير المؤمنين، وحامي حمى الوطنية والدين، رئيس لجنة القدس، ومبدع المسيرة الخضراء المظفرة، والساهر الأمين على شؤون المسلمين، صاحب الجلالة والمهابة، مولانا الحسن الثاني - حفظه الله ببركة السبع المثاني - فهو كوثر الإلهام، وباعث الأفهام، وأهل لكل عز وتمكين، وفتح مبين. وإذا ظهر السبب، بطل العجب، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

مذهبية رائدة، وقيادة حكيمة :

إن المتأمل في الخطوط العريضة لمذهبية جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله، يدرك عن كثب، أن الوضوح والإيجابية، يتبلور فيهما الطابع المميز، والتوجيه السامي لتلك المذهبية... فرسالته في بناء المغرب الجديد على جميع المستويات والأصعدة، ما هي إلا امتداد واستمرار لرسالة والده المقدس، تلك الرسالة التي ارتضاها الشعب، واعتنقها، وعض عليها بالنواجذ، وتمسك بها، بكل ما لديه من اقتناع وإيمان. وهذا ما يدل على فاعلية الترابط الوثيق بين القمة والقاعدة، ذلك الترابط الذي تزداد جذوره تعمقا للنهوض الحسي والمعنوي بالجماعة الوطنية، على أساس أن العرش بالشعب والشعب بالعرش.

وإذا كان الطريق صعبا، والمجهود طويل النفس، يستوجب الكثير من الصبر والأناة، وخوض غمار المعاناة، في القضاء على التخلف الاقتصادي والاجتماعي والفكري، فإن العقلانية الديمقراطية، والمنهجية السديدة للحكم الديمقراطي، هما دليلان ناصعان على حسن الاختيار في مطامح هذا الشعب، بصفته عضوا مسؤولا في الأسرة الإنسانية الكبرى، هذا الشعب الذي يحرص كل الحرص على مكاسبه الدنيوية والروحية، بحسن التصرف، واستقامة السلوك.

فالتفكير الديمقراطي الذي يستلزم تربية ديمقراطية، قد حول مجرى تاريخنا الحديث، وأضفى على طبيعة الملكية الدستورية في المغرب، التعبير المشروع عن إرادة الشعب ومطامحه، ومشاريعه وتخطيطاته وانجازاته في شتى المجالات، وفي كل الظروف والأحوال.

فالعرش تتبلور فيه الإمامة الدينية، وتدبير المصالح الدنيوية في آن واحد، وخطة السياسة المغربية قائمة على الديموقراطية، **(وأمرهم شورى بينهم ـ وشاورهم في الأمر)**، في الميدان السياسي، والعدالة في المضمار الاجتماعي، والتوازن في المجال الاقتصادي، وعدم التبعية في الأفق الخارجي، حتى يتسنى لجميع المواهب والعبقريات، تشييد صرح النهضة الوطنية، في كافة المصالح والمرافق والمؤسسات، وسواء أتعلق ذلك بالتعليم الفلاحي، وبتطوير التجهيزات الصحية أو بالتوازن بين الحاضرة والبادية، والحد من ويلات الهجرة من الأرياف إلى المدن، أو بقطاعات أخرى حيوية في تنمية البلاد، فإن هناك ـ والحمد لله ـ قاسما مشتركا بين جميع أبناء الشعب الواحد، يقوم على الوطنية الصادقة، والعزيمة القوية، والقريحة الخلاقة، والضمير اليقظ الواعي المشحوذ، ومن عرف ما قصد، هان عليه ما وجد.

والروح المغربية في نضجها وانفتاحها، وفي وفائها للديمقراطية، نراها تعمل في مواظبة ومثابرة، ورسوخ على تدعيم وتعزيز إطار الإخلاص، والثقة بالنفس، ونكران الذات، إذ الشخصية المغربية، منذ كانت عبر العصور والأجيال، ما فتئت تجعل جوهر حياتها في العرش، لأنه عنوان الالتحام بين جميع عناصر الأمة، وهو ضمان الانسجام بين مجهوداتها الساعية إلى سلام وأمن الوطن. فالعرش هو النقطة المركزية التي تتفرع منها جميع الأشعة المتساوية، حول الدائرة المطلقة، ألا وهي المصلحة العليا للبلاد والعباد، فلا يمين ولا يسار، ولكن رعاية الوطن وحده دون سواه.

ولقد دلت القرائن على أن ذلك التجاوب التلقائي بين العرش والشعب، لتدعيم عزة الوطن، واستكمال وحدته الترابية، والحفاظ على أمجاد الأمة ومكاسبها في الداخل والخارج، لا يزداد على مر الأيام والسنين، إلا نصاعة وجمالا، وأصالة وجلالا، وهذا يرجع كله إلى إدراك حقائق الأشياء، والسعي دائما إلى العمل المجدي، البعيد عن التهريج والغوغائية، والأنانية والانتهازية، والوصولية والديماغوجية، والدعاية الرخيصة، والركض وراء السراب.

وإذا كان قد تحقق الجلاء، ونجحت خطة التعليم، وتوحدت أجزاء البلاد من طنجة إلى الكويرة، بفضل المسيرة الخضراء الحسنية السلمية المظفرة التي أصبحت بحق معجزة العصر، وإذا كانت آفاق الانفتاح والوعي تزداد بالفعل اتساعا وإشراقا، فإن الضمائر أصبحت بالتالي أكثر إدراكا للواجبات والمسؤوليات، كما أن الصفوف صارت أكثر وحدة وانسجاما لتحقيق الغد الأفضل، وإنجاح مخططات التنمية في شتى المجالات، لا فرق بين الرجال والنساء.

وفي جو من الطمأنينة والاستقرار، والتعقل والرزانة والاستمرار، تجندت السواعد والقرائح والضمائر في هذا الوطن الحبيب، كتشييد صرح الوحدة الحسية والمعنوية، في ظل الوحدة الإفريقية، ومؤازرة الحق العربي والإسلامي، وانتهاج سياسة حكيمة متبصرة، قائمة على الحياد الإيجابي، وعدم الانحياز، واللا تبعية، واللا مساومة في حق الوطن بأية حال من الأحوال، وقائمة أيضا على مناصرة مبادئ السلام والحرية والتفاهم والتعاون المثمر النزيه، في ظل السياسة الرشيدة البعيدة الأغوار والأعماق، والواسعة النظرات والآفاق، تلك السياسة التي تبرز الخطوط العريضة لمذهبية مولانا أمير المؤمنين، وحامي حمى الملة والدين، جلالة الملك الحسن الثاني ـ دام له العز والتمكين

والفتح المبين ـ بكل الأبعاد والطموحات التي تتوخى أولا وأخيرا، نهضة هذا البلد الأمين، ورقيه وازدهاره.

الاعتراف بالفضل لذويه :

تلك بعض الأقباس النورانية، والنفحات العطرة، من مدرسة مولانا محمد الخامس ـ رضي الله عنه ـ فقد زاد الالتحام في المعركة المصيرية المشتركة بين العرش والشعب.. واستمر الجهاد الأكبر، واحتدمت الثورة التي لا هوادة فيها، على التخلف بجميع أشكاله وصوره، انطلاقا من الروح الوثابة التي تكتنزها وتزخر بها ثورة الملك والشعب، إذ لا بد للمجد من ثمن.. وامتداد لتلك الثـورة المباركة، أبى جلالة القائد الرائد مولانا الحسن الثاني ـ سدد الله خطاه ـ إلا أن يوضح الخطوط العريضة لسياسته الرشيدة، على المدى القريب والبعيد معا، في كتابه القيم **(التحدي)**.. وفي هذا السياق، لا بد من الاعتراف بالفضل لذويه، لأن تربية مولانا محمد الخامس ـ قدس الله روحه ـ قد تبلورت كلها في زيارته التاريخية لطنجة يـوم 9 أبريل 1947، وتلك الزيارة لعروس البوغاز، لهـا جـذور عريقة في تاريخنا وبطولاتنا وفتوحاتنا، منذ عهد سيدنا عقبة بن نافع الفهري، والمولى إدريس الأول، وطارق بن زياد، وموسى بن نصير، وابن بطوطة الرحالـة الشهير، وسواهم من الأعلام الأفذاذ.. فمن الثغر الطنجي أعاد التاريخ نفسه بصورة أكثر دلالة ونصاعة وعمقا، إذ كان ذلك الصوت المحمدي يدوي مجلجلا من فوق هذا المنبر الدولي العالي الأشم، للمطالبة بحقوقنا المشروعة في استرداد حريتنا واستقلالنا وسيادتنا القومية ووحدتنا الترابية وللإعلان على رؤوس الملأ، بأننا جزء لا يتجزأ من الأسرة العربية الكبيرة، والأمة الإسلامية العظيمة.

فما نسينا ولن ننسى أبدا الكلمة الخالدة : «ما ضاع حق من ورائه طالب».. وكان ذلك منعطفا حاسما ممهدا ضد الزيف، والكفر، والانحراف.. ضد الظهير البربري المشؤوم.. ضد التفرقة والعنصرية البغيضة !!! وما نسينا عريضة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير سنة 1944.. ففي ذلك اليوم الخالد، وقف الشعب المغربي وقفة رجـل واحد، ليعلن للعالم أجمع إرادته المصممة في وضع حد لنظام الحماية.. ولم تكن الطريق أمامه مفروشة بالرياحين والورد، بل كانت شاقة وعسيرة، حفت بها المخاطر والمكاره والأهوال، مما جعل الأبطال من أبناء هذا الشعب، يبذلون دماءهم بسخاء، إلى أن انتهى الكفاح الطويل بالخلاص والحرية والانعتاق.

وقد تيقن الاستعمار منذ 11 يناير 1944، أن ساعته قد أزفت.. ولكن تعنته وطغيانه وروحه التوسعية، كل ذلك جعله يتجاهل الضربة القاصمة التي وجهها إليه شعبنا المكافح المؤمن أشد ما يكون الإيمان، بذاته وأصالته في العروبة والإسلام، كما شعر الاستعمار البغيض بالسهام التي صوبها المغرب نحو كيانه ووسائله القائمة على البغي والبهتان، والتفاهم بلغة الحديد والنار، لا بلغة المنطق والوجدان.. فشأن الاستعمار في كل زمان ومكان، أن يسير من حيث لا يدري ولا يحتسب، نحو الأفول والاندثار، لأن التحكم بالقوة والتزوير، لا بد وأن يؤول إلى بوار أمام إرادة الشعوب التي هي من إرادة الله، وإرادة الله لا تقهر.

فكلما حل يوم 11 يناير في تاريخ وطننا الحديث، إلا وعشنا فيه أجمعين، من أقصى البلاد إلى أدناها، انتفاضة نضالية حاسمة، وثورة تأتي على أطماع المستعمريـن وأذنابهم من أساسها، فمن منا لا يتذكر المغفور له جلالة الملك محمد الخامس ـ طيب الله ثراه ـ ومواقفه البطولية، حينما أعطى المثل الأعلى، فبدأ بنفسه الكريمة، ومنح تأييده الكامل، ومساندته المطلقة، للوطنيين الأبرار، الذين قدموا عريضة الاستقلال والمطالبة بحق العيش الكريم، غير هيابين، ولا مترددين، فيالها من شجاعة مثالية، تكتب بمداد الذهب وأحرف النور، في سجل الخلود !

إن ذلك الكفاح الوطني المقدس، هو الذي أقام هيكل الالتحام الأصيل بين أبناء هذا الوطن الحبيب، فقد وحد عناصر الأمة جمعاء على كلمة سواء، حول رائدها وزعيمها، وقائد نهضتها محمد الخامس رضوان الله عليه.. ذلكم البطل الشهم الفذ الذي أدرك تمام الإدراك مدى الدور الحاسم المناط به في أداء الأمانة لأمته التي عقدت العزم على

اللحاق بركب الأمم والشعوب ذات السيادة الوطيدة، والكلمة المسموعة في جميع أرجاء المعمور. ففي كل مرحلة من مراحل الكفاح المشترك، كان الشعب المغربي يسير في الطريق الواضحة، والمحجة البيضاء التي يرسمها له قائده الهمام... فالنظام الملكي بالمغرب، كامن في جوهر العقيدة الراسخة في القلوب، ومتمكن من صميم العقول والضمائر، فهو يعبر بصدق وإخلاص وثبات عن مطامح الأمة جمعاء، والواقع الذي لا مراء فيه أبدا، هو أن الأمة المغربية بحذافيرها تؤمن بأن العرش العلوي المجيد، هو ركنها الركين، وحصنها الحصين، وملاذها الأمين.

لقد استطاعت الحركة الوطنية بتقديم العريضة، أن تكسب السند الشرعي..إذ أن تزكية المغفور له جلالة الملك محمد الخامس للخطوة المباركة التي خطتها الحركة في شجاعة وإقدام، قد أمدتها بالطاقة التي لا تنضب، والقوة التي لا تقهر، والمعنوية العالية التي لا تتزعزع ولا تنهار أبدا، حيث جعلت فئات الشعب المغربي كلها صفا واحدا، وكتلة متراصة خلف تلك المطالبة التي كانت تجسد آمال النضال الوطني والتحرري في البلاد.

كذلك كانت المرحلة المتمثلة في تقديم العريضة مرحلة حاسمة، لأنها تمت في ظروف دولية هامة، كان الحلفاء خلالها قد قرروا في معاهدة يالطا الشهيرة، أنه من حق جميع الدول والشعوب التي ساهمت مع العالم الحر في الدفاع عن الحرية والانعتاق، خلال الحرب الكونية الثانية، أن تتمتع هي أيضا بحريتها واستقلالها. فإذا كان العمل الذي قامت به الحركة الوطنية داخل البلاد، قد اكتسى شرعية الدفاع عن النفس من أجل تحقيق أهداف الشعب المغربي في الاستقلال، وإذا كان لذلك العمل في نفس الوقت صفة المواجهة بين الشعب المغربي، والاستعمار الفرنسي، لبلوغ المطالب الوطنية المشروعة، فإن تقديم العريضة للحلفاء، كان يهدف فيما يهدف إليه - علاوة على المطالبة المغربية بالسيادة والاستقلال - إلى إدخال الحركة الوطنية في الميدان الدولي، من أوسع أبوابه.

وهكذا أثبتت الأحداث فيما بعد، صلاحية هذا الموقف، فلم تبق القضية المغربية في نطاقها الثنائي المحدود الذي ربما كانت تفاصيله وجزئياته غير معروفة لدى بعض الجهات، بل أصبحت بفضل هذا الموقف الرائع، قضية عرفها العالم كله وخبرها... فساندها وآزرها ودعمها وعززها، ووقف بجانبها، إلى أن تحقق للمغرب ما يصبو إليه من عزة وكرامة.

وبما أن نظام الحماية لم يستطع في يوم من الأيام أن يمحو شخصية المغرب الدولية، فقد كانت البادرة التي صدرت عن الحركة الوطنية، ظاهرة بارزة أخرى، أكدت شخصية المغرب الدولية، واستقلال ملكه وعرشه.

إن أكبر ميزة تطبع الالتحام بين القمة والقاعدة هي التزكية التي أعطاها العرش للعمل الوطني.. فبها تسنى للحركة الوطنية أن تستقطب كل قوى الشعب، وتسد المنافذ على المستعمر الذي تعطلت وسائله، وبارت حيله، وشلت أساليبه، في السبل الملتوية، وشتى المسارب الشيطانية المعروفة عنه، عندما يحاول استغلال أي نوع من أنواع الفراغات والثلم والثغرات.

وحيال هذا التعبير الصريح عن رغبة الأمة، وإرادتها الملحة، أصبحت سلطات الحماية عزلاء، لا حول لها ولا قوة، ومهما كانت ردود فعل تلك السلطات عنيفة وحشية متهورة، فإنها أصبحت في الواقع عديمة الجدوى والفاعلية، بالنسبة لشعب عقد العزم على تكسير القيود، وتحطيم الأغلال. وكانت الحرب الضروس التي خاضها العرش والشعب، بإيمان وصبر والتزام، تتفاقم، ويتصاعد أوارها، بحيث أمست كل التضحيات هينة في سبيل استرداد عزة المغرب وحريته.. هذا المغرب الذي لم يطأطئ الهامة أبدا أمام مستعمر طاغية، أو دخيل متسلط...

ومنذ أن امتدت يد العدوان إلى المغفور له جلالة الملك محمد الخامس وأسرته الكريمة، يوم 20 غشت سنة 1953، أصبح الالتحام والتجاوب بين العرش والشعب **أقوى** وأعمق، وأمتن وأرسخ من أي وقت مضى، وبعد **اجتياز** الشدائد والمحن والبلايا، عاد الملك المكافح **إلى عرشه** بإرادة شعبه، مظفرا منصورا، يوم 16 نوفمبر 1955، وجاء إثر ذلك الإعلان عن استقلال المغرب في 2 مارس سنة 1956. كيف لا، والشعب المغربي، من شدة حبه لجلالة

المغفور له محمد الخامس - نور الله ضريحه - قد كان يرى صورته في القمر ؟!! وأعجب بالشمس التي يضمها القمر، فيزداد جمالا وبهاء وإشعاعا ! وتلك شريعة العاشق الولهان، يرى صورة حبيبه في أبهى ما تكون الروعة والرواء والإشراق !!

ووفاء منه لروح والده العظيم محمد الخامس - طيب الله ثراه - يواصل جلالة الملك الحسن الثاني - حفظه الله وأبقاه - المسيرة المظفرة، متمما الرسالة الكبرى، ومكملا الأمانة العظمى، ومجسما استمرار الدولة واستقرارها، وضامنا لجميع المواطنين الازدهار المادي والمعنوي الذي تصبو إليه نفوس الأحرار، فكان تأسيس القوات المسلحة الملكية، وتعزيزها بأحسن الأطر الشابة، وكان نظام الاستثمارات، وكان التصنيع بشقيه التقليدي والحديث، وكانت المغربة والتعريب في شتى الأصعدة والمجالات، وكانت إجبارية ومجانية التعليم، وكانت الخدمة المدنية والعسكرية، وكانت التنمية الجهوية على جميع المستويات، وكان التنافس على التكوين المهني والتخصص في الداخل والخارج، وغير ذلك من المشاريع الحيوية في شتى المرافق والمصالح، مما يدل دلالة قاطعة على أن المجهودات لن تتوقف، وأن الخطوات العملاقة لن يتسرب إليها الكلل أو الوهن في محاربة التخلف الذي لا يليق بأمة توجد في أوج طفرتها وانطلاقتها كأمتنا نحن.

إن تاريخ 11 يناير 1944، ليعتبر بحق نقطة تحول ذات أهمية بالغة، إذ ان هذا اليوم الخالد، سيشهد على مر العصور، بذلك الارتباط التلقائي الأصيل الذي يجمع بين العرش العلوي المجيد، والشعب المغربي الوفي... فالعرش هو ضامن الأمن والعدالة، والوحدة والاطمئنان والسلام، والتقدم والازدهار.

لقد مضت ثمان وثلاثون سنة على هذا الحدث التاريخي العظيم، وهذا اليوم طافح بالذكريات مليء بالعبر البطولية، وبالروح الوطنية الصادقة التي لا بد للجيل الذي حقق تلك المواقف، والأجيال التي أتت وتأتي من بعده، أن تبقى مستمرة فيها، لتسهم في بناء عظمة المغرب، وتشييد صرح نمائه، وتعزيز استقلاله، والمحافظة على مكاسبه، وإكمال سيادته الترابية، والتعبئة من أجل كفايته في كافة الميادين، خصوصا وأن صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أيده الله، ما يزال يوالي نداءاته الكريمة إلى شعبه الوفي، بجميع طبقاته وهيئاته، مهيبا به إلى الثبات في الاستمرارية الحتمية للروح النضالية، ومخططا للمستقبل المشرق الذي تعقد عليه الآمال.

وخير مثال لتلك النداءات الملكية السامية، خطب صاحب الجلالة في أرفود، وأعياد الاستقلال، وذكرى ثورة الملك والشعب، وشتى الندوات والمناظرات، والمؤتمرات واللقاءات والاستقبالات.. تلك النداءات التي تهدف، أول ما تهدف، إلى التشبث بأسمى المبادئ وأعلى المثل التي ضحى دائما وأبدا من أجلها، وبذل النفس والنفيس في سبيلها كل من العرش والشعب، حتى تتحرر الأراضي المغتصبة، وتتوالى التعبئة في بلادنا، اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، لدعم استقلالنا، وتنمية مكاسبنا.

فإذا كانت صيحة 11 يناير 1944 قد هدفت إلى تحقيق جميع ما أوردناه، فإن نداءات صاحب الجلالة في السنوات الأخيرة، وإلى يومنا هذا، هي امتداد نوراني لتلك المرحلة التاريخية التي يؤكد بها العرش المغربي المجيد، ثباته الدائم في أداء الأمانة، وتحقيق الآمال العظمى، لخير المواطنين، وعزتهم وسيادتهم.

وإذا كان صاحب الجلالة الملك الراحل محمد الخامس رضوان الله عليه، هو صانع مرحلة الاستقلال، وبطل الحرية، فإن ابنه البار، وأمين سره، وعضده الأيمن، ورفيقه في الكفاح، جلالة الملك الحسن الثاني - حفظه الله بما حفظ به الذكر الحكيم - هو ضامن استمرار ذلك الاستقلال ودعمه وتعزيزه في الدخل والخارج، باستكمال وحدة التراب الوطني، وإحلال المملكة المغربية مكانتها القيادية المرموقة في صميم العروبة والإسلام، والحفاظ على مقوماتنا الذاتية والحضارية في عصر الصراعات المذهبية والطبقية، وذلك بالوسائل الفعالة والحكيمة التي تجعل بلادنا العزيزة، تصل في القريب العاجل بمشيئة الله، إلى ذروة أمانيها من المنعة والسؤدد والمجد، والنصر المبين،

والرفاهية والرخاء والإسعاد، في ركب الدول والشعوب ذات التاريخ الطافح بالملاحم والبطولات !

... وتتواصل حلقات الكفاح الوطني، في الماضي والحاضر والمستقبل :

فبالأمس القريب عاد الجنود المغاربة الأبطال من طنجة كذلك، بعدما حققوا النصر المبين لأمتنا العربية الإسلامية، في سيناء والجولان، وحطموا خرافة برليف، والجيش الذي لا يقهر ! فعسى أن يمن الله علينا أجمعين بتوحيد الصف، ورأب الصداع، حتى تستعيد القدس الحبيبة أصالتها، وفلسطين السليبة، مهبط الرسالات السماوية، ما تطمح إليه من انعتاق وخلاص. وما ذلك بعزيز على أحفاد يوسف بن تاشفين بطل الزلاقة، وعلى من حققوا الانتصارات الباهرة على الامتداد الصليبي، في معركتي الأرك، ووادي المخازن... كما أن ذلك ليس ببعيد على همة أحفاد وذرية المولى اسماعيل الذي طرد الدخلاء الإسبانيين والبرتغاليين والإنجليز من شواطئ المغرب... وعلى تل معركة أنوال الذين تركوا في المستعمر عبرة وذكرى لأولي الألباب.

... كما نذكر أنه انعقد بطنجة في يومي 23 و 24 ربيع الثاني عام 1396 هـ الموافق 23 و 24 أبريل 1976 ملتقى الشباب الصحراوي، وقد استعادت بلادنا وحدتها الترابية، واسترجعنا أقاليمنا الصحراوية بفضل المسيرة الحسنية السلمية الخضراء المظفرة، وأصبحت العيون ترنو إلى (عاصمة العيون) من خلال ما تمخض عنه ذلك الملتقى من توصيات وأبعاد، وردود فعل إيجابية في الداخل والخارج... والواقع أن زيارة مولانا محمد الخامس - قدس الله روحه - لطنجة، كانت فيما قبلها، وفيما بعدها، معركة ضاربة متصلة الحلقات، لا تزيدها الأيام إلا جدة وتأثيرا وانتشارا... وهكذا نرى أن الروابط وثيقة جدا بين الطارف والتليد من وجوه كفاحنا البطولي من أجل التحرير واستكمال السيادة الوطنية، والوحدة الترابية للمغرب.

... وكانت نقطة الانطلاق للمسيرة الخضراء :

كلنا نتذكر الخطاب الذي كان ألقاه صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس - قدس الله روحه - بمحاميد الغزلان، يوم الثلاثاء 6 شعبان 1377 هـ الموافق 25 فبراير 1958. فعندما زار هذا الجزء من الصحراء واجتمع بساكنيه، أصبحوا يشعرون أكثر من أي وقت مضى، بما يوليهم من رعاية وحنان، وعناية واهتمام، فأحيا بزيارته لتلك الربوع سنة حميدة درج عليها ملوك المغرب عبر العصور والأجيال، ساعين إلى توحيد الصف، وقضاء الحاجات، ناظرين في مصالح الرعية، وساعين فيما يعود عليها بالخير العميم، وقد كان آخر من وصل إليها المولى الحسن الأول رضوان الله عليه، حيث بلغ إليها مرتين، ليؤكد وحدة المغرب وسيادته وسلطته الشرعية على سائر أطراف المملكة، عندما صارت المطامع الأجنبية تصوب نحوها الأنظار، وتمتد إليها الأيدي المغرضة.

وعندما جاء جلالة المغفور له محمد الخامس - نور الله ضريحه - إلى مشارق الصحراء، وسنحت له الفرصة لإحياء تقاليد أسلافه المنعمين الأمجاد، كان يستمع إلى المطالب، ويدرس الرغائب، ويعمل على تحسين الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية، حتى ينعم إخواننا هنالك بخيرات الحرية والاستقلال.

وتعتبر قرية المحاميد بابا للصحراء المغربية، وهنالك كان إخواننا قد استقبلوا مولاي الحسن الأول، كما استقبلوه في الركيبات وأولاد دليم وسواها من قبائل الصحراء، ونعني بها على الخصوص القبائل الشنقيطية، بما فيهم من علماء، وفقهاء، وأدباء، ليؤكدوا تعلقهم بالعرش العلوي، وتمسكهم بعروة المغرب الوثقى التي لا انفصام لها.

وهاهم أبناؤهم الأشاوس يحيون ما كان في نفوس أجدادهم من نخوة وإباء، وعزيمة قوية، وكان صاحب الجلالة محمد الخامس - طيب الله ثراه - قد أكد بدوره أنه يبذل قصارى جهوده لاسترجاع صحرائنا، وكل ما هو ثابت لمملكتنا بحكم التاريخ ورغبات السكان، حفاظا على الأمانة، وتأدية لها على أتم وجه، وربطا للحاضر بالماضي، وتشييدا لصرح المستقبل المزدهر، حتى ينعم جميع المواطنين، في كافة أنحاء المغرب الموحد، بالسعادة والرفاهية والهناء... وعليه، فقد كانت تلك الزيارة الملكية لمحاميد الغزلان - مع ما تخللها من شواهد الولاء

والإخلاص، والطاعة والوفاء ـ إنما تزيد في تقوية عزمنا على أن نحقق لإخواننا ومواطنينا أهل الصحراء، آمالهم التي هي آمالنا، ومطامحهم التي هي مطامحنا المنقوشة في قلب كل مغربي ينشد لأمته حياة المجد والفخار.

في كل المناسبات، كان رائد النهضة والتحرير، جلالة الملك محمد الخامس رضوان الله عليه، يؤكد على حقيقة الوطن المستقل الموحد، فلم يبق بعد اليوم شمال ولا جنوب، إلا في الاصطلاح الجغرافي العادي، كما أشار إلى ذلك، بمناسبة استكمال المغرب لوحدته الاقتصادية والمالية، يوم الإثنين 27 رجب 1377 هـ الموافق 17 فبراير 1958 م.

وقد سبق كذلك لجلالة الملك محمد الخامس رضي الله عنه، أن صرح لممثلي الصحافة الإقليمية بفرنسا يوم الخميس 15 شعبان 1377 هـ الموافق 6 مارس 1958 م، وأن أكد ـ مثلما سبق له أن قال في محاميد الغزلان ـ بأن المغرب لا يطالب إلا بما هو ثابت له بحكم التاريخ والأوفاق الدولية، ورغبات السكان الذين ما فتئوا يؤيدون مطلبهم المشروع في جميع الفرص والمناسبات. فأهل تلك الجهات يطلبون تحريرهم من السيطرة الاستعمارية ليتمتعوا بما يتمتع به باقي مواطنيهم من نعمة الاستقلال وبالفعل، فقد كانت وفود الصحراويين، سكان تلك المناطق النائية من بلادنا، قد زارت جلالة الملك أثناء وجوده بمحاميد الغزلان، وكل تسوية لمشكلة الصحراء، ترجع الكلمة الأولى والأخيرة فيها لهم، للالتحاق بالوطن الوالد.

وفي الخطاب الذي كان ألقاه جلالة المغفور له محمد الخامس، بمناسبة تسليم السلطة بإقليم طرفاية، يوم الخميس 20 رمضان 1377 هـ الموافق 10 أبريل 1958 م، قال على الخصوص : «لقد أكدنا مرات عديدة، وما زلنا نؤكد، أن المغرب ليست له مقاصد في التوسع والسيطرة، وإنما يتطلع إلى الأجزاء التي ظلت منه وإليه قرونا طوالا، ثم انتزعت منه في أحوال استثنائية أو بمقتضى أوفاق دبرت في الخفاء، وإن في رحيل أعيانها إلى الجزء المحرر من بلادنا، وإبدائهم فروض الطاعة والولاء لجنابنا، لحجة بالغة على تعلقها بالقومية المغربية، والافتخار بالانتماء إليها».

ثم إن هناك حرصا لا هوادة فيه ولا مساومة من لدن العرش العلوي المجيد، فيما يخص المشكل الجوهري، والمطمح الرئيسي، وهو استكمال الوحدة الترابية للمغرب، فمن ذلك ما جاء في رسالة صاحب الجلالة محمد الخامس ـ رحمه الله ـ إلى رئيس الدولة الإسبانية في شأن الجلاء عن منطقة سيدي إيفني، يوم الأربعاء 23 صفر 1380 هـ الموافق 17 غشت 1960 م :

«أما قضية إيفني التي أشارت إليها فخامتكم، فإننا نعتبرها قضية قائمة بذاتها، ولا نرى موجبا لربطها بقضية سحب القوات الإسبانية سحبا تاما ونهائيا، على أننا ننوي أن نبحث معكم لها هي بدورها عن حل في نطاق الصداقة والتفهم، لأن إيفني جزء لا يتجزأ من التراب المغربي، وحججنا في مغربيتها لا تقبل الجدل، فلا غرابة في أن تستأثر باهتمامنا، وتبقى من مشاكل الرأي العام في بلدنا، حتى تعود إلى حظيرة الوطن المغربي».

وبنفس هذه الروح الوطنية الصميمة، كان جلالة الملك سيدي محمد بن يوسف رضوان الله عليه، قد سبق له أن اشار إلى استرجاع الأراضي المغتصبة من ترابنا الوطني، إذ قال بالخصوص في خطاب العرش الذي ألقاه يوم الأربعاء 16 جمادى الأولى 1379 هـ الموافق 18 نوفمبر 1959 م :

«وبديهي أن يبقى في مقدمة الأهداف، تحقيق جلاء القوات الأجنبية المرابطة ببلادنا، واسترجاع الأراضي المغتصبة من ترابنا الوطني، وبسط رعايتها على أفراد شعبنا الذين فصلوا عن وطنهم بغير إرادتهم، ولا موافقة سلطتهم الشرعية».

هذه هي الرسالة العظمى، والأمانة الخالدة التي بلغها رائد الاستقلال والحرية، محمد الخامس ـ قدس الله روحه ـ وجاء ابنه البار جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله، ليتمم ما بدأه والده المنعم، فهو الذي قال في الخطاب الذي ألقاه بفاس، بمناسبة الذكرى الخامسة والأربعين لميلاد جلالته

يوم الإثنين 17 جمادى الثانية 1394 هـ - 8 يوليـــــوز 1974 م :

«... فأنا كمسؤول عن وحدة البلاد من جهة، وصيانتها من أخطار المستقبل من جهة أخرى، أصرح لشعبي - وأترك هذا وصية لكل مغربي - أنه لا يمكن أن يتم تنصيب دولة مزيفة لا حقيقة لها في جنوب بلادنا، لأنه من الوجهة التي تخص المنافذ على المحيط الأطلسي. لا يعقل هذا، لأنه سيكون خطرا مستمرا على سلامة بلادنا وحرمتها، وعلى أبنائنا ومستقبل أبناء أبنائنا.».

وحينما يتعلق الأمر بوحدتنا الترابية وضمان مستقبلنا، فإن المغاربة يقفون صفا واحدا، كيفما كانت مشاربهم السياسية، وكيفما كان مستواهم الاجتماعي، والأجانب يعلمون هذا حق العلم».

هذه هي المشاعل الوهاجة في طريق استكمال وحدة التراب الوطني... وهذه هي نقطة الانطلاق للمسيرة الخضراء.. وهذه هي صبغة الله، وصبغة الوطنية.. ومن أحسن من الله صبغة ؟!!!

من انطلاقة الفتح إلى عودة النصر :

إن الحديث عن الوحدة الترابية للمغرب، ونقطة الانطلاق للمسيرة الخضراء، يؤكد تلك الحقيقة الناصعة، والغاية المثلى التي يسعى إليها جميع المغاربة، كيفما كانوا، وأينما وجدوا لتدعيم سيادتهم وسلطتهم الشرعية على ما هو ثابت لهم بحكم التاريخ والرغبة الجماعية، حفاظا على الأمانة، وتأدية لها على أتم وجه، وربطا للحاضر بالماضي، وتشييدا لصرح المستقبل المزدهر، حتى ينعم جميع المواطنين في كافة أنحاء المغرب الموحد، بالسعادة والرفاهية والهناء.

فإخواننا ومواطننا الصحراويون، أكدوا ويؤكدون على مر العصور والأجيال تعلقهم بالعرش العلوي المجيد، وتمسكهم بعروة المغرب الوثقى التي لا انفصام لها، وتلك هي نفس النخوة والعزيمة القوية المبثوثة في الأحفاد من لدن الأجداد، تتبلور فيها شواهد الطاعة والولاء، والإخلاص والوفاء، ولا تزيدها الأيام إلا رسوخا ونصاعة وصفاء، فأشقاؤنا في تخوم صحرائنا الشاسعة الأكناف، لهم آمال هي آمالنا، ومطامح هي مطامحنا، ومشاعرنا الأصيلة المشتركة منقوشة في قلب كل مغربي ينشد لأمته حياة المجـــد والفخار، فليس ثمة شمال ولا جنوب، ولا منطقة سلطانية، أو خليفية، أو دولية، أو سوى ذلك، إلا في الاصطلاح الجغرافي الاستعماري البائد. وإنما الحقيقة الناصعة هي وحدة في المصير، والسعي يدا في يد للتنمية الشاملة، وبخطى حثيثة على جميع المستويات.

والواقع الملموس أن هناك حرصا لا هوادة فيه ولا مساومة من لدن العرش العلوي المنيــف، فيمـــا يخـص استكمال الوحدة الترابية للمغرب، فلقد أكد وما يزال يؤكد في جميع المحافل الدولية، مرات عديدة، أن المغرب ليست له مقاصد في النفوذ والتوسع والسيطرة والهيمنة، وإنما يتطلع إلى الأجزاء التي ظلت منه وإليه قرونا طويلة، ثم انتزعت منه في أحوال استثنائية أو بمقتضى أوفاق مدسوسة في الخفاء، والمغربي مهما كان، دائم التعلق والتشبث بالقومية المغربية، والافتخار بالانتماء إليها.

وفي مقدمة الأهداف التي سعى ويسعى إليها المغرب قمة وقاعدة، تحقيق جلاء القوات الأجنبية عنه، واسترجاع أراضيه المغتصبة، وبسط رعايته على أبنائه الذين فصلوا عنه بغير إرادتهم، ولا موافقة سلطتهم الشرعية.. فعندما يتعلق الأمر بوحدتنا الترابية - كما أكد ذلك صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أيده الله في خطاب 8 يوليوز 1974 - فإن المغاربة يغارون أشد ما تكون الغيرة على مستقبلهم ومستقبل أجيالهم الصاعدة، ويقفون صفا واحدا، كيفما كانت مشاربهم السياسية، وكيفما كان مستواهم الاجتماعي، وتعلم ذلك كافة الأمم والشعوب حق العلم... تلك فطرتنا التي فطرنا الله عليها من دون تبديل ولا تغيير.

وصح العزم، وانطلقت المسيرة السلمية الخضراء، ولبى الشعب نداء قائده ورائده العظيم مدعما بحقوقه، **ومحاطا** بأشقائه وأصدقائه، ومعتمدا قبل كل شيء **على إرادته** وإيمانه، وكان التنافس والتسابق إلى **شرف المشاركة في** مسيرة الفتح والخير والبركة، من لدن **الشعب المغربي** المجبول على كريم الشمائل والمناقب، **فأعطى دروسا، ولقن**

سلوكا، وسجل في الصفحات الذهبية لتاريخ البطولات والأمجاد، ما جعله أسوة تحتذى، ومثالا يقتدى به.

وكانت عملية المسيرة كوثرا زاخرا بالبذل والعطاء، والعبر والآيات الباهرة، وكان السخاء تلقائيا ومثاليا بالروح والحياة لنيل إحدى الحسنيين. وكانت الثقة العالية بالنفس، تجعل المعنويات أسمى وأعلى وأقوى. فالوجوه ناعمة، والأنظار راضية، والألسن لاهجة بالتكبير والتهليل، والحمد والشكر والثناء لله عز وجل، على ما أنعم به على هذه الأمة من تماسك والتحام وتضامن، جعل المسيرة المغربية، أعجوبة الزمان، ومعجزة القرن العشرين، بحيث تمكنت من الضغط على القهر والغلبة، وسعت في دروب السلام، وصيانة الحقوق، وتعزيز العدالة الاجتماعية.

وأي شيء أشهى لقلب المواطن المغربي من أن يطأ أرضا من أراضيه، ويلمس رملا من رماله، ويصل الرحم مع أشقاء له، من وطنه العزيز ؟

ولعل في صلاة الشكر، وفي صلاة أول جمعة بعد تخطي الحدود المصطنعة في صحرائنا الحبيبة، أكثر من عبرة، وأعظم من مجرد انتصار عادي. ولقد صدق من قال :

فإذا الحسن بدا فاسجد له

فسجود الشكر فرض يا أخيْ

إن المسيرة الخضراء، كانت بحق مسيرة هدى وبركة من الله، عنوانها الاقتناع بالمشروعية، وراحة الضمير، وشعارها ذلك التجاوب المغناطيسي بين أمير المؤمنين ورعاياه الأوفياء، إذ الجميع يسير في طريق الفتح، حاملا في اليد اليمنى كتاب الله، وفي اليد اليسرى الراية الحمراء ذات النجمة الخماسية الخضراء التي تواكبها أعلام الدول العربية والإفريقية، لها صولتها، ولها ماضيها وحاضرها ومستقبلها.. تلك مسيرة كلأتها وحفت بها عناية الله ورعايته، لأنها انطلقت من صراط مستقيم، ونهج قويم، تدعمها كلمة الحق التي نطقت بها محكمة العدل الدولية.. وتلك مسيرة تحركت في نظام بديع، ووعي دقيق وكامل بدورها ومسؤولياتها أمام التاريخ، يجمعها كتاب الله، ونداء الملك، وحب الوطن، والتعلق بالإخوان، والشوق إليهم.. فقد حنت الأكباد للأكباد، وأصبح الناجي يأخذ بيد أخيه.

لقد حكمت لصالحنا وفائدتنا أعلى سلطة دولية، وأقرت بحقنا في الأرض، وشرعية قضيتنا، وأعلنت بكامل الوضوح أن الصحراء لم تكن أرضا خلاء، وأكدت وجود الصلات القانونية ووشائج الطاعة والولاء، بينها وبين المملكة المغربية.. فلقد كانت الصحراء وما تزال وستظل إلى الأبد جزءا من صميم التراب المغربي.. ولا يمكن أن تكون إلا كذلك... ولسكانها يعتبرون أنفسهم، ويعتبرهم الناس أجمعون مواطنين مغاربة.

فالمغرب يجد نفسه اليوم في موقف العزة والقوة، وقد أعطى لجميع الأمم والشعوب أروع الأمثلة، إذ شملت لوائح المتطوعين مئات الآلاف من أفراد المنظمات السياسية والهيئات النقابية، والجمعيات المهنية والثقافية والاجتماعية، والمنظمات الكشفية على اختلاف الأقاليم والمستويات.

ولقد عبر المغاربة قاطبة عن إرادتهم وتصميمهم، وحظيت مبادرة المغرب بتنظيم المسيرة الخضراء تحت قيادة عرشه المجيد، نحو أراضيه المغتصبة، باهتمام كبير من أجهزة الإعلام الدولية، والمنظمات والهيئات العالمية، وبمساندة عظمى من لدن الدول الشقيقة والصديقة وتبلور في هذه المسيرة المظفرة، التضامن الوطني الفعال حيث أجمعت الأمة بكل عزائمها وطاقاتها، وإيمانها بقضيتها المقدسة، على استكمال السيادة والوحدة الترابية. فالقضية في مفهومها العريض والعميق قضية شعب توحدت فيه المواقف، واتضحت الغايات وصح الاعتماد كل الاعتماد على العمل الملموس الذي لا يتم بدونه أي تحرير. وهذا هو الواقع الباهر الذي يفرض نفسه على الحقيقة والتاريخ، ويكسبنا العطف والتأييد، ويحفزنا على الصمود وبذل المزيد من التضحيات والشجاعة والإقدام، حتى ننال النصر الذي وعد به الله عباده المؤمنين. وهذا التحدي هو الذي جعل المحافل الدولية تلتزم موقف الموضوعية والجدية، وحينما استنفدنا جميع الطرق الديبلوماسية، عمدنا إلى وسائلنا الناجعة بعد الاعتراف الدولي بحقنا، واستمرارنا في تنفيذ اختيارنا المنطلق من موقفنا المبدئي القائم على تحرير أقاليمنا الصحراوية، باعتبارها جزءا لا يتجزأ من ترابنا الوطني.

وهاهو التاريخ يعيد نفسه، ويستنهض فينا الهمم، ويبعث في قلوبنا وأرواحنا نوازع النخوة والشمم والنجدة. فمن (الحسن الداخل) إلى (الحسن الثاني)، توالت في بلادنا البطولات إثر البطولات وعلى سبيل المثال لا الحصر - وما بالعهد من قدم - أبلت الحركة التحريرية في المغرب البلاء الحسن. وكانت ثورة الملك والشعب ذات جذور عميقة متأصلة وانسجام رائع بين القمة والقاعدة. فبعد صدور الظهير البربري سنة 1930، وبعد حوادث 1936، وبعد تقديم عريضة الاستقلال سنة 1944، وبعد حوادث سنة 1953، لم يزد المغرب إلا تصميما على الثبات في النضال، وتحقيق المعجزة... وكانت الحرية والاستقلال.. وأصبح لنا كيان مكتمل، ودولة يحسب لها ألف حساب في أسرة الأمم الناهضة على جميع المستويات، فلم نحصل على استقلالنا فقط، ولكن دعمناه وعززناه بالإنماء والبناء... فصار يومنا أفضل من أمسنا، وسيكون غدنا إن شاء الله أحسن من يومنا.

إن هنالك في الصحراء أحفاد إدريس الأول الفاتح... وفيها القبائل المنحدرة من سلالة مولانا عبد السلام بن مشيش، القطب الرباني الشهير، وحاشاهم أن يتنكروا لأصولهم وأعراقهم... فالصحراء هي التي أنجبت الأبطال الذين أدخلوا الإسلام إلى الأندلس، وأنقذوا المسلمين فيها مثل موسى بن نصير، وطارق بن زياد، ويوسف بن تاشفين.. ويجب أن نكون كلنا كما يرضاه لنا أجدادنا العظام. ومن جاء على أصله فلا سؤال عليه. وإن الله تعالى الذي من على العباد، فحققت أحلامها الصعبة التي كان يحسبها المستعمرون من ضروب المستحيلات، قادر على توفيقنا حتى نحقق ما بقي، مصداقا لقوله تعالى : **«يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم - يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصارا لله - وكان حقا علينا نصر المؤمنين»**.

وها نحن بفضل الله وعونه كتبنا صفحة مجيدة من تاريخنا، ستبقى على مدى العصور والأجيال تدرس وتحتذى كمثال رفيع للانضباط والطاعة والوعي والاستماتة والوطنية الحقة. وستبقى أسر المتطوعين محتفظة بالعلم المقدس الذي رفعه يوما ما، أب تلك الأسرة أو وليها، أو عزيز عليها، لترفعه فوق رأسها بكل مباهاة واعتزاز وافتخار، في جو تحيط به آيات الله، وألطافه سبحانه وتعالى، وتواكبه أناشيد التهليل والتكبير، والصلاة على النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - والإشادة بأمجاد الإسلام، ومفاخر العروبة، وبطولات المغرب. وأبرزت المسيرة الخضراء المباركة مدى الوعي الصادق، والإيمان الراسخ، والانضباط والنظام، وأدت رسالتها وأدركت هدفها، وحققت الغاية المتوخاة منها، ورجعنا إلى منطلقنا مرفوعي الرأس، موفوري الكرامة، متشبثين أشد ما يكون التشبث بالرزانة والحكمة والتعقل، ومبتعدين عن كل شغب واستفزاز، لأن تقدير السلم، والقوة الفكرية أسمى من أساليب الضغط والعنف التي كثيرا ما يلجأ إليها من افتضح ضعفهم، وانكشفت قلة حجتهم.

فالمغرب سجل بمسيرته الخضراء دوام اسمه وتمجيده وإكباره، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين. والمغرب لا ينسى الجميل أبدا لمن عانقوه وساعدوه وشاركوه في مسيرته، فهو يبلغهم عبارات التقدير والامتنان، نظرا لما لقنوه للدنيا من أساليب التعايش والتساند والتآزر، مهما بعدت الديار، وشط المزار.. والمغرب في تخطيطه وتنظيمه وتدبيره، يفوض أمره لله سبحانه وتعالى الذي لم يعودنا منه إلا الخير.

والمجد والعزة للعرش والشعب في انطلاقة الفتح، وفي عودة النصر، وفي العمل الدؤوب من أجل تشييد صروح المستقبل السعيد، على تقوى من الله ورضوان.
فهنيئا لنا في الذهاب والإياب، وبشرى لنا في المنقلب والمئاب، ومرحى لنا ونحن نحث الخطى في استكمال السيادة، ووحدة التراب الوطني.

فالله معنا، عينه ترعانا، وعنايته لا تنسانا، وهو يشد أزرنا وينصرنا نصرا مبينا. فنحن أردنا الحياة والسلام، وقد استجاب القدر لمطالبنا.. ونحن أهل حق، وما ضاع حق من ورائه طالب.. فقد أفلحت نوازع النخوة والغيرة والشمم من روح الرباط إلى مسيرة السلام !

عاش الوطن حرا كريما موحدا ! عاش جلالة الملك الحسن الثاني القائد الرائد ! عاش العرش العلوي المجيد ! وأعز الله الوحدة العربية الإسلامية الإفريقية !

فمن نصر إلى نصر ومن فتح إلى فتح، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، والله أكبر أولا وأخيرا !

عودة الداخلة، وإقليم وادي الذهب :

... والمسيرة مستمرة، والهمة ملتهبة، والمعنوية عالية، والجهاد دؤوب لا يمسه نصب ولا لغوب، نحو المزيد من تحقيق الانتصارات، والتفتحات، والعطاءات الخيرة بدون حساب على جميع الواجهات، لما فيه إعلاء كلمة الله، ومجد العروبة والإسلام.

إن في عودة وادي الذهب عيدا جديدا، انتظم به العقد في (الداخلة)، وتواصلت الأرحام، وعاد الفرع الكريم إلى الأصل الطيب، واكتملت في وحدة التراب، بيعة العرش العلوي المجيد، وفي مسار الحق، شهد التاريخ لنا بأننا أمة انتصرت النصر المبين في ملحمة الصحراء، وقدمت دليلا آخر على أصالة الالتحام بين العرش والشعب في إصرار ورسوخ، وثبات وعنفوان ! فنحن حافظون للأمانات، منذ إدريس الفاتح، وإلى أن يشاء الله، شعارنا الوحدة، في الوطن الحر المجيد !

روح التمازج :

تلك هي ميزة الأوطان، في المحجة البيضاء التي ينتهجها (الحسن الثاني) العظيم - أصلح الله به - وعلى يديه، ووفقه للخير وأعانه عليه - إيمانا منه بأن التساكن والتعايش في كل إقليم وفي كل عشيرة من هذا البلد الأمين، هو عنوان قريحة هذا الشعب المتعاون على العز والإحسان، والملتمس قوة جماعته من قوة الله تعالى، فهو ينظر إلى العمق في التحفيز لرفعة الشأن، وهو يلجأ إلى انتقاد الذات، لاجتناب العثرات والموبقات.

إن المغرب الحر الموحد، في عهده الجديد، يريد أن يكون دائما في مستوى العمران والتشييد، فهو يجتنب الزيغ والبهتان، ويصمد أمام كل كيد وعدوان، ويحافظ على قمم المسيرة، مع صفاء السيرة، وطهارة السريرة، منبها ضميره إلى ربح الرهان، بالساعد النشيط والطرف اليقظان، فكما يحرث التربة المعطاء، فهو يزرع في الأفكار روح العرفان والاهتداء، عاملا على صيانة كرامة الإنسان، ومقدما على نضجه وقريحته أقوى برهان، فالأعباء على الجماعة تهون، وهكذا ينبغي همة الأحرار أن تكون ! ولو كان المغرب الحبيب وثنا من الأوثان، فياحبذا عبادة الأوطان ! وسبحان الله الواحد الأحد في السر والإعلان ! ويكفينا أن تكون روح التمازج فينا نهجا قويما، من مليكنا (الحسن الثاني) الذي كان في تخطيطاته وإنجازاته شهما عظيما كريما !

الرسالة الخالدة :

تلك هي الرسالة النبيلة التي وجهها صاحب الجلالة، مولانا أمير المؤمنين، وحامي حمى الوطن والدين، والساهر الأمين على إحياء وازدهار روح الأخوة الإسلامية، الملك العظيم، الصالح المصلح، الحسن الثاني - أيده الله ونصره - إلى الأمة الإسلامية جمعاء، في هذه الظروف الخاصة، بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري.

فتقليدا للتقليد المجيد المتعارف عليه في عهود أجداده الغر الميامين، أبرز سيدنا - أعزه الله - في رسالته السامية تلك على الخصوص، أن الإسلام دين يعامل الناس بالإنصاف والسوية، ويلزم بالشورى بين الراعي والرعية، وأن الله اختار لنا أن نكون أمة وسطا، رحمة بنا، وحفاظا على وحدتنا وألفتنا، وضمانا لاستمرار حياتنا، وحماية لنا من أضرار التطرف التي قد تهددنا، وأن الطريق إلى مركز الصدارة بين الأمم مفتوح في وجه الأمة الإسلامية...

ولضمان ذلك، وجب الحفاظ على تلاحم الأسرة الإسلامية، وحمايتها من عوامل التفكك والانحلال، وأنه بالتخطيط الإسلامي المحكم، والعمل المتواصل المنظم للدعوة الإسلامية الموحدة، يتغلب المجتمع الإسلامي على كثير من الأزمات، ويتصدى لكثير من التحديات... فعلينا نحن المسلمين كافة، فرادى وجماعات، أن نتحمل مسؤولياتنا التاريخية بكل شهامة وإخلاص، داخلا وخارجا،

حتى يواصل الإسلام سيره، ويسترجع مركزه الممتاز... فلنجعل من القرن الخامس عشر، حلقة ذهبية في سلسلة تاريخ الإسلام المجيد، ولكن في مستوى هذا القرن الجديد، إذ من واجب القادة المسلمين، والزعماء البارزين، أن يفتحوا الطريق أمام القائمين بالبعث الإسلامي، والدعوة الإسلامية، فكل مسلم يعتبر واليا ومسؤولا عن رعيته، في دائرة اختصاصه ومسؤوليته.

ولقد امتاز المغرب الإسلامي بملوك بررة، جعلوا الحفاظ على الإسلام، والدفاع عنه، ونشره، مهمتهم الأولى، ففي الإسلام ـ والفضل لله ـ طاقات زاخرة، ما تزال مكنونة لم تستثمر لحد الآن، وما علينا إلا أن نكشف الستار عنها ونستثمرها... والإسلام دين يقرر كرامة الإنسان، ولا يرضى أبدا التعرض للذل والهوان... وهو دين العلم والحرية، والوفاء بالعهود.

مدينة المحمدية، تصبح ملتقى للمؤتمرات العربية :

يحق لهذه المدينة أن تعتز بمؤسسها الملك الصالح المصلح، سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث)، وتفتخر بمجددها وباعث نهضتها، بطل التحرير، ومحقق الاستقلال، محمد الخامس ـ قدس الله روحه ـ وتتباهى بالرعاية السابغة التي يوليها إياها، محرر الصحراء، وموحد البلاد ورئيس لجنة القدس، مولانا أمير المؤمنين، جلالة الملك الحسن الثاني ـ أيده الله ـ

ففي الثامن والعشرين من شهر غشت سنة 1982، انعقد بين رحابها مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية، تمهيدا لاستئناف مؤتمر قمة فاس خلال الأسبوع الأول من شهر شتمبر 1982، وذلك في ظروف صعبة، تكالبت فيها قوى الشر والطغيان، من أقصى العالم إلى أقصاه، على كرامة وسيادة العرب والمسلمين، وعليه، فيجب أن نكون صرحاء مع أنفسنا، لأن من كتم علة قتلته !

واجتماع وزراء خارجية الدول العربية بالمحمدية، له سوابقه وأبعاده ، فمن مؤتمر القمة الإسلامي المنعقد بالرباط سنة 1969، إلى مؤتمرات ملوك ورؤساء الدول العربية المنعقدة في الرباط، والقاهرة، والجزائر والخرطوم، إلى مؤتمر الطائف، واجتماع الدول الإسلامية الأخير بمكة المكرمة... وهناك حريق المسجد الأقصى في 21 غشت 1969.. وهناك الهجوم الأخير على بيت الله الحرام من لدن شرذمة من المنشقين والشذاذ، وسماسرة الفتنة والإلحاد، وهناك الوضع المتردي في أفغانستان، وقضية اللاجئين الأفغان.. وهناك الجرح العميق النازف في كيان الإسلام والمسلمين، والماثل في الحرب الطاحنة بين العراق وإيران.. وهناك قضية الساحل الإفريقي، والنزاع الأثيوبي الصومالي.. وهناك فلسطين، بما يكتنفها من مذابح مهولة، وإقامة المستوطنات الصهيونية المتكاثرة، رغم التنديدات والاستنكارات الدولية، وهناك ضم الجولان، وجعل (القدس) «عاصمة أبدية» لإسرائيل.. والتغلغل الصهيوني في القارة الإفريقية (ومثال زايير يلفت الأنظار بصفة خاصة).. وهناك مأساة لبنان التي أقضت مضاجع العالم كله، وأثارت استياء الأحرار في مشارق الدنيا ومغاربها، لما عرفته من أفظع وأخس أنواع التقتيل الجماعي للرجال والنساء، والأطفال والعجزة، والخراب والتهديم والدمار، والممارسات اللا إنسانية، والتي لا يقبلها أي عقل أو منطق، والتي هي خرق مشين للأعراف البشرية والقوانين الدولية، من لدن الطغيان الصهيوني الأثيم الغاشم الأعمى ! وهناك القضية الأريثيرية، وقضايا أخرى لا يتسع المجال لذكرها، والتي تعتبر بحق حربا صليبية متنوعة الأساليب والميادين، ضد كل ما هو عربي وإسلامي.. ولكن نور الله شامل وعام.. لم يكن أبدا شرقيا ولا غربيا.. ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

إن الحدث الهام الذي يجب إبرازه بالأخص، في هذه الظروف بالذات، هو انعقاد المؤتمر الثالث عشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية بنيامي عاصمة دولة النيجر، بما يشمله من موضوعات سياسية واجتماعية وثقافية، ومالية، علما بأن ليبيا خرجت مسبقا عن الإجماع، فغادرت نيامي قبل أن يبدأ المؤتمر أشغاله.. ولا يدهشنا هذا الموقف المتحالف مع الشيطان وأعوانه، وأعداء وحدتنا الترابية، بصفتنا دولة ذات سيادة وريادة سامية في العالم العربي والإسلامي.

وإذا كان الله يختبرنا، فلأنه أحبنا. وقد خرجنا ناجحين من الامتحان. ورؤوسنا عالية، ونفوسنا راضية، وما النصر إلا من عند الله. فالحمد لله الذي أذهب عنا الحزن. إن ربنا لغفور شكور.

لكن اجتماع وزراء خارجية الدول العربية بمدينة المحمدية، ينبغي أن نستخلص منه العبر والدروس السابقة واللاحقة، فنفكر في مرحلة ما بعد بيروت.. علما بأنه حتى مصر، لم تعد تهضم العار، بل خرجت من صمتها، وأصبحت تشعر شعورا عميقا بالمرارة، وتعمل على انفتاح الآفاق، لاسترداد الكرامة الفقيدة، واستعادة المجد السليب.

ويكفينا شاهدا على ذلك، ما أوردته مجلة «أكتوبر» القاهرية، العدد 322 بتاريخ 11 ربيع الأول 1403 هـ الموافق 26 ديسمبر 1982، في صفحتها الثالثة، من كون اسرائيل توزع في الكونغريس منشورا طويلا عريضا عن تجميد مصر لبنود اتفاقية السلام، ورفضها التام لتطبيع العلاقات، وعدم تشجيع السياحة والتجارة بين البلدين. كما أشارت إسرائيل في هذا المنشور الذي وزعته على جميع أعضاء الكونغريس إلى الموقف العدائي الذي تتخذه كل الصحف المصرية، وخاصة مقارنة بيغين بهتلر، والصهيونية بالنازية!

وفي ذلك عبرة للسائلين، وآية باهرة لأولي الألباب، والرجوع إلى الأصل أصل كما يقولون.

إن الأمانة العظمى في أعناقنا جميعا كعرب ومسلمين، فيجب أن ننزل من أبراجنا العاجية، ونعرف لأرجلنا مكان خطوها على الأرض الثابتة الصلبة. ومسألة أولى القبلتين، وثالث الحرمين، وفلسطين المحتلة لم تعد رقعتها محصورة في العالم العربي وحده، بل صارت تهم المسلمين قاطبة في كافة أصقاع الدنيا... ومما يلفت النظر، ذلك العرض الذي تحدثت عنه قصاصات الأخبار، إذ أوردت أن أرملة ذي الفقار علي بوتو، رئيس وزراء باكستان السابق الذي نفذ فيه حكم الإعدام، وزعيمة حزب الشعب الباكستاني، قررت التخلي عن تحركاتها السياسية المعارضة لرئيس الجمهورية (ضياء الحق)، مؤقتا، إذا ما وافق هذا الأخير على إرسال قوات باكستانية لمساعدة منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان. **(وما يعلم جنود ربك إلا هو، وما هي إلا ذكرى للبشر)**.. والحق يؤخذ ولا يعطى.. إذ لا بد للمجد من ثمن!

فليس المهم هو التأسف على حدوث المأساة، وشجبها والتنديد بها، بمجرد الكلمة الهادفة والاحتجاج الصارخ فقط، ولكن الأهم هو العمل على إيجاد حل جذري لها، بأسرع ما يمكن، وبأنجع الوسائل، قبل أن يستفحل الخطر، ويتسع الخرق على الرقع!

ذلك هو الدرس البليغ، والمغزى العميق الذي نستلهمه من اجتماع وزراء خارجية الدول العربية بمدينة المحمدية، جنة الزهور، والرياضات الأنيقة، والتي أصبحت ملتقى لرجال الوعي ومحاسبة الضمير، في ساعة البأس والجد والجهاد على جميع الواجهات، بكل تفان وإخلاص، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، ولكن المنافقين لا يعلمون.

هنيئا للعرب والمسلمين بنجاح قمة فاس!

التفكير في المستقبل، تمهيد للحلول التي تواجهها الأمة، حينما يصبح الحاضر مستقبلا. ومن هنا تنبع حكمة التخطيط على المدى القريب والبعيد... وإذا كانت المحن والشدائد هي محك الأفراد والشعوب، تصهرها صهرا لتبعد عنها الشوائب والأخلاط والخبائث، وتعيد إليها نقاوتها الأصيلة، وطهارتها المنشودة، فكذلك الشأن بالنسبة إلينا نحن معشر العرب والمسلمين، فقد علمتنا النوائب والخطوب، أن نصبح أشد حرصا وحذرا ووعيا للحقائق، فلا نغالط أنفسنا، ولا نعتز بل نحسب ألف حساب لحاضرنا ومستقبلنا، ونتعرف على الخير والشر معا، حتى نستزيد من المزايا والاستفادات، يقينا منا كذلك بأن من لم يعرف الشر فهو أحرى أن يقع فيه؛ ويكفينا يقظة وإدراكا لجوهر الأمور، أن مولانا أمير المؤمنين، بطل العروبة والإسلام، صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني - أيده الله ونصره - قد صرح في هذه الظروف العصيبة بقوله:

«إن قضية فلسطين هي قضيتي أنا بالذات.. إنها قضية شرف بالنسبة لمليون عربي، كما أنها قضية إيمان بالنسبة لمليار مسلم!»

وعليه فأوجب الواجبات، هو قطع الطريق نهائيا على الأنانية الضيقة، لمواجهة التحدي الأعمى للاعتداءات الصهيونية، من خلال الملابسات الخطيرة التي نحياها.

لقد كنا سعداء بلقاء إخواننا الأشقاء فوق أرضنا، بقدر ما نحن محزونون جدا لما حدث في لبنان من مذابح وتدمير وخراب لم يسبق له نظير، فنحن كما قال صاحب الجلالة أعزه الله، نؤدي جميعا ثمن التفرقة، وندفعه بالكرامة والمجد، وكل ما وقع في الظروف الراهنة يستقطب اهتمام العالم كله، ولا يبقى معه مجال للمواربة والالتواء، وعدم الاستماع إلى صوت الضمير ! فالأهم هو التخلي عن المراوغات وإيجاد حل سياسي شمولي، من أجل إقرار الحقوق الفلسطينية، وتركيز مصداقيتها، ومن أجل استرجاع الشرف المداس، والعلاج الجذري لما أصابنا من ذل وهوان، واستخلاص العبر والدروس مما نعانيه ونكابده من تمزق وشتات وفرقة، فالعالم العربي والإسلامي عموما أحوج ما يكون محتاجا إلى الصمود في مسار الأحداث، علما بأن الوجود العربي مرتبط أقوى ما يكون الارتباط بمقومات العز والكرامة، وسياسة الحوار الصريح، والعمل على احترام الرأي، والاستماع إليه، والدفاع عنه دفاعا منطقيا بناء، حسبما تحتمه الظروف الآنية والمستقبلية، مع اتخاذ الموقف العقلاني السليم، وتجاوز جميع مواقف الإحباط والتثبيط واليأس، وتخطي الخلافات المفتعلة، الهامشية، واستيعاب الهموم التي تقاسي منها الأمة، بعيدا عن التعنت والاستهتار والاستخفاف، وعن الروح الإقليمية الضيقة، مع إقرار المنهجية الموضوعية الجادة، واجتناب إهدار الوقت، والخوض في الخلافات، كبيرة كانت أم صغيرة، لضمان الانطلاق السليم نحو الهدف المنشود، ومن أجل الإسهام بصورة أكثر فاعلية في مساندة الشعب الفلسطيني، وتقليص الأبعاد والمسافات، بما يقتضيه الأمر، من توفير الأسلحة السياسية والاقتصادية في جميع المجالات، فالوقت وقت حفز للهمم، واستنهاض للعزائم، وتقديم البرهان الملموس على الدفاع المعقول حسا ومعنى، والوفاء بالالتزامات، والثبات في الاتجاه الإيجابي لمسار العمل العربي، والمواجهة المصيرية، وإقامة البرهان الساطع على قدرات العرب على التحدي العميق الطويل النفس.

فيجب أن يكون التضامن العربي من أجل غاية واحدة، إذ لا يوجد ما يفرق بين العرب، لأن الدماء تمحو فواصل الأقطار، وتذيب كل الحزازات والنزاعات، ويجب أن يكون القاسم المشترك بيننا هو تكريس الجهود والطاقات، لدعم الشعب الفلسطيني، واتخاذ موقف موحد لهذه الغاية، سواء في توجيه العمل إلى مستواه الواقعي، أو إلى صيانة الصفة التمثيلية الشرعية للممثل الوحيد للشعب الفلسطيني، والعمل على زيادة الاعتراف بها، وهي منظمة التحرير الفلسطينية العتيدة، وتوسيع رقعة تدعيمها على نطاق عالمي واع.

إن أرواح الشهداء الأبرار حاضرة معنا، يواكبها نور الله، فهي تراقبنا، وتصقل قلوبنا، وتشحذ عزائمنا، وتحثنا على السير قدما إلى ما نحن له أهل من عزة ومجد وكرامة، ونشر كلمة الله العليا في الأكوان قاطبة.

وإن مولانا أمير المؤمنين، رئيس لجنة القدس، صاحب الجلالة الحسن الثاني، قد بلغ الأمانة، والله على ذلك شهيد ورقيب، وروح جده المصطفى - عليه أزكى الصلاة وأفضل التسليم - راضية عنه، تباركه، وتدعو له بمزيد النجاح والتوفيق.

فلمثل هذا فليعمل العاملون ! وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ! وهنيئا للعرب بنجاح مؤتمر القمة العربي الثاني عشر بفاس، عاصمة العلم والعرفان، والحصن الحصين للعروبة والإسلام.

وإنه لمما ينبغي تسجيله بكامل المباهاة والاعتزاز في الشطر الثاني لذلك المؤتمر، أن روح فاس أصبحت منعطفا تاريخيا بالغ الأهمية يفرض نفسه على جميع المستويات والأصعدة، بحيث أصبحت القضية الفلسطينية تجد تعاطفا حتى مع خصومها الألداء بالأمس، فالأرضية المشتركة للتضامن العربي، صارت أكثر موضوعية وصلابة، والتخطيط السياسي تراه أكثر تكاملا في مواجهة التحديات، لأن (روح الرباط) و (روح الجماعة) كلتاهما تبلوران في قمة فاس والاستراتيجية العربية المشتركة، عملت على إنهاء الصراعات الهامشية المستنزفة لقدرات

الأمة وطاقاتها، فصارت الخلافات تنمحي وتتقلص، للعمل على خلق وتدعيم جبهة عربية موحدة. ثم إن الاستقبال الرائع لضيوف مولانا أمير المؤمنين، رؤساء وملوك الدول العربية، أعطى صورة مشرقة لانبعاث التضامن العربي والإسلامي، من أجل السعي الجاد لاسترجاع الكرامة.

وكان تكريم الرؤساء العرب للزعيم ياسر عرفات، هو في الحقيقة تكريم لمنظمة التحرير الفلسطينية، وتضامن فعلي معها، وشهادة عالمية على الوفاء بالعهد، والعمل بجد وإخلاص من أجل تحرير فلسطين، وإنقاذ القدس، وتطهير المسجد الأقصى من رجس الصهيونية. فالأمة العربية والإسلامية جمعاء تدعو بالألفة، والوحدة والتضامن والصمود، والنصر المبين على الأعداء، والتركيز على الصراحة، والجدية، والنضج، والصدق، والأمانة، والوضوح، والحكمة، والحذر كل الحذر، واليقظة التامة في التعامل مع الأحداث وخلفياتها، من أجل اجتياز الظروف العربية والإسلامية الراهنة!

مسؤولية ناجحة، في مستوى رفيع:

يشهد العالم العربي بكل تأكيد فجرا جديدا في تاريخه، مع إنشاء لجنة مسؤولة، توجهت إلى واشنطن ثم إلى نيويورك... فاللجنة السباعية المنبثقة عن مؤتمر القمة العربي الأخير المنعقد بمدينة فاس، والتي يرأسها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أيده الله، بصفته رئيس المؤتمر، ورئيس لجنة القدس، تعتبر مؤشرا قويا للنجاح الباهر، والنصر المؤزر المحقق، وخطوة مباركة في حل أزمة الشرق الأوسط.

إن جلالة الملك، مولانا أمير المؤمنين الحسن الثاني - أعانه الله وسدد خطاه - قد فاز فوزا عظيما في المسيرة الخضراء المظفرة، فوحد التراب الوطني ورص صفوف الأمة قاطبة، من طنجة إلى الكويرة. فنال بذلك بيعة الإجماع عن جدارة وأهلية واستحقاق. وهو الذي تحمل أمانة الأمة العربية والإسلامية، فأداها خير أداء، بما له من عمق الرؤية، وبعد النظر، وصفاء القريحة، ونبل الضمير، وشفوف الفراسة الصادقة، وحسن التقدير والتدبير، مما جعل أقطاب العالم يشيدون بمساعي عرشنا المجيد، من أجل إحقاق الحق واستتباب السلام والاستقرار، والأمن والاطمئنان.

إن الحالة في الشرق الأوسط ستظل متأزمة، منذرة بالانفجار حينا بعد حين، لأن الأطماع التوسعية للعدو الصهيوني البغيض لا تقف عند حد.. فما علينا إلا أن نتذكر مذابح دير ياسين، وكفر قاسم، وصبرا وشاتيلا، وسوى ذلك من المجازر الفظيعة البشعة الرهيبة.. وما علينا إلا أن نرى المستوطنات اليهودية في قلب الوطن العربي.. وضم الجولان.. والإصرار على ابتلاع قطاع غزة والضفة الغربية، وسوى ذلك من المخططات الاستعمارية الجهنمية التي لا تكاد تخطر على البال... لقد أوردت مجلة (آخر ساعة) بالحرف الواحد، في عددها رقم 2514 بتاريخ 14 ربيع الأول عام 1403 هـ الموافق 29 ديسمبر 1982 - الصفحة 17، ما يلي: «.. وكان عام 1982 هو أيضا عام أبشع غزو عسكري ضد دولة عربية.. فقد كان الغزو الإسرائيلي للبنان حرب إبادة وقتل وتدمير شاملة ضد الشعبين الفلسطيني واللبناني.. سقط خلالها ألوف الضحايا من الأطفال والنساء والرجال والشيوخ.. وحوصرت عاصمة عربية طوال شهرين.. حرمت خلالهما من المياه والطعام والكهرباء والأدوية والوقود.. بينما انهالت عليها أطنان من القنابل بصورة لم تحدث خلال حصار برلين في الحرب العالمية الثانية.. كانت أطول حرب في تاريخ المنطقة (78 يوما)».

... ولكن الحل الحقيقي لهذا المشكل العويص المعضل، هو النظر بعمق وجدية وموضوعية للقضية الأساسية المتعلقة بالحقوق الجوهرية للشعب الفلسطيني، في تقرير مصيره، وإنشاء دولة مستقلة على أرضه، واستعادة ترابه الذي تحتله شرذمة الغدر، ونفاية الشعوب، وعصبة الصهاينة، وبالأخص مدينة القدس الشريفة، حيث المسجد الأقصى، أولى القبلتين، وثالث الحرمين، ومسجد الصخرة، ومسجد سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام... وما زلنا نذكر جميعا الحريق المروع. ثم المذبحة الرهيبة التي وقعت في رحاب المسجد الأقصى حيث سقط عشرات المصلين المؤمنين، تحت رصاص الغدر والحقد والإرهاب!

ولقد كانت تصريحات جلالة الملك الحسن الثاني للمسؤولين الأمريكيين، تظهر بجلاء مهمة اللجنة السباعية التي قطعت شوطا مهما للغاية، في طريق البحث عن حل شامل للنزاع العربي الإسرائيلي. كما أبرزت تلك المهمة اقتناع الأوساط الأمريكية ذات النفوذ الأوسع على أحداث العالم قاطبة، في استعدادها لتحقيق العدالة، لا بالمساندة المطلقة لإسرائيل، وجعلها القوة رقم واحد في الناحية، ولكن بتصحيح حساباتها، وصحوة ضميرها في مرحلة ما بعد بيروت، وبالبحث عن حل جذري للمشكل، وذلك بإرجاع الحق السليب إلى الشعب الفلسطيني، والسماح له بممارسة سيادته الفعلية، كشعب يملك وطنه الحر الموحد المستقل.

وفي الخطاب السامي الذي ألقاه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني - نصره الله - أمام الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة، أبرز حفظه الله على الخصوص، وجهة نظر اللجنة السباعية، ورأي العالم العربي كله، في قضية السلام بالشرق الأوسط، والوسائل الناجعة الكفيلة بذلك.

وحينما أحاط جلالته المنتظم الدولي بالنتائج الإيجابية للشطر الثاني لمؤتمر القمة العربي الثاني عشر الذي انعقد في أوائل شهر شتنبر 1982، بفاس العاصمة العلمية للمملكة المغربية، ذكر في نفس الوقت بتوصيات ذلك المؤتمر، وعلى رأسها الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية، كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني.. ومما تجدر الإشارة إليه، ما لقيه الخطاب السامي، فوق ذلك المنبر الدولي، وكذا الندوة الصحافية البالغة الأهمية لجنابه الشريف، من حفاوة وترحيب، وتكريم وتأييد...

وفي الإجماع الأممي على ذلك التقدير الباهر، ما يعتبر بحق مساندة لمبدإ إنشاء اللجنة السباعية، على أعلى مستوى، فذلك ينطوي في حد ذاته على تفسير مسموع ومقبول وواضح لمشكل الشرق الأوسط، وإيقاظ الضمير العالمي، حتى يتيسر البحث عن حل عادل وشامل لقضية الشرق الأوسط عموما، والقضية الفلسطينية بوجه أخص. وقد اختارت الأمة العربية في سلوك هذا المنهاج المشاركة المباشرة للمجتمع الدولي، في الجهود الرامية إلى إيجاد حل للنزاع، والإعلان عن الإرادة الصادقة، من أجل تحاشي كل أسباب الحرب والخراب والتدمير في المنطقة، وفي العالم كله.

لقد استمعنا في خطاب جلالة الملك الحسن الثاني أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، يوم الثلاثاء 8 محرم 1403 هـ الموافق 26 أكتوبر 1982، إلى الصوت المعبر عن جميع مشاعر العرب، حيث قال - حفظه الله - : «جئنا لكم لتكونوا رسل إرادتنا في السلم، إذ المخطط العربي ليس وليد حرب ولا ضغوط».

فالنداء إلى السلام والتعايش والأمن وحقن الدماء، لم يكن نابعا من ضعف ولا من حرب، ولا من الكرامة والسيادة لذويها «فالثورة الفلسطينية لها من المشروعية فلسفيا وبشريا، ومن الشعبية الواسعة، ما يجعلها المسؤول الوحيد القادر على الالتزام».

والعرب صرحوا بكيفية علنية ومكتوبة على الأوراق منذ 1981، أنهم قادرون على أن يبتكروا، وأن يأتوا بالشيء الجديد لحل أزمة الشرق العربي.. وإرادتنا هي أن نشارك في بناء المجتمع العالمي، على أساس المساواة وضمان الحقوق للجميع، ونحن أحرار من كل احتلال وغلبة.. والدول العربية تعمل بموضوعية وجدية، وفق ما يمليه تاريخها الحافل بالملاحم والبطولات، مستلهمة طريقها من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

التسامح والتساكن... والتزكية الدولية :

وفي هذا السياق نذكر بكامل المباهاة والاعتزاز، انعقاد أشغال الدورة الأولى لمجلس وزراء الداخلية العرب بالدار البيضاء من 13 إلى 15 دجنبر 1982.

فمن الكلمة السامية التي ألقاها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني - أيده الله - أثناء استقباله لوزراء الداخلية العرب، بالقصر الملكي بمراكش، قوله :

«.. المغرب سعيد باحتضان مؤتمركم، وفخور بالإجماع الذي توفقتم إليه وبالنتائج التي أحرزتموها.

- إذا لم يعتز الرجل أو المرأة بوطنيته ومواطنيه، فلن يكون حريصا ليقي بلده وتاريخه ومستقبله من الشغب والفوضى.

- علينا أن نغلب في الحكم والتحكم، العقل والإقناع، لا بالعضلات، ولكن بالأنظمة السليمة، بالتسامح في حدود القانون.

- نفتقر في بعض الأحيان إلى عنصر مهم من عناصر الحضارة، ألا وهو التساكن والتسامح.

- علينا أن نعلم التاريخ لأبنائنا وبناتنا، حتى يعلموا أنهم ينتسبون إلى بيت شريف عريق.

ومن كلمة صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز، بين يدي جلالة الملك الحسن الثاني - أعزه الله - باسم الوفود العربية :

- حققتم يا صاحب الجلالة ما تتطلع إليه أمتكم العربية، من جمع الكلمة، وتوحيد للموقف.

ومن برقية إلى جلالة الملك الحسن الثاني - سدد الله خطاه - رفعها السيد إدريس البصري وزير الداخلية، باسم وزراء الداخلية العرب :

- لم تكن قمة فاس، إلا مأثرة تضيء بنورها الجهد العربي المشترك، وترسم أبعاد المستقبل، وتبسط آفاق التطلعات.

وإذا كان من قرارات الدورة الأولى لمجلس وزراء الداخلية العرب، إنشاء هيئة عربية للدفاع المدني، واعتماد اتفاق الدار البيضاء، كنموذج لاتفاقيات التعاون الثنائية والمتعددة، ومعاملة الفلسطينيين في الدول العربية، كمواطنين للدول التي يحملون وثائق سفرها، فإن صاحب الجلالة لم ينس أن يبرز في الخطاب الذي ألقاه أمام وزراء الداخلية العرب، ارتياح المواطن الذي لا يمكن أن يتأتى إلا إذا وقع التوازن بين ما تعطيه الدولة وبين ما تطالب به، وأنه من عناصر الأمن الوقائي توازن المجتمع واعتزاز الفرد بانتمائه إليه. فإذا زدنا على بلداننا مشاكل عدم حسن الجوار، فسنسير في طريق انتحارية، لن ينتفع منها إلا عدونا. فمشكل الجار مع الجار، هو من عناصر عدم الاستقرار والاطمئنان.

فهذا الصيت الحسن، مستوحى من روح رسول الله محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومن تربية محمد الخامس رضي الله عنه، ومن أمجاد الأطلس الذي يفتخر الإسلام ببطولاته عبر التاريخ. فقد أبانت قمة فاس عن الجدية، وانتقاد الذات، إذ قيض الله لهذه الأمة من يأخذ بيدها، نحو طريق الصحوة والخلاص، بحكمة ورجاحة عقل، فأنصتت الشعوب كلها بضمائرها إلى القول الفصل، من موحد الصفوف، والواثق بعهد الله ! فجند الله لن يضاموا أبدا. وصولة الإجماع لن يحظى بها إلا من هو لها أهل !

ويكفينا أن الصحافة السويسرية، قد اختارت جلالة الملك الحسن الثاني - حفظه الله - رجل سنة 1982 في العالم الإفريقي والدولي، وأشادت بموقفه الشجاع الذي تمكن به بوصفه رئيس مؤتمر قمة فاس، من جعل أشقائه يصادقون على موقف موحد من أجل إقامة سلام عادل ودائم في منطقة الشرق العربي.

كما أشاد الرئيس التونسي فخامة المجاهد الأكبر، الحبيب بورقيبة، بمقررات المؤتمر العربي الثاني عشر للقمة، الذي عقد بفاس، والذي كان حدثا تاريخيا ذا أهمية كبرى، لأنه أعاد بناء وحدة الصف العربي على أسس أجمعت عليها الدول المشاركة في المؤتمر وحظيت بمساندة واسعة في العالم، الشيء الذي لم يتحقق منذ قيام الصراع العربي الصهيوني، إذ كانت الفجوة دائما قائمة بين الموقف العربي، ومواقف سائر دول العالم..
وإن أهمية مخطط السلام الذي أسفر عنه مؤتمر فاس، تكمن في أخذه بالمبادئ المستوحاة من الشرعية الدولية من جهة، وبضبطه لمعالم المنهج العلمي الكفيل بتنفيذه هذه المبادئ من جهة أخرى.

معنى ذلك أن المغرب الحر يسمو بإجماعه، وينتصر بانتهاج الحق، ويحرس نفسه من كل سوء، بصدق إيمانه، والاتعاظ بماضيه، والاهتمام بحاضره، والعمل الدؤوب لتحسين آفاق مستقبله. فهو يستمد معنوياته العالية من أصالته، ويحكم العقل، ويعمل بالتسامح عن ثقة تامة بالنفس، واقتناع بضرورة السلام، وتشبعا منه بروح الحضارة

الحقة، فهو لا ينسى طبيعته وأمجاده، وصبره واقتداره، وهو يعيد تاريخه بصورة أشد نصاعة وإشراقا. وهو يجتنب الأوهام والمتاهات والتفاهات، يعمل ويبتكر، حسبما تمليه عليه حوافز العزة والكرامة. وبانتسابه إلى العروبة والإسلام قوة وفعلا. نراه دائم الصحوة، يأتمر بأمر الله، ويستمر في مسيرات الخير والنماء، ويجعل دائما يده في يد عرشه المجيد الذي انطبعت به روح المعالي والمفاخر.

كما علينا أن لا ننسى أبدا الإشادة الدولية، بجهود رئيس لجنة القدس مولانا أمير المؤمنين، صاحب الجلالة الحسن الثاني - أيده الله ونصره - والتنويه بالدور الفعال الذي يقوم به في سبيل إقرار السلام في الشرق الأوسط، وإيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية. فلقد علق العالم أجمع أهمية قصوى على الخطاب الذي ألقاه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني - سدد الله خطاه - يوم 26 أكتوبر 1982، أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، بمناسبة الزيارة التي قامت بها إلى نيويورك، اللجنة السباعية المنبثقة عن الشطر الثاني للقمة العربية الثانية عشرة المنعقدة بفاس، ذلك الخطاب الذي اتسم بالوضوح والإيجابية، والأفكار الناضجة التي عرضها جلالته من أجل الإسراع بحل المشاكل المطروحة، بتعاون مع الأسرة الدولية، وبضمانة منها. وفي ذلك تزكية لإقرار السلام العادل والدائم. والله الهادي لأقوم سبيل. وما النصر إلا من عند الله !

اليوم الوطني لإنقاذ مدينة فاس :

مما يلفت النظر بصفة خاصة، في الرسالة السامية، التي وجهها جلالة الملك الحسن الثاني - حفظه الله - في اليوم الوطني لإنقاذ مدينة فاس، أن الإسهام في إعادة دور الحضارة لمدينة فاس، يعتبر بعثا جديدا لأمجاد وطننا الخالدة، واستمرارا لمسيرة الحضارة الإسلامية في هذا البلد الغيور، وأنه مما يبعث على السرور، كون العالم بأسره قرر أن يشارك في مجهودنا لإنقاذ مدينة فاس، لاعتبارها من تراث الحضارة الإنسانية.

وكل الربح الحسي والمعنوي، يزخر به إبراز الدور الحضاري والروحي المشرق الذي قامت به فاس، في التاريخ المغربي والعربي والإسلامي، فقد كانت فاس تحفل بالمدارس الفكرية، ومعاهد العلم والعرفان، التي كانت قبلة العلماء والحكماء، ومثابة الأعلام الفطاحل الأفذاذ في مختلف الفنون والعلوم والآداب. فبالإضافة إلى ازدهارها العمراني المتألق، كانت فاس المشعل الوهاج الذي أضاء منهج الرقي والتطور الإيجابي، بالنسبة لمختلف الأجيال العربية والإسلامية، والإنسانية قاطبة... ولا سيما في القارتين الإفريقية والأوروبية. وبذلك كانت فاس عن أحقية وجدارة، خلال أحقاب تاريخية مديدة، مركز إشعاع ثقافي رفيع، وكوثرا فياضا لأجود أصناف العلوم والفنون، وذات مكانة حضارية سامية في التاريخ البشري، الشيء الذي دفع بمنظمة اليونيسكو العالمية، إلى إصدار نداء ملح، لضرورة إنقاذ مآثر فاس من الشيخوخة والانحلال، والعمل على امتداد واتساع عمرانها وازدهارها اجتماعيا وصناعيا وديمغرافيا، مما يبرر التقدير الكبير الذي يوليه العالم إياها، وذلك بالسهر الدؤوب على سريان أنماط الحياة فيها وبالرغبة القوية على جعلها تستمر بدون انقطاع في أداء رسالتها إسلاميا وإفريقيا وعالميا، كمركز للإشعاع، وحاضرة من أكبر حواضر العالم العربي الإسلامي، ومصدرا من مصادر الأصالة والإيحاء العلمي، وقاعدة من قواعد الاستمرار والامتداد لجميع مسارات التاريخ العربي والإسلامي العريق. وذلك تحقيقا لدعاء المولى إدريس الذي قال : «اللهم اجعلها دار علم وفقه، يتلى فيها كتابك، وتقام بها حدودك، واجعل أهلها متمسكين بالسنة والحماية ما أبقيتهم»

إننا نتذكر جميعا، تلكم الكلمة الجامعة المانعة التي قالتها صاحبة السمو الملكي الأميرة الجليلة للا عائشة - صانها الله - (فاس.. والكل في فاس !!!) ولا بدع في ذلك، ما دام المنطق التاريخي يبدو أثره ملموسا ومحسوسا، في كون التشديد الدائم على قيمة التراث الحضاري الأصيل، وعلى دوره البارز في تحديد الاختيارات والتوجهات الآنية والمستقبلية للفرد والجماعة، يغمر المراس اليومي المعاش بالقيم الأخلاقية، والمبادئ الحضارية، التي بدونها لا يتحقق التطور الإنساني، والتقدم الاجتماعي، على وتيرة خالصة من

الأخلاط، وسليمة من التراكمات والشوائب والمعوقات الدخيلة.

ومما يثبت ذلك مرة أخرى، التوجيهات الحسنية السامية التي أوضحت أن فاس صارت كعبة طلاب العلم من مشارق الأرض ومغاربها، ومركز الإشعاع الثقافي والفكري، ومنبع الفن والإبداع، طيلة حقب ممتدة من التاريخ الذي احتفظت فيه فاس على وجه الخصوص ببصمات قوية وبارزة، لم تزل أسطع برهان، وأزكى شهادة على المكانة الحضارية الرفيعة التي تتصدرها هذه الحاضرة في سجل التاريخ.

خاتمة :

وبعد فما ذا عساني أن أقول في محيط لا ساحل له ؟ إذ ان هذا الذي أوردته لكم، برض من عد، وقليل جدا جدا، من كثير جدا جدا، ولقد تذكرت أن الهدية على قدر مهديها، فوددت لو جمعت الشموس والأقمار، وأسنى الجواهر واللآلئ، وأزكى ما في الزهور من شذى، وأحلى ما في الأوتار من أنغام وألحان، وأروع ما عند الشعراء السابقين، والأدباء اللاحقين، من مشاعر وعواطف، لأصوغها بيعة وولاء ! فحضرني هذان البيتان في تمجيد البلاد ،

قال الملائك ، من هذا ؟ فقيل لهم ،

هذا هو المجد، هذا عين ناظره !

سألتنيه ثناء، خذه من كبدي !

لا يحسن العشق إلا في مصادره !

فالعز والتأييد والتمكين، والنصر والفتح المبين، لذلك القائد الرائد الذي يجاهد حق الجهاد، في سبيل الله والعروبة والإسلام، والوحدة الترابية، ومن أجل الأمن والنماء والازدهار، والاستقرار والاستمرار !

حفظ الله مولانا أمير المؤمنين، وأقر عينه بسمو ولي العهد المحبوب، الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه المولى الرشيد، وكافة أفراد البيت العلوي المجيد. إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

الرباط ـ محمد بن محمد العلمي

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

• لنا اليقين بأن اجتماع كلمة الأمة والتئام شملها وارتصاص صفوفها فيما يتصل بصحرائنا المستعادة كل هذا سيبقى على تعاقب الأزمان من أقوى عوامل صيانتها وتألق طلعتها وازدهار أكنافها •



العرش المغربي محمد الخامس الحسن الثاني

للأستاذ محمد العربي الزكاري

مقدمة :

لكل أمة خصائصها المميزة، ولكل شعب معالمه التي يعرف بها. وشعب المغرب يتوفر على الكثير من الخصائص والعديد من المعالم التي يمتاز بها بشهادة التاريخ النزيه الذي لا يتطرق إليه الشك والتزوير، وفي طليعة مفاخر أمتنا اختيارها النظام الملكي لقيادتها، والإشراف على شؤونها، وحماية ثغور البلاد، والذود عن الحمى، إيمانا منها بانسجامه التام مع تطلعاتها إلى الحياة المثلى التي ينشدها المجتمع الواعي في ظل الاطمئنان والاستقرار.

واختيار أمتنا لهذا النوع من الحكم جنبها الكثير من الهزات، وضمن لها البقاء بعيدة عن أطماع المغامرين الذين يغتنمون بعض الفرص للسيطرة على البلاد والتحكم في رقاب العباد. ولا ندعي أن وطننا عاش حياته كلها بعيدا عن الأطماع والدسائس، وأن ثغورنا ظلت في منجاة من السطو والاختلاس، وأن شعبنا لم يتعرض للغارات والافتراس، فقد أصابته النكبات، وعايش النكسات، شأنه في ذلك شأن العديد من المجتمعات. إلا أنه استطاع بفضل قيادته الرشيدة التغلب عليها والخروج منها ظافرا منتصرا، ليواصل المسيرة من جديد...

وما كان في استطاعته أن يتغلب على الصعاب، ويقهر الأعداء، ويرى جماجم المغامرين، لولا تلك القيادة الحكيمة التي عرفت كيف تخطط سبل نجاته، وكيف تواجه الأحداث بالحكمة حينا، وبالصرامة إن كان هناك ما يستوجب قهرها بالقوة الضاربة. وأصدق برهان على ذلك معركة وادي المخازن الشهيرة التي لقنا فيها المغيرين درسا في البطولة والفداء لحماية العرين.

العرش المغربي :

وتبعا لسنة التطور تشاء الأقدار الإلهية أن تتعاقب على عرشنا عدة عائلات، تختلف في الأشخاص وتتباين في الأسماء، ولكنها تتحد في الأهداف والغايات، وجميعها من أمة واحدة هي صميم السلالة المغربية التي امتزج دمها بالدماء العربية الطاهرة، ولذلك نراها كلها لم تدخر وسعا في الحفاظ على الكيان الوطني، ولم تتساهل في الدفاع عن وحدة ترابه، وحماية ثغوره، وتطهير شواطئه، والذود عن عقيدته.

وإن واكبنا مراحل تاريخ عرشنا الخالد نجد أمامنا صحائف بيضاء، لا تخلو في بعض الفترات، من نقط سوداء، وضعتها أنامل الخصوم والأعداء، سرعان ما يقتلعها ملوكنا

رحمهم الله بتدبيرهم المحكم، وإخلاصهم التام، حرصا منهم على أن يظل سجل هذا الوطن محتفظا بصفائه ونقائه.

والسر في هذا التوفيق الإلهي يعود أولا وأخيرا إلى إخلاص عائلاتنا الملكية، واقتناع الشعب بصلاحية هذا النوع من النظام، فقد كان من المستحيل على بلد يتوفر على طاقات بشرية هائلة، وموارد طبيعية ممتازة، ومراكز استراتيجية حساسة، أن يظل بعيدا عن الأطماع، ولا يتعرض لدسائس المتطلعين إلى استغلال الشعوب واستعبادها، فقد اصابه في بعض فترات الضعف ما أصاب غيره من النكسات، ولكن عرشنا ولله الحمد كان بالمرصاد لكل المؤامرات، ولم يدخر وسعا في الحفاظ على الوحدة المغربية الكاملة، ولم يحجم في يوم من الأيام عن خوض ملحمة فرضتها الظروف العابرة، أو اقتحام معركة نسجت خيوطها الأيادي الأثيمة.

ونذهب أبعد من هذا لنعيد إلى الذاكرة أن عرشنا كان - في العديد من الظروف - الدرع الواعية لغيره من الشعوب المعرضة للأخطار والدول المغلوبة على أمرها، ويكفينا في هذا المجال أن الأندلس لم تحافظ على إسلامها فترة طويلة من الزمن إلا بفضل تدخل ملوكنا ومواقفهم البطولية في الدفاع عنها ضد غارات الأعداء.

فهذه الملاحم البطولية التي يحتفظ بها التاريخ النزيه في سجلاته، ما هي إلا صحائف ذهبية كتبها ملوكنا لتظل هالة إكبار وإعجاب بهذا الوطن الذي أنجب أولئك الأبطال رضوان الله عليهم، وتؤكد بعد ذلك أن النظام الملكي الذي اختاره الشعب المغربي ووضع فيه ثقته الكاملة، نظام صالح ويستحق التكريم والتبجيل.

ويأتي دور العائلة العلوية الشريفة ليتربع ملوكها عرش المغرب، فتواصل نفس المسيرة، وتواكب الأحداث الجسام التي تضخمت بتطلع الغرب إلى التدخل في شؤون غيره تمهيدا للسيطرة المطلقة، وتوطئة لبسط نفوذه السياسي واحتلاله العسكري للقارة الإفريقية برمتها.

وأمام هذه الموجة الاستعمارية العاتية كان على عرشنا أن يجابه هذه التحديات بالحكمة تارة وبالصرامة إذا ما دعت الضرورة، ولولا الحكمة والصرامة في وقتهما المناسب لما تأخر بسط الحماية الأجنبية على المغرب بعدما سقطت القلاع الافريقية الواحدة تلو الأخرى، فحصافة رأي ملوكنا العلويين، وتدبيرهم المحكم، وسياستهم المثالية، ويقظتهم المتناهية، وشجاعتهم النادرة، حالت دون سقوط المغرب قبل عام 1912 م بعشرات السنين.

والطريف في هذا الباب أن عرشنا رغم فرض الحماية الأجنبية على المغرب في ظروف حرجة، استطاع بلباقته ودهائه أن يحدد هذه السيطرة الدخيلة في شكل حماية تنص صراحة على المحافظة على عرشه العلوي وصيانة كيانه الدولي وترابه الوطني، وهو مكسب لم يتبرع به الاستعمار علينا، وإنما كان نتيجة دهاء مغربي وغفلة استعمارية، بدليل أن المستعمرين تنكروا فيما بعد لصك الحماية نفسه، وتطاولوا ما وسعهم التطاول على هذه الحقوق الأساسية، فحاولوا بكل الوسائل محو شخصيتنا الدولية، والانتقاص من وحدتنا الترابية.

محمد الخامس :

ويعتلي جلالة محمد الخامس عرش أجداده الكرام، فيتفرس في الأوضاع على مختلف مستوياتها في هدوء وسكينة وروية، ظنها الأغيار غفلة واستسلاما، وما كانت في حقيقتها وواقعها - كما تؤكد المواقف المستقبلية - إلا الهدوء الذي يسبق عادة، هدير العاصفة المدمرة...

فلقد كان محمد الخامس من الأفذاذ الذين قدروا الوضع الحرج كل التقدير، وحسبوا أبعاد المعركة المصيرية حساباتها الدقيقة، فخططوا لمواجهتها التخطيط الكامل، وحددوا التوقيت اللازم، وأعدوا ما يكفل لها النجاح الباهر، وبحكمته وهدوء أعصابه ولباقته السياسية ودبلوماسيته المرنة، حاول إفهام المستعمرين ضرورة ترضية مطامح شعبه الذي شب على الطوق، وتمكينه من المشاركة العملية في تسيير دفة الإدارة في البلاد تدريجيا، فتغافل الاستعمار عن هذه النصيحة وتمادى في غطرسته وجبروته وطغيانه، ولم يضع في حسابه أن محمدا الخامس أعد لكل مرحلة أسلوبها، وهيأ لكل مجابهة استراتيجيتها، إذ كان يعمل بتعاون وثيق وتنسيق محكم مع قادة الوطنية بفضح أهداف

الاستعمار ومواقفه العدوانية على الساحة الدولية بوجه عام، وبين الأشقاء العرب والمسلمين بصفة خاصة، وعلى توعية الشعب في الداخل وإعداده للمعركة الفاصلة والحاسمة التي تدل كل القرائن على أن لا مفر منها في نهاية المطاف. وقد أدت الوطنية المغربية دورها على جميع المستويات، الأمر الذي ظهر جليا في وقوف الكثير من الدول الأجنبية والعديد من الشعوب بجانب المغرب في هيئة الأمم المتحدة وغيرها من المؤسسات الشعبية، وبرز أكثر وضوحا في اندفاع الشعب المغربي بنسائه ورجاله للاستشهاد والفداء.

وقائمة مواقف هذا الملك العصامي البطولية طويلة جدا وتحتاج لاستقطابها إلى دراسة مستفيضة باعتبارها نقطة تحول مهمة قلبت الأوضاع الاستعمارية رأسا على عقب، وأحدثت في صفوفه خللا وحيرة وارتباكا. فبعدما استنفد جلالته كل الوسائل السلمية لإقناع المسئولين على المستوى الأعلى بإعادة النظر في تعنت الإدارة الفرنسية وغطرستها، لم يجد بدا من الوقوف بصلابة المؤمن بربه وشجاعة المطالب بحق شعبه في وجه مخططات الاستعمار وجها لوجه، فأعلنها صرخة مدوية بوجوب تغيير نظام الحماية الرث وصكها العفن.

وهنا احتدم الصدام بين الحق والباطل واشتد الصراع بين الخير والشر. فأبلى جلالته البلاء الحسن في الدفاع عن حقوق شعبه، ووقف خصما عنيدا في وجه غلاة المستعمرين، إيمانا منه بأن هذا الموقف سيعجل بنهاية مأساة شعبه، ويحث السير بالاستعمار إلى هاويته، وإحساسا بأن الاستعمار لا بد وأن يرتكب حماقة يجابه بها هذا الموقف الملكي المتصلب، وصدقت فراسته كل الصدق، حيث أقدم الاستعمار على نفي جلالته كإجراء عملي لابتلاع المغرب نهائيا، والمؤمن ينظر بنور الله !

وبين عشية وضحاها اندلعت الثورة المغربية العارمة، وتفجرت الغضبة الوطنية الشاملة، وارتفعت الأصوات في أطراف الدنيا منددة بهذه الهستيرية الاستعمارية، وعاد محمد الخامس على اثرها إلى عرشه مرفوع الرأس مكلل الجبين بالنصير المبين والفوز العظيم المتمثل في حرية البلاد واستقلالها التام، وهذا هو المكسب الغالي الذي كرس رحمه الله جهوده من أجله كملك عاهد الله على الوفاء لوطنه وبايعه شعبه على الوقوف بجانبه، وتشاء حكمة الله أن يلتحق بالرفيق الأعلى بعد أن أدى الرسالة بأمانة ووفاء وجاهد في سبيل الله بإخلاص وإباء.

الحسن الثاني :

هذه الأحداث والملاحم والمواقف عايشها وتحمل أوصابها ولي عهده ووارث سره جلالة الحسن الثاني الذي اعتلى العرش والمغرب لا يزال في فجر استقلاله.. وكما وجد محمد الخامس وطنه مقيدا بأغلال الحماية ألفى خلفه أمامه مشاكل عويصة تتطلب جهدا متواصلا وحكمة متناهية وإرادة فولاذية.

ومن حسن حظ أمتنا أن هذه العناصر تتوفر في العاهل الشاب، فانطلق بقواه الفكرية وعبقريته الفذة إلى الميدان لترميم ما تصدع في عهد الحماية، وبناء ما تحطم إبان الاستعمار من هياكل اقتصادية وثقافية واجتماعية وعمرانية تتناسب وتطلعات المغرب الجديد. وهي مسئوليات ضخمة لا يقوى على حملها - كما أسلفنا - إلا من وهبه الله قدرة فائقة على الاحتمال والصبر والمثابرة والابتكار، وانطلق العمل باسم الله في البناء والتعمير والتشييد والتنظيم الهادف إلى تطوير المغرب والمغاربة تطويرا يواكب التقدم البشري، مع الاحتفاظ لبلدنا بالأصالة المغربية ولشعبنا بالطابع الإسلامي.

ومن البديهيات أن انعتاق شعب ظل تحت حكم الأغيار ما يقرب من نصف قرن، يبتلعون خيراته، ويبتزون أرزاقه، ويمتصون اقتصادياته، ويخططون لتجهيل أجياله، وينتحلون الأسباب والمبررات لاقتطاع أجزاء من ترابه، يحتاج حتما إلى إعادة النظر في تلك الهياكل الهشة لإقامتها على صروح متينة يتطلبها عهد الانعتاق، وبناء شامخ كهذا يستلزم بدوره وقفة تأمل عميقة وشاملة لاتخاذ القرارات الكفيلة بنجاحه. أضف إلى ذلك أن المغرب يحتاج إلى اتخاذ موقف جريء وفي منتهى الحزم بالنسبة لوضعه الجغرافي الذي اختلس منه الاستعمار أجزاء مهمة

إبان كبوة من كبوات الزمن وغفلة من غفلات الشعوب، ولكن خريج المدرسة الوطنية النابغة وتلميذ محمد الخامس العظيم خاض كل هذه الغمرات بشجاعته النادرة، وعبقريته الممتازة، وأسلوبه الذي حير الأفكار.

وفي خضم المنجزات العمرانية في الداخل اضطلع بعبء الدفاع عن الحق العربي عسكريا وديبلوماسيا، والمساهمة الفعلية في بناء الهيكل الإفريقي ورفع مناره عاليا، وحماية العرين الإسلامي ماديا وروحيا، وهكذا تعددت الواجبات، وتضخمت المسئوليات، واتسعت دائرة العمل الجبار بشكل ملفت للأنظار، فكان التوفيق حليفه في هذه التحركات، وعلى قدر العزائم تأتي العزائم.

وأمام هذه الإنجازات العملاقة، والمواقف المشرفة، والملاحم الرائعة، تملكت الدهشة أعداء الشعوب الناهضة ممن يحلمون بعودة سيطرتهم عليها، فراحوا يكيدون للمغرب في الخفاء، ويعملون بكل الوسائل لعرقلة هذه المسيرات الظافرة، ولم يتورعوا عن التحالف مع من سيطر على قلوبهم الحسد وخدعهم سراب التوسع، أملا في شغل المغرب عن تحقيق أولوياته، وتطلعا إلى تمزيق وحدته.

وبتخطيط متقن، وتدبير مبرمج، وإعداد دقيق، وشجاعة مدهشة، كان عاهلنا لكل المؤمرات بالمرصاد، قانونيا وسياسيا وعسكريا، وفي نهاية المطاف أعلنها مسيرة سلمية لاسترجاع صحرائنا، ووقفها وقفة مضرية في وجه مناوشات الخصوم على الحدود، وكتبها بقلمه السيال حقيقة مغربية صميمة في «التحدي» وفي المثل، «اعط غريمك تمرة، فإن أبى فجمرة»

وليس في قاموس السياسة من تفسير لمواقفه البطولية إلا «التحدي» بمعناه الشامل والكامل، فواقع تلك الملاحم ومعناها ومرماها أن المغرب يسير في بناء مستقبله على دعائم فولاذية، ويشيد نهضته على صروح حديدية، تتبعثر على جوانبها أمواج الطامعين، وتتحطم على جدرانها أحلام الحاسدين.

وما دمنا قد وصلنا إلى ذروة الفخر والاعتزاز، وأعطينا صورة مصغرة فقط عن الأحداث الكبرى التي سجلها تاريخنا القديم منه والحديث، فلا مناص من التأكيد على أن انتصارات المغرب كانت من صنع عرشنا العتيد وملوكنا الميامين الذين حققوا للوطن أمانيه بفضل الله وعنايته ومدده أولا، وإخلاصهم وتضحياتهم وتفانيهم في خدمة الأمة ثانيا، ووفاء وولاء شعبنا ثالثا.

وليس بغريب ولا عجيب أن تجتمع هذه المزايا لتكون القوة الدافعة لمواصلة مسيراتنا العمرانية العملاقة، والحملة المظفرة الضامنة لحماية وحدتنا وصيانة كرامتنا في ظل عرشنا الخالد وعاهلنا المفدى، حفظه الله وسدد خطاه وأمده بتوفيقه «إن ربي لسميع الدعاء».





للشاعر الأستاذ أحمد عبد السلام البقالي

يـا مَغرباً، يـا هَديّة — لِلأُمّة العَربيّة
فـي لَيْـل مِحنتِها أنـت نجمة دُرّيّة
وأنـت بـرّ أمـانٍ — أوتْ إليـه القضيّة
مِـن بَعْـدِ ما نَهشَتْها — فِـي الشّرقِ نـابُ المَنِيّة
يـا مغـربَ الشّمـسِ أصبحـتَ مَشْـرِقَ العَبْقَرِيّة

عليـك ألـفُ سـلامٍ
منّـي وألـفُ تحيّة

ه ه ه

يـا مغـربَ الأبطـالِ — يـا معدِنـاً للرّجـالِ
كـم جبهـةٍ للقتـالِ — ومسـرحٍ للنّضـالِ
فتحـتَ غيـر مُبـالِ — بالصّعـبِ أو بالمُحـالِ
أعلنـتَ حربـاً علـى الطـّا — مِعيـن والجهّـالِ
علـى التخلّـفِ فينـا — وكـلِّ داءٍ عُضـالِ

عليـك ألـفُ سـلامٍ
منـي، وألـف تحيّـة

ه ه ه

عنت إليك وجوه الأعراب والأعجام
يا كعبةً للتآخي · وقبلةً للسلام
طوعاً أتوك وصلّوا · وراءَ خير إمام
وريثِ حكمةِ مبعو · ثِ ربّه للأنام
وحاملٍ مشعلَ العقل وسط هذا الظلام

عليك ألفُ سلامٍ
مني، وألفُ تحيّة

٥ ∞ ٥

عصرُ التناحرِ ولّى · والجهلِ والعنترية
وموسمُ العقلِ هلّا · والحكمةِ الحسنية
وحّدْ صفوفَهمو. يا · حفيدَ خيرِ البرية
ألِّفْ قلوبَهمو. يا · ذا اللمسةِ النبوية
فلا بقاءَ لنا دو · نَ وحدةٍ عربية

عليك ألفُ سلامٍ
مني، وألفُ تحيّة

أحمد عبد السلام البقالي

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

• إن الصحراء جزء لايتجزأ من المغرب، وهذا واقع إن أدركه الأصدقاء وسلموا به فإن على أعدائنا أن يفهموا أنه أصبح من معطيات التاريخ التي لاتنتكس ولا تنعكس وسنظل ساهرين على تعزيز قواتنا وتوطيد جهازنا الدفاعي ومتصدين باستمرار لرد المتآمرين والمغامرين والطامعين المتطلعين إلى إهدار وحدتنا الترابية واغتيال سيادتنا الوطنية •



الحسن الثاني مفخرة الدولة العلوية

للأستاذ عثمان بن خضراء

لقد سجل التاريخ المغربي الشيء الكثير عن الأسرة العلوية المجيدة من المكارم والأمجاد منذ حلوا بهذه البلاد المغربية السعيدة... فكانت هجرتهم من الحجاز إلى المغرب هجرة خير وبركة على البلاد وأهلها... وسجل في حقهم التسابق إلى المعالي وتسنم ذروة المجد والاسراع إلى الإغاثة والنجدة... وتحرير الثغور من الاحتلال الأجنبي. والسهر على وحدة البلاد وتقوية جيشها وعدتها...

ومرت الأعوام والسنون. وذكرى الملوك والسلاطين الفاتحين الذين مثلوا أدوار الشجاعة والعظمة والعبقرية بجباه عالية على مسرح الخلود أبدا ماثلة أمام الأجيال يتناقلها الخلف عن السلف، محفوفة بالإجلال والاعظام... ولولا الاقرار بالنبوغ والاعتراف بالعبقرية لما أقيمت الذكريات والمهرجانات، وخفقت الاعلام والرايات، ونصبت أقواس النصر، وعقدت حفلات التكريم أو التابين، وهتف بحياة ملك قائد أو زعيم خالد... ووضعت الأكاليل وباقات من الزهور على المدافن والأضرحة...

فالخدمات الجليلة والأعمال المجيدة التي قام بها ملوك الدولة العلوية عبر السنين والأحقاب لها نشرها الطيب وذكرها الخالد وأثرها المحمود وجزاؤها الحسن في الدارين. ولله در القائل :

من يصنع العرف لا يعدم جوازيـــه
لا يذهب العرف بين الله والنـــاس

نعم، وإن التاريخ الذي يسجل حياة الأمم وأعمال رجالاتها لفخور بما يضمه إليه من صفحات لامعة ووقفات مشرفة لمليكنا الذي تعتز به العروبة وينتظم به الإسلام جلالة الملك الحسن الثاني فالذكرى الثانية والعشرون لتربع جلالته على عرش أجداده المنعمين لتذكرنا في فخر واعتزاز بالكفاح البطولي الذي خاضه ضد القوى المعادية للبشرية والحرية والوحدة. فهو من ذوي الإيمان الراسخ الذين يدركون إدراكا واعيا حقيقة الخطر القائم على الإنسان ويلعبون دورهم البطولي دون خوف أو تردد غير عابئين بما يلحقهم من مكروه وأذى !!

أجل... ففي حياة الحسن الثاني وأخلاقه العالية وخصاله الشريفة وغيرته الإسلامية وحرصه الأكيد على توحيد القطر المغربي واسترجاع الأجزاء المغتصبة كالساقية الحمراء ووادي الذهب... والبقية تأتي.. لدليل ساطع وبرهان قاطع على نبوغه وعبقريته ولا عجب، فقد ورث الحسن الثاني عن أجداده العبقرية والبطولة والشهامة حيث نجد عهده الزاهر مليئا بالأعمال الجليلة والمنجزات العظيمة والمبادرات الأصيلة... وإذا أخذنا صفحات هذا العرش العلوي

المجيد لتجلو ميزاته الإنسانية. وتتفهم إلى أي مدى اتسعت أعماله الإصلاحية وامتدت أطر مجاهيده الكبرى إلى آفاق إنسانية عليا. فإننا نجد البطولة في أروع صورها تجلوها كل حركة قادها ملوك هذا العرش من المولى علي الشريف إلى الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن - فنرى المجد الإنساني الباذخ والسمو الروحي الأمثل الذي يتعالى في مقاصده عن المدارك والأهواء الضيقة هو الذي يؤلف سلسلة ذهبية لهذا العرش !

لقد عمل صاحب الذكرى على تشجيع العلم والأدب واتاحة الفرصة لذوي المواهب لانطلاق قرائحهم حرة كريمة تنتج كل ما تستطيع إنتاجه في ظل الرعاية الكريمة... فأنشأ دار الحديث الحسنية التي كونت العشرات من العلماء... وأسس حفظه الله المجالس العلمية التي تؤدي دورها على الوجه المرغوب... وشجع التعليم الأصيل ووسع من اختصاصاته وأطره وفعاليته حتى يستطيع أداء الدور الخطير الموكول إليه... ولا غرابة في ذلك. فإن اهتمام ملوك الدولة العلوية بالحركة العلمية شيمة من شيم عصورهم الذهبية الزاهرة... لقد كانوا يعفون العلماء من الأداءات المفروضة تكريما لهم وتشجيعا. وكانت المنح تنهال على المؤلفين مثل الجوائز التي توزع اليوم في مختلف الأقطار الأوربية على العلماء والباحثين والكتاب - كما كانت الخزائن تقام في كل مدينة... وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الله من أشهر مؤلفي عصره وكذلك المولى عبد الرحمن كان يحرص على تعميم التعليم الابتدائي في الحواضر والبوادي واستخدم للوصول إلى هذه الغاية جميع الوسائل التي رآها كفيلة بتحقيق برامجه -

وكان المولى الرشيد ينفق في سبيل العلم أموالا طائلة ويمنح العلماء والأدباء صلات مالية ضخمة كما كان يعين القائمين بالوعظ والارشاد لكي لا يبقى الجمود مستوليا على أفكار سامعيهم. ولتنمو الحركة الإصلاحية التي كان يسعى، قدس الله تعالى روحه، في تطويرها. ولم يكن المولى اسماعيل بأقل دعوة إلى نجاح المسعى الإصلاحي من المولى الرشيد.

وكان المولى سليمان يشجع بعض المؤلفين حتى كثرت التآليف في عهده وكثرت المطالعات العامرة من كتب نفيسة مفيدة إبان ملكه. ولقد كان هو نفسه مؤلفا كبيرا.

ولقد أنفق المولى عبد الرحمن كثيرا من المال على التعليم الابتدائي والعالي وأسس مدارس قرءانية كما أسس ولده مدارس حربية تلقن طلبتها العلوم الحربية وتنور أفكارهم من هذه الناحية التي تعطيها الدول اليوم أهمية كبرى وتعقد عليها آمالها في النصر والنجاح - وقاوم المولى عبد الرحمن كثيرا من البدع ويمنع المسكرات وينهى عن الفساد والزنى. وكان يساعد الأفراد الذين يقصدون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقاومة الخرافات والجمود !

كما نجد المولى محمد بن عبد الله يؤسس العديد من المساجد والمؤسسات الدينية والثقافية. ومدرسة حرة لتلقين ضباط الجيش المغربي القراءة والكتابة وأصول الفنون العسكرية وتخرج منها قواد مهرة ادخلوا اصلاحات كثيرة على الأساليب العسكرية واستفاد المغرب من مواهبهم إفادة كبرى - وكانت الدراسات تسير على مقتضى أساليب المدارس العصرية في ذلك الوقت ومن إنسانية الدولة العلوية أن كان في عهد المولى اسماعيل كثير من الأساري يعاملهم معاملة اللطف والإحسان. وأطلق المولى محمد بن عبد الله سراح كثير منهم وكان يقدر عددهم بالآلاف - وكان سيدي محمد هذا عالما سلفيا لا يعرف إلا ما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وكان يضرب على أيدي كل من سولت له نفسه أن يخرج عن هذين النظامين الراسخين والدعامتين الأساسيتين... وكذلك المولى سليمان كان يناصر التجديد ويمنع العوام من زيارة القبور وقيام المواسم الضارة... والمولى عبد الرحمن أيضا كان يقاوم كثيرا من البدع ويمنع المسكرات وينهى عن الفساد والزنى. ويساعد الأفراد الذين يقصدون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويقاومون الخرافات والجمود.

ولم تقف الدولة العلوية إلى حد هذه الإصلاحات العظيمة. بل تعدتها إلى إصلاحيات أخرى منها يستمد

الوطن قوته الكاملة. فتأسست في عهود ملوكهم اساطيل حربية كبرى تعينهم على أعمالهم الحربية وتساعدهم على قتال كل من اعتدى على الأمة والبلاد... وتكون همزة الوصل بينها وبين الأسفار إلى الخارج. ومن هذه الأساطيل الأسطول الذي كان يشتمل على عدة قطع والذي أسسه المولى اسماعيل الأكبر... وأسست في عهد هؤلاء الملوك الأبطال مراسي كثيرة، منها مرسى الصويرة، ومرسى فضالة (المحمدية) وغيرهما.

ولقد كان اهتمام الملوك العلويين بالقضاء والعدلية كثيرا. فلم يجعلوا في هذين المنصبين الخطيرين إلا من توفرت فيه شروط الكفاءة من علم وخبرة وتقوى وكفاءة وقدرة... فلهذا كان المولى اسماعيل يبحث القضاة ويفتشهم عن السلوك الذي يسلكونه. ولكن من الذي يظهر لإسماعيل العظيم حقيقة الأمر ؟ أنه الامتحان الذي نظمه حالما تربع على عرش المغرب. وقد عزل كثيرا من العدول الذين لم توجد فيهم مؤهلات العدالة ـ فقانون الحكم في عهد هؤلاء الملوك الميامين كان مستمدا من كتاب الله العزيز وسنة رسوله الكريم ، فمنهما خططوا قانون الحكم. وبهما نجحوا في عدالتهم الكبرى !

ومن الوسائل التي أعانت هؤلاء الملوك على تثبيت دعائم المملكة المغربية والسمو بمكانتها أن نظمت عدة سفارات في الخارج بقصد التبادل التجاري والاتصال الوثيق مع الدول الأجنبية والاحتفاظ بالعلاقات الطيبة معها.

وإن المولى اسماعيل. فخر الدولة العلوية، قاوم الاستعمار البرتغالي والانجليزي مقاومة سجلت اسمه في صفوف الأبطال وحرر الشواطىء المغربية من استعباد طال أمده وعظم خطره وامتد أثره... ثم سار بجيوشه الجرارة إلى مجاهل السودان مبشرا بمبادىء الحق والعدل والاخاء وخاطب وده ملوك أوربا ورغبوا في محاولة دولته كما كان بالمرصاد للاقطاعيين الذين كانوا يستغلون سلطتهم لإرهاق الشعب المغربي واثقال كاهله.

فملوك الدولة العلوية من المولى اسماعيل إلى الحسن الثاني كانوا رقباء لكل بادرة من البوادر عاملين على أن يجنبوا هذا المغرب حوادث الدهر وعاديات الزمن... لقد كانت حرية المغرب وتحصينه وحفظه من عبث العابثين هدف أولئك الملوك العظام. وأن هذا الموقف الصارم هو الذي أكسب المغرب هيبة وجلالا في عين غيره من الدول. فكانت تلك المحادثات والسفارات التي كونت للمغرب تاريخا دبلوماسيا حافلا يشهد للمغاربة بموهبة ساسية وبنفوذ معتبر !

وفيما يتعلق بالجزء الجنوبي من البلاد، المعروف بالصحراء المغربية. فيذكر المؤرخون المغاربة والأجانب ومن بينهم «دولا تسابيل» أن سياسة الملوك العلويين كانت نشيطة... فقد توالت الغزوات لصد المهرجين. وتوجهت الجيوش المغربية إلى واد نون عام 1665 م وإلى أدرار عام 1678 م وإلى تاكانت عام 1730 م (عن طريق ماسة وواد نون والساقية الحمراء وتيشيت عام 1789 م) ووضع المغرب فيالق من جيشه رهن اشارة أمير الترارزة عام 1672 م، وحصل هذا الأمير على تولية السلطات اياه ـ ومنذ عهد السعديين وتعيين شيوخ الطوارق مندرج في اختصاصات باشوات المغرب في تنبكتو. وقد تجددت هذه التوليات في عهد سيدي محمد بن عبد الله وفي عهد مولاي الحسن الأول كما عرفت الصحراء في القرن التاسع عشر الصوفي الكبير سيدي محمد الفاضل تلميذ سيدي المختار الكنتي الذي خلفه ماء العينين في شنقيط والساقية الحمراء، وقد ورد على مولاي الحسن الأول الذي بعث بواخر مشحونة بالاعتدة للوقوف في وجه التدخل الأجنبي في الصحراء... وعندما وصلت الجنود الفرنسية إلى موريطانيا استنجدت جميع القبائل الشنقيطية بالسلطان مولاي عبد العزيز قدس الله تعالى روحه ـ

نعم... فكفاح الملوك العلويين من أجل وحدة التراب المغربي وخصوصا من أجل الصحراء أكدته الوثائق والمستندات الوطنية والأجنبية. فقد وصل إلى تخوم السينغال السلطان العلوي مولاي اسماعيل وحاصر أهل شنقيط حيث عقد على الملكة خناثة بنت الشيخ بكار المغافري هذا البيت المشهور بالصلاح والاستقامة... ورحل السلطان مولاي الحسن الأول بدوره إلى تخوم شنقيط وتوغل فيها إلى أن نزلت جيوشه بالساقية الحمراء ـ

وعندما احتلت فرنسا بلاد السينغال سنة 1858 فكرت في الدخول إلى شنقيط وهيأت حملة بقيادة الجنرال «فيدرب» وقد لاقت الجيوش الاستعمارية مقاومة عنيفة من رؤساء القبائل الساكنين في القطر من عرب وموريطانيين وكبدوا العدو خسائر في النفوس لم يعرف عددها واستمرت المقاومة إلى سنة 1901 حيث بعثت فرنسا جيشا بقيادة الجنرال «كبوطي» للاجتماع برؤساء الصحراء... فاجتمع بأمير الترارزة إذ ذاك السيد أحمد بن سالم بن علي. وذلك في أقصى الجنوب الموريطاني حيث تقع إمارته وطلب منه عقد معاهدة صداقة وتعاون ثم السماح له بالدخول إلى إمارته فرفض الأمير هذا الطلب مؤكدا للجنرال الفرنسي أنه لا يستطيع ابرام أية اتفاقية إلا بعد الحصول على «موافقة سلطان المغرب» وعند ذلك دبر الضابط الفرنسي مكيدة لقطع نهر السينغال واحتلال الامارة بالقوة... ولكن جيش الأمير قاومه مدة أربع سنوات. واستمرت الحرب بين أبناء الصحراء المغربية والجيش الفرنسي مدة خمسة عشرة سنة ولم تنته إلا سنة 1916.

وكان السلطان مولاي عبد العزيز قد أرسل وفدا إلى شنقيط ليتفقد الأحوال ويصلح من شأنها وينصب بعض الموظفين ويسلم لهم ظهائر تعيينهم. فقصدت هذه البعثة مدينة أسمارة بالساقية الحمراء واجتمعت بالشيخ ماء العينين وأدت مهمتها أحسن أداء.

وفي سنة 1911. عندما تمت المعاهدة الفرنسية في شأن المغرب وضعت خريطة لتحديد البلاد المغربية. فكانت تحد بالجزائر وافريقيا الوسطى «السينغال والسودان وريودي أورو» وتوجد الصحراء المغربية داخلة في هذه الحدود !

وفي سنة 1920 عمدت فرنسا إلى ادماج الصحراء المغربية في افريقيا الغربية بدون استشارة الدولة المغربية وملكها. مما يجعل هذا الأمر ملغى ومناقضا للقوانين الدولية.

أما اسبانيا فقد حاولت منذ قرون احتلال الشاطىء الأطلسي من المملكة المغربية وجزر كانا رياس «الخالدات» القريبة منها دون جدوى - وفي منتصف القرن التاسع عشر. طلب الاسبانيون بحق الصيد وفي انشاء معمل خاص بالسمك على الشاطىء المغربي ولم يطالبوا قط بالسيادة على تلك المنطقة ولم يتنازل المغرب لهم قط عن تلك السيادة الشيء الذي تؤكده معهادة تطوان 1860.

وقد تابع الاسبانيون محاولاتهم لاحتلال ايفني وما حواليها حتى تم لهم ذلك باتفاق مع فرنسا ولكن بدون موافقة المغرب حيث أن السلطان المولى عبد الحفيظ لم يصادق على تسليم بقعة من التراب ولو من أجل انشاء معمل للصيد !

وفي مستهل هذا القرن كان الاستعمار قد ضرب على المغرب حصارا شديدا وعمل على عزله عن باقي البلاد والقضاء على مقوماته بكل الوسائل واقتسمته فرنسا واسبانيا - وقد استطاع الشعب المغربي بفضل كفاح طويل بقيادة ملكه المنعم محمد الخامس ونجله جلالة الملك الحسن الثاني من تحرير جزء من الأراضي المغربية سنة 1956 حينما أعلن استقلال المغرب في 3 مارس مع الدولة الفرنسية. وفي 2 أبريل من نفس السنة مع الدولة الإسبانية...

وقد آثر المغرب وهو يوقع وثيقة الاستقلال على أن يتحفظ فيما يخص الأجزاء غير المحررة منه ويسجل حقه الكامل في تحريرها واستعادتها إلى حظيرة الوطن المحرر... وواصل الكفاح بعد ذلك فاسترجع طرفاية الصحراوية المجاورة للصحراء المغربية سنة 1958 بعد مفاوضات مباشرة مع اسبانيا... وبعد عشر سنوات من مفاوضات مضنية مماثلة مع اسبانيا استعاد المغرب منطقة ايفني في 1969.

وأخيرا جاء دور تحرير الصحراء المغربية الساقية الحمراء ووادي الذهب بالطرق السلمية فكانت المسيرة الخضراء المظفرة... واهتم الرأي العام الدولي بالمواقف البطولية والدهاء السياسي والخبرة القانونية التي استعملها الملك الحسن الثاني لمعالجة هذه القضية سواء مع اسبانيا أو هيئة الأمم المتحدة أو محكمة العدل الدولية...

وأثبت حفظه الله مغربية الصحراء المغربية تاريخيا وسياسيا واجتماعيا ودينيا وقانونيا... فاعترف الجميع

بمشروعية مطالب المغرب في الوحدة الترابية وتحرير الأراضي من الاحتلال الأجنبي ـ وهب أبناء الصحراء من كل فج عميق لتأكيد الولاء وتجديد الطاعة والبيعة لجلالة الملك. وتحقق العالم مرة أخرى من شعبية الحسن الثاني، ومن الشعب المغربي الصحراوي الذي رفض رفضا باتا كل محاولة لتزييف واقعه وفصله عن تاريخه وأجداده ودينه.

فالمعركة مستمرة من أجل عظمة المغرب رغم كيد الكائدين. وهي كما يريدها الحسن الثاني عمل مستمر للتجديد... للتلقيح... للإنتاج... لأنه عمل كل يوم... كل شهر... كل سنة.... كل جيل... فهي معركة ايمان في القلب وفي التفكير والابداع والانتاج... والمغاربة الذين فتحوا الأمصار وطبعوا دولا أخرى بالطابع المغربي لن يقبلوا أن تطبعهم شعوب أخرى بطابعها ولن يستوردوا أنظمتها.

إن الخطة التي يسير عليها الحسن الثاني تتسم بسمة الخلق والابداع. وتقوم على استيفاء المناهج والأساليب المتولدة عن الدراسة المحكمة والاستيعاب الرزين لتجنب مواطن الزلل والزيغ وتسلم المشاريع من مغبات الاختلال والارتجال ! فإذا كان العصر الذي نعيش فيه يتميز بتقدم العلم وطغيان المادة مثلما يتميز بظهور عدد من المذاهب والتيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فإن أرشد الحكومات في نظر الحسن الثاني هي تلك التي عرفت كيف تحسن الاختيار وسط الآراء والنظريات المختلفة. وتخط للشعب سياسة مستمدة من حقائقه وشخصيته... مرتكزة على مقوماته. ملبية لعبقريته واحتياجاته سواء فيما ينوبه كعضو مسؤول في الأسرة الإنسانية الكبرى أو فيما يخصه كشعب ـ وأما هذه التيارات المختلفة فإن جلالته يرى أن الشعب المغربي المسلم يجد نظاما اقتصاديا واجتماعيا في كتاب الله تعالى الذي يقول ، «وكذلك جعلناكم أمة وسطا» فتكون تلك الأمة الوسط التي ليست بالرأسمالية ذات النظام الاهوج التي لا تترك حرية لأي ضعيف... ولا بالاشتراكية التي دلت الأرقام والحوادث على أن نظرياتها يمكن أن تكون أخطر من تطبيقها... نريد أن نكون تلك الأمة التي يمكنها أن توفق بين النظامين وذلك بأن تعطي لكل الميادين مدلولها ومفهومها... ففرق جلالته بين الميادين التي يجب أن تكون في يد الدولة، وأن تؤمم... وبين الميادين والقطاعات التي يجب أن تبتعد منها الدولة. لتبقى في قبضة المبادرات الحرة.

أما ميادين التأميم. فباختصار كل ما يجعل للدولة سلطات على القطاعات الاستراتيجية للاقلاع الإقتصادي وللاستمرار في النمو... مثل الطاقة. والصناعة الثقيلة. والمواصلات بجميع أنواعها... والقروض ووسائل القروض... ودور القروض ذات الصبغة الاقتصادية المنتجة... والخيرات الباطنية برا كانت أم بحرا... هذه القطاعات الاستراتيجية ذات الطاقة مائية كانت أو كهربائية أو معدنية أو مالية أو نووية إن شاء الله تعالى.

وهناك ميادين أخرى وهي ميادين المبادرات الخاصة... وهي كل ما يمكن المواطن من رفع مستواه الخاص وخلق الرواج. والنيابة عن الدولة التي لا يمكنها أن تخوض جميع الميادين ، فنرى الصناعة. والصناعة الصغيرة. والسياحة. والفلاحة. بجميع أنواعها. والتجارة. وخلق شركات مغربية خارج البلاد بجميع القارات حتى يمكن للمغرب أن لا «يتزوج» دائما بخلاياه وسلالاته الخاصة... بل أن يأتي بدم جديد وتلقيحات جديدة ويعرف بنفسه وبانتاجه... ويمكنه كذلك أن يصدر للخارج مفكرين وفنيين ونخبة طيبة من شبابه.

لقد سار عاهلنا المفدى على نهج آبائه وأجداده وأخذ بناصية الحق. وآثر شعبه على نفسه في صوفية عاقلة مدركة. وما عرف عنه إلا السعي المتواصل والدأب المستمر. وما عهد فيه إلا التفكير المستمر والابتكار والتجديد والانفتاح على ما ينفع وطنه وشعبه بالدرجة الأولى. حتى اجتمعت بقيادته الأمة والتفت حوله القلوب وتوج الله سبحانه وتعالى جهاده وجهوده باسترجاع الصحراء على يده واستكمال الوحدة التي تركها ملوكنا الأماجد أمانة في أعناقنا... كما وحد الله تعالى على يده كلمة العرب في مؤتمر القمة العربي بمدينة فاس الزاهرة... حيث وحدوا صفهم وخططهم للتصدي للاستعمار والصهيونية في هذه الظروف الدقيقة الحاسمة.

وخرج العرب منه مرفوعي الرأس، أقوياء أشداء على خصومهم، معترفين لملكنا بالفضل الأكبر في الحفاظ على وحدتهم وكيانهم المعنوي واختاروه رئيسا عليهم - وهنا أيضا نبع التحدي الحسني القاهر الذي قصم، بتوفيق من الله وعونه، ظهر أعداء المغرب مدعما بولاء من الشعب.

هذا الاعتدال المنضبط للسياسة الحسنية أكسب المغرب قوة ونفوذا ووضعا دوليا متميزا، جعل دول العالم تتعامل معه على قدم المساواة ومن غير ضغط أو إكراه أو ارهاب سياسيا كان أو اقتصاديا أم اديولوجيا، في الوقت الذي تتزايد فيه الضغوط الأجنبية على مجموعة العالم الثالث وتشتد المناورات الاستعمارية للنيل من استقلالها واخضاعها للتبعية الذليلة.

هذا الانتماء المغربي المحضر، وهذا الارتباط العضوي بعقيدة الشعب وقيمه ومقوماته ومقدساته وتقاليده... وهذا التجاوب الصوفي بين العرش والشعب هو القاعدة العريضة الراسخة للتحدي الحسني.

وإن احتفالنا اليوم بالذكرى الثانية والعشرين لجلوس صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله على عرش أجداده المنعمين ليعبر في الواقع عن متانة الوحدة الوطنية وسلامة الرأي العام في ظل الانتصارات الباهرة على طريق الاشعاع الإسلامي. نعم ففي هذه الفترة من تاريخ الأمة الاسلامية التي يحاول أعداء الدين صرف المسلمين عن تادية رسالتهم نرى أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني المجدد لهذه الأمة أمر دينها يوجه رسالة إلى الأمة الإسلامية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري يدعو فيها المسلمين إلى توحيد كلمتهم وعدم التنازع المؤدي إلى الفشل واتباع شريعة الإسلام التي جاء بها خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام حتى يستأنف المسلمون البناء والاصلاح والتجديد في عالم الإسلام الواسع المديد.

وفي هذا الظرف بالذات أيضا نجد الملك المصلح يعين مجالس علمية تضم نخبة من علمائنا الأماجد رسم لها جلالته الخطوة العريضة التي يجدر بها أن تسير في اطارها لتأدية رسالتها الصعبة مبرزا الانطلاقة الرامية إلى خدمة الاسلام وبعثه والدفاع عنه عن طريق الإقناع بالحوار المركز والحجة الدامغة والبرهان الساطع. فهذا العرش قد خاض كل المعارك فانتصر، وضحى في سبيل تحقيق السعادة والسيادة للشعب فاستجاب له القدر، وقاد حروبا ضارية في مختلف الواجهات فنال منتهى الفوز والظفر - والأمة المغربية الوفية لتتخذ هذه الذكرى الغالية مناسبة لاظهار ولائها واخلاصها وتعلقها برمز سيادتها ومحقق وحدتها مبرزة كوامن الحب والتفاني والشعور الواثق المطمئن الذي يربطها بالعرش العلوي برباط وثيق.

- عثمان بن خضراء -



الشعر في مواكبة العرش

للأستاذ محمد الحلوي

في البدء كانت الكلمة، وستبقى دائما بداية لكل انطلاق، ووسيلة لكل انعتاق، وأساس بناء لكل نهضة وانبعاث. فقبل أن تتفجر في هذا الوطن ثورته على الاستعمار بركانا اكتسح هياكله ودقاه، وقبل أن يتمرد على جلاده ويحطم الطوق الذي توهم أنه سيقبله إلى الأبد وقبل أن ترفع سواعد أبنائه المعاول وتضغط على زناد النار، كانت البداية كلمة هادفة معبرة أقضت مضاجع الغزاة، وأفقدتهم أمنهم وزلزلت أقدامهم، كانت كلمة تسيل على الأقلام لهبا لافحا، وتتفجر في الأفواه شواظا محرقا، وكانت شعرا عاصفا يهز القلوب ويزرع الأمل في النفوس ويحمل إلى المناضلين بشائر غد مشرق وحافل بالأمجاد.

ومن حسن حظ الشعر - الذي فقد في عهد الحماية اشراقه ورواءه وتقلص دوره في الحياة كأداة للتعبير عن هواجس النفس وتطلعاتها - أنه وجد في حركة التحرير الوطني الآفاق الرحبة التي كان يشدها والمتنفس الذي أمده بالحياة وساعده على أن يجدد نفسه ويتغلب على عوامل الفناء التي كانت تتهدده وهكذا أتيح له أن ينفض عنه غبار الخمول ويلعب دوره في المعركة التي خاضها الشعب والعرش ويواكب مسيرة النضال التي التزم أن يعبىء نفسه من أجل إنجاحها، بعد أن ظل ردحا من الزمن في حالة استرخاء تشبه اليأس في ظل المناخ السياسي الذي كان يخنق الأنفاس.. وانتفض رافضا أن يختار موقف المتفرج على ما يدور حوله في الساحة من أحداث وأن يظل متقوقعا حابسا نفسه في برجه الوهمي كأن شيئا مما يقيم هذا الوطن ويقعده لا يعنيه ورأى الدرب أمامه طويلا فبدأ نشيدا وأهازيج تغذي روح الشعب وتلهب حماسه، يتغنى بها في أعياده ويسمر بها في أفراحه ولياليه، ويسمعها المحتلون فيدركون أن رحيلهم قريب وأن الغضب آت وغير بعيد.

وتكبر المعركة فيكبر معها هذا الشعر الوليد ويتحول إلى ظاهرة أدبية أصيلة تستمد قوتها واستمراريتها من روح شعب أصيل ونضال عرش أثيل، ترصد الأحداث وتسجل المواقف وتستلهم الماضي لبناء الحاضر، وتؤكد حضورها في أحرج المواقف كسلاح له فاعليته إلى جانب المقالة الأدبية والمسرحية الوطنية.

ويصفق الشعب لهذا الشعر الوطني الذي كان ارهاصا لنهضة شعرية واعدة، ويتجاوب معه أتم ما يكون التجاوب لأنه منه واليه ولأنه ليس غريبا عنه فهو صدى لمشاعره وترجمة صادقة لمواطفه وتطلعاته.

وما تزال أجراس تلك الأناشيد الوطنية تدق في مسيرة النضال تستنهض الهمم، وتشحذ العزائم يرددها المواطنون تسابيح لا يملون تلاوتها ويقرؤنها سورا يستلذون

قراءتها... وما أمتع اللحظات التي كان يحس فيها شاعر وطني بأنه استطاع أن يعبر عما في قلوب الجماهير الكبيرة من آمال وأن يعبئها بشحنات ترتفع بها إلى مستوى التضحية والنضال إذ لاشيء كالكلمة المعبرة الصادقة في تفجير العواطف والهاب المشاعر ولا شيء من الشعر مشعر إذا لم يتجاوز الأسماع...

وتنتصب المناسبات الدينية والمهرجانات الوطنية في هذه الفترة منابر للشعر الوطني الذي كان يستغل هذه المناسبات لتغذية المشاعر والدعوة إلى الالتحام حول رمز وحدة البلاد وسيادتها.. وعندما يلتقي الشعور الديني بالروح الوطنية يتولد منهما مزيج ليعلن انبعاث أمة كانت في رحم التاريخ أمة وأراد لها المحتل ان تبقى له ذيلا وتبيعا.

وكان كلما ارتفع مد المقاومة الشعبية وتحديها كلما اشتد هذا الشعر صلابة وازداد توهجا واحتداما، واتسع صدره فتحول إلى مجال للتنافس بين اللامعين من رجاله، فأثروا بعطاءاتهم الشعر المغربي وأضافوا إليه لونا جديدا لم يعرفه في عهوده إلا نادرا.

وبقدر ما كان العرش يتعامل مع هذا الشعر الذي هو نسيج وطني فيحتضنه ويغذيه برعايته بقدر ماكانت إدارة الاستعمار تبدي انزعاجها منه وتخوفها من كلماته وايقاعاته وكأنما هي أجراس الموت تنذر بقرب نهايتها فلم يكن موقفها منه ورقابتها له أقل قسوة من مراقبتها لبقية الفنون الكتابية الأخرى.

أذكر أني دعيت لإلقاء قصيدتي في أحد أعياد عيد العرش بقصر البطحاء بفاس وما أن رآني ضابط الإذاعة الفرنسي حتى بادرني وفي يده نص القصيدة قائلا وبرطانة : سيدي الشاعر ، الرباط يقول ممنوع الأبيات اللي تحتها أحمر فأجبته بأن أوامر الرباط مطاعة ولا يمكن مخالفتها.

واقتربت من الميكروفون لألقي القصيدة وبجانبي حضرته، وكنت كلما وصلت إلى المقاطع التي أشرتها الرقابة أرفع صوتي قائلا : هنا بيت حذفه، الرقيب هنا بيتان حذفهما الرقيب. وانتهيت فواجهني الضابط بحنق وامتعاض محتجا على مخالفتي لتعليماته. فأفهمته أني لم أرتكب أي مخالفة وأن مافعلته مجرد تنبيه للسامع إلى أن مايلاحظه من اضطراب وتفكك في الشعر لايدلي فيه وإنما هو من عمل الرقابة التي يعايشها يوميا في ما يقرأه من صحف ومجلات .

ومرة أخرى طلب مني أن أحذف كلمة (ولي العهد) التي أشرتها الرقابة وكان لامحيد من تغييرها فاستبدلتها بسليل المجد وارتاح حضرته بعد أن اختفى شبح الكلمة التي كانت تخيفهم ويطاردونها في كل مسموع ومطبوع..

وأذكر هنا باعتزاز حفل توزيع للجوائز في أحد أعيادنا الوطنية بمنزل المرحوم الأستاذ عبد السلام الفاسي انتدب لرئاسته جلالة **الحسن الثاني** وهو يومئذ أمير وطلب مني إلقاء القصيدة وكان من ضمنها هذا البيت ،

وثبت بنا للمجد وثبتك التي

تهيئنا من بعد للوثبة الأخرى

فقاطعني جلالته قائلا ،

الأحسن أن تقول الوثبة الكبرى.

وكانت من جلالته إشراقة أدبية وشاهد إثبات على تذوقه وتوقد ذهنه.. ولم أجب جلالته لأنه أعلم بأن الذي في فمه ماء لايجد في التعبير أبلغ من الايماء !

إلى هذا الحد بلغت الرقابة على هذا الشعر السياسي الذي لم يجهل دهاقنة الاستعمار مدى تأثيره وقدرته على التوعية والاثارة ودغدغة العواطف.. ومع يقظة هذه الرقابة فإن عيونها لم تكن تكشف منه إلا ما تعرى أمامها وتقدم بنفسه إلى مشرحتها..

وإذا عرفنا التصور الاستعماري لهذا الشعر ومتابعته له ولرجاله الذين كانوا دائما يتعرضون لمضايقات أدناها أن يصنفوا في قائمة سوداء.. أدركنا سخف وتفاهة المقولة التي تنعت هذا الشعر ورجاله بالتكسب والارتزاق. أي ارتزاق ! وتمخض هذا اللون في الشعر عن ميلاد حركة نقدية هادفة تطل في كل موسم وتطلع مع كل عيد تقيم باهتمام ماجد فيه وتسنده بنقد بناء يرتفع به ويرقى به إلى الكمال غير أن مامني به هذا الشعر الوطني من عداء ادعياء التجديد قد ينسيه الكثير مما لقيه من عنت الرقابة وعسف

المحتلين. ذلك أنه في رأيهم لا يعدو أن يكون أدب مناسبات. وليس أكثر من ذلك وكأنما كان حتما على الشاعر أن يتجاهل اهتمامات شعبه وقضيته المصيرية الأولى وأن يسمعه بدلا من شعر المقاومة والوطنية مقطوعات الحب والغزل الرقيق !

قضية هذا الشعر أنه لا اختيار له في أن يكون فقد كان صنيع أحداث ووليد ظروف وواقع سياسي كان لا بد أن يتعامل معه ويواكبه ويرصد أحداثه. وكل شعر لا يعكس واقعه لا يعدو أن يكون ثرثرة وهذيان معتوه.

وتبقى دائما الملامح الأدبية والسمات الفنية لهذا الشعر هي الخاصية المميزة له عن بقية ألوان الشعر الأخرى ومهما اختلف في الصور والظلال فإن تياره يتجه دائما إلى مصب واحد قد يختلف في كل شيء إلا في وحدة الموضوع وسمو الغاية والصدق في الإحساس وكلها عناصر بارزة تؤهله للخلود.

ويوم يحظى أدب المقاومة بما يستحقه من نقد وتقييم يومئذ تتجلى قيمته كوثيقة أدبية وسجل واع لحقبة مهمة من تاريخ نضال أمتنا السياسي وينتصب علامة بارزة في نهضة الشعر المغربي الحديث.

محمد الحلوي

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

•• لعل أجمع وأنفع وصية يوصي بها كل مسلم أخاه في بداية القرن الجديد هي أن نطبع فكرنا وحياتنا وسلوكنا الخاص والعام بالطابع المميز لحضارتنا الإسلامية الذي ارتضاه الله لنا ألا وهو طابع الاعتدال والوسط ••

التجاوب الرائع بين العرش والشعب في عهد الاستعمار

للأستاذ قدور الورطاسي

حينما ضرب الاستعمار قيم الشعب المغربي ضربته القاسية منذ سنة 1907 حدث تضعضع خطير في النفوس والأفكار.

ذلك أن هذا الشعب الأصيل العراقة في شخصيته القومية والعربية الإسلامية، لم يمتحن في عهد من عهود عزته بأي تحكم أجنبي غريب إلا في التاريخ المذكور.

فبطولته كانت تتكون من أرضيته الجغرافية، وسماوية عزته التي ألفها على مر العصور علاوة على دفاعه عن قيمه في حدود جغرافية أرضه، فإنه كان لا يتأخر أبدا عن الدفاع عن العروبة والإسلام والمسلمين كلما قيل : «يا خيل الله اركبي»، وقد كان بحق كما قال الشاعر :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم

في النائبات على ما قال برهانا

ولما فوجئ الشعب المغربي بتقنية وسلاح حديثين، شعر - أو كاد يشعر - باليأس في مدافعة هذا الغزو الأجنبي الذي لم ينجح مثله في سالف العهود يوم كانت العدة متماثلة والرجحان والظفر للبطولة المستميتة.

ومن الحقائق التاريخية أن آثار تلك الصدمة كانت محدودة بحدود المدن الكبرى، وما قرب مما حولها، وفي بعض الأقاليم فحسب.

أما أهل البادية، وبعض مما حول المدن فقد امتشقوا السلاح، وتدرعوا بالشعاب، والوديان وقلل الجبال ومجاهل الصحراء، فأخذوا يقاومون باسم العرش العلوي المجيد، وتحت الراية المغربية العزيزة.

واستمرت هذه المقاومة من سنة 1907 م إلى سنة 1935 م.

وباسم العرش العلوي أيضا، وباسم الجالس عليه محمد الخامس قدس الله روحه، انتفضت الثورة السياسية الوطنية الإسلامية في جميع أقاليم المغرب المجيد.

والسياسة الاستعمارية في المغرب لم تطل مدة إقامتها في المغرب إلى سنة 1955 إلا على أساس أن المغاربة لم يألفوا دفاع الأجنبي الغريب إلا بالسلاح، أما الوسائل السياسية فقد كانت خاصة بصاحب العرش ومساعديه.

لذلك لم ينغمروا جماعيا في الميادين الوطنية الإسلامية من فجر انبعاثها.

على أننا لا يجب أن نغفل أن السياسة الاستعمارية استطاعت أن تنجح مؤقتا بإطالة إقامة الاستعمار، وذلك بتخدير النفوس بعدة مخدرات نفسانية.

أولها فصل الشعب عن العرش وصاحبه، إذ كانت الدعاية بأن فرنسا هي الحاكمة، وأن العرش لا سلطة له.

وذلك لتخضع النفوس إلى الحكم الاستعماري بيأسها من وجود عرش حقيقي وملك حقيقي.

وحفاظا على هذه الدعاية، قامت السياسة الاستعمارية بفصل القبائل عن بعضها بعضا بإثارة الخلافات، والأحقاد، والعصبيات الجاهلية من جهة.

ومن جهة أخرى، كانت تقوم بتشديدات ومضايقات لتحول دون التنقلات من إقليم إلى إقليم وخصوصا عند فجر انبعاث الحركة الوطنية التحررية والتحريرية.

وشاء الله تبارك وتعالى أن يلهم قادة التحرر والتحرير وزعماءهم الشعبيين إلى إقامة «يوم عيد العرش» اعتقادا منهم أن أي عمل لا يمكن أن ينجح لإنقاذ البلاد من نير الاستعمار إلا إذا كانت الانطلاقة من العرش، والجالس على العرش.

إذ أن هذا البلد المجيد ما استطاع أن يحافظ على سيادته وعزته وكرامته إلا بالعرش والجالس عليه في سالف العصور والعهود، وإنه من الضروري أن تنطلق حركة التحرير من هذا العرش والجالس عليه.

وذلك علاوة ـ على أن فقهاء الاستعمار كانوا يرون ـ ورأيهم حق ـ أنه إذا ما استمر العرش في تأدية رسالته التاريخية، فلا سبيل إلى الاستقلال استعماريا بهذا الشعب.

وكانت هذه النقطة حساسة في سياسة فقهاء الاستعمار فرأى القادة والزعماء أن يوجهوا كل اهتماماتهم أساسيا إلى هذه النقطة الحساسة. فما كان من الله سبحانه إلا أن ألهمهم إلى الاعتصام بالعرش والجالس على العرش محمد الخامس رضي الله عنه.

ولم يخيب الله آمال القادة والزعماء في هذا الملك العظيم الذي كان بحق درة ملوك الأرض ورؤسائهم ولا يعرف ذلك حق المعرفة إلا من درس قيمة هذا العرش المغربي على مر التاريخ بصفة عامة، وعايش بصفة خاصة هذا الملك العظيم.

على أن طائفة من المعمرين شعروا بخطورة وجود هذا الملك العظيم على «وجودهم الاستعماري» من أول يوم جلس فيه على العرش، وألقى خطبة العرش الخالدة.

أذكر كما لو كان الحادث الآتي في هذه اللحظات التي احرر فيها هذه الكلمة ـ أنه لما توفي المولى يوسف بن الحسن الأول في سنة 1927، كنت في الثالثة عشر من عمري، وكنت أجيد فقط كتاب الله العزيز ورسمه وأنا خارج الحاجز الخشبي لمتجر والدي، واليوم يوم ثلاثاء وقد اصبح مضببا ثم أشرقت الشمس من وراء الضباب، إذ دخل على والدي في متجره الذي كان بشارع الجزائر فرنسي شيخ عبارة عن كومة من الأعصاب والعظام يدعى «طونيو» فبعد التحية قال لوالدي ـ وأنا اسمع وواع كل الوعي ـ «عظم الله أجرك في السلطان مولاي يوسف، ومبروك عليك السلطان الجديد» باللفظ والحرف.

فأجابه الوالد ـ متجاهلا، أو حذرا ـ يا مسيو طونيو نحن لا سلطان لنا» فابتسم «طونيو» قائلا : يا فلان، أنت لا تقرأ الصحف، ولا خبرة لك بالسياسة. إن ملككم الجديد الذي يخاطبكم في خطبة العرش بأنكم أمته، أو شعبه «قد ايأس فرنسا من مقامها هنا، إنه لم يخاطبكم بذلك إلا لأنه عازم على جعل حد لوجود فرنسا في المغرب، وأنا يا فلان يقول طونيو : «من الآن سأترك ضيعتي عند أولادي مؤقتا وأرجع إلى فرنسا، فلست مستعدا لأحضر ذلك اليوم الذي يطرد الأروبيون من الحكم هنا»

نعم إن الحقيقة التاريخية التي لا مراء فيها أن الاحتفال بعيد العرش كان بحق صدمة خطيرة بالنسبة للاستعمار كما كان يقظة عميقة بالنسبة للشعب المغربي في حين سهل على قادة التحرر والتحرير مهمة أداء رسالة التوعية الوطنية أثناء عهد الاستعمار، وإن «يوم العرش» كان يدفع بالوطنية إلى مسافات طويلة محمودة.

فلقد كان الشعب المغربي ينتظر ذلك اليوم في كل سنة ليفجر عواطفه ومشاعره وعقائده وأفكاره أثناء تلك الحفلات الرائعة ماديا ومعنويا.

وحينما تقترب لحظات القاء الخطاب الملكي تجد القلوب تكاد تخرج من الصدور لاستماع صوت محمد الخامس الذي كان يرن في الصدور رنات خالدة لا ينساها المؤمنون أبدا، ويخرج الناس عن تحفظاتهم في ذلك اليوم فتبح أصواتهم بالهتافات للعرش وصاحبه وجميع أصحاب السمو الأمراء الكرام، وقادة وزعماء العروبة والإسلام. ولم

يكن أحد يحسب حسابا لتعاليم الوطنية بالاعتدال، ولذلك كانت السجون تغص بالأحرار المتطرفين جزاهم الله خيرا.

نعم مرة ثانية أن احتفالنا اليوم بعيد العرش لصاحب الجلالة والمهابة مولانا أمير المؤمنين **الحسن الثاني** نصره الله، يعد لنا - نحن الجيل ما قبل هذا العهد - إستمرارا للاحتفال والهتاف به، كما كنا نهتف باسمه كولي عهد وبلقب أمير الأطلس، وزيادة على هذه الاستمرارية فإننا نرى، ونسمع، ونلمس، ونحس، ونعقل ونعي في شخصيته العظيمة كل ما كان لنا في عهد والده من التعلق والإيمان الصادق بوفائه للوحدة المغربية والدفاع عن العروبة والإسلام.

فهنيئا لنا بهذا اليوم السعيد، وهنيئا لنا بهذا الملك الخالد المناضل المتمتع بالسمعة الدولية التي قلما ظفر بها غيره، وهنيئا له بذلك وفقه الله وسدد خطاه وحفظ لنا ولي عهده المحبوب صاحب السمو مولانا محمد وصنوه المولى الرشيد، وسائر أصحاب السمو الملكي الأمراء، والأميرات الكرام إنه سميع مجيب......

قدور الورطاسي

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

•• من واجب القادة المسؤولين والزعماء البارزين في العالم الإسلامي أن يفتحوا الطريق أمام القائمين بالبعث الإسلامي والدعوة الإسلامية وأن يشملهم بالرعاية والعناية حتى يؤدوا رسالتهم أحسن أداء ••

جلالة السلطان مولاي الحسن الأول

للدكتور محمد التهامي الوكيلي

● في تاريخ المغرب سلسلة ذهبية من ملوك عظام متصلة الحلقات من عهد قديم سحيقا في القدم إلى العصر الحسني الحديث اللامع الأنوار، المشرق الضياء.. فما تجد في تاريخ المغرب الملكي الا ماجدا عن ماجد وعظيما عن عظيم قاد المسيرة الحضارية للمغرب من حسن الى أحسن، ومن مجد إلى مجد وذلك من عهد الدولة الادريسية إلى عهد الدولة العلوية الشريفة التي عرف المغرب في عهدها أمنا ووحدة وعلما وازدهارا ورخاء، ومشاركة في صنع السلام العالمي وفق المبادىء الديمقراطية التي بشر بها الدين الاسلامي الحنيف في تعاليمه السمحاء.

إن الدولة العلوية الشريفة دولة عظيمة أعطت للمغرب أبعادا جديدة وخلقت فيه حمية للعلوم والتقدم والحفاظ على التراث وعلى وحدة الوطن فكان لها مع التاريخ مجموعة من الملاحم البطولية في شتى المجالات التي سجلها التاريخ بمداد الفخر والاعتزاز في صفحات مشرقة بالمجد الرفيع.

وفي هذه الدراسة التي اقدمها في هذا العدد لمجلة «دعوة الحق» الغراء سجل الثقافة المغربية الأصيلة سأحاول أن أسوق ترجمة وافية لملك عظيم من الاشراف العلويين طيب الله ذكرهم الحميد.. وهي دراسة مأخوذة عن كتابي : «موجز تراجم ملوك المغرب» الذي سيصدر بإذن الله وعونه في الشهور القادمة عن دار «الأعماق».

ولد السلطان مولاي الحسن الأول بن السلطان محمد الرابع بن عبد الرحمان بن هشام سنة 1247هـ (1832م) وبويع له بالملك في مراكش يوم الخميس 18 رجب 1290هـ (11 شتنبر 1973م)

وتوفي بدار ولد زيدوح دائرة بني موسى باقليم بني ملال ليلة الخميس 3 ذي الحجة 1311 (6 يونيو 1894م) وحمل جثمانه الى الرباط حيث دفن بجوار جده السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

وقد كان رحمه الله من أكثر ملوك الدولة العلوية الشريفة حزما ومثابرة للعمل على اسعاد رعيته بغير انقطاع مع التصدى المستمر واليقظة المتواصلة للدفاع عن حوزة الوطن وحفظ كيانه وصيانة وحدته الترابية واحباط

كل المناورات والدسائس الأجنبية المحاكة ضد استقلال المغرب.

وتميز نشاطه في هذا الصدد بكثير من المزايا المثلى التي سجلها التاريخ بمداد الفخر والاعجاب. وقد امتاز عهده بظهور البوادر الاولى لخروج المغرب من عزلته والأخذ بالأساليب الحديثة في ميادين التنظيم الإداري والتعليم والتجهيز مع القيام في نفس الوقت بنشاط ديبلوماسي حاد.

وقام رحمه الله على الصعيد الداخلي بكثيـر مـن المنجزات التنظيمية حيث كان أول من أحدث الصدارة العظمى التي تطابق منصب ما يطلق عليه الوزارة الأولى أو رئاسة الحكومة في الوقت الحاضر. وتولى هذا المنصب لأول مرة في تاريخ المغرب السيد الحاج المعطى الجامعي ويرجع الفضل لجلالته كذلك في أحداث وزارة الخارجية التي كانت تدعى قبل ذلك بوزارة البحر أو وزارة الأمور البرانية. وكان الفقيه السيد محمد المفضل غرنيط أول من تولى هذا المنصب في عهده.

ولم يكن اهتمامه بأقل من ذلك فيما يرجع لشؤون الرعية والاهتمام بقضاياهم ولا سيما في ميدان العدل والقضاء والتوثيق والاجراءات المتعلقة بالأصول والمبيعات العقارية التي وضعها في طليعة مسائل الدولة. وأسس لها ضابطا عدليا بعث به الى جميع القضاة ليطبقوه في جميع الدوائر الداخلة في نطاق نفوذهم.

واتخذ جلالة الحسن الأول في ميدان التعليم اجراءات تبرهن على ما كان له من فكر واسع، وتفتح نادر، بالنسبة للأحوال السائدة في تلك الأثناء. وكانت هذه الاجراءات تهدف الى تكوين النواة الأولى.

نسبه ونشأته الأولـــى :

وقد نشأ في كنف جده السلطان مولاي عبد الرحمان الذي اعتنى بتأديبه وتهذيبه وتدريبه، وتلقى تعليمه الثانوي والعالي على يد عدد من كبار العلماء في بلاد أحمر الشهيرة بأحواز آسفي بعيدا عن حياة المراسم. وقد اتخذ جده السلطان المولى عبد الرحمان هذا التدبير حرصا منه على تمكين المترجم له من طرف حياته الدراسية بين جماهير الشعب ورغبة منه في ابعاده عن كل ما من شأنه أن يؤثر عليه من معالم البذخ والترف في مراكش التي كانت عاصمة للمملكة آنذاك.

وبرهن مولاي الحسن منذ المراحل الأولى من شبابه عن نبوغ كبير حيث أقبل على تحصيل كثير من العلوم الدينية والأدبية والرياضية وجمع شتات المؤلفات من سائر العلوم والفنون.

وقد ازدادت عنايته ومثابرته على تحصيل العلم بعد مبايعة والده السلطان سيدي محمد الذي اصطفى له حاشية مختارة من اعيان الدولة وساستها وعلمائها.

وأسند اليه جلالة والده فيما بعد كثيرا من المأموريات التي برهن في انجازها عن حنكة عميقة ودهاء حاد وشجاعة نادرة لاستتباب الأمن واقرار الهدوء والنظام في مختلف ربوع المغرب.

وتعلقت أولى هذه المأموريات بالحملة التي أشرف فيها على رأس الجيش لاخماد الفتن التي اجتاحت جبال تثيفة وقبائل السراغنة وبنى مسكين في سنة 1278هـ وقام في سنة 1280 ـ 1864 بحملة مماثلة لاستتباب الأمن في قبائل سوس الأقصى. وبعد العودة من هذه الحملة الظافرة التي استغرقت مدتها عشرة أشهر اختاره السلطان محمد الرابع لولاية عهده.

خلافته وزواجـــه :

وأسند له والده منصب الخلافة السلطانية في مراكش ونواحيها عند ما عزم جلالته على مبارحة هذه المدينة والتوجه الى الناحية الغربية لتفقد أحوال رعيته.

وبرهن صاحب الترجمة في هذه المأمورية عن كفاءته وحسن تدبيره.

وقام في سنة 1283 ـ 1866 بناء على تعليمات من والده بحملة جديدة في تادلة والشاوية حيث أفلح في استتباب الأمن بهذه القبائل وعمل على تنظيم شؤونها.

ولما عاد السلطان محمد الرابع إلى مراكش في سنة 1284هـ ـ 1868 وفرغ من حفلات عيد الفطر أمر جميع المهنئين والواردين على جنابه من العمال وقواد القبائـــل

والاعيان بالاقامة لحضور وليمة وعرس ابنه وخليفته مولاي الحسن وافتتحت الافراح يوم واحد وعشرين من شهر شوال واسترسلت طيلة سبعة أيام.

وقام فيما بعد بأمر من والده كذلك بالاشراف على حملة جديدة بقبائل تادلة والشاوية في سنة 1289هـ وأشرف في سنة 1290هـ على حملة أخرى بقبائل حاحة حيث توفق في اخماد فتنة.

وبعد استيفاء الغرض المقصود من تلك المأمورية التحق بوالده في المحل المعروف بطالع كرماط حيث قص عليه جميع ما راج في رحلته المذكورة فسر واستبشر وأمره بالتوجه إلى مراكش.

مبايعتـــه :

وعندما لفظ السلطان محمد الرابع أنفاسه الأخيـــرة زوال يوم الخميس 18 رجب سنة 1290 هـ 5 شتنبر 1873 اتفق جميع أعضاء الهيئة المخزنية وكبار العلماء والاعيان على مبايعة ابنه مولاي الحسن وكان الذي تولى كتابة البيعة بخطه هو عمه المترجم له وصهره مولاي العباس بن عبد الرحمان.

وفي يوم الاحد 28 رجب 19 دجنبر 1873 تحقق بفاس خبر وفاة السلطان سيدي محمد والبيعة لنجله وخليفته مولاي الحسن فاجتمع العلماء والاشراف والوجهاء والاعيان وعامل المدينة السيد ادريس بن عبد القادر السراج بدار عديل الشهيرة بحكومة الامعادي. حيث أتفق الجميع على مناصرته واقرار بيعته التي تمت كتابتها يوم الاثنين 29 من نفس الشهر في مسجد أبي الجنود.

رحلاتـــه

وبعد ما تم أمر البيعة غادر العاهل الجديد مولاي الحسن الأول مدينة مراكش للقيام برحلته الأولى قصد استطلاع أحوال الرعية بعدما استقر بهذه المدينة شهرا واحدا وستة ايام. وكان الشروع في هذه الرحلة يوم الاثنين رابع رمضان 1290هـ 26 اكتوبر 1873 وقد زار خلال هذه الرحلة التي استغرقت زهاء سنة ونصف جل مدن الشمال المغربي ونواحيها ولا سيما منها مدن الرباط ومكناس وفاس وتازة ووجدة حيث توفق في اخماد الكثير من الفتن والاضطرابات ثم عاد إلى مراكش التي غادرها من جديد في مستهل ربيع الثاني من سنة 1293هـ ـ 26 ابريل 1876م.

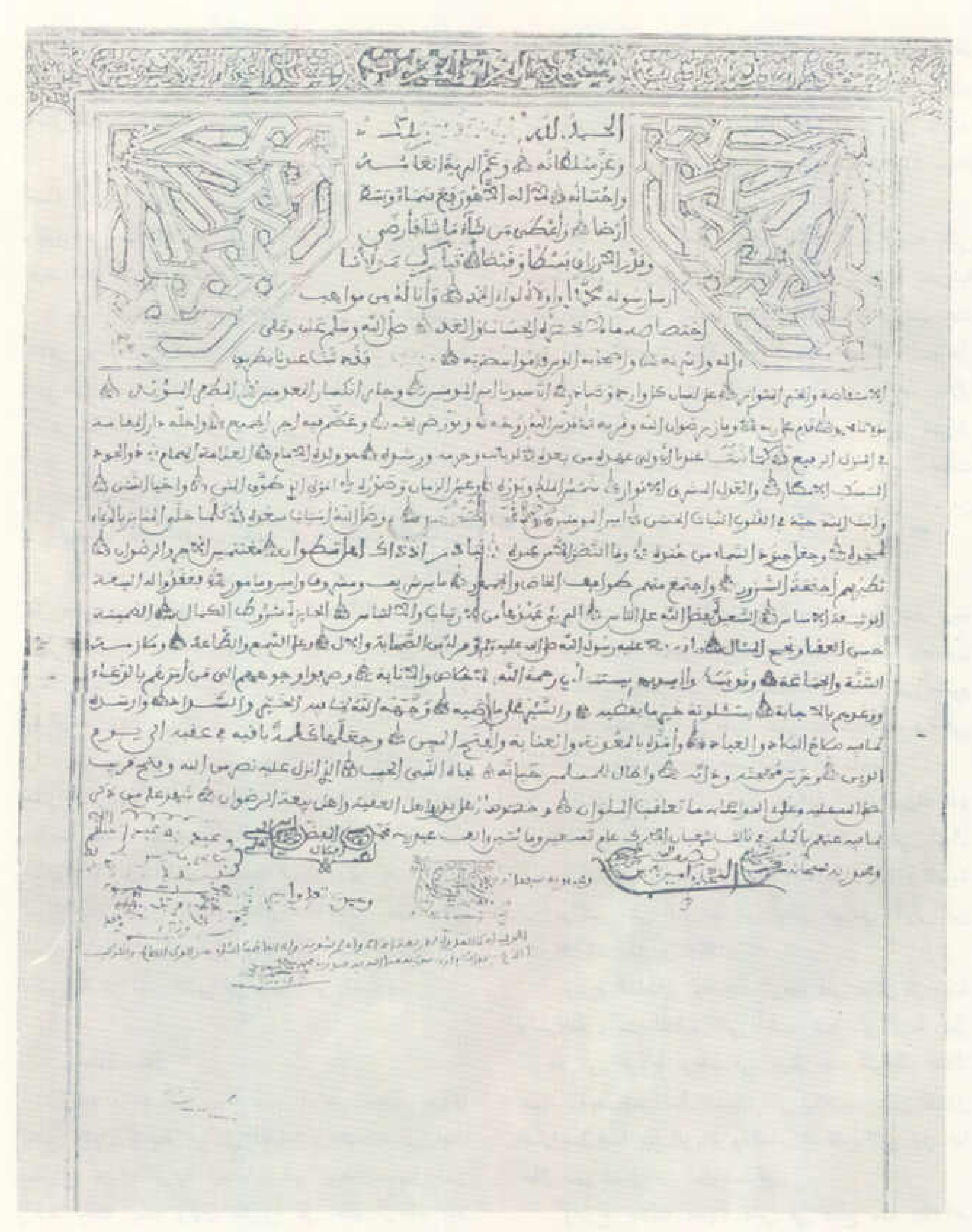
وقام جلالة الحسن الأول خلال هذه الرحلة التي شملت مدن الشواطىء بانجاز كثير من المنشآت العمرانية والحربية كما قام أثناءها بانشاء أو اصلاح وترميم عدد كبير من الحصون والابراج المعدة لحماية السواحل المغربية ولا سيما في الجديدة والرباط واتخذ خلال مراحلها كذلك عددا من التدابير الادارية التي تميزت بحركة واسعة النطاق لعزل البعض من رجال السلطات المحلية استجابة لرغبات السكان وتعيين مسؤولين جدد من أهل النزاهة والحزم.

وكانت هذه الرحلة منطلقا لانجاز مشروع أسفر فيما بعد عن تجهيز الثغور المغربية بمنشآت مرفئية وحصون حربية معززة ببطريات مدفعية ضخمة اشتملت على جميع المميزات المطابقة لآخر طراز تقني للصناعة الحربية في تلك الأثناء. وقد بلغ عدد هذه الآليات 94 مدفعا.

واستقر الموكب السلطاني بمكناس بعد انتهاء هذه الرحلة التي شملت بالاضافة الى ما ذكر نواحي شمال المغرب الشرقي، وغادرها في سنة 1294هـ ـ 1878م للعودة الى مراكش التي أقام بها إلى أوائل جمادي الأولى من سنة 1296هـ ـ أبريل 1879م.

وعرج السلطان أثناء هذه الرحلة على قبائل الرحامنة والسراغنة وأيت اعتاب التي أخمد فيها نار الفتنة قبل التوجه الى الرباط ونظم في سياق هذه الرحلة كذلك حملة ناجحة ضد أعمال الشغب التي ارتكبتها بعض القبائل المتواجدة فيما بين الرباط ومكناس ثم فاس التي حل بها خلال شهر شعبان من العام المذكور.

وبارح جلالته مدينة فاس في فاتح سنة 1298هـ 1881م للحلول بمكناس التي أقام بها ستة أشهر قبل التوجه إلى مراكش من جديد.



الحمد لله

بيعة تطوان للسلطان مولاي الحسن الأول 3 شعبان 1290 هـ

وبعد هذه الرحلة التي تعرف في المصادر التاريخية «بالمحلة السابعة» قام جلالة الحسن الأول برحلة الى الاصقاع السوسية لاتخاذ الاجراءات اللازمة في وجه مطامع الاسبان الذين ضاعفوا جهودهم للاستيلاء على مراسي وثغور هذا الاقليم منذ ابرام الهدنة عقب حرب تطوان. وترتكز مزاعمهم على الادعاء بأن هذه الناحية لا تخضع للمخزن الشريف. وقد حسم جلالته هذه المطامع بفتح ميناء عند مصب نهر «نون» في أرياض قبيلتي تكنة وآيت باعمران. ووجد من سكان هذه القبائل الذين خصصوا له استقبالا منقطع النظير تجاوبا صادقا لتجديد الولاء وتنسيق الخطط لمكافحة الغزاة الأجانب بمساعدة الجيوش الجرارة التي وجهها جنابه الى تلك الاصقاع مع كميات وافرة من المواد الغذائية لاستيفاء حاجات هؤلاء السكان. وكانت مبارحة الركب السلطاني لمراكش في يوم الاثنين 11 رجب 1299 هـ موافق 29 مايو 1882م.

وحقق في مراحل هذه الرحلة الطويلة التي استغرقت ـ عند الذهاب ـ أكثر من خمسة وعشرين يوما لتسوية عدد كبير من المشاكل المثارة في وجه القبائل التي عرج عليها كما اتخذ في عين المكان كثيرا من التدابير الادارية والقضائية والتنظيمية وتم في هذا الاطار تعيين هيئة من الموظفين والعمال والجنود لتعهد وحراسة المراسي الأربع وهي مرسى سيدي محمد بن عبد الله ومرسى سيدي «ورزيك» ومرسى «اسك» ومرسى «اكلو» بناحية تيزنيت.

وشرع الموكب السلطاني في طريق العودة الى مراكش يوم الخميس رابع رمضان 1299هـ ـ 20 يوليوز 1882.

واستغرقت مدة هذه الرحلة الكبرى ذهابا وايابا خمسة وسبعين يوما

وتم الشروع في الرحلة الموالية التي تعرف في المصادر التاريخية «بالحركة التاسعة» عند حلول سنة 1300هـ ـ 1883م قصد التوجه الى مكناس التي أقام بها سنة كاملة.

وقد اتخذ جلالة الحسن الأول أثناء هذه السنة عددا كبيرا من التدابير الهامة لصالح الرعية نذكر منها على الخصوص اصلاح وادي فاس رفعا للضرر الحاصل لسكانها من قلة الماء بالمساجد والدور والحمامات والارحية وغيرها من المرافق.

وبمناسبة هذه السنة المكملة للقرن الهجري الثالث عشر وجه رسالة جامعة ومشتملة على كثير من المواعظ والأوامر والنواهي والنصائح بجميع مناطق المغرب وننشر أهم فقراتها في نهاية هذا التحقيق المقتضب.

وأقام فيما بعد بمدينة فاس الى حلول سنة 1302هـ ـ 1884م حيث رجع الى مكناس ثم نهض منها قاصدا عاصمة الجنوب عن طريق زمور والرباط التي احتفل فيها بعيد الفطر قبل استئناف مراحل السفر التي عرج فيها على قبائل زعير وتادلة وآيت بوزيد وأيت عتاب ونتيفة والسراغنة والرحامنة فمراكش.

وقد استغل العاهل فرصة هذا المقام بمراكش لتحضير الرحلة الثانية للإقليم السوسي قصد تفقد أحواله وتسكين اضطرابه واعادة النظر في ترتيب شؤونه. وتم تحرير البرنامج الخاص بمراحل هذه الرحلة باتفاق مع أعضاء الوفد السوسي الذي حل بمراكش في تلك الحقبة لتجديد ولائهم للحضرة الشريفة بمناسبة الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف.

وبارح الموكب الملكي هذه المدينة في الثاني من 6 فبراير 1886 جمادي الثانية عام 1303هـ مخفورا بجيش كثير العدة والعدد.

وبعد استيفاء الغرض من هذه الرحلة نهض الموكب السلطاني من كلميم للعودة الى مراكش التي حل بها يوم السبت 20 ذي القعدة ـ 20 غشت 1886 بعد هذه الرحلة التي استغرقت ذهابا وايابا 150 يوما.

وفي يوم الاثنين 8 شعبان ـ 2 ماي 1887 نهض من مراكش للتوجه الى مكناس التي حل بها يوم الاربعاء رابع ذي الحجة 1301هـ ـ 24 غشت 1887م.

وغادر العاصمة الاسماعيلية يوم 15 رمضان 1305هـ 26 ماي 1888م للقيام بحملة تأديبية في قبائل بني مجياد وزايان وغيرهما من القبائل البربرية المجاورة التي كانت تحمل راية العصيان وتثير أعمال الفوضى منذ وقعتهم

الشنعاء ضد السلطان المولى سليمان في سنة 1234هـ - 1818م وكانت العودة من هذه الحملة الشاقة الى مكناس صبيحة يوم الاثنين 19 ذي الحجة عام 1305هـ هكذا استغرقت مدة هذه الحملة 93 يوما.

وبعد الاقامة في مكناس مدة اثنين وأربعين يوما نهض الموكب السلطاني للتوجه الى فاس حيث وفدت على الحضرة المولوية وفود من مختلف جهات المملكة لتهنئة جلالته بالانتصار على القبائل الثائرة في بني مكياد.

وغادر مدينة فاس يوم الاثنين 17 شوال 1306 16 يونيو 1889 حيث عرج على عدد من القبائل وزار ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش وحل بمدينة تطوان يوم الاربعاء ثامن محرم من سنة 1307هـ - 4 ستنبر 1889م حيث قام بها 15 يوما قبل التوجه الى مدينة طنجة والتي حل بها يوم الأحد 26 من الشهر المذكور وأقام بها 19 يوما.

وكان دخول الموكب السلطاني لهذه المدينة يوما مشهودا وقد افرد سكانها لجلالة الحسن الأول استقبالا حماسيا منقطع النظير واستقبل أثناءه عددا من سفراء الدول الأجنبية وحيته قطع من الأسطول البريطاني التي كانت مرابطة في مياه البوغاز بطلقات من المدافع.

وفي اليوم السادس عشر من شهر صفر (22 أكتوبر 1889) غادر مدينة طنجة للعودة إلى مكناس التي حل بها يوم الأحد (27 أكتوبر 1889) فاتح ربيع النبوي من نفس السنة بعد ما زار في طريق العودة مدينتي أصيلة والعرائش حيث تفقد بهما كثيرا من الحصون والمنشآت الحربية لحماية سواحل المغرب المطلة على المحيط الاطلسي وقد استغرقت هذه الرحلة 137 يوما.

وبارح مكناس في اليوم الرابع من الشهر المذكور للتوجه الى مراكش التي حل بها يوم الأحد (18 أكتوبر 1890) 4 ربيع النبوي 1308 هـ وعاد منها مرة أخرى الى مكناس صبيحة يوم الاثنين ثامن ذي القعدة وتوفق أثناء هذه الرحلة بإخماد ثورة بعض القبائل الواقعة بنواحي الدار البيضاء والرباط.

وحل بُعد ذلك بفاس يوم الاربعاء العاشر من نفس الشهر.

وبارح العاصمة العلمية يوم الخميس 14 من ذي الحجة للتوجه الى تافيلالت عن طريق صفرو ومراكش.

وقام يوم 27 نفس الشهر عام 1310هـ بزيارة ضريح الأسرة العلوية الشريفة مولاي علي الشريف وأقام هنالك 17 يوما.

وحل بعد ذلك بمدينة مراكش يوم الثلاثاء التاسع من جمادي الثانية 1311هـ - 18 دجنبر 1893.

وفي يوم الاثنين خامس عشر من شهر ذي القعدة 1311هـ (20 ماي 1894) غادر جلالة الحسن الأول مدينة مراكش وسار الى أن أدركته المنية بدار ولد زيدوح دائرة بني موسى اقليم بني ملال وكانت هذه آخر «حركة» للفقيد العظيم.

وبذلك بلغت جميع «حركاته» منذ الجلوس على العرش تسعة عشر رحلة في المجموع.

نشاط الحسن الأول في الميدان الديبلوماسي واعداد الأطر في الخارج

اضطر جلالة الحسن الاول بمجرد اعتلاء العرش العلوي المجيد الى مواجهة أوضاع سياسية وديبلوماسية شديدة الخطورة والتعقيد نتيجة لما خلفته حرب تطوان وما نتج عنها من تداخل سفراء الدول الأجنبية في شؤون المغرب واستفحال مناوراتهم الرامية الى تمهيد الطريق لتمزيق وحدة البلاد واستعمارها وذلك بالاضافة الى تفشي عوامل الانحلال الاداري نظرا لتكاثر الحمايات الأجنبية وتطاول المحميين على رجال السلطة المخزنية واتساع رقعة الفتن والاضطرابات في مختلف أنحاء المملكة.

وقد ازدادت خطورة هذه الأوضاع على الخصوص بسبب ما كان يدعي بالامتيازات والمصالح الأجنبية التي استفحل أمرها بموجب المعاهدة المبرمة مع الاسبان غداة الحرب التطوانية

ويسجل التاريخ بمداد الفخر والاعجاب مختلف المواقف التي اتخذها جلالته لمعالجة هذه الأوضاع بعزيمة تبرهن على ما كان له من فكر ثاقب وروح وثابة ورأي سديد في اتخاذ الخطط الملائمة لترقية المملكة وادخال الاصلاحات والتنظيمات المناسبة للظروف الوقتية.

وبذل في هذا الميدان جهودا امتازت بطابع الود في علاقاته الخارجية لتعديل مختلف المعاهدات والاوفاق التي تم فرضها على المغرب في ظروف خاصة مع تنقيح فصولها والحد من مفعول الحمايات الأجنبية ارتكابا لاخف الضررين.

وقد اغتنم فرصة استعداد الدول الكبرى ولا سيما منها فرنسا وانجلترا وايطاليا وبلجيكا التي اسرعت بتهنئة جلالته بالجلوس على العرش فوجه اليها وفودا محملة بالهدايا النفيسة لتبادل الزيارات ومفاتحتها في اقرار علاقات مبنية على مراعاة سيادة المغرب والتفاهم المتبادل.

وقد استطاع بفضل حنكته والاستفادة من تضارب المصالح بين الدول الكبرى احباط الدسائس الاستعمارية وتوفير الوقت الكافي لاصلاح الأوضاع الداخلية وترقية الجيش وتحصين شواطىء المغرب.

ولم يحصر جلالة الحسن الأول مساعيه فقط في هذا الصدد مع الدول الانفة الذكر ولكنه ربط جل الاتصال بشأنها مع دول أخرى كالمانيا والولايات المتحدة الامريكية والبرتغال زيادة على تمتين العلاقات مع الدولة العثمانية في تركيا.

وقد أسفرت هذه النشاطات والمساعي التي لا يتسع المجال لسردها في هذه العجالة عن صيانة استقلال البلاد في عهده الذي شاهد حركة انبعاث واسع النطاق.

ومن أهم أعماله وتنظيماته ضرب السكة الحسنية التي أحدث رواجها ازدهارا كبيرا في المغرب واستقدام مهندسين أجانب ولا سيما من انجلترا للتنقيب عن المعادن. وقد اتخذ هذه المبادرة بمجرد ما علم بعثور أحد الضباط الانجليز على معدن في قبيلة انجرة الواقعة بين طنجة وتطوان.

ويدخل في هذا المضمار توجيه عدد من الطلبة المغاربة إلى مختلف العواصم الاوروبية لتلقى العلوم العصرية والتدريب على فنون الحرب سعيا من جلالته في احلال المغرب مكانته اللائقة بين الأمم الراقية في تلك الاثناء.

وقد اتخذ في هذا الميدان تدابير لاعداد هؤلاء الطلبة في عين المكان قبل ارسالهم الى الخارج وقام في هذا الصدد بتأسيس ما يشبه بمدرسة مركزية ومعهد للمدفعية بمدينة الجديدة وأحداث مصنع لانتاج المعدات العسكرية في فاس.

وانتقل الى توجيه عدد من المغاربة للتدريب سريا في انجلترا واسبانيا وحتى في الولايات المتحدة الأمريكية.

وتوالت البعثات فوجه جلالته شبانا مغاربة الى فرنسا وانجلترا وايطاليا واسبانيا والمانيا للدراسة بمعاهدها قصد التكوين في مختلف الفنون الهندسية والعسكرية. وقد كان من شأن هذا العمل أن يحدث النواة الأولى لتحويل المغرب الى مصاف أرقى الدول المتقدمة في العالم لولا دسائس وتلاعب بعض المسؤولين الذين حالوا دون ذلك بدافع المصلحة الشخصية والتواطؤ على ارتكاب مؤامرة الصمت ضد الجالس على عرش البلاد واقامة السدود فيما بين السلطان وشعبه.

وكان لجلالة الحسن الأول اهتمام كبير بتحصين الثغور وبناء الابراج واقامة معداتها الحربية وتعهد الموانىء وانفق لذلك اموالا طائلة ولا يدخر أي مجهود في الاستعداد والاحتياط.

وهكذا زود طنجة بستة من بطريات المدافع الكبرى مع كل ما تحتاج اليه من المعدات. وقام فيما بعد بتحصين سائر الثغور وتزويدها ببطريات مدفعية بلغ عددها أربعا وتسعين بطرية في المجموع.

دفاعه عن الأصالة المغربية لاقاليم الصحراء

تعتبر المناطق الصحراوية في الجنوب - بشهادة جميع الوثائق التاريخية - جزءا لا يتجزأ من التراب

المغربي، كما تثبت نفس الوثائق أن أهلها وسكانها كانوا يعتبرون أنفسهم دائما من رعايا الجالس على العرش المغربي منذ سحيق العصور.

ويزخر تاريخ المغرب بعدد كبير من مواقف البطولة والصمود التي طبعت جهاد ملوكه المستمر سواء في الميدان الديبلوماسي أو الميدان العسكري للحفاظ على الصبغة المغربية لهذه الأقاليم والدفاع عن استقلالها في مختلف الاحقاب ضد المطامع الأجنبية والحيلولة دون تحقيق أهداف الغزاة الأجانب الرامية الى فصلها عن التاج المغربي لتبرير الاستيلاء عليها.

وقد كان من الممكن أن تتحقق أحلام المستعمرين بشأن هذه الأقاليم ذات الصبغة الاستراتيجية الهامة لولا تصدى ملوك المغرب الحازم واستماتهم في كفاحهم المستمر لصيانة صبغتها المغربية ضد كيد الكائدين.

وقد تميز في هذا الصدد على الخصوص ملوك الدولة العلوية الشريفة الذين اتسمت حياتهم بمواقف رائعة في هذا الميدان، وصرفوا زهرة مأموريتهم المقدسة في صيانة الوحدة الترابية والحفاظ على مغربية الساقية الحمراء ووادي الذهب بفضل ما خلدوه من مزايا وملاحم تثير الكثير من مشاعر الفخر والاعتزاز.

ونقتصر في هذا المجال على ما بذ له جلالة السلطان مولاي الحسن الأول الذي برهن في صيانة الوحدة الترابية عن شجاعة نادرة واستماتة اقترنت بحصافة الرأي والسداد وأبان عن مواقف انتزعت اعجاب جميع المؤرخين على اختلاف النزعات والميول.

والواقع أن جلالة الحسن الأول قد وجد نفسه مضطرا لمواجهة الأطماع الأجنبية - سواء فيما يخص الأقاليم الصحراوية أو فيما يرجع لمجموع التراب المغربي - بمجرد اعتلائه عرش البلاد بعد وفاة والده المقدس المولى محمد بن عبد الرحمان.

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن الأقاليم الصحراوية كانت في طليعة الجهات التي رفع أهلها التعازي لجلالته مع التعبير له في نفس الوقت عن تجدد ولائهم للعرش العلوي العتيد.

وكان أخوه مولاي رشيد يضطلع في تلك الأثناء بمنصب الخلافة السلطانية في تلك الأقاليم.

وقد واجه السلطان الحسن الأول تيارا من الدسائس المحاكة من طرف الدول العظمى وعلى الخصوص من بينها انجلترا وفرنسا واسبانيا. وكانت الشائعات والمغالطات والتضليلات تتوالى من هذه الدول - كل على شاكلته - لتبرير مواقفها المريبة أحيانا والمكشوفة في غالب الاحيان. وتميزت في هذا الاطار اسبانيا التي دأبت إذ ذاك على الادعاء بأن السلطان محمد بن عبد الرحمان قد تنازل لها عند ابرام الهدنة في حرب تطوان سنة 1860 عن ماسة ووادي (نون) فلم يسع جلالة الحسن الأول الا أن يتخذ موقفا حازما لتفنيذ هذه المزاعم الرامية في الحقيقة الى تمهيد الطريق للاستيلاء على الصحراء المغربية

وقد ازداد هذا الموقف خطورة قبل ذلك باقدام الحكومة الاسبانية في سنة 1884 على استصدار «مرسوم ملكي» ادعت فيه بسط حمايتها على اقليمي الساقية الحمراء ووادي الذهب في الصحراء. وذهبت في هذا السبيل حتى إلى ممارسة ضغوط على السلطان للتصديق على ما فرضته عن طريق القوة غداة حرب تطوان المذكورة والادعاء نتيجة لذلك بحق الاستيلاء على هذه الأقاليم وأثيرت في هذا الشأن مساجلات استخبر فيها سفير اسبانيا آنذاك في طنجة لدى نائب السلطان السيد محمد بن العربي الطريس عن مدى وبعد «حدود المملكة المغربية في الجنوب».

وأجاب جلالة الحسن الأول على هذه الادعاءات بكتاب مؤرخ في رابع رمضان 1303هـ (6 يونيو 1886م) أكد فيه أن المخزن الشريف قام بتحقيق في خصوص وادي الذهب لدى سكان المنطقة فتبين أنهم من أولاد دليم وقبيلة العروسيين الذين هم رعايا أوفياء لجلالة السلطان وقد استقروا بأحواز مراكش وفاس ويسمون منطقتهم تلك بالدخلة.

ووجه الحسن الأول كذلك في 18 مايو 1886 رسالة لممثلي الدول الأجنبية في طنجة بواسطة وزير خارجيته احتج فيها على مناورات بعض الدول الأوروبية وخاصة

اسبانيا في الصحراء. وقد أشرنا فيما سبق الى الرحلة التي قام بها جلالته الى الصحراء، حيث صادف تجاوبا صادقا من طرف السكان الذين جددوا الولاء للعرش العلوي وعاهدوا جلالته على التمسك بأصالتهم المغربية والاستماتة في الدفاع عنها.

حرص جلالة الحسن الأول على تطبيق تعاليم الاسلام

قام جلالة السلطان الحسن الأول - رحمه الله «بالحركة» التاسعة في سنة 1300هـ كما أشرنا من قبل.

ودخل أثناءها للعاصمة المكناسية في حجة الحرام وأقام بها سنة عيد الأضحى ومكث بها سنة كاملة.

وفي هذه السنة التي هي رأس المائة وجه صاحب الترجمة رسالة جامعة مشتملة على كثير من المواعظ والأوامر والنواهي والنصائح لجميع بلاد المغرب والى الأمة الاسلامية وأشار الى المجدد في صدرها ونصها بعد البسملة والصلاة، ونثبت فيما يلي أهم فقرات هذه الرسالة التي جاء في مطلعها :

(هذه وصية مؤسسة على قواعد شرعية، ونصيحة دينية، للولاة والرعية، صدرت عن عبد الله، الموفق بفضل الله، المتوكل عليه في سره ونجواه أمير المومنين، ابن أمير المومنين، ابن أمير المومنين (ثم الطابع الشريف بداخله الحسن بن محمد بن عبد الرحمان الله وليه 1291).

أيد الله ملكه، وأجرى في بحار اليمن والسعادة فلكه، وجعل فيما يرضيه أوامره، ونصره وجنده وعساكره، الى معاشر أهل الاسلام وأمة النبي عليه الصلاة والسلام، وفقكم الله وهداكم، وبركوب سفينة الشريعة أنجاكم، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد فلتعلموا أيها المسلمون أن الله جل جلاله بمقتضى حكمته بعث النبيئين مبشرين ومنذرين، وناط بهم أحكام الشرائع ابلاغا وتبليغا وجعلهم نوبا عن سيد المرسلين، سيدنا ومولانا محمد لبنة التمام عليه وعليهم الصلاة والسلام قال مولانا في محكم كتابه المبين واذ أخذ الله ميثاق النبيئين لما آتيناكم الآية ولما بعثه الله تبارك وتعالى قام بما حمله من أعباء الرسالة، وبلغ ما أمر بتبليغه وأنقذ الأمة من الضلالة، الى أن صار الدين مشيد الذرى، محكم العرى، وتبوأت خير أمة من قصوره حصنا حصينا، وإثره نزل قوله تعالى **اليوم أكملت لكم**. الرسل عليهم السلام لبيان وعده ووعيده

وبعدما استفاض الكتاب السلطان في شرح أركان الاسلام والحث على مراعاتها أوضح بأنه «ينبغي تكرير الوعظ والتذكير، والتنبيه والتحذير، لئلا تقسا القلوب.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة أحيانا مخافة السآمة علينا، ويجب الرجوع إلى الله بالتوبة والاستغفار، وتجديد نية الاخلاص ونفي الأصرار، فالعمل بالسنة هو السبيل الموصل الى رضوان الله فالزموها، واجتنبوا البدع والمنهيات واحذروها ففي الحديث عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة فيتأكد على كل من ولاه الله تعالى أمرا أن ينظر لرعيته، ويعمل على إخلاص عمله وتصحيح نيته، ويرشدهم إلى ما ينفعهم دنيا وأخرى، ويحملهم على ما يقربهم إلى الله زلفى، قال الله سبحانه وذكر فان الذكرى تنفع المومنين وقال إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون، وذلك بعد أن يعمل العامل بطاعة ربه، ويجعل سعيه فيما يوجب الفوز بقربه، فانه لا ينفع الوعظ في أبناء جنسه، إلا بعد تطهير نفسه فليبدإ العامل بنفسه فيصرفها عن هواها، ويأمرها بما يأمر به سواها، ولا يكن ممن يدعو الى طريق البر وهو قد حاد عنه وخرج، وانتصب لمعالجة غيره وهو إلى من يعالجه احوج، إذ بصلاح الولاة تصلح الرعية، وتستقيم أحوالها في السر والعلانية، ومن صلاحهم أن يكونوا مع من هم إلى نظره إخوانا، وعلى ما يقوى على الطاعة أعوانا، فالمسلم أخو المسلم وإن كان واليا عليه، وأولى الناس باستعمال الرفق من ظهر فضل الله لديه وأن لا يداهنوا أهل المعاصي، بل يتقصوا أحوال الداني منهم والقاصي.

ففي الحديث الكريم يحشر يوم القيامة أناس من أمتي من قبورهم إلى الله تعالى على صورة القردة والخنازير بما داهنوا أهل المعاصي وكفوا عن نهيهم وهم

يستطيعون ويستعين على ذلك بتقريب أهل الفضل والدين. ويجتنب أهل الضلالة والمعتدين. فإن الطباع تسرق الطباع. والمرء لمن غلب عليه تباع. قال في الحكم لا تصحب من لا ينهضك حاله. ولا يدلك على الله مقاله. وفي الحديث ما من أمير الا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تالوه خبالا ومن وقي بطانة السوء فقد وقي وإذا زكى الإنسان نفسه واتقى ربه أصلح الله رعيته. وبلغه من كل خير أمنيته. فإن رأس المال تقوى الله وسبيل النجاة اتباع سنة رسول الله قال الله سبحانه وتعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأياكم أن اتقوا الله. وقال ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقال سبحانه إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون. وأفضل أعمال الولاة العدل ونصر المظلوم وقمع الظالم فإنما السلطان ظل الله في أرضه يأوي اليه القوي والضعيف وينتصر به. المظلوم قال سبحانه وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم. وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به وقال إن الله يحب المقسطين وقال عليه السلام أن المقسطين يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمان وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا وفي الحديث الامام العادل المتواضع ظل الله في الأرض يرفع له عمل سبعين صديقا.

وقال سبحانه وما أتاكم الرسول فخذوه وما نها عنه فانتهوا واتقوا الله وقد أمر الله بالعدل ورغب فيه وأخبر بكرامة صاحبه إذ به تحصل العمارة والامان في جميع الأوطان والأزمان وكما رغب في العدل ورتب الأجر عليه نهى عن الجور والظلم وحذر منه وأخبر بهلاك مرتكبه قال سبحانه يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا اليما. ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وقال ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولائك هم الظالمون. وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقال عليه السلام الظلم ظلمات يوم القيامة وقال الظلم يذر الديار بلاقع وقال عليه السلام فيما يرويه عن ربه يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته فيما بينكم محرما فلا تظلموا وقال ومن أظلم ممن ظلم من لم يجد ناصرا غيري وقال كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وقال في حجة الوداع فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا وفي الحديث المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره التقوى هاهنا وأشار الى صدره الشريف ويدخل في الظلم ظلم أهل الذمة وما سموا أهل الذمة الا لأنهم في ذمة الاسلام يجب حفظهم والدفاع عنهم وتحرم دماؤهم وأموالهم وقد أوصى عليه السلام بالوفاء لهم وحذر من ظلمهم ففي الحديث من ظلم ذميات كنت له خصيما يوم القيامة ومن كنت خصيمه فلجت عليه بالحجة وفيه من قتل معاهدا في غير كنهه حرم الله عليه الجنة وفيه إذا ظهرت الفاحشة كانت الرجفة واذا جار الحاكم قل المطر وإذات تركوا الجهاد رهبة البسهم الله سيم الخسف ووسمهم بالصغار ففي الحديث ما ترك قوم الجهاد رهبة الا ذلوا وفي الحديث من جرد ظهر مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان وفيه من روع مومنا لم يومن الله روعته يوم القيامة ومن سعى بمومن أقامه الله مقام خزي وهو أن يوم القيامة وعنه عليه السلام من أعان في قتل امرىء مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله وفي الحديث اللهم من ولى من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به ومن ولى من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه وعنه عليه السلام ايما أحد استرعى رعيته فلم يحطها بالأمانة والنصيحة ضاقت عليه رحمة الله التي وسعت كل شيء وعنه عليه الصلاة والسلام من اخوان الخونة تجارة الوالي في رعيته وفي الحديث لكل شيء افات تفسده وآفات هذا الدين ولاة السوء وعنه صلى الله عليه وسلم ما عدل وآل اتجر في رعيته وعنه عليه السلام من ولى شيئا من أمور المسلمين لم ينظر الله في حاجته حتى ينظر في حوائجهم وعنه عليه الصلاة والسلام ما من أمام أو وال يغلق بابه دون ذوي الحاجات والخلة والمسكنة الا أغلق الله أبواب السماء دون حاجته وخلته ومسكنته وفيه ما من أمير يؤمر على عشرة الا سئل عنهم

يوم القيامة وفيه ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة واعلموا أن ما ينزل بنا من الشدائد والمصائب انما هو من عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وارتكاب الذنوب، والأصرار على العيوب.

وقد حذر الشارع عليه الصلاة والسلام وأنذر، ووعظ وذكر، ورتب على كل ذنب عقوبة. فقال جل ثناؤه ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولائك هم المفلحون وقال تعالى والمؤمنون والمومنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة الآية وقال عز وجل كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ومن المنكر السكوت عن المنكر لمن يقدر على تغييره لقوله تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبيس ما كانوا يفعلون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعوا أخياركم فلا يستجاب لهم.

ومن المنكر الذي لا يسع التغافل عنه والتساهل في أمره هذا الخطب النازل الوقتي الذي هو المجاهرة باستعباد الأحرار واسترقاقهم بدون وجه شرعي فان المستعبد لحر هو أحد الثلاثة الذين لا يقبل الله منهم صلاة فعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة من تقدم قوما وهم له كارهون ورجل أتى الصلاة دبارا والدبار أن يأتيها بعد أن تفوته ورجل استعبد حرا وهو أيضا أحد الثلاثة الذين قال الله تعالى فيهم أنه سبحانه خصمهم فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته، رجل أعطى بي عهدا ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى ولم يوفه وقال عليه السلام ما من قوم يظهر فيهم الربا الا أخذوه بالسنين وما من قوم يظهر فيهم الرشا إلا أخذوا بالرعب وقال عليه السلام ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعمله ثم لم يغيروه الا عمهم الله بعقاب.

ونعهد الى عمالنا وولاة أمرنا أن يلزموا أنفسهم وأهليهم طاعة الله ويدلوا رعيتهم عليها ويعملوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحضوهم عليها قال تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا، وأن يلزموا كل قرية ومدشر ودوار مشارطة طالب علم يعلم أولادهم ويفقههم في دينهم ويقيم لهم الصلوات الخمس في أوقاتها ويحضهم على الاذان الدال على ايمان الدار. وهو للمومنين شعار. وأن ينبهوا على رد البال للطريق ليلا ونهارا أماكن الخوف منها رواحا وابتكارا. وينصبوا لأهل الغيث الارهاد لهم بكل واد. حتى تصير الدماء بذلك محقونة. والفتن محسومة والأموال مصونة. فان قطع الطريق واخافة المسافرين من اقبح السيئات كما أن اماطة الأذى عن الطريق من أحسن الصالحات. ففي الحديث الكريم عرضت علي أعمال أمتي حسنها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق. وأن يتفقدوا أحوال الفقراء الذين قدرت عليهم مواد الأرزاق والبسهم التعفف ثوب الغنى وهم في ضيق من الأملاق. بصدقة التطوع التي هي للحسنات كالأم الولود. فهي التي تتيقظ لحراسة صاحبها والناس رقود. وبها تستنزل الأرزاق وتسبغ الآلاء. وتطفىء الغضب ولا يتخطاها البلاء. اختص الله بها بعض عباده لمزية افضالها. وجعلها سببا للتعويض بعشر أمثالها. ففي الحديث الشريف عنه صلى الله عليه وسلم من تصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب فانه إنما يضعها في كف الرحمان يربيها له كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله حتى تكون مثل الجبل وفيه ما من رجل يتصدق في يوم أو ليلة الا حفظ من أن يموت من لدغة أو هدمة أو موت بغتة وفيه أن الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار وفيه اتقوا النار ولو بشق تمرة وفيه اعطوا السائل ولو جاء على فرس أي لا تردوه ولو جاء على حالة تدل على غناه وورد استنزلوا الرزق بالصدقة وحصنوا أموالكم بالزكاة وليعاقبوا الفرقة التي تراخت في الدين، وخالفت سنة سيد المرسلين ولم يتعلموا ما يقيمون به قواعد اسلامهم ولا سلكوا سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا سبيل ايمة الدين واعلامهم. ففي الحديث انما العلم بالتعلم وهو واجب إذ لا

يحل لامرىء مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه. وقد قال سبحانه وتعالى فاسألوا أهل الذكرى إن كنتم لا تعلمون. وقال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ولما أخذ الله العهد على العامة أن يتعلموا أخذ العهد على أهل العلم أن يعلموا فقال سبحانه وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه. ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعدما بيناه للناس في الكتاب أولائك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا فأولائك أتوب عليهم وانا التواب الرحيم. وقال صلى الله عليه وسلم من كتم علما الجمه الله بلجام من نار. فتعلموا وعلموا فإن من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم قال الله سبحانه واتقوا الله ويعلمكم الله وفي الحديث اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل وما تقدموا لأنفسكم من خيرتجدوه عندالله هو خير وأعظم أجرا.

فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وقال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره. وقال صلى الله عليه وسلم في وصية لبعض أصحابه رضي الله عنهم كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل واعدد نفسك في الموتى واذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا امسيت فلا تنتظر الصباح. وقال يا بني احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وقال في وصيته لمعاذ بن جبل يا معاذ اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن قال قلت يا رسول زدني قال كف عنك هذا وأشار الى لسانه. قلت أو أنا لمواخذون بما نتكلم به قال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على مناخرهم أو قال على وجوههم الا حصائد السنتهم وفيه المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هاجر ما نهى الله عنه وفيه أحب الأعمال الى الله حفظ اللسان وفيه رحم الله أمرءا تكلم فغنم أو سكت فسلم وفيه أن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله درجات وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوي بها في جهنم وفيه أكثر خطايا الانسان من لسانه. وفيه من حفظ ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له الجنة فليبلغ الشاهد الغائب. الهمنا الله واياكم الأعمال الصالحات. وأرشدنا لمناهل الخيرات وجعلنا من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

حركات الحسن الأول بين 1290 ـ 1873 و 1311 ـ 1894

الحركة الأولى (خريف) ـ 1873 ـ 1290 ، مراكش ـ السراغنة ـ البروج ـ الرباط ـ مولاي إدريس زرهون ـ مكناس ـ فاس.

الحركة الثانية ، (ربيع وصيف وخريف) ـ 1874 ـ 1291 ، فاس ـ تازة ـ قصبة سلوان ـ تازة ـ فاس.

الحركة الثالثة ، (خريف) 1875 ـ 1292 ، فاس ـ مكناس ـ الرباط ـ الرحامنة مراكش.

الحركة الرابعة ، (ربيع وبداية صيف 1876 / 93 ـ 1292 ، مراكش ـ الرحامنة ـ الجديدة ـ أزمور ـ الدار البيضاء ـ الرباط ـ زمور ـ مكناس ـ فاس.

الحركة الخامسة ، (صيف) 1876 ـ 1293 ، فاس ـ تازة ـ قصبة سلوان ـ وجدة ـ عيون سيدي ملوك ـ تازة ـ فاس.

الحركة السادسة ، (صيف) 1877 ـ 1294 ، فاس ـ مكناس ـ الخميسات ـ تيداس ـ المعازيز ـ السراغنة ـ مراكش.

الحركة السابعة ، (نهاية ربيع وصيف) 1879 ـ 1296 ، مراكش ـ السراغنة ـ تادلة ـ الرباط ـ زمور الشلوح ـ أكوراي ـ الحاجب ـ مكناس ـ فاس.

الحركة الثامنة ، (ربيع) 1881 ـ 1298 ، فاس ـ مكناس ـ زمور الشلوح ـ الرباط ـ السراغنة ـ مراكش.

الحركة التاسعة ، (ربيع وصيف) 1882 ـ 1299 ، مراكش ـ وادي شيشاوة ـ وادي بني تامر ـ أكادير ـ اولاد تايمة ـ وادي ماسة ـ تيزنيت ـ أمزور ـ ابن ماركاو ـ شيشاوة ـ وادي النفيس مراكش.

الحركة العاشرة ، (خريف) 1883 ـ 1300 ، مراكش ـ زمران ـ تادلة ـ زعير ـ زمور الشلوح ـ الحاجب ـ مكناس ـ فاس.

الحركة الحادي عشر ، (صيف) 1885 ـ 1302 ، فاس ـ مكناس ـ زمور الشلح ـ الرباط ـ أيت عتاب ـ السراغنة ـ مراكش.

الحركة الثانية عشر ، (صيف) 1886 ـ 1303 ، مراكش ـ وادي الحلوف ـ زيمة ـ أسفي ـ الصويرة ـ سيمو ـ إداوتنان ـ تزنيت ـ أكلميم ـ تارودانت ـ مراكش.

الحركة الثالثة عشر ، (صيف) 1887 ـ 1304 ، مراكش ـ انتيفة ـ تادلة ـ الرباط ـ مكناس.

الحركة الرابعة عشر ، (ربيع وصيف) 1888 ـ 1305 ، مكناس ـ بني مكيلد ـ مكناس.

الحركة الخامسة عشر ، (صيف) 1889 ـ 1307 ، مكناس ـ فاس ـ صنهاجة ـ بني زروال ـ باب تازة ـ الشاون ـ تطوان ـ طنجة ـ أصيلا ـ وادي اللكوس ـ القصر الكبير ـ العرائش ـ مكناس ـ فاس.

الحركة السادسة عشر ، (صيف) 1890 08 ـ 1307 ، فاس ـ مكناس ـ ضايت الرومي ـ سيدي علال البحراوي ـ الرباط ـ سيدي يحيى ـ مراكش.

الحركة السابعة عشر ، (صيف) 1892 ـ 1310 ، مراكش بني خيران ـ الرباط ـ زمور ـ مكناس ـ فاس.

الحركة الثامنة عشر ، (صيف وخريف) 1893 ـ 1311 ، فاس ـ صفرو ـ بني مكليد ـ الرليش ـ تدافوست ـ أيت عطا ـ الريساني ـ تدغة ـ سكورة ـ الرحامنة ـ مراكش.

الحركة التاسعة عشر ، (نهاية الربيع) 1894 ـ 1311 ، مراكش ـ دار اولاد زيدوح.

جَادتْ به الدّنيَا لكُلّ رضيّة..

للشاعر الأستاذ شهاب جنبكلي

سادت على قمم الربـا أعـــــلام   وتفاخـرت في ذا الـورى أقـــلام
فتحدثــت عـن مغــرب يعلـو علـى   وجـه الـسحاب كأنـه آجــام (1)
ضمت جوانبه الحصون وزغــردت   تـبقي المحبـة في الجوى أنـــام
بلد يذود الضيم عــن أحواضـــه   ولـه الـسعادة في الدنا أنغـــام
بلد يفيض الحب في جنباتـــه   ومليكـــه، في ذا العـلا رحـــام
دنيـا تفـي للغارسيــن خميلـــة   منها العطـاء، وجودهـا إتمــام
فإذا المروءة قد تجلى غرسهـــا   وإذا النفوس بروضهـــا إنعـــام
وإذا البلاد مطلة من فرحـــة   بمليكهـا، وشعارهـــا الإســـلام
نعمى لهذا الشعب حين أعـــده   حـــن المفـــدى قائـد ضرغام
هذا شروق المغرب الفيحــاء يــد......   عمـه حبيـب، باللقا صمصـــام
ما كان للإسلام إلا رائـــــدا   في قدرة، يـسمو بها الإعظـــام
جادت به الدنيا لكل رضيـــة   وهفت له من جـــوده أقـــوام

---

(1) آجام وأجمة . غابة كثيفة للأسد

جادت به الدنيا وجاد بسيبه (2) ... فتفرقت من حوله الأغمام
وصفا لكل ملمة حاقت (3) بنا ... وله الصدارة قائد مقدام
يعطي بسر من قراه (4) تورعا ... يعطي بجهر ما به إحجام
هو من أقام لعهده مناهلا ... وعمادها من عطفه الإكرام
زرع المحبة في القلوب فأجمعت ... من حوله، وعلى الهدى أرحام
واسترسلت تجني ثمار غليلها ... من وده، فكأنه إسحام (5)
وبدت بصدق العهد حيث تقاطرت ... كلماته، ووعوده إبرام
وتوفرت فيه العطايا كلها ... وتبخرت في عهده الأوهام
هذا هو الجمع الوفي تضمه ... «فاس» (6) العروبة، في الرضى، بسام
«فاس» العروبة موئلي ومحبتي ... وبها المليك مهادن سلام
يا يوم «فاس» تنحني هيابة ... فيها الرقاب، ويختفي الإخصام
جمع دعاه المخلصون فعزه ... ملك على قدر الوفا عزام
جاءت إليه جموعهم من شدة ... فبدا الصفاء كأنهم أحمام (7)
وتعاقدت آمالهم في ظله ... وتصدرت من وحيه الأحكام
وقف الضياع وقد علته بسمة ... تنسيه من عهد الجفا أختام
فرعى بعين خطبه ومصابه ... وهو الغضنفر للوغى حوام
ورأى بأخرى جمعه في «فاسه» ... فتمزقت لضياعه الألثام

«والقدس» تمسك جرحها في لوعة ... أنت لها من عربنا أقسام
«والقدس» تأبى أن يضم مهادها ... غدر، دعي، فاسق، هدام
آن الأوان للصها أن يسحق ... وأخو الشهامة عائد دحام
آن الأوان لنجمها أن يألق ... والعرب أسوار لها خدام
خسئت أفاعي الشر تلقى أمة ... أمسى لها في فاسها صلهام (8)
والعار فينا أن نرى أعتابها ... تحت القذيف تدوسها الأقدام
والله ينصر من عباده فائقا ... نشر الصلاح كأنه إلهام

---

(2) السيب: العطاء.
(3) حاقت بنا: طوقتنا وأصابتنا.
(4) قراه: عطاياه.
(5) إسحام السماء: صبت ماءها.
(6) إشارات إلى مؤتمر القمة العربي المنعقد في فاس تحت رعاية عاهلنا المفدى.
(7) أحمام وحميم: العزيز.
(8) الصلهام: الأسد والجريء.

حـن المفدى فائـــق لا ينثنـي.. عند التلاقي قــادر مصـــدام
عون الإلـه لمـن أقـام مـالكـا للنصـر يومـا.. آمـن تمـام
عادت إلينا صحوة من هديـه تحت البنود تشدهـا الأيـام
إني أرى الصدق البرىء منابعـا من قلبـه، ومعاشـه الإحـرام
من للعروبـة حيـن تطغى فتنة ؟ مـن للـلامـة إن بـدت آلام
غير المليـك حـامهـا وملاذهـا وهو الحصيف بفكـره قـلام
علم يضاء العرف تحت لوائـه والمجـد مصداق لـه قـوام
نجم هداه اللـه مـن عليائـه وحبتـه مـن أعماقهـا الأعـوام
فاهنـأ بشعـب أنت تقـوده واهنأ بعيـد ليتـه مـدوام

شهاب جنبكلي

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

•• إن الطريق إلى مركز الصدارة بين الأمم مفتوح في وجه الأمة الإسلامية لا يحول بينها وبينه حائل، لكن يلزم لضمان ذلك أن لا تقتصر عنايتها على الجانب المادي وحده، وعليها أن توجه حظا كافيا من اهتمامها إلى الحفاظ على تلاحم الأسرة المسلمة ••

من وحي دعوة جلالة الملك إلى تلاوة القرآن في شهر رمضان

للأستاذ محمد حمزة

القرآن الكريم، كتاب الله الخالد ودستوره الأسمى وآيته الكبرى، وقانونه الأعلى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، نزل به الروح الأمين على قلب الرسول ليكون للعالمين بشيرا ونذيرا.

وقد تلقى الرسول الكريم وحي الرسالة السموية على مدى ثلاثة وعشرين عاما (1)، فأعجز القرآن الخلق بأسلوبه، وسبل نظمه، وطرق تأليفه وما ينطوي عليه من علوم وأحكام، وفي كشف الحجب عما مضى وما هو آت من أحوال الأمم والأقوام والمعارف والحضارات. وحكمة الحكماء تموت بموت اصحابها، وعلم العلماء يخضع دائما للتغيير والتنقيح والتهذيب. أما القرآن فخالد خلود السموات والأرض، وهو وحده الذي يزود المؤمن بالقوة الروحية الكافية التي تقدره على الحياة الكريمة وفق المنهج الإلهي السليم، ولم يفتأ المصلحون الاجتماعيون منذ العصور الضاربة في القدم يقدمون الوصايا الأخلاقية التي تعمل لخير البشر ولصالح الإنسانية، غير أن هذه الوصايا تظل دائما عرضة للكسر والتعريف والتصرف المغرض لسبب بسيط هو أن أصحابها بشر يتبدلون ويتغيرون. أما مبادئ الله فوحيدة، وكلماته لا تتبدل ولن تجد لكلماته تحويلا. ولذلك اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون نزول القرآن أقساطا ونجوما مراعاة للظروف والملابسات التي كانت تحيط بحياة العرب أنذاك وما يقتضيه بزوغ نور الدين الجديد، واهتماما بتبليغ القرآن وأداء الرسالة المحمدية في وقت كاف لنشر أنوارها وتأييد صاحبها أو تسليته وتقوية قلبه، تبليغا يتناسب مع الأحداث وينسجم مع الوقائع، ويستجيب لما يعن في الدين أو في استفتاء يهم أمور المسلمين مصداقا لقوله تعالى : **(وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا)** (2) فكما تتطلب تلاوة القرآن شيئا من التمهل ونصيبا من الترسل

---

1) اختلف في كم نزل القرآن من المدة فقيل، في خمس وعشرين سنة، وقيل في ثلاث وعشرين، وقيل في عشرين، ولعل سبب الخلاف راجع إلى الخلاف في سن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2) الآية 106 من سورة الإسراء، قرأ ابن عباس وعلي وابن مسعود وابي بن كعب وقتادة وأبو رجاء والشعبي «فرقناه» بالتشديد، أي انزلناه شيئا بعد شيء لا جملة واحدة، وقرأ جمهور الناس «فرقناه» بتخفيف الراء، ومعناه بيناه وأوضحناه، وفرقنا فيه بين الحق والباطل. (تفسير القرطبي).

لدى الترتيل بإعطاء القراءة حقها من تحسين لمخارج الحروف، وتطييب لها بالصوت المناسب. فإن نزول القرآن كان هو بدوره على مهل ولم ينزل جملة واحدة كما كان يود المشركين. لما في ذلك من سر فريد ومنهج دقيق وطريقة فذة. وأسلوب لا يجارى في تلقي الرسول لرسالة السماء من ربه لأن الأمر يتعلق هنا بتعاليم الله المقدسة، وأوامره ونواهيه المحكمة، ومقرراته التي لا تعرف التبدل أو التغير، وأحكامه الثابتة التي لا تفسدها الأهواء.

ولو نزل القرآن جملة واحدة لكان ذلك مخلا بالتربية في أبسط صورها لما يؤدي إليه من تكثيف الأحداث، وتجميع الوقائع، وضياع فرصة التكرار، كتكرار قصص الأنبياء مثلا، والتي يكررها القرآن للعبرة والاتعاظ. وعلى هذا الصعيد لم تنجح جهود المربين الداعين إلى الطريقة الكلية، وهي ترمي إلى اعتبار النصوص وحدات مستقلة ينبغي أن تحفظ كما هي بدلا من تقسيمها إلى أجزاء، وحفظ كل جزء على حدة. وهذا إن جاز على القطعة القصيرة فإنه يستحيل على القطعة الطويلة، وانه لا يمكن حفظها باعتبارها كلا. وقد عاب المربون على هذه الطريقة كونها في بعض الأحيان غير متساوية صعوبة وسهولة، فالسهل يعلق بالذهن أولا، والصعب يأتي بعده، وتوزيع الانتباه على أجزائها ليس متساويا. وقد دلت التجربة على أن الانتباه لأول القطعة وآخرها يكون أقوى من الانتباه لوسطها. وإذا ادركنا صعوبة القرآن وشدة ثقله، لقوله تعالى : **(إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا)** (3) أدركنا إلى أي مدى كان نزول القرآن أقساطا، نزولا يتناسب وعقلية العرب، ويتلاءم مع طاقة الرسول في تحمل هذا العبء العظيم. وقد جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جرانها (4) على الأرض، فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه الوحي. وسئل عليه السلام : كيف يأتيك الوحي ؟ فقال : «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس» (5) وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما أقول» قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقا (6).

فالقرآن ثقيل يثقل العمل بشرائعه.

قال قتادة : ثقيل والله فرائضه وحدوده.

وقال مجاهد : حلاله وحرامه.

وقال أبو العالية : ثقيل بالوعد والوعيد والحلال والحرام.

وقال محمد بن كعب : ثقيل على المنافقين.

وقيل ثقيل على الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم، والبيان لضلالتهم، وسب آلهتهم، والكشف عما حرفه أهل الكتاب.

ونزول القرآن بالطريقة الجزئية كان هو السبيل الأمثل لما فيها من استجابة لحالات المجتمع القرشي وقتذاك ولما فيه من عنصر التشويق لدى المؤمنين الذين كانوا يتلقفون آيات الكتاب المبين ويحفظونها ولما فيه من تسهيل مأمورية الرسول في نقل الأمانة شيئا فشيئا، ولما فيه من فلسفة تربوية تنبني على التدريج والسير البطيء لترسيخ العقيدة وتثبيت المضامين القرآنية في العقول تثبيتا متأنيا متعقلا زمانا ومكانا، انطلاقا من صدق عزيمة الرسول ونبل رأيه، وسعة أفقه ونضاله المستميت لتبليغ الرسالة الربانية إلى الناس كافة.

وفي تجدد نزول الوحي عليه السلام انشراح لصدره، وإشاعة للغبطة في نفسه الكريمة وزرع للذة الروحية التي لا تعدلها لذة. ولو بحثنا الآفاق النفسية لنزول القرآن منجما لاستخلصنا الحقائق التالية :

---

(3) الآية 5 من سورة المزمل.

(4) جران البعير : صدره أو مقدم عنقه، ووضعت جرانها على الأرض أي بركت.

(5) الصلصلة : الصوت الشديد الصلب اليابس من الأشياء الصلبة كالجرس ونحوه. يفصم عني : أي يفارقني، وعيت ما قال : أي حفظت.

(6) يتفصد عرقا : يجري عرقه كما يجري الدم من الفاصد. وعن عبادة بن الصامت قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد له وجهه. وفي رواية «كان إذا نزل عليه الوحي عرفنا ذلك في فيه وغمض عينيه وتربد وجهه» والربدة في الألوان غبرة مع سواد.

1) نزول القرآن مرة بعد أخرى دليل على جدته وإعجازه. فسامعه لا يمجه، وقارئه لا يمله، بل لا تزيده تلاوته إلا حلاوة، ولا ترديده إلا محبة، ولا يزال غضا طريا، وغيره من الكلام، ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه، يمل مع الترديد، ويعادي إذا عيد. ولذلك وصف الرسول القرآن فقال إنه لا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عبره، ولا تفنى عجائبه، ليس بالهزل، لا يشبع منه العلماء، ولا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا : «إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به» (7) من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فلج، ومن قسم به أقسط، ومن عمل به أجر، ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله، ومن حكم بغيره قصمه الله، هو الذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم، وحبل الله المتين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب.

وتجد نزول القرآن كان تحديا لكفار قريش، وهم من هم فصاحة وبلاغة وقوة عارضة وقد ظهر عجزهم في كل مرة حاولوا تقليد القرآن أو محاكاته أو معارضته، طبقا لقوله تعالى : **(قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)** (8) وتعريف الإنس والجن هنا للاستغراق، فكلهم عاجزون عن الإتيان بمثل هذا القرآن كتاب الله الخالد لكونه معجزة لا يقدر عليها إلا الله، فهو من قبيل معجزاته الكبرى كفلق البحر واشتقاق القمر، وما شاكل ذلك مما لا يمكن أن يدخل في تجربة بشر.

ذلك أن للقرآن روعة تلحق سامعه، وهيبة تعتري قارئه مما يجعل قلوب الكفار والمعاندين تنفر منه، فهو صعب مستصعب على من كرهه على حد قول الرسول عليه السلام. أما المؤمن فإنه يستشعر دائما فينجذب إلى رحاب الله، ويكيف مزاجه فيكسبه هشاشة ورقة طبع، ودماثة خلق، ويميل قلبه إليه، وينفتح فكره على معانيه ويقبل على منطوقه ومفهومه. ولذلك خص الله جلود الذين يخشونه بالقشعريرة والتأثر العميق، يقول سبحانه : **(الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد»** (9).

وقد كان أصحاب رسول الله (ص) إذا قرئ عليهم القرآن دمعت عيونهم، واقشعرت جلودهم. قال الرسول عليه السلام : «إذا اقشعر جلد المؤمن من مخافة الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة البالية ورقها». وقال (ص) : «ما اقشعر جلد عبد من خشية الله إلا حرمه الله على النار» لأن الإيمان بالله هو سكينة النفس القلقة، وهداية القلوب المضطربة، وأمل اليائسين، وأمن الخائفين، ومواسي المصابين، وعزاء المحرومين، ومفتاح أسرار الكائنات، ومصباح الهدي في دياجي الظلام.

2) ـ تجدد نزول القرآن على الرسول من شأنه أن يخفف عنه الهم، ويزيل عن نفسه الخوف، ويبعد عنه القلق، ويهون عليه الشدائد، وما أكثرها في الحياة الدنيا ! فكان النبي الكريم يجد راحته التامة في وحي الله إليه، بما فيه من سير المتقدمين، وقصص الأولين، وتكرار الحديث عن بعض المواقف والحالات كتكرار قصص الأنبياء مع أقوامهم، فالقصة الواحدة كلما كررت كان في ألفاظها في كل موضع زيادة ونقصان، وتقديم وتأخير، وأتت على أسلوب غير أسلوب الأخرى، ولا يخفى ما في ذلك من التلوين، وإخراج الأمر الواحد في صور متباينة في النظم والسرد، وجذب النفوس إلى سماعها لما جبلت عليه من حب التنقل بين الأشياء المتجددة، واستلذاذها بها، وهنا تظهر ميزة من ميزات القرآن العظمى، فإنه لا تحصل رغم التكرير فيه هجنة في اللفظ، ولا ملل في السمع، ولا سماجة في الذوق.

---

7) بعض الآية الأولى والثانية من سورة الجن.

8) الآية 88 من سورة الإسراء، والظهير هو المعين والنصير.

9) الآية 23 من سورة الزمر، وأحسن الحديث هو القرآن، وسمي القرآن حديثا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدث به أصحابه وقومه. والقشعريرة والاضطراب والتحرك والارتعاد.

10) تحات الورق عن الشجر : تناثر وتساقط.

وإنما كررت قصص الأنبياء في القرآن للترويج عن نفس الرسول وتذكير المشركين بما قد يصيبهم فيما لو سلكوا مسلك سابقيهم من البغاة والجاحدين لأن المقصود بها إفادة إهلاك من كذبوا رسلهم. والحاجة داعية إلى ذلك لتكرير تكذيب الكفار الرسول عليه السلام ولأجل ذلك قال سبحانه : **(ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم تمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين** (11) وقال عز من قائل : **(قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وأن يعودوا فقد مضت سنة الأولين)** (12).

يقول السيوطي : «لولا تكرار القصص لوقعت قصة موسى إلى قوم. وقصته عيسى إلى آخرين. وكذا سائر القصص، فأراد الله اشتراك الجميع فيها. فيكون فيه إفادة لقوم وزيادة تأكيد لآخرين».

وتكرار القصص في القرآن خلع عليه حلة قشيبة وزادها أثرا في النفوس. وأضفى عليها أبعادا اجتماعية وتربوية من الأهمية بمكان. وقد اتفق المربون في مختلف العصور والأحقاب على أن للتكرار أثرا عظيما في عملية التعلم والاستيعاب. فالتكرار المعقول يضيف إلى النص أنغاما محببة تشتق منها صور جديدة تحمل أطيافا جديدة من المعاني. وتنم عن ظلال كثيرة للأخيلة والمشاعر. ولذلك قال سبحانه : **(وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين)** (13) والتذكير إحياء لشيء سابق قولا أو فعلا أو هما معا :

إنما تنجح مقالة المرء إذا صادفت هوى في الفؤاد

3) - .تجدد نزول القرآن على الرسول فيه تشجيع وتصبير وتطمين لنفسه الكريمة. ولهذا جاءت تسلية الله له سبحانه في صورة الأمر الصريح بالصبر كما في قوله تعالى : **(فاصبر كما صبر ألو العزم من الرسل...)** (14) فالدعوة إلى الله طريقها شاق. ووسائلها صعبة. ولذلك احتاج الرسول إلى توجيه من ربه لعلمه سبحانه بما سيعانيه من البلاء في سبيل تقرير المبدأ وترسيخ العقيدة في النفوس. ذكر مقاتل أن الآية المذكورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد. فأمره الله عز وجل أن يصبر على ما أصابه كما صبر أولو العزم من الرسل تسهيلا عليه وتثبيتا.

ولا غرو في ذلك فقد لاقى النبي الكريم أشد الأمرين من أقاربه الأقربين. كما لاقى في ذلك من الأبعدين. وقابلوه بالاستهزاء والسخرية. لذلك سلى الله نبيه بالتصبير وأمره بالتحمل والجلد. وقد ورد الصبر في القرآن في أكثر من سبعين موضعا. لعظم موقعه من الدين وكل الحسنات لها أجر محصور. إلا الصبر فإن أجره لا يحده حصر. بدليل قوله تعالى : **(إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)** (15). وخص الله الصابرين بثمانية أنواع من الكرامة :

أولا : محبة الله بدليل قوله سبحانه : **(وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)** (16).

ثانيا : نصرة الله وتأييده بدليل قوله سبحانه : **(يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين)** (17).

ثالثا : غرفات الجنة بدليل قوله سبحانه : **(أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما)** (18).

11) الآية 6 من سورة الأنعام.

12) الآية 38 من سورة الأنفال.

13) الآية 55 من سورة الذاريات.

14) الآية الأخير من سورة الاحقاف.

15) الآية 10 من سورة الزمر.

16) الآية 146 من سورة آل عمران وقرئ قتل بالبناء للمجهول وهي قراءة نافع وابن جبير وأبي عمرو ويعقوب وهي قراءة ابن عباس واختارها أبو حاتم وقرأ الكوفيون وابن عامر «قاتل» وهي قراءة ابن مسعود واختارها أبو عبيد.

17) الآية 153 من سورة البقرة.

18) الآية 75 من سورة الفرقان.

رابعا : الأجر الجزيل بدليل قوله سبحانه : **(قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرين أجرهم بغير حساب)** (19).

خامسا وسادسا وسابعا وثامنا : ما يشير إليه قوله تعالى من الرحمة والعطف الإلهي : **(وبشر الصابرين الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)** (20) فهذا الصنف من المؤمنين وصفهم الله بأنهم يفوضون أمرهم إليه، فهم لذلك أهل لصلواته ورحمته وهدايته.

قال عمر رضي الله عنه في هذه الآية : نعت الله الصابرين في هذه الآية بثلاث خلال كل واحدة خير من الدنيا وما فيها : أولاها أنهم عليهم صلوات من ربهم، وثانيتها ان عليهم منه رحمة، وثالثها انهم هم المهتدون.

4) - في تجدد نزول القرآن ترويح لنفس الرسول وتخفيف عنها وقد ورد ذلك في سورة النهي عن التفجع والحزن عما بدر من المارقين والجاحدين والمشركين كما في قوله تعالى : **(فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون)** (21) فقد اختار هؤلاء الكفار الكفر على الإيمان والضلالة على الهداية فلا حاجة للأسف لحالهم والاغتمام لمروقهم أو الحزن لاتباعهم أهواءهم. فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، والله يقلب القلوب والأبصار، ولذلك أخبر الله نبيه بانهزام أعدائه مستقبلا فقال : **(سيهزم الجمع ويولون الدبر)** (22) فأعداء الله وأعداء المؤمنين لا يعصمهم تجمعهم ولا تنفعهم قوتهم مهما اشتدت وبغت. وهذا إن تم في زمن نزول الوحي على الرسول (ص) فإنه جائز في غير ذلك من الأزمان والآباد ما دام لبقايا المؤمنين وجود. ولنا في القرآن أعظم عبرة، وأسمى توجيه. يقول جلالة الملك الحسن الثاني : «فقد حض كتاب الله كافة المؤمنين على أن يتواصوا بالحق حتى يتجنبوا الوقوع في مزالق الباطل، وأن يتواصوا بالصبر حتى يواجهوا بعزم جميع التحديات والأزمات، ولا يبخلوا في سبيل نصرة ملتهم والدفاع عن أمتهم، ببذل أقصى الجهود وأعظم التضحيات. قال تعالى : **(والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا. الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)** (23).

ومن شأن الشريعة الإسلامية أن تعود المتمسكين بها أن يكونوا في أرفع مراتب الشرف، وأعلى مناصب العزة، فهي تأمرهم بالتجلد وقوة الاحتمال ليستطيعوا مواجهة الأحداث ويتعودوا المبارزة. فلا يكترثوا بما يحيق بهم من سوء، ولا يهتموا أكثر من اللازم بمصائب الدنيا علما منهم بأنهم لا شك ناجحون في الدنيا، مفلحون في الأخرى، إذا اخلصوا النية لله ولرسوله ولدينه. فعلى المؤمن أن تحدوه حوافز الإنابة إلى الله، والتطارح على بابه، واستحضار عميق شعور الضراعة والخضوع في مناجاته، واصفاء النية وإخلاص الباطن في دعائه، والتبتل إليه سبحانه وتعالى والقنوت له في السر والعلن، وشكره عز وجل على ما أجز له من كريم العطاء وجليل المنن (24).

فتجارة أحباب الله التقوى، وهي تجارة لا تبور، ولا يصيبها وهن ولا كساد لأنهم هم النجوم الطوالع في عالم الحقيقة، وهم الشموس في سماء الشريعة. ومن رحمة الله بخلقه أن يجعل كل من تزكى واتقى ربانيا متمعا بالرضوان. فقد كتب على نفسه الرحمة من غير أن يلزم بذلك لأن الرحمة منه أصل، والرأفة منه فضل بغير منة.

19) الآية 10 من سورة الزمر.
20) الآيات 155، 156، 157 من سورة البقرة.
21) الآية 8 من سورة فاطر.
22) الآية 45 من سورة القمر.
23) من رسالة جلالة الملك إلى الأمة الإسلامية، جريدة الأنباء 11 ربيع الأول 1402 / 7 يناير 1982 السنة التاسعة عشرة ـ العدد 5868. وقد اورد جلالته هنا سورة كاملة من القرآن هي سورة العصر، وهي ثلاث آيات والعصر هنا هو الدهر وقد أقسم الله تعالى به لما فيه من التنبيه بتصرف الأحوال وتبدلها وما فيها من الدلالة على الصانع، والحق هو التوحيد، والتواصي بالصبر هو التواصي على طاعة الله والصبر على معاصيه.

24) من رسالة جلالة الملك إلى الحجاج الميامين، وهي منشورة بمجلة (دعوة الحق) العدد التاسع ـ السنة السابعة عشرة، ذو القعدة 1396، نوفمبر 1976.

فمن ذكره مرة ذكره مرات، ومن تقرب إليه شبرا تقرب إليه ذراعا. ولذلك يهتف قلب المؤمن من سويدائه بحب ربه ليبثه الوجد ويأنس بحنانه حسا ومعنى كما في قوله : «إني حبيب لمن أحبني،وإني جليس لمن يناجيني» وهل من مناجاة لله أعظم من قراءة كتابه، والتملي بجمال روعة كلامه وارتشاف الرضاب من محكم تنزيله. بقلب هيمان وفكر ظمآن، ويقين ثابت لأن كلام الله أحسن مرتع للباحث عن الحقيقة وأقوى سند لمن يريد العون، أو ينشد القوة، أو يسعى إلى الخير في أصوله وفروعه، أو يجتلب المنفعة في دنياه وأخراه. يقول جلالة الملك حامي القرآن وحامل لواء الإسلام ، «فكرت طويلا، وقلت في نفسي إنني أريد أن ادل شعبي العزيز، على سلاح أكبر الأسلحة أن ادله على سبيل من اقوم السبل ألا وهو كتاب الله العزيز وتلاوته شهر رمضان... وسيكون لنا كتاب الله العزيز صلة جديدة وحبلا متينا شديدا حتى يقينا الله جميعا كل مكروه وحتى يوصلنا إلى كل مرغوب».

وإذا كانت قراءة القرآن كلها غنم وخير وبركات ونفع عميم، فإن الدعوة الملكية الكريمة لقراءته في رمضان، بقلب واحد، وسمع واحد، وفي وقت واحد لدليل على العبقرية المولوية الفذة، ورمز إلى النبوغ الحسني الذي يعمل دائما لتآلف الأرواح، وتعاطف القلوب، واتحاد المشاعر. وما اجتمعت أمة على تلاوة الذكر الحكيم، إلا جمع الله شملها، وضم نشرها، ونظم عقدها، وراب صدعها، وألف بددها، ونظم ألفتها، ووصل حبل بقائها وازدهارها. و «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده».

الرباط محمد حمزة

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

• إذا كان تعزيز جهازنا الدفاعي من الحتميات التي لاجدال فيها وإذا كانت صيانة حوزة التراب الوطني أمرا اجتمعت عليه أمتنا وأحلته مكان الأولوية فإن من أوجب واجباتنا أن نوفر الإمكانات البشرية والمادية للدفاع المقدس عن وحدتنا وسيادتنا •

25) من خطاب جلالته الذي وجهه إلى الشعب المغربي بمناسبة حلول رمضان عام 1402 يدعو فيه الأمة إلى تلاوة كتاب الله.

في ركاب المغرب الحسني

أدب المغرب الصحراوي

للأستاذ زين العابدين الكتاني

وإن زعم الغشوم لنا اعتمادا	سوى مراكش فقد افتراه
وهل تحتاج وحدتنا دليلا	وذا التاريخ يعلم مبتداه

للشاعر محمد عبد الرحمن الدرجاي العلوي

أواصل بنفس المناسبة، مناسبة عيد العرش المجيد تقديم الجزء الرابع من هذه الدراسة العلمية حول (أدب المغرب الصحراوي) (1) في إطار معركة الوحدة الوطنية للمملكة المغربية التي تعتبر الميزة الأكثر أهمية للعصر، وإذا كان المغرب قد أخذ يسترجع وحدته في هذه المعركة المقدسة بنفس الأسلوب الذي هاجمه به الاستعمار المتحالف، خصوصا رأي الذين أدركوا بأن هذه المعركة ستكون (معركة الخلاص والوحدة) وليس للمغرب وحده، ولكنها كانت وستبقى معركة إفريقية ككل، بل معركة تغيير التاريخ والهجوم كما يمكن أن نستخلص ذلك ونحن نواجه اليوم أعنف هجمة من الاستعمار الجديد... ولنفس الأغراض السابقة على أوسع مجال، وأغرب تحالف...

---

1) مجلة (دعوة الحق) أعداد،
- س، 19 ـ ع، 2 و3 ـ صفحات 109/114 يبراير 1978.
- س، 21 ـ ع، 1 صفحات، 84/91 ـ مارس 1980.
- س، 22 ـ ع، 2 ـ صفحات، 71/78 ـ أبريل 1981.

وهذه الدراسة هي بحث علمي صرف يكشف عن جذور الوحدة المغربية منذ ظهور **(المسألة المغربية)** إلى الآن وتعتمد على ما يمكن أن نقف عليه من وثائق، وما يمكن أن نعثر عليه من إنتاج متناثر هنا وهناك، وكله جزء من معركة مقدسة، ستدهش في النهاية كل المتحالفين من الاستعماريين بالأمس، وتصدم المتطلعين الجدد لمواجهة هذه الوحدة في الأعماق بدون هوادة ولا رحمة.

وفي أعماق هذا التاريخ، ومن منطلقه بل وتحديده أواصل انجاز ذلك إيمانا وثقة بأن أي تقسيم مصطنع للوطن مهما بلغ من الدقة والتحصين والمواجهة المضادة لا يمكن أن يصمد أكثر من حقبة محدودة ما دامت الجذور التي تكون هذه الوحدة : الدين واللغة والجذور والتقاليد الاجتماعية والتاريخ المتواصل وغيرها هي ركائز وأسس هذه الوحدة والتطابق، مميزة، بل واضحة في كل مظاهر هذه البلاد وجذورها الواضحة المعالم.

وهكذا وإذا كنت قد تناولت في الأجزاء الثلاثة السالفة من هذه الدراسة التجزئة الاستعمارية والوحدة الشاملة، والصلات التي تؤطرها وتطبع أدب الجنوب، فإن مظاهر هذه الوحدة كما أوضحت هي معالم وأسس مدرسة الصحراء، ومناهجها خصوصا من واقع ومعطيات كتاب : **(الجأش الربيط..)** (2) باعتباره مادة علمية صرفة ينطلق فيه مؤلفه من معركة الدفاع عن الوحدة، فإن ما حددته في هذا الاطار للمثقف الصحراوي (3) وتفكيره كان أقرب إلى الاحاطة الموضوعية التي تبرز أن «..**الشعب المغربي يتأثر بمؤثرات أطلسية متوسطية، وبطابع صحراوية، وهذا التنوع يطبع عبقرية الشعب المغربي وهو ذو وجوه متعددة (4)**».

ومن هنا من مجموع هذه المعطيات المحددة نستطيع أن نجزم بأنه إلى حدود سنة 1395 هـ/ 1975 م بالخصوص نجد أن التعليم وكما أسلفت من قبل (5) قد انحصر في :

أولا : في طبقة حقيقية تبرز جماعة من الذين أتيح لهم العلم وقدرت لهم المعرفة، وجماعة أخرى لم تتمكن من الخروج من نطاق الجهل والأمية إلا من جانب الوضع الاقليمي العام للجهة.

ثانيا : لكن الذي عرف منذ زمن بعيد هو أن (الزوايا) هم طبقة المتعلمين دون غيرهم، فلا يوجد من بينهم ذكر أو أنثى الا ويعرف القراءة والكتابة، ويحفظ المتون، ويقرض الشعر، ويستعمل الحكم في حديثه الخاص والعام، أما الطبقات الأخرى فتضم الجماعات التي لا اهتمام لها بالأدب أو العلم، وهي حسان واللحمة والحراطين (المعتقين من الرق) والصناع، ولم يعرف إلا نادرا أن أحد هؤلاء قد نبغ في ميدان من ميادين العلم والأدب، لأن التعليم يفرض على متعاطيه قيودا ومشاق لا مندوحة له عن تحملها، ويفرض على الآخرين الذين لا يتعلمون أو الذين يدفعون أبناءهم للتعلم التزامات يدفعونها عن طيب خاطر مرة وكرها مرة أخرى..

في حين إذا نظرنا إلى المعلم نجده يكابد من الأتعاب ما لا يحصى فقد يستغرق يومه كله في التدريس، لأن الشيخ عندهم، لا يلزم الطلبة أن يشتركوا في درس واحد، من الفنون، فتراه مثلا يدرس لعشرة من التلامذة (الالفية) مثلا.. فبعضهم يقرأ من أولها، وبعضهم يقرأ من وسطها، وبعضهم يقرأ من آخرها، ويلقى لكل درسه من موضعه الذي يليق به، وهكذا في الفقه وغيرهما من العلوم، وقد يضم أشخاصا في محل واحد من فن واحد، ويضم آخرين في محل منه آخر، ويسمون المشتركين في الدروس (دولة) كما تشير إلى ذلك عدد من المصادر.

ومن هنا فإن ما يكابده العالم من مشاق الدنيا، هو أنه يكون موردا للضيوف والمستفتين ولطالب الحاجة، وليس للقاضي ولا للمدرس أوقاف تصرف عليهم، ولا يأخذ أحدهم من الطلبة شيئا، بل قد يعطيهم من يده، والمفتي أيضا لا يأخذ شيئا في مقابل الفتوى، وقد يكون لبعض العلماء ما يسمونه (عطية) (6) يعطيه اياها حسان، أو اللحمة، أو الحراطين (أي المعتقين) وهذه العطية : شاة من الغنم على كل ذي غنم، أو أمداد من الزرع، على كل ذي

---

2) كتاب (الجأش الربيط..) للشيخ محمد الامام بن الشيخ ماء العينين (مطبوع سنة 1957 بالرباط.

3) (دعوة الحق) (ع : 2 ـ س : 22 ـ ابريل 1981 ـ ص : 73).

4) مجلة (العلوم) اللبنانية ـ (ع : 5 ـ مايو 1959 ص : 2).

5) انظر الاعداد الثلاثة من مجلة (دعوة الحق) السابقة المشار إليها في طرة هذه الدراسة تحت رقم (1).

6) يسمى في باقي الأقاليم (المشارطة).

حرث. هذا النوع قليل جدا بالنسبة إلى من لا يأخذ شيئا. وإذا ظلم حسان أحدا من ينسب إليه يذهب في طلب استرداد ما أخذ. وربما جلس في استرداد ذلك سنة أو نصفها. لأن العادة والعرف لا ضابط للهيئة التي يلقى عليها المدرس عندهم. فتراه يدرس مرة ماشيا مسرعا ومرة جالسا في بيته. ومرة في المسجد. ومنهم من يدرس في أثناء الارتحال. من جهة إلى أخرى. سواء كان ماشيا. أو راكبا. وقد يكون راكبا. والطلبة يمشون على أقدامهم. إذا بلغ الشيخ أن أحد التلاميذ أساء. فإنه يعاتبه برفق. بأن لا يلتفت إليه حتى يعلم التلميذ ذلك من حاله.

والتعليم على هذا الشكل لا يتعلق فقط بالكتاتيب ـ كما هو الحال في الشمال ولكنه يتعدى ذلك إلى جميع أطوار التعليم الأمر الذي لا تجده إلا في الصحراء (7).

في حين يقول العلامة المرحوم مولاي ابراهيم سلطين المراكشي عن الشيخ أحمد الشمس بهذا الخصوص :

(... أن العلم عنده هو العلم بالكتاب والسنة في الجزئيات والكليات ومهما انغمس المتعلم أو المرأ في ذلك وتعمق وصل إلى مراده..) (8).

والشيخ الشمس هنا يعني عالم الصحراء بصفة عامة.

ومن هنا «فحصيلة جهد المثقف بالجنوب يصعب العثور عليها حسب الحالة التي أعدت بها. ولذلك فالتراث الفكري جله لازال مخطوطا. وفي بعض الحالات يوجد حتى بالخط إذ لم تخلف غارات المستعمر منه سوى بقايا أثر تعدد الرواه وعدم تكافؤ معرفتهم....» (9).

٥ ٥

الطابع العلمي الصحراوي :

وهكذا. فإذا كانت مختلف الجهود المتواصلة منذ قيام الدولة المغربية المسلمة حتى الآن تعمل من أجل تركيز الوحدة. وتعميم مظاهرها في مختلف جوانب الحياة العامة والذب عن حياضها. فإن هذه الوحدة لم يكن هدفها هو ابتلاع المميزات الشخصية. وتحطيمها بالنسبة لمختلف أقاليم المملكة سواء في الشمال أو في الجنوب الصحراوي. لأن هذه الخصائص الاقليمية وطابعها المحلي أصبح اليوم هو من دوره طابع الوحدة في مظاهرها الخارجية وعمقها. مما يبعث في هذه الوحدة المقدسة كثيرا من الخصائص والاعتبارات التي تضفي على الحياة العلمية والأدبية طابعا خاصا ومركزا يحافظ حينا على المؤثرات الاسلامية الفاتحة. ويستمد أحيانا أخرى أسسه من العوامل المتصاهرة في نطاق هذه الوحدة ويضفي عليها طابعا محليا ينتهي في بعض الأحيان إلى مبادرة لها قيمتها العلمية والأدبية في عالم اليوم.. مما يحق للجنوب أن يفتخر به اليوم وبعد اليوم.

ولقد لعبت هذه العوامل الوحدوية. والمؤثرات المنسجمة المتصاهرة أدوارا لها قيمتها في حياة هذا الاختيار الاستقلالي. بل كانت مصدرا وعاملا على الحفاظ على الوحدة ومظاهرها. ودافعا لتركيز الدفاع عنها أمام الطوارىء الطبيعية الطارئة وخاصة بالنسبة للأطماع التوسعية قبل سنة (1246 هـ/1830 م) ثم بعد سنة (1256 هـ/1840 م) حيث ظهرت الأطماع الاستعمارية الاستغلالية الغربية في أبشع صورها. وأخطر أساليبها وذلك ما يشير إليه الشاعر الصحراوي بقوله :

أهل بعد إن عشنا أسودا بأرضنا
نهاجم في أرض الأسود ونخضع ؟

ويقول غيره في سياق آخر :

هو الشعر للاكفاء شهدته تحلو
إذا صاغه من كنز باعثه الفحل
فيساق عذبا للفهوم كأنما
باثنائه تلقى مجاجتها النحل

ويقول :

ليهنيك حج البيت أديت فرضه
وقد ما يؤدي عنده الفرض والنفل
وبايعت العرش العظيم مجددا
لبيعة أسلافه بها اجتمع الشمل (10)

ولقد أدت هذه الأطماع. وهذه المحاولات إلى الانقضاض على وحدة البلاد من جهاتها الجنوبية

7) من تقييد خاص بخزانة الكاتب.
8) المصدر السابق.
9) (دعوة الحق) س : 18 ـ ع 3 ـ ص : 80 ـ فاتح ابريل 1977.
10) من قصيدة للشاعر الكبير ماء العينين ابن العتيق سنة 1938.

الصحراوية فكانت رحلة بيردى فوكو سنة (1275 هـ/ 1858 م) وتبعتها محاولات مماثلة عرف دائما أبطال الصحراء كيف يستقبلونهم. وكان هؤلاء الأبطال المغاور الاشاوس دائما أبطال الصحراء كيف يستقبلونهم. وكان هؤلاء الأبطال المغاور الاشاوس دائما نقطة الانطلاق وسبيلا نحو القضاء على كل طارق أو متحايل. ايمانا من أبناء الصحراء أن هذه التحركات ما هي إلا تحركات للإنقضاض على وحدة المملكة المغربية التي أصبحت هدفا للتطاحن الدولي الاستعماري الذي انتهى يظهور «المسالة المغربية» لأن محاولات تفتيت الوحدة الوطنية بعد سنة (1324 هـ/ 1906 م) قد حقق خطوات كان لا بد منها ومن إحداثها لاعتبارات متعددة...

ولذا فإن الطابع العلمي والأدبي الموحد الذي كان دائما مظهرا طبيعيا لوحدة بلادنا لم ينته. ولم تؤثر عليه العوامل الانفصالية الطارئة والمفروضة حتى اللحظة بالرغم من مشكلة الحدود الصورية المصنوعة من طرف المستعمرين المتحالفين وعملائهم.

ولذلك يشير الشاعر الصحراوي بقوله :

حدود شعوب الأرض سر وجودهـــا ... تهون بها الأرواح إن عز مشـــرع

ه ه ... ه ه ... ه ه

بلى إننا شعب يريد حقوقـــه ... لقد ذل من يعطى القليل فيقنـــع

ه ه ... ه ه ... ه ه

سنقدم إقدام الليوث يقودنـــا ... إلى النصر مولانا الإمام المبـــدع

ه ه ... ه ه ... ه ه

سنكتب بالأرواح خط حدودنـــا ... ومن دمنا الغال عليه نوقـــع

والحقيقة أن مختلف هذه الخصائص الاقليمية القومية، ومميزات الوحدة المقدسة التي تكمن في نفس الصحراوي العادي إنما هي نتيجة ايمانه بهذه الوحدة. هذا الإيمان الذي يرتكز عنده في أن الوحدة هي المظهر الحقيقي لاسلام المغرب وتمسكه بحقيقة الاسلام واستمرار المغرب متحملا لرسالته التي تتمثل في الفاتح المبشر بدين الله، وبرسالة رسوله الأمين عليه السلام :

ما نحن إلا أمة عز شأنهـــا ... يوحدها العرش العتيد ويجمـــع

ه ه ... ه ه ... ه ه

وتجمعنا الفصحى ودين وعـــادة ... وموقعنا في الأرض ياله موقـــع

ويقول غيره :

اصبو بقلبي لحب الوطـــن ... وبه اعتزازى مدى الزمـــن

لم لا يعز علي والإيمـــ ... ـــان، في حب الوطـــن

لا أخرجن عن حبـــه ... أو تخرج الروح البـــدن

ويقـول :

لئن اشترى الأعداء خيـــ ... ـــرات البلاد بلا ثمـــن

وإلى الإهانة أهلهـــا ... باللجم قادوا والرســـن

فستقلين لهم بنـــــــــــو
أعني المغاربة الجحافلة الا ـــــ
وتعيضهم من قوة العـــــــــــ
والفقر من ذاك الغنـــــــــــي

وطنى ظهر المجـــــــــــن
ـــود مدى الزمـــــــــــن
ـــز المذلة والوهـــــــــــن
والخوف من ذاك الأمـــــــن (11)

ولذلك فإن الحقيقة تبرز أن الاستعمار ومن يسير في ركبه هم الذين يعملون على خلق اقليمية انفصالية ولو أن هذه الاقليمية الانفصالية التي يختفي من ورائها هؤلاء هي أيضا من أقوى ركائز وحدة المملكة وحصونها الخالدة.. وذلك هو إيمان الصحراوي المسلم الذي حاول المستعمرون بالأمس استغلاله لتفكيك الوحدة. ويعمل اليوم جادا لتركيز انفصاليته هذه.. ومن مواقف زمانية متجددة .. وذلك ما لا يمكن تحقيقه في أي جهة من جهات المملكة الشريفة ولو تضاعفت نسبة المتحالفين ضد الوحدة.. لأن ارادتنا واحدة. واختيارنا واحد.. وما ضاع حق من ورائه طالب.

الاتجاه الأدبي الصحراوي :

أما الاتجاه الأدبي في الصحراء فهو جانب من جوانب هذا الموضوع.

وهكذا فإذا كنا سنلتقي مع هذه الظروف بالذات التي هي ظروف معركة الوحدة التي تبرز بالخصوص شعر الكفاح والمعركة والوحدة. فسنرى أن أدبنا في هذا المجال قد قطع مراحل مهمة جدا سواء في البيت الشعرى أو المضمون أو الأسلوب مما يجعلنا نلمس من مختلف النماذج التي سنتناولها في صور رائعة من صور الأدب الثورى الذي يعبر في وضوح وإيمان وصدق ووطنية عما يتحدث عنه هؤلاء المجاهدون الأدباء.

واذا كانت صحراؤنا تعيش ظروفا دقيقة ومتعبة. والاستعماريون والمتحالفون معهم يحاولون أن يخلقوا وجودا لهم. ويفتنون به هذه الصحراء مستغلين الظروف الدولية الدقيقة من جهة. وعابثين بالوحدة الوطنية من عدة جوانب فإن الذين ألفوا استغلال أقاليمنا الصحراوية بالأمس رفضوا اليوم نداءها وطلبها للتخلص والوحدة.

وذلك ما يشير اليه الشاعر (12) في ندائه هذا :

قل لمن رام أن يدبر حكمـــا
فوق أرض لنا ونحن اللبـــاب
زل ظلما وظل جهلا وخبثـــا
ولعمري قد صاد منه الذهـــاب
كيف أسد بذات غاب اهيجـــت
من ذئاب فقد تفر الذئـــاب
إن للأرض ثمرة وحمـــاة
ولعمري لذان نحن الشبـــاب

ويقول غيره في نفس الصرخة :

هذى الصحارى لابني العالي بها
مكرا تقلبه الاعادي أسفـــلا
فالساكنون بها لعجز منهـــم
كل ينار الظلم والجور اصطـــلا
فارفع بفضلك ضيمها حتى يعيـ
ـض الساكنون بها النعيم من البلا
هل نطمئن ونحن ننظر بعضنـــا
نظر الصحيح إلى السقيم المبتـــلا
مولاي هذه سبتة ومليليـــة
فاحلل من أمرهما الذي قد اشكـــلا
عينان قبل نرى بكل منهمـــا
ما في الجزيرة مجملا ومفصـــلا
وبافنى (13) غرس العدو جذوره
فاقلع بعزمك منهم ما استأصـــلا
لا زال سعيك بالنجاح مكللـــا
والشعب فيك مبلغ ما أمـــلا

(11) للشاعر الكبير المرحوم محمد سداتي الهيبة (دعوة الحق) س : 18 ـ ع : 4 (1397 هـ / 1977 م).

(12) المرحوم الأستاذ العبادلة بن الشيخ محمد الاغظف.

(13) عادت إلى الوحدة مع الوطن في 4 يناير 1969.

حتى تنال بك الأفارقة الـــــذي

تصبو اليه من الكمال مكملا (14)

ويقول آخر :

عفت الديار بنكبة الاحــــــاء

لتعاقب لا صباح ولا مـــــاء

ياليت أطراف البلاد تلاطمــت

يوما فما أبلغــت سوى الاشــلاء

كي تستريح من الطغاة بفقدنـــا

ويبعدهم في كفى ازراء (15)

وأدب الكفاح والوحدة في الأقاليم الجنوبية أدب يرتكز على أسس وتطورات وخصائص ومعطيات مهمة هي نفس المعطيات والخصائص التي اكتسبها منذ الظروف التي نشأ فيها هذا الأدب الغني الخصب «الذي شق طريقة فكسب نفسه مميزات وخصائص، **وتوفرت له عناصر الأدب ما لم يتوفر لغيره عاطفة ومعنى وأسلوبا وخيالا... وهو في كل هذا شعر مطبوع، لا تكلف فيه، يغلب الطبع فيه على الصنعة فيكاد يخفيها (16)».**

ومن هنا فإذا قمنا بتوزيع مبسط حاولنا من ورائه أن نأتي بصور أدبية لأدب الكفاح في الأقاليم الجنوبية في اطارها مع كل نقطة من هذه النقط الأربعة على حدة تؤكد وتوضح، أن المعركة مستمرة منذ ظهور التسلط الاستعماري في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن الحالي، على المغرب حتى الآن، وستستمر، وتلك حقيقة الدعوة التي تنبثق اليوم في جميع جهات المملكة، ويشير اليها شاعر الصحراء، في هذه الأبيات التي يصرخ بها :

ان الجلاء لمحتم عن معاقلنــــا

في صحرائنا بل في الساقية الحمراء

وفي ايفني في سبتة، في مليلية حيثما اغتصبوا

هنا.. تظل الصحراء الراية الحمـــراء

أما شاعر تجكانت فيقول (17) :

وعد الأعادي كذب وحقهــــ

جور وميرهم وخيم المآكــــل

وأسـ في جوارهم وقربهــــم

ومسلم بنارهم لا يصطلـــــى

ترجون أمن الكافرين بعدمــا

نفاه رضى المحكم المنــــزل

تالله ما لكافر عهـــــد ولا

له، اليه إذا ما ، يأتلـــــى

٥ ٥ ٥

ومن يحكم كافرا في نفســـه

لا غرو إن باء بشر المقتــــل

ويقول العلامة أحمد يكن بن محمد المختار بن الأعمش وهو يؤكد تجديد البيعة لجلالة الحسن الأول :

إلى الأمير الكامل بن الكامـــل

نجل الأمير العادل بن العــــادل

مني سلام حافل وتحيـــــة

موصولة بمزيد خير نائــــــل

مولاي قد حسنت بكم أيامنـــا

وزهت بعد للبرية شامــــــل

سدت الخلائق كلها بعزيمـــة

علوية لا تنثنى عن جاهــــل

دوختم أقطارها بمهابـــــة

وغلبة ومذلة لمحــــــاول

يخشاك من كان منكم ممنعــا

فغدا مصاحب ادهم وسلاســـل

لا غرو إن كنت الامام وظلـــه

في أرضه والسيف للمتطــــاول

أضحت بلاد الله في أمن وفـــي

عز لحكمكم الصحيح العــــادل

فالجود عم بلادنا لقدومــــه

والخير طم بكثرة وتواصـــــل

فعليك سيدنا سبيل محمـــــد

وصحابته ثم الانوف فواضـــــل

فلازمه واستمسك بغرز ركابـــه

فهو السبيل لكل حر فاضـــــل

14) للشاعر الكبير محمد سيدالتي الهيبة (من تقييد في خزانة الكاتب).

15) للشاعر العالم محمد عبد الرحمان الدرجاوي العلوي نزيل العيون (دعوة الحق) مايو 1977 - ص : 100.

16) يقول شاعر الوحدة محمد الكبير العلوي (من تقييد خاص).

17) الشاعر الفحل الأستاذ محمد العالب.

لا زلت سيدنا مبينا سنـــــــة
غرا مبينة لنور أفـــــــــل
هذا وإني إلى لقائك شيـــــق
كيما أفوز ببغيتي وسائـــــل
وافيتك بقصيدة متطفـــــــلا
حسناء يزهر ضوءها بجمائـــل
ثم الصلاة على النبي محمـــــد
تترا مع الغدوات والأصائـــل (18)

ه ه ه

أما بالنسبة للنثر فسأكتفي بنص سياسي له أهميته البالغة وهو للشاعر العالم محمد عبد الرحمن الدرجاوي العلوي نزيل العيون حيث يقول في هذا النداء :

«أيها المواطنون

...سلوا شبرا من أرضكم لم يسقه الاستعمار من دموع أعزائكم ودمائهم ؟ أفي آذانكم وقر، أم على قلوبكم اقفال ؟..

«أيها المواطنون..

إن طعم الحرية لذيذ، لكنه لا يوجد الحلو عفوا..

أيها المواطنون فتيانا وفتيات أن نتيجة الانتفاضة حتمية، فانتفضوا وحطموا اغلالا حطمتكم، وقطعوا حبالا حبستكم، وامشوا إلى النصر، فالنصر ينتظركم..

أيها المواطنون..

اعلنوا عن رغبتكم ولا عليكم..

اعلنوا ولا لوم عليكم..

اعلنوا انكم لن تلاموا، أن مبادىء الحرية تمشي اليكم، أن تعلنوا عن رغباتكم وتوحي اليكم أن تواجهوا بالحقيقة الاستعمار الغاشم..

أيها المواطنون..

انفروا خفافا وثقالا وجابهوا الاستعمار وعملاء الاستعمار بما في أنفسكم، وتوكلوا على الله، وخافوه ولا تخافوهم..

أيها المواطنون انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون »(19)

القرويين مركز للوحدة :

والحقيقة أن الأدب المغربي في الجنوب قد شهد تطورات ومراحل تختلف باختلاف مدى العلائق التي تربط مختلف أقاليم المملكة مع العاصمة، ومن الانصاف أن نؤكد أن عهد الدولة العلوية الشريفة يعتبر بحق العهد المشرق الذي كتب فيه «للشعراء والعلماء أن يعيشوا عصرا ذهبيا حيث تهيأت لهم ظروف الاستقرار في ظل دولة جعلت من شعراء الجنوب وعلمائه رعايا مخلصين للعرش، ورسل ثقافة ودين ووحدة، ينشرون العلم والمعرفة، ويرشدون إلى طريق الهدى والاستقامة، فنمت في ظلها نهضة أدبية ناجحة، وقامت تحت رعايتها حركة علمية واسعة تجاوزت الصحراء المغربية المترامية الأطراف إلى ما وراء الحدود المغربية من غرب افريقية حاملة تعليم الدين الاسلامي، وناشرة الثقافة العربية بين الشعوب الافريقية السوداء، ومركزة الوحدة الخالدة..

وإذ استعاد المغرب وحدته فقد تهيأ للعلماء والشعراء في الأقاليم الجنوبية بالخصوص الاحتكاك بأدباء الشمال، وعادت جامعة القرويين بفاس موردا للعلماء والشعراء، وينبوعا تستقي منه شنقيط التي كانت تنقل عنها العلم والأدب لتنشرهما في الجنوب المغربي بل وفي غرب افريقيا، وقد اهتم سلاطين الدولة العلوية بتكوين خزانات عظيمة لا تزال قائمة في الجنوب مما جعل تلك المنطقة الشاسعة تتوفر على مصادر علمية وأدبية.

وفي هذه الظروف نشأ هذا الأدب الغني الخصب حيث كثرت المقامات والرسائل المطولة وانكب الشعراء على الاراجيز والسجع، وتعددت أغراض الشعر وتنوعت أساليبه، وشق أدب الجنوب في هذا العهد طريقه فكسب لنفسه مميزات وخصائص وتوفرت له من عناصر الأدب ما لم يتوفر لغيره عاطفة ومعنى وأسلوبا وخيالا، وهو في كل ذلك شعر مطبوع لا تكلف فيه، يغلب الطبع فيه على الصنعة فيكاد يخفيها.

وقد سجل الشعراء كل ما عاشته الصحراء من حروب وصراع وكل ما مرت به من تاريخ، ووصفوا الطبيعة وتغزلوا، ونسبوا ومدحوا، وهجوا، وعالجوا مشاكل مجتمعهم... مجتمعهم...

---

(18) توجد ضمن تقييد في خزانة الكاتب.

(19) انظر جريدة (صحراء المغرب) (ع : 77 ـ 19 شتنبر 1958).

وكان شعرهم تعبيرا صادقا وصورة واضحة لذلك المجتمع ولتلك البيئة. كما كان ديوانا يستخلص منه تاريخ القوم وحياتهم الاجتماعية.

ولا يمكن معرفة التاريخ المغربي في الجنوب إلا بدراسة الأدب والاطلاع على الاشعار والمقامات والرسائل المطولة والاراجيز. وذلك ما جعل الانفصاليين في الجنوب لا يؤدون نشر هذا الأدب الذي عاش عصور الوحدة المغربية لأنه حجة ناطقة لا تقبل الجدل ولا يمكن اخفاؤها وذلك ما اصطدم به صاحب كتاب «شعراء موريطانيا» (20).

ومن هذه المعطيات فقد حافظ الأدب الصحراوي منذ نشأته على ذلك الطابع العربي الوحدوي المحض، وعلى تلك الجزالة والقوة وعلى تلك الصنعة الفنية البديعة.

نعم، يأخذ بعض النقاد على هؤلاء الشعراء أنهم لم يجددوا ولم يتخلوا عن الأسلوب القديم. إلا أن هؤلاء النقاد فاتهم أن ظروف الحياة وتقاليد المجتمع الجنوبي تفرض على الشاعر الصادق أن يعبر عنها كشاعر بدوي يعيش في مجتمع بدوي.

أما اليوم فإن أكثر هؤلاء، قد شملتهم النهضة الأدبية الجديدة (21).

وسنلاحظ ذلك فيما يقول الأديب سيدي محمد بن الطلب :

ألا فافخري يا صحراء دائرة الأدب
أجر إليك ذيول اللهو ابتهجى طرب
رميت وجوه الخائنين بثـــورة
وأصبحت وسط العقد جامعة العرب
ولا تسمعي يوما مقالة خائـــن
تقلبه أيدي الأجانب لـــلارب
فأنا بنوا الأوطان نحمي. نقدرهـا
ونمنعه الانجاد والسهل والتـــرب

ويقول شاعر الوحدة محمد الكبير العلوي :

فها جبهة التحرير آلت واقسمــت
لتنقذ ذاك الجزء ممن تجبـــرا
تحرر ذلك الجزء من قبضة العدا
وتقهر فيه الطاغي المتكبـــرا
ونحن أناس لا نريد توسعـــا
ولا ندعي أمرا ببطل ولا افترا (22)

٥ ٥ ٥

وبعد، فإن الأدب المغربي في الجنوب الصحراوي أدب له صفاته وطابعه الخاص.. وأكبر هذه الصفات هو طابع الوحدة المغربية في هذا الأدب التي تضفي عليها طابعه الاستقلالي الوحدوي.

ومن هنا فإن التراث المغربي في الجنوب تراث موحد يمتاز بالمعطيات الوطنية، وبالطابع القومي.

وهكذا فنحن عندما نحاول أن نلتقي مع الذين يهمهم الأدب في الجنوب الصحراوي، فنحن لن نقف بحثا عن جذور هذا الأدب ومقوماته بقدر ما نحاول أن نتناول الوحدة الثقافية ومظاهر الثقافة المغربية في الجنوب المغربي الصحراوي من جهة أخرى لأن التراث وحدة، قائمة والأدب قائم..

وإذا كان بعض المهتمين بالأدب ينظرون إلى الأدب الصحراوي نظرة محدودة.. على ضوء ما أتى به صاحب كتاب (الوسيط) المطبوع في بداية القرن العشرين أو كتاب (شعراء موريطانيا) المطبوع بعد ذلك. أو ما كتبه أخرون هنا وهناك **فإن الأدب المغربي في الصحراء هو جزء من أدب الوحدة الذي يرتكز على أسس ومقومات وطنية أصيلة هي وليدة أربعة عشر قرنا من التطور والعمل من أجل خلق ثقافة مغربية موحدة أساسها وطابعها الاستقلال الفكري المغربي العربي.. وبلورته على أسس المقومات القومية والتاريخية في مختلف مجالات الثقافة والفكر..**

وهذا ما يجعل مظاهر الأدب في الجنوب المتجسمة الآن بالخصوص في الشعر الأصل محافظة على هذا الطابع

20) للبناني يوسف مقلد المطبوع على نفقة (مكتبة الوحدة العربية) بالدار البيضاء سنة 1962.

21) في تقييد خاص في خزانة الكاتب.

22) من القصيدة للشاعر قالها عند زيارته لمدينة مراكش سنة 1960.

الذي يرجع بها إلى أصل نشوء الفكرة وبلورة هذا الطابع. ولو أن البعض يرى أن مظاهر أدبنا في الجنوب قد اقتصرت على قرض الشعر، فإن هذا الرأي مردود، وبين أيدينا أشياء أخرى غير الشعر وغير المجال الأدبي.

يقول شاعر الوحدة :

وسعى الغلاة ليمسخوه وإنمـــا
أبت العروبة فيه والإســـلام
فتمرد الاحرار وانتفضوا وقـــد
ربتهم الثـــــورات والآلام
فالحر إلا من يعيش مخاطـــرا
فالموت فرض والتقاعـــس ذام
خاطر، فمهما عشت مكرمـــا
أو مت مت وما عليك مـــلام (23)

ز. الكتاني

«دعوة الحق» تنعي الأستاذ الكبير العلامة السيد عبد الله الجراري

تنعي مجلة «دعوة الحق» أحد كتابها الكبار الذي واكب مسيرتها وساندها بالمقال والبحث والدراسة والتعليق على مدى خمس وعشرين سنة وكان عضوا نشيطا من أسرتها الكبيرة لم يبخل عليها بالتوجيه والنصح والملاحظة والتقويم كلما حانت الفرصة هو الأستاذ الكبير العلامة الباحث المؤرخ السيد عبد الله الجراري عضو المجلس العلمي بالعدوتين وأحد أعلام الفكر والثقافة ورائد التربية والتعليم والتأليف المدرسي ببلادنا.

لقد نشر الفقيد العزيز عشرات الأبحاث الممتازة في الفكر الإسلامي والثقافة العربية والحضارة والتاريخ والأدب وتراجم مشاهير الرجال، وكان يخص هذه المجلة بإنتاجه القيم ولم يقطع صلته بها حتى في الفترات التي كان يثقل عليه فيها المرض في السنين الأخيرة، وكان آخر موضوع كتبه لدعوة الحق مقاله بمناسبة عيد العرش المجيد، والذي يجده القارىء ضمن مواد هذا العدد.

إن مكانة الأستاذ الكبير عبد الله الجراري في الحياة الفكرية المغربية من البروز والتميز بحيث تجعله علما من أبرز أعلام القلم والتدريس والعمل الدؤوب في حقل التعليم على مدى نصف قرن. وسوف تظل مؤلفاته الكثيرة من المراجع الهامة في المكتبة المغربية والعربية، ومنها سلسلة (شخصيات مغربية) التي صدر منها ست حلقات تناولت ستة من فطاحل العلم والفقه والدعوة الإسلامية بمدينة الرباط ممن يعدون بحق من جيل الرواد إلى جانب كتابه عن تاريخ المغرب الذي صدر في عهد الحماية في خمسة أجزاء وكان من المؤلفات الدراسية المعتمدة. وكتاب (شذرات تاريخية) الذي تناول فيه جوانب منسية من تاريخ المغرب في العصر الحديث، وكتب أخرى كثيرة منها ما صدر في القاهرة.

وقد خلف الفقيد العزيز ذرية علمية صالحة نخص منها بالذكر الباحث والأستاذ الجامعي الدكتور عباس بن عبد الله الجراري الذي تعتز (دعوة الحق) بانتمائه إلى أسرتها منذ زمن الدراسة والتحصيل بمصر الشقيقة.

(دعوة الحق) إذ تنعي الفقيد الكبير إلى أسرة الفكر والثقافة ببلادنا تتقدم بأحر التعازي إلى أسرة المرحوم وفي مقدمتها أنجاله البررة وأصهاره الكرام سائلة المولى تعالى أن يمطره بشآبيب رحمته ويسكنه فسيح جنانه جزاء ما قدم للثقافة العربية الإسلامية والدعوة والفكر الإسلامي من جهد وسعي وعمل قصد به وجه الله. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(23) من قصيدة (دماء) لشاعر الوحدة محمد الكبير العلوي نشرت بالاسبوعية (صوت المغرب).

وطن التحدي

للأستاذ أحمد تسوكي

• تعتبر ذكرى تربع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله على عرش أسلافه المنعمين، من الذكريات الوطنية الخالدة التي تتاح فيها للفرد والجماعة على السواء، فرصة استعراض واستقراء الانجازات الكبرى والهائلة التي تحققت وتتحقق في المغرب خلال العهد الحسني الزاخر بالمآثر والبطولات والمكرمات الجليلة التي أضافت الى التاريخ المغربي - قديمه وحديثه - حلقات وصفحات مجيدة من الاشراق والنصاعة والقوة والتأثير والقدرة على تحريك التاريخ وتوجيه أحداثه ومجرياته، تحريكا وتوجيها مطبوعين بالنبوغ المغربي والعبقرية الوطنية التي لاتعرف القيود والحدود، ولا تنثني إرادتها عن التقدم والإرتقاء، ولا تقف عند المطامع الآنية الضيقة، ولكنها تجترح الآفاق وتكتسح الحواجز والعوائق لتفرض نفسها وذاتها بقوة الفكر والعقيدة، وثبات الإيمان، ووضوح العمل والإنجاز، واستقامة الأهداف والمبادىء والمنطلقات.

وإن من أهم الخصائص والسمات البارزة التي تطبع وتميز العهد الحسني العظيم، خاصية التصميم والعزم على استكمال تحرير الأجزاء المغتصبة من وطننا الخالد، واسترداد حقوقه التاريخية الثابتة، وتصحيح المسار الحضاري لأمتنا العريقة التي عرفت وتعرف دائما كيف تضحي وتجدد بأرواح أبنائها في سبيل عزتها وشرفها وكرامتها التي لا تقبل الانتقاص من مكانتها ومنزلتها، وترفض المساس بجوهرها وبريقها النضالي الدائم، وتأبى الافتئات على حقوقها ومسؤولياتها الروحية والحضارية والقومية والإنسانية.

ففي هذا المجال بالذات، الذي يشكل قمة العمل والجهاد الوطني المستمر من أجل عزة المغرب ودوام مجده واستمرار عبقريته، حمل الحسن الثاني - منذ اصطفاه الله عز وجل لقيادة الوطن وتقلد زمام الأمة بالحماس والعزيمة والحكمة والتبصر - لواء الحرية والتحرر، وقاد مسيرة شعبه الوفي في طريق التقدم والتطور لكل حقل من حقول الحياة، واستنهض همة أمته ليرقى بها الى ذروة الاعتزاز والافتخار، وقمة الإحساس بالكرامة والشرف، وعنفوان الشعور والقدرة على تفجير الطاقات والإمكانيات وتسخيرها من أجل تحقيق المصالح الوطنية العليا، وفي

مقدمتها تحرير المناطق السليبة من ترابنا الوطني، وتشمير السواعد والقدرات الفكرية للبناء الاقتصادي والاجتماعي والديموقراطي.

وجلالة الملك الحسن الثاني في هذا السياق، إنما يمثل امتدادا حضاريا عميق الأثر، يعيد الصدى للبطولات الجهادية التي خاضها وقادها أجداده المنعمون الذين لم يكن يطمئن لهم بال، ولا يقر لهم قرار، حتى تتطهر البلاد مشرقا ومغربا وشمالا وجنوبا - من دنس الاحتلال والاغتصاب والافتئات، وتتوحد مناطقها وأجزاؤها مهما بعدت، وتلتقي الأمة الواحدة الموحدة على صعيدها الطاهر الذي تنعم فيه الأمة بحرية موقفها وسيادة قرارها واختيارها، وتمتلك فيه زمام نفسها امتلاكا كاملا تاما، يؤهلها للاستمرار في القيام بمهامها ومسؤولياتها المتعددة في التاريخ والحضارة والفكر، ليس فحسب على مستوى اقليمي ضيق، بل وفيما يجاورها من مناطق تنتمي إليها بالعقيدة أو باللغة أو بالأرض.

وإن طرفة يحيلها المرء بنظره على المغرب في أواخر الخمسينات ويقارن بينها وبين ما أصبح عليه وطنه من امتداد سياسي وجغرافي وروحي وفكري في شتى المجالات والآفاق، لتدل وتعكس الجهود الجهيدة والتضحيات الجسيمة التي بذلها الحسن الثاني لكي يجعل المغرب - كما كان في الماضي - البلد المؤمن والقوي والصامد والقادر على التحدي وكسب الرهان في كل معركة يخوضها أو مواجهة يقتحم غمراتها، والبلد المشع الذي لا يصدر الثورات الى الغير، ولا ينصر القضايا العربية والاسلامية بحفنات من الدولار وشعارات جوفاء خالية من أي مضمون حقيقي، ولا يدافع عن مصير وكيان الأمة العربية والاسلامية بمحض المشاعر والأفكار، ولكنه يصدر القيم والمبادىء الانسانية النبيلة التي توصل الخطوات الصادقة على طريق التقدم والحضارة والرقي، وينصر القضايا بالقول والفعل والعمل المستمر، ويدافع عن الكيان والمصير العربي والاسلامي بالمشاركة الفعلية والمساهمة العملية في درأ الأخطار عن الشعوب العربية والاسلامية، وحماية حقوقها ومطالبها العادلة، ويتصدى للأعداء والخصوم بعقل متفتح وموقف حكيم وضمير حي وسياسة رشيدة وحوار بناء وتمسك دائم بالمسؤوليات والالتزامات.

وانطلاقا من هذه الرؤية الوطنية والقومية والانسانية العميقة والوفية للمبادىء والمثل العليا التي يرتكز عليها تاريخنا الوطني على امتداده العريق، وتستند عليها حضارتنا العربية والاسلامية الزاهرة الأصيلة، كانت أولى المهام التي تصدرت الفكر الحسني، واستولت على حظ غير ضئيل من الاهتمام والانشغال، واستحوذت على جل الجهود والمبادرات والتحركات الحسنية، مهمة التحرك العاجل على جميع المستويات في سبيل استكمال الوحدة الترابية، وربط الحاضر بالماضي، وانتزاع الحق العادل من أيدي الغاصبين وحمايته من عبث العابثين وتلاعب الحاقدين الحاسدين، ودعمه وتعزيزه بمشاريع النماء والرخاء، تعويضا له عما لحقه على يد المحتلين من إهمال وتقصير، وعما شابه طوال عهود الاحتلال والاغتصاب من إغفال وازدراء، قعدوا به عن اللحاق بركب التقدم والنمو الاجتماعي والفكري.

واليوم، وقد تحققت الوحدة الترابية لبلادنا، الا من بعض الثغور التي تزال ترزح تحت نير الاحتلال في الشمال المطل على البحر الأبيض المتوسط، والتي نرجو أن تتفهم إسبانيا، تفهما عميقا ومتجردا من الأطماع والأهواء الاستعمارية، حقوق المغرب العادلة والمشروعة في توحيد ترابه واستكمال سيادته، فإن المغرب يتأهب لمواجهة المستقبل وتحدياته وقضاياه المصيرية، بإيمان أقوى وأشد من ذي قبل، لأن السيادة الكاملة للأمة، تملي عليها المزيد من الالتزامات والمسؤوليات والواجبات، وتفرض عليها الاضطلاع بأدوار قيادية في المحيطين القومي والدولي، تنصرف فيها الجهود بالدرجة الأولى الى استعادة الحقوق العربية السليبة، وتحرير الذات العربية من التراكمات والضغوط التي تعوق مسيرة الأمة وتشل قدرتها على الحركة والمبادرة والعمل المثمر الذي يوفر للفرد والجماعة في آن واحد ضمانات الحياة الحرة الكريمة الآمنة.

ومن الواضح الذي لا يحتاج الى براهين أو قرائن، أن وحدة المغرب، كانت ولا تزال وستظل بحول الله ومشيئته

من إرادة العرب والمسلمين كافة، وقوته إضافة جديدة ومؤثرة الى القوة العربية والإسلامية. والمعركة التي خاضها المغرب باستبسال واستماتة وشموخ وإباء في سبيل وحدته الترابية والوطنية، كانت في الواقع معركة عربية وإسلامية في وسائلها وأدواتها، وفي غاياتها وأهدافها، وستظل هذه المعركة معلمة بارزة في التاريخ العربي والإسلامي، ومنعطفا خالدا في أسلوب وطريقة التحرير والجهاد والنضال العربي والإسلامي من أجل الوحدة.

ولعل البعض من الأشقاء العرب الذي عاكس المغرب وناوأه فيما قام وبادر إليه من تحرير لمناطق محتلة من ترابه، لم يكن واعيا ومدركا بما فيه الكفاية للمعنى والبعد العربي والإسلامي الذي يطبع هذه المعركة الوحدوية، وإلا لكان قد وقف الى جانب المغرب في جهاده التحرري، وسانده في موقفه وقراره، وأيده تأييدا مطلقا في جهوده السياسية والديبلوماسية والعسكرية لاستعادة الحق المغصوب واسترداد الجزء المسلوب.

ولكنها حكمة الله في أن يرى المغرب رأي العين بعض الأشقاء الذين كان لهم بالأمس البعيد والقريب عونا وظهيرا في كفاحهم من أجل الاستقلال، يتنكرون له، ويديرون له ظهرهم، ويكنون له العداء السافر، ويضمرون له الحقد والحسد، لا لأمر سوى أنه أعاد للأسرة العربية والإسلامية كرامتها المهدورة، واستعاد لها شرفها المغتصب، واسترد إليها جزءا من كيانها، كان الباطل فيه يصول ويجول، حتى جاءت كلمة الحق على يد المغرب، البلد العربي المسلم المؤمن بربه ودينه ورسالته الإسلامية والإنسانية الخالدة، والوطن التواق الى أن يعيش العرب والمسلمون كافة حياة حرة كريمة وشريفة، تنهض فيها الأمة بواجباتها وتنعم بحقوقها وتضطلع بمسؤولياتها والتزاماتها، حتى تعود الى الإسهام في بناء الحضارة البشرية المهددة بأخطار جسيمة لا تمس فقط كيانها ووجودها، ولكن تمس كذلك العقيدة والمبادىء والقيم التي لم تستقم بدونها حياة الإنسان في الماضي، ولا يمكن أن تستقيم بدونها في الحاضر والمستقبل.

ولكن المغرب - بعزيمة العرش والشعب، والتحامها المثالي الذي يعود الى أربعة عشر قرنا من الزمان، استطاع أن ينتصر على التحدي الاستعماري البغيض، ويتغلب على عوائقه وحواجزه الظاهرة والمبطنة، ويفشل دسائسه ومكائده الخبيثة، ويجابه بثبات وصمود واستبسال نادر مؤامرات ومناورات الاستعمار القديم والجديد المغلف بالدعاوي الزائفة والشعارات الفارغة الجوفاء، ويتصدى لأعداء العرب والمسلمين تصدي البلد المؤمن الراسخ الإيمان، الواثق في وعد ربه الذي لا يخلف الوعد للمؤمنين الصادقين بالنصر المكين والفوز المبين، ويصد هجمات المأجورين والمرتزقة الذين لا يستخدمون فقط أحدث العتاد وأفتك السلاح في الميدان، بل ويعملون جاهدين - كما يعمل أسيادهم - على ترويج الأفكار والتصورات المهدوسة التي تهدم حاضر ومستقبل الإنسان، وتلغي إنسانيته وتنفي ذاتيته وترفع عنه المسؤوليات والإلتزامات، وهي الأفكار والتصورات التي يتم استيرادها من الخارج كما تستورد أدوات التجميل والتزيين لكي تهيمن على الشخصية والذاتية العربية والإسلامية للمغرب.

وللأسف، فإننا قلما نهتم بالجانب الفكري والعقائدي والى خطورته في معركتنا التحررية والوحدوية، فالسلاح مهما بلغت دقته وكيفما كان شكله وحجمه، ليس سوى أداة واحدة من أدوات الحرب التي لا تعرف ميدانا واحدا، ولكنها تحدث وتقع في ميادين شتى، والجانب الروحي والفكري ذو دور أكثر خطورة وجسامة من السلاح الآلي في المعركة، لماذا ؟ لأن البندقية والقنبلة والمدفع والصاروخ يقتل الجسد ولا يقتل الروح، بينما الأفكار والمفاهيم والقيم الشائهة الماسخة تقتل الضمير والوعي والوجدان، وتشوه الشخصية، وتعبث بالمبادىء والقيم العريقة الأصيلة، ومن هنا، تنبثق خطورة الفكر في حرب المواجهة.

ومعركة المغرب في استكمال وحدته الترابية وإعادة الزمام الاستراتيجي الى قراره المستقل في المبادرة والاختيار، كانت ولا تزال معركة روحية وفكرية في عمقها وجوهرها، وفي أهدافها وأبعادها، وهو ما لا يمكن أن نغفله أو نتغاضى عنه كيفما كانت الأحوال والأشكال.

فطوال سبع سنوات من الصراع المحتدم، تكالبت علينا وتهافتت أطماع صاحبت معها أفكارا هدامة كانت تحاول أن تصور هذا الصراع تصويرا باهتا وهشا يزعم مزاعم وأباطيل ويدعي أكاذيب وأضاليل، هدفها النهائي إفراغ جهادنا العربي والإسلامي الحميم والملتزم بالوحدة والتحرر من محتواه الروحي المقدس، وهو عندي أهم وأجل من أي محتوى أخر مهما بلغ من حدود.

ولكن الله عز وجل أراد أن يجعل كلمة المشركين هي السفلى وكلمته هي العليا، وانتصرت إرادة المغرب لأنها إرادة مستمدة من الحق، والحق يعلو ولا يعلى عليه !!

ومن الخطأ الفادح أن نتصور أن معركتنا المصيرية قد انتهت أو سوف تنتهي بعد عام أو بعد جيل أو قرن من الزمن، ومن الغفلة أن نتوهم أن حربنا الحاسمة والفاصلة ضد الأعداء والخصوم قد وضعت أوزارها، وأن آفاق التسوية - كما يقال - بدأت تلوح في الأفق مبشرة بالإنفراج، فمعركة من هذا النوع وهذا الحجم وهذه الأبعاد، لا تنتهي ولا يوضع لها حد بجرة قلم على قرار سياسي أو عسكري.

هل هو تشاؤم ؟ كلا، لأن أعداءنا وخصومنا ليسوا سوى امتداد وظيفي ساخر وصريح لأعدائنا وخصومنا الصليبيين في معركة وادي المخازن - مثلا - الذين تواطؤوا مع الخونة وضعاف النفوس لكي يعودوا بالمغرب الى عهود العبودية والاستغلال والوثنية الفكرية والكفر السياسي والمذهبي والعقائدي.

وهم امتداد كذلك لأجداد وأسلاف أرادوا أن يمزقوا المغرب مزقا ويشتتوا وحدته في كل مجال، ويزرعوا فيه بذور الطائفية والفتنة والشغب، ويهمشوا دوره التاريخي والحضاري والروحي، فباءت محاولات هؤلاء وأولئك جميعا بخسران مبين، لأن أمة المغرب تعرف كيف تصمد وتتصدى، وتشمخ بقامتها التاريخية وتتحدى، وكيف تثبت على مبادئها ومقدماتها، وتقف وقفة رجل واحد، لا يهاب الموت ولا يخشى الشهادة، بل يقبل عليها إقبال المحب المفتون بجلال الوطن وطهارة التراب وقداسة الأرض !

ولذلك، فالأعداء والخصوم الذين قدمهم لنا التاريخ بالأمس القريب والبعيد على حقيقتهم، كمتآمرين ومناورين لا يعرفون حدودا ولا يحترمون ميثاقا ولا يثبتون على مبادىء، سيعود التاريخ مرة أخرى ليقدمهم لنا في صور وأشكال وهيئات جديدة، فيها لمعان كاذب، وبريق أجوف، ووميض خداع وماكر، ولكنها تنطوي في أعماقها على أطماع ومطامع متشابهة ومتقاربة، إن لم تكن أشد حدة وقسوة وضراوة، بعد أن تتعدد أسلحة العصر، وتتجدد آلاته وأدواته، وتتفتح الشهية لمزيد من الإبتزاز والإبتلاع والقضم، وبعد أن تتنوع أساليب وأنماط الهجوم والكر والفر، ويصبح العداء السافر الصريح للقيم والمبادىء والإلتزامات والمواثيق خلقا مستحكما في النفوس والطبائع، ويغدو التنكر للماضي والحاضر والمستقبل والمصير المشترك قاعدة تاريخية ثابتة، لا يرجى خير من التراجع عنها ولا يؤمل رجاء من كمدها الى غير عودة.

إن الشعب المغربي حين يحتفل بذكرى عيد العرش، تثار في ذهنه ضمن ما يثار، مثل هذه الخواطر التي يستعصي على الذاكرة الوطنية والتاريخية نسيانها، لأنها مستمدة من صلب التلاحم والتجاوب الدائم والعميق بين العرش والشعب، وهو التلاحم الذي طالما أثار حفيظة الحاقدين الحاسدين، وحرك مشاعر العداء والبغضاء على أمة عرف تاريخها طوال العصور والحقب بالدفاع عن نفسها وذاتها، بكل ما يشكل هذه الذات من قيم روحية أصيلة، وتقاليد إنسانية عريقة، وفضائل بشرية قويمة، وبحماية وحدتها ومصيرها وكيانها، ورعاية حقوقها رعاية كاملة تامة، لا يشد بها ضعف أو إستكانة أو استسلام أو استرخاء، بل نضال مستمر وكفاح دؤوب وجهاد دائم وعمل دائب من أجل أن ينتصر الحق، وتستقر العدالة والسكينة، وتستتب أمور الأمن والسلام في ربوع الوطن الواحد الموحد.

صحيح أن أمة المغرب المؤمنة الصاعدة الصابرة، تعرف كيف تصفح وتعفو عن المسيء وتسمو على الصغائر، وتعرف كذلك كيف تتسامح وتقضي حياء وعفة وكبرياء، ولكنها أبدا لا تتنازل عن قلامة ظفر من حقها وروحها وذاتها وكيانها، وهذا هو الفرق بينها وبين بعض الشعوب التي تعيش على هامش التاريخ وتعيش لحظتها التاريخية وهي محكومة بالضغوط والتراكمات والسلبيات، أما

المغرب. فإنه من بين تلك الشعوب والأمم التي عاشت ماضيها بالتحدي، وتعيش حاضرها بالتحدي، وستعيش مصيرها وقرها بالتحدي الذي لا يلين، ولا يهدأ ولا يستكين، ولا يحني قاماته أمام العواصف والهزات. وإنما يرفع هامته استعلاء على الصغائر. لأنه موطن التحدي الذي يتطلع على الدوام الى ما هو أكبر وأعمق وأبعد في التاريخ والحضارة.

الرباط ـ أحمد تسوكي

مؤلفات مغربية

●● من الكتب الجديدة التي صدرت مؤخرا وتعززت بهما المكتبة المغربية الكتب التالية :

(الحركة العياشية : حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17) للأستاذ عبد اللطيف الشاذلي، وصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، ضمن منشورات (أطروحات ورسائل رقم 10)، ويقع في 300 صفحة من القطع الكبير.

ـ (الدعوة الإسلامية في مواجهة خصومها) للأستاذ المستشار بمحكمة الاستئناف السيد عبد القادر فهمي العلوي، ويقع في 226 صفحة من القطع الكبير.

ـ (أثر الأندلس على أوربا في مجال النغم والإيقاع) للدكتور الباحث عباس الجراري، ويقع في 131 صفحة من القطع المتوسط.

ـ (وصل اللاحق بالسابق لتفسير اللائق) للأستاذين الحسن بنعبد الله وعبد الباقي داود، ويقع في 334 صفحة من الحجم المتوسط.

ـ الجزء الثاني من كتاب (نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني) للعلامة محمد بن الطيب القادري بتحقيق الدكتور المحقق الباحث محمد حجي والأستاذ أحمد التوفيق ويقع في 421 صفحة من القطع الكبير، وهو من منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.



للشاعر الأستاذ أحمد باجانا

عانق العود وناغ الوتـــرا   وأشد لحن العرش فنا أخضـــرا
وترنم بنشيد خالـــــد   واهتف اليوم بعيد أفخـــرا
أظهـر الإخـلاص دومـا وأنطـق   بمليـك كـان ذخـرا أنضـــرا
سوف يبقى لبلادي سيــدا   يحرس الارض ويحمي الأنهـــرا
إنما المغرب شعب وحبيـــ   ـب على عرش عريق أزهـــرا
فهما ركنا بلاد ترتقـــي   سلم المجد قويا مبهـــرا
فمليكي (حـــن) قولا وفعـــ   ـلا فما أحسنه مقتـــدرا
إنه كنز ثمين لم يكـــن   غير بدر شع نورا مقمـــرا
عبقري ليس يدري كنهـــر   ملك الذكر منيرا أنـــورا
عجب التاريخ مما صنعـــت   يده الرطبة خيرا أكثـــرا
هل ترى في الكون من يشبهـــه ؟   في قديم أو جديد حضـــرا
أو ترى شبها له في غدنـــا ؟   مستحيل سوف يبقى الأجـــدرا
بهـر العالـم بالفكـر السيـــا   ـسي طليقـا مبدعـا مستبصـــرا
يا مليكي لحت في الأفق ضيـــا   ء بليل العرب كان الأوعـــرا
بطلا كنت لتلقي خطبة العـــ   رب المثلى زعيما أظفـــرا
قد رفعت الرأس للعرب علـــى   قمم الدنيا وكنت الأشهـــرا
لغة الفصحى ازدهت معتـــزة   عندما فهت بها نطقا جـــرى
سمع الكون بها رأي العـــرو   بة سلـا عاليا مثل الـــذرى

وبها أبدت حقا عربـــــــــ   ـــيا وحطمت ظلاما أكــــــدرا
قلت للدنيا بها مرتجــــــلا ،   إنها للعلم صيغت منبـــــــرا
في بلاد العجم في أرض أميــــ   ـركا أحدثت دويا أخطـــــــرا
خرجت من ثغرك الحر الأبـــــي   لغة الضاد كطل أمطـــــــرا
داخل الهيأة في أركانهـــــــا   كنت - والله - رسولا مخبـــــرا
موقف كان شريفا خالـــــــدا   شرف العرب مقاما أكبـــــــرا
ينشر الفصحى فتغدو لغة الـــــ   ـقوم من غير شكوك ومـــــرا
ذات صبح قد تفوه أمريـــــــ   ـكا بنحو عربي أغـــــــزرا
تعشق الفصحى وتحمي عشهـــــا   «كأسبيا» عشقتها أعصـــــــرا
لست أغلو لست أحيا حلمـــــا   بل أرى بين الغمام القـــــدرا
مثلما ألمح تحرير فلســـــــ   ـطين والقدس الذي قد أســــرا
وأرى مصر وقد حنت إلــــــى   مرتع العرب وكان الأعطـــــرا
لم تجد عنه بديلا لم يعــــش   بـواها مطمئنا مبصـــــــرا
وأراها في عناق وتــــــدا   ن وما تبغي ابتعادا مجبـــــرا
إنها ترجع للحضن الرحيــــــ   ـم لكي تحيا سلاما أو قــــرا
إن داوود بمزماره عــــــذ   با سيمحر «كمدفيد» الأخـــــرا
آه من لبنـان من ويلاتهـــــا   دمـر الحقـد بناهـا أشطـــرا
أزهق الأرواح ظلما تعصـــــــ   ـب دين من يهود منكـــــــرا
وبنو صهيون يبغون إبـــــــا   دة شعبين ليحموا أمـــــــرا
بـل يريـدون امتـلاك الشرق طو   عـا وكرهـا في عمار أو قـرى
وبأرض وبميعاد لهــــــــا   حلموا منذ قديم بافتـــــــرا
مـن قديـم وهـم يمشـون طـو   لا وعرضـا راكبـي حمـد الشوى
آه منـا عربـا ألـــف آه...   ذوبـت منـي شعـوري الســرى
آه منا عربا نمنا علــــــى   فرس الوهم وتهنا في العـــرا
وافترقنا في دروب تلتــــوي   وتساقينا عداء مخمـــــــرا
ونشرنا بيننا ثوب الأنـــــا   نية الكبرى ومزقنا العـــرى
وتهادينا سبابا وهجـــــــا   وتبادلنا اتهاما أفجـــــرا
وتسابقنا إلى غنم الزعــــا   مة نحيا في السما لا في الثـرى
وتقاتلنـا سلاحـا بيننـــا   وعدوا قـد تركنـاه أظهـرا
لو توجهنا إليه لقضيـــــــ   ـنا على أفراده مستصغــــرا

هذه الصحراء ليل ساطـــع ... تلك (ليبيا) تتمادى في الهـــرا
وفلسطين ولبنان تضيـــ ... ـعان منا لا نبالي يا تـــرى
هذه حال تدين العربـــا ... هيبة ضاعت لهم بين الـــورى
لكن الله أتاهم بمليـــ ... ـك لكي يجمع شملا بعثـــرا
أصبحت (فاس) لضم الرؤســا ... ملتقى الحب يلم الفكـــرا
كيف بالله استطاعت فاسنـــا ؟ ... جمع منثور شتيت أعصـــرا
دخل العرب قلوبا خرجـــوا ... وهم قلب بخير بشـــرا
إنه السر الإلهي طاف فـــي ... قلبك المومن يبغي الأبهـــرا
لجنة السلم قد انبثقـــت ... تنشر الوعي زكيا مثمـــرا
(بأربا) و«أمركا انجلتـــرا» ... «وبصين وروسيا» الكبـــرا
علهم صانع سلم عـــادل ... ينصف الشعب الفلسطيني أثـــرا
وترد الأرض أضحت في احتـــلا ... ل بغيض كان ويلا قـــذرا
يرجع الأهل إلى أوطانهـــم ... ويعود الشمل جمعا أزهـــرا
هذه القدس أراها حـــرة ... طرحت رجس يهود أغبـــرا
ويسود السلم في الشرق هنيـــ ... ـئا ولا يخشى صدام مـــزدرى
إنما الفضل وقد كان كبيـــ ... ـرا لملك مغربي أمهـــرا
شعبه الحر شجاع عاشـــق ... يعشق العيش كريما أطهـــرا
يبتغي من عمق أعماق الضلـــو ... ع نضالا مستمرا أعصـــرا
إنه شعب أصيل طامـــع ... يبتني المجد ويعلي الأوفـــرا
كم له من موقف حول النضـــا ... ل وقد ضحى كثيرا وانبـــرى
يبذل المال وفيرا لا يبـــا ... لي بروح ونفيس أنـــدرا
ملأ التاريخ عزا وفـــدا ... وغزا الدهر كفاحا أصبـــرا
ما ارتضى الذل ولو في لحظـــة ... ما اشتكى بذلا جرى منهمـــرا
كله عزم قـــوي وإرا ... دة نفس صممت أن تظفـــرا
فطن القلب سليم الذاكـــرة ... عاش دوما مقبلا لا مدبـــرا
يسبق الخطو إلى غاياتـــه ... يتبع العقل ويرمي الهـــذرا
إنه الوردة تعطي أرجـــا ... وله البحر مثالا هـــدرا
اسألوا عنه فرنسا تجـــدوا ... عندها كل يقين خبـــرا
واسألوا سينا وجولان تـــروا ... عجبا يبقى طويلا أدهـــرا
إنه صنع مليك «حســـن» ... وهما صنع إلاه فطـــرا

لبلادي كي يكونا قـــــوة	ترفع المغرب من فوق الـــذرى
سارت الدنيا بذكر المغــــرب	بمليك وبشعب ظهـــــرا
فاحفظ اللهم شعبا ومليــــــــ	ـكا يرى العيش سلاما خيــرا
وولي العهد منقوشا علـــــى	صفحة القلب أميرا نيـــرا
وأدم في العرش والشعب لحـــو	ني وأنغامي وشعري الاخضـــرا

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

• أملي أن يكون العشرون مليونا من المغاربة اليوم وغدا ودائما عبيدا لبلدهم، أسارى لوطنهم، خداما لشعبهم، فاقدين، وبطواعية واختيار، حريتهم في سبيل عملهم وقسمهم، أن يموتوا روحيا وجسميا في خدمة بلدهم وفي الدفاع عن حوزتها •



للأستاذ مصطفى بوهلال
(تونس)

تنهض الدولة العلوية المغربية، في أيديولوجيتها وتصرفها السياسي، على أقوى عمد الرسوخ والتمكين، ألا وهو عماد الدين الإسلامي.. ذلك ظاهرة تاريخية واقعة، ومستمرة الحلقات مترابطتها، وهي ظاهرة لا تستدعي الجري وراء برهنة أو استحضار شواهد، وهل يستدل على ضياء الشمس ؟!

والملفت إلى التسجيل، دأب ملوكها المتأخرين، في صدق وحزم، على رعاية هذا المقوم وجعله الرباط المقدس الذي يزيد وجود المغاربة ظهورا زكيا وعطاء دفاقا طيبا.. وعلى الخصوص في فترتنا هذه التي نعيش فيها وقد تنكرت كثرة كاثرة من الحكام - في بلاد الإسلام - للرابط الديني المتين، فأعرضوا عن التشبث به، وعن حراسته...! ومن هذا السقوط المهلك حذر - من قبل - المغفور له محمد الخامس - رحمه الله تعالى - في كلمة توجيهية بثها عند قدوم سنة 1957، قال :

«ما أحوج العالم المؤمن بالقيم الروحية في مثل هذه المناسبة التي تظلنا اليوم أن يستيقظ فيه صوت الحق الذي بشر به الأنبياء والرسل، وأشاد به دعاة المثل العليا وأنصارها...»(1)

ويدعم جلالة الملك الحسن الثاني هذا التصور المستقيم، والمبدأ السليم، بتذكير أقوم، قال جلالته :

«أرى من أقدس الواجبات التي يتحملها ملك البلاد وأمير المؤمنين صرف العناية السابغة لشؤون المواطنين ما تعلق منها بدنياهم وما يتصل بأسباب دينهم، وإيلاء الجانب الروحي الاهتمام الذي تحتمه طبيعة مجتمعنا باعتبارنا دولة إسلامية تقوم قواعدها على أساس التعلق بالدين والاحتكام إلى مبادئه وشريعته الغراء»(2).

ذاك واجب، لا يغتفر - لأي مسؤول - القعود دون الإيفاء بمقتضياته، فهو الأوكد والأسبق والأهم في عملية بناء الدولة والمجتمع، حسب مبادئ الرسالة المحمدية، فقد «اقتضت حكمة الله أن يضع على عاتق خلفاء المسلمين وأمرائهم أمانة خلافته في الأرض فجعل بذلك على رأس مهامهم مسؤولية الذود عن الشريعة والحفاظ على الدين وحماية المجتمع الإسلامي من كل زيغ أو ضلال مبين»(3).

---

1) محمد الخامس منذ اعتلائه عرش المغرب إلى يوم وفاته، ل : روم لاندو، تعريب ليلى أبو زيد، ص 133

2) دعوة الحق ع : 6 س 22 ذو الحجة 1401 أكتوبر 1981، ص : 4.

3) دعوة الحق ع : 1 س 23 ربيع الثاني 1402 مارس 1982 ص 11.

وانبثاقا من هذا الإيمان، انطلق جلالة الملك الحسن الثاني يشيع - في الجميع - آداب الإسلام السمحة، محللا في تعليلية تربط الأسباب بالمسببات، انه يتقدم، بعزم كامل، ناصحا مرشدا :

«فقد حض كتاب الله كافة المؤمنين على أن يتواصلوا بالحق حتى يتجنبوا الوقوع في مزالق الباطل، وأن يتواصوا بالصبر حتى يواجهوا بعزم وحزم جميع التحديات والأزمات ولا يبخلوا في سبيل نصرة ملتهم، والدفاع عن أمتهم، ببذل أقصى الجهود وأعظم التضحيات» (4).

ومن أوجه العناية الحسنية الرشيدة الناهية مذهب تقوية الرابط العقائدي : تنظيم المجالس العلمية، أعلى وإقليمية، ابتغاء « لدين الله بإقامة قواعد تنظيمية للدعوة الإسلامية تتطابق ومستوى النضج الذي بلغه شعبنا» (5).

ويبرز، من هنا ثقل المسؤولية الجماعية التي ينبغي تجنيد كل الطاقات الخلاقة القديرة للوصول نحو الأداء الأكمل، فعلى جميعهم إعطاء شرف التحمل رسالة الإسلام - ما يستوجبه من حقوق، كالالتحام بالدين درسا وعملا والتزاما.. كما عليهم إيفاء أمانة التبليغ بما تستحقه من شروط، كالرعاية ودفع التشويه والتحريف، والتفاني في المسيرة الإعلامية... فإنه :

«إذا كان الله تعالى - يبسط لك جلالة الملك جوهر القضية - قد امتن على أمتنا الإسلامية بأزكى تراث روحي وحضاري عرفته البشرية، فما ذلكما إلا لنكون أمناء عليه، حماة له من الضياع والنسيان، وما ذلك إلا لتكون حياتنا الخاصة والعامة مرآة ساطعة له في كل حين، وما ذلك إلا لنعمل على تقديمه غضا طريا، إلى كل المتشوقين إليه، والراغبين في الاطلاع عليه، من أبناء الأمم الأخرى، قال تعالى : **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)** س الأنبياء 107» (6).

لقد جاء سير الإخوة المغاربة، باتجاه هذا المبتغى : ثابت الخطى، واضح الرؤى، فضمن - إلى حد بعيد - مزيدا من التكتل، والائتلاف الوطني، والإسهام الحضاري الأوفى، والتوحد الاجتماعي الأمثل المركوز على اجتماع الكلمة والفعل لتحرير الأرض وفك أغلال التيه... وحق لمن ورد عطاؤه الحضاري على هذا المنوال أن يحدث بالنعمة، فيذيع بعض الوصف عن روافع هاتيكم المنزلة : سحقا لغيوم وتضليلات، ورفدا للنضال العادل، وكسبا ثمينا لأصدقاء الخير والحق والعدل، وبيانا للناس، فيه هدى وطمأنة..! لم لا يجيء ذلك متأكدا والحال أن «من حق هذا الوطن (يخاطب جلالة الملك الحسن الثاني بني وطنه من خلال حجيجه) أن تذكروه في ذلك المكان المقدس : بأن توضحوا منزلته، وتشرحوا قضيته، وتبينوا لحجيج الرحمان ما هو بصدده اليوم وغدا بمشيئة الله من جهاد لنصرة الحق والذب عن حياض الملة والدين والدفاع عن كرامة الإسلام وعزة المسلمين» (7).

ألم تلحظ أن البلاغ المطلوب إرساله - حسب هذا التوجيه الحسني - لم يطلب لنفسه مباهاة ولا تعاليا ؟! وكيف يستجلب ذلك وهما أمارة من أمارات (الانفصال) و (التقوقع الانعزالي) تلك التي تتنافى وطبيعة الكفاح عن الحق ونصرة الإسلام - شريعة وحضارة - وإعزاز المسلمين جميعا، وأينما كانوا.!

أنت تلمح معي، في يسر، أن الوحدة المغربية المنافح عنها : جامعة صغرى، أريد لها غذ السير السوي لتنتظم - في إسماح - ضمن المنظومة العليا الجامعة الإسلامية الكبرى.. إن الإدراك الحسني يوصلنا إلى حقيقة الحقائق، إلى هذا القانون الأساسي المنظم للجماعة الإسلامية المنبثة في أنحاء المعمورة وهو أن :

«هناك جوامع فرعية يقتصر عملها على أن تيسر لأصحابها التعارف والتكاثف والتداعي إلى الانضمام إلى الجامعة الكبرى» (8).

---

4) نفس المصدر ص 10.
5) نفس المصدر ص 6
6) نفس المصدر ص 22.

7) دعوة الحق ع 6 س 22 ذو الحجة 1401 أكتوبر 1981 ص 5.
8) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام للإمام المرحوم محمد الطاهر ابن عاشور ط 1 سنة 1964 ص 108.

ولقد «جعل الإسلام رابطة دينه الحق رابطة مقدسة تصغر أمامها الروابط كلها ودعا الناس لاتباعه ليكونوا أمة واحدة تجمعها وحدة الاعتقاد والتفكير والعمل الصالح حتى يستتب للمسلمين إقامة هذه الجامعة فلا تخترقها جامعة أخرى تثلمها. قال تعالى : **(أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه)** (9) ولئن جعل الإسلام رابطة دينه هي الجامعة الأبقى، فإننا مدعوون إلى تبين آفاق الوحدة المرادة. فما عمدها والمجالات ؟

قد يعترض محاور - إن بدافع الاعتراض المقصود، أو بحافز التحدي أو التعرف الواعي - قد ينهض ذاك مستفهما : ولماذا التوحد، والتوحد الإسلامي على التعيين ؟ فإن كان لا بد من التجمع، فلم لا يكون إفريقيا هنا، وآسيويا هناك... أو ...؟

وجاء الرد الحسني مستوفيا لمواصفات الحكمة والموضوعية والاهتداء، من مضمونه نستقصي من أهداف الاتحاد الإسلامي ما يرد :

1) تأمين المصير الجماعي بالدخول تحت راية الإسلام عقيدة ودستورا.

2) إكسابهم قوة قوية، ونفسا مديدا، يزيلان العراقيل ويمهدان طريق التحرك النشيط.

3) إتاحة الفرصة لهم - مجددا - لتجميع القدرات نحو إحكام شرائط الصحوة والتحكم في تسخير الخيرات... أعد، وإياي، قراءة المقولة الحسنية :

«فبالوحدة يجمعون أمرهم، ويتغلبون على الصعاب التي تعترض سيرهم، ويتمكنون من استيناف البناء والتشييد، والإصلاح والتجديد، في عالم الإسلام الواسع المديد، وإذا جمعت المسلمين كلمة التوحيد وربطتهم شريعة الإسلام، فلا خوف عليهم من غوائل الدهر، ومفاجآت الأيام. قال تعالى : **(وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)** س. الأنعام 153 (10).

ورد ذاك - أيضا - مبتغى جماهيريا - في الأعم - ولهو سبيل الفوز الأقوم، على أنه ينبغي علينا أن لا نتصور أن التحقيق الأفضل ميسور، في العهد الراهن. وإلا فأين التعارف الأثري والتزاور الأجمل ؟ أين التناصر الأشمل والتنسيق الدائم ؟ أين الاعتصام العميق بحبل الله تبارك ؟ أين.. وأين.. وأين.. ؟ ألم يحن الأوان لننعت - النعت اليقين - بأمة (التوحيد والاتحاد) ؟ ألم تكفنا ويلات الفتن وهجمات الأعداء، وسقطات الغفلة والتفرق، دروسا قاسية وعبرا واعظة، فنتحلق متوادين متواصلين ؟

إن المؤمن الصادق لا يلدغ من جحر مرتين، وقد لدغنا مرات.. ولسعنا لسعات ألقت بنا إلى الفناء قاب قوسين.. فهل من رجعة نافعة إلى الإيمان.. هل من انعطافة سامية إلى الجوهر الذي يريد المولى تعالى أن يخرج أمة الإسلام عليه ؟

إن بداية الطريق أمام أمتنا تحددت بالعمل «على تصفية ما يبدو في الجو من بعض الغيوم العابرة، بإحياء روح التآخي والتواصل، وإن خير ما نستقبل به هذا القرن الجديد، هو الاجتماع على كلمة سواء تجعل منا بحق أمة (الوحدة والتوحيد) قال تعالى : **(إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)** س. الأنبياء 92 (11).

وما أكثر عوامل التباعد - لهذا العهد - بين المسلمين : فكريا وسلوكيا وسياسيا وتربويا واقتصاديا.. فما أعظم الهول وأقبحه..! وما كان كذلك إلا لأن مسرب تنقية الأجواء العربية والإسلامية كاد أن يكون حلما مثاليا.. لماذا ؟ لضعف في العزيمة وخور في الإرادة، وهزال في الإيمان.. لذا كان جميعنا اليوم، وعلى الأخص الرؤساء، بحاجة عظمى إلى لون من ألوان الصراحة المقامة على النقد الذاتي وتعديل المواقف.

ويفيد هذا : معاني جمة، أبرزها الائتلاف والتعاضد. إن التعاون لمن أوكد ما يحتاجه المجتمع الإسلامي المعاصر، وأولى مراحله في دعوة الإصلاح الحسنية : التساند الإيجابي لتجلية ما بالدعوة من كنوز لا تنضب،

9) نفس المصدر، ص 108.

10) دعوة الحق ع 1 س 23 ربيع الثاني 1402 مارس 1982 ص 13.

11) دعوة الحق ع 1 س 23 ربيع الثاني 1402 مارس 1982 ص 28.

ومدد لا ينقطع ...فكما استفادت المدنية الإنسانية من الحضارة الإسلامية في عهودها الزاهرة، مرة أخرى، بالمستطاع التحرك الفعال لإضافات جديدة وعطاءات أخرى.. «وإن في الإسلام - والفضل لله - لطاقات زاخرة لا تزال مكنونة لم تستثمر لحد الآن، فما علينا إلا أن نكشف الستار عنها، ونستثمرها أفضل استثمار لخير أمتنا وخير الإنسانية جمعاء، وإنها لكفيلة بصنع المعجزات وتقديم أروع المنجزات قال تعالى ، **(نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر)** س. القمر 35 (12).

لم يبق حينئذ، للشروع في التحرك الجماعي الموحد والمكثف، إلا فك الأغلال التي كبلت بها الدعوة - داخليا - أو التي أقيمت حولها حواجز وقيودا. ومن هنا استقامت روعة الإفاقة الرائدة والمسؤولة، تلكم التي وجهها جلالة الملك الحسن الثاني دون تخصيص ،

«فمن واجب القادة المسؤولين والزعماء البارزين في العالم الإسلامي أن يفتحوا الطريق أمام القائمين بالبعث الإسلامي والدعوة الإسلامية، وأن يشملوهم بالرعاية الكافية حتى يؤدوا رسالتهم أحسن أداء. كما أن من واجب دعاة الإسلام أنفسهم أن يجتمعوا على كلمة سواء ويدعموا فيما بينهم روابط التضامن والإخاء، وأن يعملوا على أن تكون دعوتهم خالصة لوجه الله يسودها طابع التعاون والصفاء. فبالتخطيط الإسلامي المحكم، والعمل المتواصل المنظم للدعوة الإسلامية الموحدة، يتغلب المجتمع الإسلامي على كثير من الأزمات، ويتصدى بفعالية ونجاح لمواجهة كثير من التحديات ويمارس مسؤولية تطوره ونموه بنفسه وفي نطاق حضارته، دون أدنى تبعية، ولا ضغوط خارجية(13).

ولن يغيب عن الداعي الأصيل، ما يتجاذب دعوة الإسلام اليوم، وما يهددها من أخطار، كان التهديد الأول تقصير السلطة الحاكمة واعراضها عن تسهيل دور العلماء وتنظيم حركتهم التوعوية والعلمية.. وكان التهديد الثاني صادرا عن أكثر الدعاة أنفسهم - أوعمن سموا أنفسهم دعاة وما هم على الصراط المستقيم ! - ذلك أن أولئك يتناوبهم إما ،

أ) القصور عن امتلاك قدرة توفيقية نقدية مقبولة من ناس العصر، وسليمة دينيا، الأمر الذي أبعدهم عن خط التآلف الاجتماعي والتأثير الإصلاحي.

ب) الغلو بأي شكل من الأشكال، في التخريجات الفقهية والتفسيرات، كما وفي التصرفات الحياتية، مع انتهاج مسلك التقريع المشط والتكفير وإن لغير موجب.

ج) الانضواء العشوائي تحت جناح تجمعات مشبوه فيها قديمة وحديثة، دون الرجوع المتثبت إلى الأصول وأمهات المصادر الموثوق بها...

د) التردد أو النكوص عن المجابهة الحية للرد المعدل لمسار التطرف بشكليه الملحد - أي المضاد للغلو في الدين - والمغالي الآخذ بلزوم ما لا يلزم...

وعليه، بانت الضرورة الملحة والعاجلة، إلى تكوين نفر صالح من الإعلاميين، والدعاة، وضبط أمرهم على محكم التنزيل وغرر سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويومذاك يستحيل تطلعنا لنكون الأمة الوسط بجدارة ، واقعا ملموسا يمثل «الأمة المثالية التي تقوم الحياة فيها على قاعدة التوازن والانسجام والتكامل والتناسق التام، فقد اختار الله لنا أن نكون «أمة وسطا» رحمة بنا، وحفاظا على وحدتنا وألفتنا وضمانا لاستمرار حياتنا، وحماية لنا من أخطار التطرف التي قد تهددنا (14).

12) نفس المصدر ص 23.

13) نفس المصدر ص 16.

14) نفس المصدر ص 27.

ذكرى عزيزة

للأستاذ محمد قشتيليو

كل سنة نستقبل ذكرى عزيزة على كل قلب وكل ثالث مارس تبتهج بهذا اليوم الذي نذكر فيه سنة خلت لنتذكر ونتدبر ونعي ونفكر وفيماذا يا ترى ؟ في أننا هل وفينا بالتزاماتنا إزاء عرشنا العتيد ؟ وهل اخلصنا للجالس عليه ؟ مثل ما هو أخلص لنا وأقام الدليل والبرهان المادي والمعنوي على السهر على مصالحنا. إننا وأيم الله إذا أردنا أن نعطي للشيء حقه وأن نستعرض كل ما يحققه عاهلنا وما ينجزه لصالح أمته بل لصالح الإنسانية يطول بنا المقام ويعجز عن وصفه القلم واللسان. إن منجزات الحسن الثاني كلها حسنات وكلها خير وبركات. فهي أكبر من أن توصف بالقلم. فقد حقق لأمته أضخم وأعظم منجزات في أقصر زمن وأقل مدة. ففي عصره الزاهر منجزات أذهلت العالم وتركته مشدوها يتساءل كيف فعل ؟ ومتى حقق. إنها الكرامات من عند الله يحققها على يد عباده المومنين. فالعاهل الكريم يتوج عمله باسم الله. ويسير فيه على بركة الله. ويعمله خالصا لوجه الله. ومن كان لله دام واتصل ومن كان لغير الله انقطع وانفصل. «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون» وأي كرامة أعظم من كرامة المسيرة التي تعد بحق معجزة العصر. هذا المشروع الضخم أكبر من أن يعبر عن فحواه وما ينطوي عليه من معاني. أرض عادت إلى أختها أمة رجعت إلى أصلها. مسح عنها عار الاستعمار وأصبحت تتباهى بالحرية. نظفها القائد الفذ من دنس التبشير وأعاد تجديد دينها بعدما كانت آثار التبشير بالمسيحية متجلية في كل شيء. كنا نشاهده في الداخل والخارج فيحز ذلك في نفوسنا ويقض مضجعنا كنا نراه متجليا في معارض الصور الزيتية في متاحف اسبانيا ونحن طلبة هناك. نراه في طوابع البريد وفي كل المناسبات. نرى الراهب بالجلباب الأبيض والطربوش الأحمر واللحية كأنه شيخ من شيوخ الإسلام لجلب أهل الصحراء إلى النصرانية بل حتى مقبض سرج الجمال يضعونه على شكل صليب حتى يدخلوا للأهالي المسيحية في عقولهم بدون أن يشعروا وحتى يصبح لهم منظر الصليب مألوفا عندهم كل هذا اضمحل وأصبح في خبر كان. فقد إستعادت الصحراء حريتها. حررها العاهل الكريم بجيش السلام. جيش المحبة والوئام رائده القرآن وسيرة جده الأعظم ولينصره الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

إنه التجاوب الروحي بين العاهل وشعبه هو الذي أثر في معنويات الأمة فدفعها كالسيل غير مبالية بما ستلقاه في طريقها من مخاطر وتعمل القوة المعنوية ما لا تستطيع عمله القوة المادية مهما عظم شأنها. وهذه الروح العظيمة التي أمد بها سيدنا المنصور جيش القرآن ليدخل الصحراء

لها أبعاد ومعاني يصعب تحليلها وتفسيرها لأنها سر من الإلاه يهبه الله لعباده المومنين المخلصين في عملهم. إن كل مجهود يبذله يكلل بالنجاح لأنه مجهود خالص لوجه الله ولا يريد من ورائه إلا الخير للإسلام وللانسانية جمعاء. فما مجهود جلالته لتوحيد الصف العربي المتجلي في قمة فاس إلا مكرمة من مكرماته«هذه القمة التي تعد بحق تشريفا للمغاربة بل انعكس أثرها على العرب أجمعين بتوحيد صفوفهم واتفاق أرائهم للسير قدما نحو الأهداف المتوخاة. إنها القمة التي تعد بارقة أمل ونبراسا انار السبيل لقضية عادلة. إنها قمة المجد التي أوصل إليها جلالته أمة الإسلام. قمة إعترف بجدواها وحسناتها الأصدقاء والخصوم على السواء وصفقت لها أمم المعمور المتمثلة في هيأة الأمم واتفق على نجاحها الشرق والغرب. وهاهي الان أصبحت تؤدي عملها بنجاح وتؤتي أكلها كل حين باذن ربها. وعاهلنا سائر في الطريق ينفذ ما خططه لها والجميع ملتف حوله يؤيدونه ويؤازرونه. إن العاهل الكريم لا يدع صغيرة ولا كبيرة لصالح الأمة إلا ويطرق بابها ويلجها مهما عظم شأنها وصعبت ممارستها فيكون دائما النصر حليفه. فإذا تحدثنا عن الميدان العلمي نجده من الميادين الشاسعة والمتنوعة والمتفرعة فهو يفكر في كل ناحية من نواحيه ويعالجه بحكمة وتبصر وثبات. فلقد شاهدنا مشاريع علمية ضخمة تنجز. فالكتب العلمية تطبع وأبحاث قيمة تبرز إلى الوجود منها ما كان موجودا وجدد ومنها ما كان في حكم العدم ومنها ما هو حديث من انتاج علماء أجلاء وبحاث في جميع ميادين العلم والمعرفة عملا بقوله تعالى : يرفع الله الذين امنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» فهو يريد رفع الأمة بالعلم وقد توج عمله هذا بتأسيس أعظم مؤسسة علمية «أكاديمية العلوم» حوت أعظم العلماء وأكبر البحاث وأبرز شخصيات الفكر في العالم. فرأى حفظه الله بثاقب نظره أن العلم هو الوسيلة الوحيدة لتقارب أفكار الشعوب والتالف بين عقولهم وقلوبهم فجعل من هذه المؤسسة الذائعة الصيت أكبر مجمع لهذا التالف فهو يدعو دائما إلى التقارب والتعاضد والتآزر بين بني البشر عملا بقوله تعالى : «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة»

وما زال يعمل على التقارب بين الشعوب والسلالات وها نحن نراه أيضا يزيد من هذا العمل فيقوم بتأسيس جمعية مغربية أمريكية هدفها العلم والمعرفة تضم أكبر شخصيات في القطرين من أجل التقارب والتفاهم والمحبة والسلام. فقد كرس العاهل جهده لا لخدمة المغرب فحسب. بل لخدمة الإنسانية والتقارب بين بني البشر مصداقا لقوله تعالى : «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا» ولا يحتاج هذا إلى دليل فالكل مشاهد وملموس وما زال يبذل مجهودا جبارا في هذا السبيل. وما التصميم العظيم الذي وضعه وشرع في تنفيذه ألا وهو الربط القاري إلا دليل قاطع على أنه لا يريد به خدمة المغرب فقط. بل للإنسانية جمعاء. فهذا ربط مادي في مظهره ولكن له مغزى وأبعادا يستحيل القلم وصفه والفكر عن التعبير عنه إنه طريق الخير والسلام طريق المحبة والوئام بين شعبين بل بين قارتين ولصالح المعمور فإذا ربط أجدادنا هذا المجاز بالمراكب البحرية. فهو يريد أن يجعل الربط بين مجمع البحرين ربط يابس يبقى إلى الأبد أثرا من الآثار التي تتحدث عنها بإعجاب وإكبار كل الأجيال عبر القرون. ويسجل في صحف التاريخ كأعظم ما سجل من أحداث عظام في تاريخ الإنسانية.

إن هذا العمل الجبار سيبقى نبراسا يستضاء به ودرة ثمينة في تاج ملك سيدنا ينير السبيل للأجيال عبر البحرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الرباط　　　**محمد قشتيليو**

أمجاد ملك وشعب

للشاعر الأستاذ عبد الواحد أخريف

أهل عليك العيد وافترت البشرى ... ورنحت الأعطاف نشوته الكبرى

أهل ووجه الأرض طلق كأنما ... حبته جنان الخلد من حسنها البشرا

تلألأ كالحسناء جرت ذيولها ... وأطلع مثل الأفق ألجمه الزهرا

سقاه سحاب الخير حتى ارتوى به ... ليستقبل الأفراح بالحلة الخضرا

فتم لنا عيدان بالعرش واحد ... وعيد ربيع الأرض، فلنرفع الشكرا

فمرحى بعيدين استنار كلاهما ... وساد البها والفخر من نشره العصرا

وغنت اهازيج السرور ملائك ... تزف تحايا الله عاطرة تترى

لشعب على الايمان رفت قلوبه ... وللحسن الثاني.. يبايعه ذخرا

وذلك عن دين تغلغل في الحشا ... وأعلى به الاسلام للأمة القدرا

حماه أمير المومنين حماية ... فلا يشتكي الا لدى الأمم الأخرى

مليك يود المالكون لو أنهم ... ينالون من أخلاقه قبسا نزرا

على العلم والتقوى ترعرع فاستوى ... مثال الهدى والحق لا يرهب الوعرا

ومن كان من بيت جليل تحوطه ... حصانته أعلى لمحتده الذكرا

سلالة نور ميز الطهر عقدها ... فجاءت لمعنى الطهر امثلة تقرا

ملوك أنالوا الشعب ما تعشق العلا ... وطار صيت الوفا يسبق الدهرا

بهم تضرب الأمثال في الحزم والنهى ... ورأيهم مثل الضحى يعقب الفجرا

شجاعتهم إن قلت كالأسد قصر الخيال، ولا أرضى لتقصيره عذرا

كفى انهم صانوا البلاد وأهلها ... ولم يرهبوا من خصمها أبدا ثأرا

هم «المغرب الأقصى» امتزاجا وأنه ... دماؤهم فالشفع صار إذن وترا

فلا فرق بين المالكين وشعبهم ... ومن شاء تفريقا أتى عملا نكرا

محال وإن حاولت - أحصي جميلهم ... وهل لمصابيح السما عدد يدرى

فحسبي منهم عاهل ان سدحته ... فلا الشمس تكفيني وإن فاقت البدرا

هو «الحسن الثاني» الهمام الذي به ... تبوأ هذا القطر في العالم الصدرا

أقام على الشورى نظاما تجاوبت ... به فكر شتى فأهدى لنا النضرا

يوجهها نحو الصلاح برأيه ... فلا زلل يخشى، ولا خطأ يجرى

ومن كان ذا رأي سديد ومنطق ... حكيم أفاد الخير واستبعد الشرا

يرى بضياء الله أنى توجهت ... مصالح شعب كان حقا به أحرى

فشعب كهذا الشعب مجدا ورفعة ... يكافئه حكم يضيف له الوفرا

بنى مثل ما يبني الهداة على الحمى ... معاهد فاض العلم من نبعها غمرا

قد استوعبت أطفالنا وشبابنا ... وذي زهرات الحقل تستعذب القطرا

إذا سمت الأوطان بالعلم والحجا ... فمن شأن هذاالشعب أن يدرك الشعرى

وليس عزيزا أن تصافحه النها ... وعاهله يمضي به للعلا جهرا

تباهت به الغبراء واهتز عطفها ... واضحت غياضا في ملاءتها خضرا

وفيها سدود كالشوامخ تحتمي ... بها قطرات المزن كي تنبت الخيرا

وليس لها بأن سوى «الحسن» الذي ... يؤمن قوت الشعب أو يضمن اليسرا

ولم يعد الفلاح يشكو غضاضة ... فقد نسي المكروه واستدبر العسرا

رفعت لانتاج البلاد مصانعا ... ولم يبق عيش العاملين بها مرا

وكيف وقد نالوا حقوقهم التي ... أراحت نفوسا تطرد البؤس والفقرا

وحررت من خوف الخسارة أنفسا ... من التجر تهوى كسبها أبدا حرا

ولكنها حرية إن حفظتها ... فقد صنت من يشري وأوليته البرا

وذلك عين العدل في أمة لها ... من الله دين يمنع الكبت والقهرا

عنيت بأمر الروح وهي ثمينة ... من الملأ الأعلى أتت تعشق الذكرا

فشدت بيوت الله في كل بقعة ... تضوع منها الطهر يستبق العطرا

وغصت بعشاق الصلاة رحابها ... كما استقبل «المعمور» أفواجه الغرا

ومن حسنات العابدين وجمعها ... إلى «حسن» حظ الجزاء أتى فخر

وكل الذي يبني ولو مسجدا له ... من الله قصر قد علا عبقا نضرا

يسير على طول البلاد وعرضها المسافر لا يخشى على أمنه ضرا

وان حياة الناس بالأمن تزدهي ... وتخصب إذ لا عنف يملأها ذعرا

ضممت جناحا كان من قبل يشتكي ... وكانت به «الصحراء» موحشة **قفرا**

يعاني بنوها الزرق من زفرة العـدا … لهيبا من الأحقاد يوقدهم جمـرا

وما هي إلا بنت «مغربك» التـي … أوت وهي لا تهوى العقوق ولا الهجرا

فساء ذوي القربى إلى الحق عودة … ولا عجب كم من قريب برى الظفرا

هم ولدوا بالمكر ليلا صنيعـة … وخامرهم وهم فطاش بهم كبـرا

ألم يدركوا من بعد أنا على الهـدى … وإن يمين الله تمنحنا النصـرا

وأن «الصحاري» دفقة من دمائنـا … وجزء من الكيان لا يقبل البتـرا

إذا استفتيت جاء الجواب بأنهـا … إلى «الحسن» المحبوب تفترش الزهرا

ولاء وعرفانا وحبا وطاعـة … وعهدا على الاخلاص للراية الحمـرا

أمولاي وحدت البلاد وأهلهـا … فلم يكفك التوحيد في الساحة الصغرى

نهضت إلى دنيا العروبة مرسـلا … كجدك إذ أدى الرسالة والأمـرا

تلم شتات العرب منك عزيمـة … ورأي من التوفيق قد كتبت السـرا

تعالج بالحسنى جراح خلافهـا … وذلك داء العرب قد قصم الظهـرا

فلاحت على أفق التوحد رايـة … لك الفضل في إعلائها يبعث الفخرا

وما أمة كالعرب الا وشيجـة … موحدة الأعراق لا تبتغي الكسـرا

٥٥٥

هنيئا بعيد العرش يختال زاهيـا … ويشرق نورا يغمر الوطن البـرا

تلألأ في كل القلوب فلا تـرى … سوى كلف بالعرش هام به ذكـرا

اضفت له الأمجاد وهي حقيقـة … لشعبك أمجاد ترصعـه درا

سمت بك علياء المراتب وانتهـى … إليك الذي يهواه من وهب الفكـرا

فمر تسمع الدنيا نداك فإنمـا … ملـك لا يلغى بسمعها وقـرا

فقد نلت بالمعروف صادق ودهـا … وأقنعت فيها كل من يبدع البكـرا

وماذا عسى يثني القريض وينتقـي … وأعمالك الجلى غدت للورى شعرا

قدم للعلا والمكرمات موفقـا … تدبج منها دائما صفحة أخـرى

وعاش ولي العهد في حضنك الذي … غدا لصلاح النشء مدرسة كبـرى

وبالرشد لحياة «الرشيد» على المـدى … وباليمن يحمي الرمز والأهل والقصرا

الالتفاف حول العرش

سبيل للانتصار في معارك الجهاد الأكبر

للأستاذ علال البوزيدي

• تقاس عظمة الأمم والشعوب، بما لها من خوالد وخوارق هي قوام الماضي المجيد بكل ما يختزنه ويزخر به من معالم التراث والحضارة ومواقف البطولة والجهاد المسجلة بمداد الفخر والاعتزاز في عمق التاريخ.

• كما تقاس بالانجازات والمكرمات وجلائل الأعمال في الحاضر، ومن معطيات الماضي والحاضر يتم الاعداد والتحضير للمستقبل. وعبر هذه الرؤيا يجول الفكر في تاريخ المغرب الملكي بالمفاخر والأمجاد في ظل الدولة العلوية الشريفة.

• إنها حصيلة ونتائج مسيرة قيادة حكيمة وشعب أبي أصيل، يربط بينهما التجاوب المكين والتلاحم المتين، وانطلاقا من هذا الرباط المقدس تمكن المغرب عبر تاريخه الحافل بالمعارك الجهادية من مواجهة كل التحديات.

وتشهد الأحداث وما أكثرها عن مواقف المغرب الشجاعة من مختلف القضايا التي أختلقتها الظروف وجاءت بها العواصف التي هبت من هنا وهناك، ولكن أكدت الأيام وبرهنت الأحداث على أن كل إرادة مرتكزة على التجاوب والتلاحم والوفاء بين القائد والأمة لا يمكن أبدا أن تعصف بها التيارات مهما كان مصدرها ولن تنال منها الايديولوجيات كيف ما كانت اتجاهاتها ومشاربها.

• ولنا العبرة في التقلبات التي تتجاوز في العالم والتي ينصهر معها المغرب بمرونة وحكمة، بل بتفاعل وحيوية وبروح ايجابية مناصرا للحق ومنددا بالظلم والجور والتسلط والاستغلال، والاستعمار، يمارس المغرب بقيادة العرش والجالس على أريكته أدواره الإيجابية على مختلف الأصعدة بانفتاح واسهام في خدمة الانسانية مقارعا الحجة بالحجة ومحاورا بلغة المنطق السليم.

• ولتعميق الموضوع نسبيا ينبغي القيام بقراءة ولو سريعة لتاريخ المغرب من خلال الحقب المتوالية وسوف لا نذهب بعيدا في أغوار التاريخ لأن ذلك يقتضي الإسهاب والتطويل.

• ذلك لأن سبعة وعشرين «27» سنة التي مضت على استقلالنا الوطني هي في حساب تاريخ الشعوب فترة وجيزة إلا أنها في تاريخنا الوطني زكتها الوحدة الوطنية وغذتها روح التجاوب والتلاحم بين العرش والشعب، وبهذا السلوك المتماسك الذي يعتبر أسلوبا شموليا في ممارسة الحياة المغربية على مستوى المجتمع العام، بل هو أمانة

جيل ورسالة أجيال لأن السيادة الوطنية فوق كل اعتبار وهذا شيء راسخ في أخلاق الشعب المغربي.

سر نجاح الأمة المغربية في كل الأزمات

• تفيد الاستقراءات الواعية في تاريخ المغرب النضالي بأن هذا البلد عرف في حياته تقلبات وأزمات شأنه شأن كل بلد عظيم له خصائص ومعالم حضارية وجغرافية وحباه الله بطبيعة معطاء والبحث والتقصي في الكيفية التي يحقق بها المغرب انتصاراته ونجاحاته في كل المعارك والأزمات سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية.

يرجع في الأساس إلى وحدة الصف والالتفاف حول العرش في مجابهة ومواجهة كل التحديات والهجمات وكانت ولا تزال هذه الروح مهيمنة على مسيرة المغرب عرشا وشعبا، بل تشكل السلاح ضد كل المصاعب والأزمات وتغذي الارادة النضالية والتضحية الوطنية والحماس الجماعي، وبهذه الخصائص الأخلاقية العالية يتم التغلب على العوائق ويتحقق الوصول إلى الأهداف سياسيه كانت أم حربية اقتصادية، أم اجتماعية، ذلك لأن التعبئة الجماعية ووحدة الصف وراء العرش والاستجابة التلقائية لكل النداءات الداعية إلى القيام بالواجب الوطني والاسترشاد بالتوجيهات الملكية والاقتداء بما ينهجه قائد الأمة من نهج رشيد والاهتداء إلى العمل بما يقتضيه الواجب الوطني من بذل وتضحية واخلاص في العمل وتطوع من أجل المصلحة العليا للبلاد، لم يكن هذا بالشيء الموجه بل كان دما يجري في العروق والشرايين وللسائل أن يسأل كيف واجهت القاعدة الشعبية المغربية الاستعمار وكيف اندلعت ثورة الملك والشعب الشهيرة في تاريخ العالم الحديث والخالدة في تاريخ المغرب النضالي.

• أما إذا استعرض الإنسان مختلف الأحداث التاريخية التي واكبها تاريخ المغرب الواحدة بعد الأخرى، فإنه لن يجد التغلب عليها وتحطيم شدتها وحدتها الا بالالتفاف حول العرش رمز الاستقرار، فبهذه الاحدة التام شعث المغرب الذي تربصت به الأهواء واجتاحته العواصف.

ففي عهد العرش العلوي استطاع المغرب ترسيخ أمجاده وبناء قواعد نظامه على أسس صحيحة فبالعرش أعاد المغرب هيبته الدولية واحتل مكانته بين الأمم، حتى أصبح قبلة تعقد فيه اللقاءات والمؤتمرات وتعالج فيه الاشكاليات وفي ربوعه تتخذ المبادرات السلمية، ومسيرة المغرب في ظل العرش تواكبها الأحداث الجسام وتحكي للأجيال مسلسل البطولات التي لا تزال المواقع تشهد بها حتى الآن فالشواطىء المغربية عرفت الاحتلال من طرف عدة دول أروبية من برتغال، واسبان، وانجليز، ولم يكن تحرير وفك الاغلال وجلاء الاحتلال عن الثغور والشواطىء والابراج البحرية بالأمر السهل، وإنما تحقق الانتصار في تلك المعارك بفضل الالتفاف حول العرش.

• إن هذه الملاحم تم صنعها بواسطة هذه الوحدة واستمرارية الأمجاد والانجازات طريق واضح المعالم نحو تحقيق المزيد من الانتصارات على درب الجهاد الأكبر.

• وأن القراءة مهما كانت سريعة لأوضاع المغرب بالأمس وبالضبط قبل ربع قرن من الزمن وما خاضه في نطاق مسيرته النضالية وكفاحه المجيد تؤكد بأن ما تحقق بفضل جهاد العرش والشعب خلال 27 سنة التي مضت على الاستقلال من مظاهر التقدم ومراحل التحرر والانتعاش والتجهيز والتطوير والتأطير فهذه المراحل ينبغي أن يحسب لها ألف حساب خصوصا إذا جعلنا في الحسبان بأن المغرب عندما حصل على الاستقلال بدأ مراحله الأولى في البناء وازالة الرواسب والمخلفات فلم تكن هناك أية امكانيات إلا ارادة وعزيمة عرش وشعب وصدق الذي قال على قدر أهل العزم تأتي العزائم.

• وإذا حاولنا أن نستنبط مقياسا نهتدي به إلى معرفة ما قام ويقوم به المغرب من أعمال ومبادرات بقيادة العرش لوجدنا أن حصر ذلك لا تتسع له الكتب والمجلدات، ولكن ذلك لا ينبغي أن يبعدنا عن اثارة الحديث في مواضع لها علاقة بقضايانا الوطنية، بل فهذا شيء نعتز به ونفتخر وقمين بنا أن نحاور ونناقش لتقييم أعمالنا ومحاسبة أنفسنا ففي ذلك توضيح للرؤيا واثراء لثقافتنا الوطنية واذكاء لروح الحماس في النفوس وبالتالي

توجيه للأجيال الصاعدة وتنشئة لها على التفاني في محبة الوطن والاجتهاد والتضحية في سبيل خدمته بوفاء وإخلاص استمرارا للأصالة وتكميلا لما قام به الاباء والأجداد من بناء لصرح الشخصية المغربية التي تجسم عظمتها عظمة العرش المغربي.

المنطلقات الأولى لمعركة الجهاد الأكبر

• لم تمض إلا خمس سنوات على الاستقلال حتى اختطفت يد المنون محرر البلاد ومحقق الاستقلال المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه. وفي ظروف حرجة وصعبة تقلد وارث سره وخلفه الصالح جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله مهام الملك واضطلع بمسؤولية تسيير شؤون الدولة والبلاد تعاني من الحاجة الماسة لكل شيء وفي هذا الخضم أعتلى أريكة العرش متوجا بالبيعة الإجماعية.

في مجال الحياة الدستورية

• كان من بين الأحداث الهامة التي عرفها المغرب مشروع الدستور الذي تم عرضه على الشعب ليستفتي فيه ويصادق عليه.

فكانت بالفعل هذه المرحلة من حياة المغرب الدستورية من الأهداف الكبرى لارساء قواعد الديموقراطية وتطبيق مبادىء الشورى وهي مبادىء منصوص عليها في القرآن الكريم الذي هو الدستور العام والأساس للأمة الإسلامية وقد ضمن الدستور الضمانات والمبادىء الأساسية التي طالما كافح من أجلها الشعب المغربي كما جاء لتعزيز الحريات العامة التي كان من معطياتها تأسيس الجمعيات والصحف والمنظمات النقابية والسياسية.

عملية المدرسة أو الثورة ضد الجهل

• كانت عملية المدرسة بمثابة ثورة أخرى من الثورات التي قام بها العرش والشعب ضد الرواسب والمخلفات والأطماع والتحديات فكانت مثالا يحتذى في التعبئة والتطوع والعمل الجماعي المخلص. بل كانت حملة عنيفة ارتكزت أساسا على مخطط استراتيجي لمحاربة معضلة الجهل ومحو الأمية هذا المرض المزمن الذي تركه الاستعمار متفشيا في أوساطنا ولقد أسفرت عملية المدرسة في مرحلتها الأولى على انجاز مائة ألف مقعد فضلا على ما تم انجازه في هذا المجال من طرف البلديات والجماعات القروية والمتمثل في بناء الأقسام المدرسية.

طريق الوحدة

• إن الالتفاف حول العرش هو الدعامة الكبرى لانجاح المشاريع الضخمة التي تحققت وفقا للقولة المأثورة يد الله مع الجماعة فمشروع طريق الوحدة التاريخي يجسد البعد الكبير لهذا الالتفاف إذ تحقق في ظرف وجيز بمشاركة الشباب والسواعد من أبناء هذه الأمة المخلصين فتجلت من خلال ذلك المشروع روح التطوع وأهمية العمل الجماعي كما برهنت الطاقات البشرية عن اسهاماتها الفعالة في الخلق والإنجاز ويعود بنا ذلك إلى تأمل واقعنا ومراجعة سلوكنا ومحاسبة أنفسنا ثم الاقتناع بما للوطن علينا من حقوق تقتضي منا نكران الذات ومضاعفة الجهد الاسهامي في بناء الوطن.

من الانعاش القروي إلى الانعاش الوطني

• شملت الاهتمامات في سنة 1961 لمجتمع المغربي بشطريه القروي والحضري فكانت المبادرات الأولى مبنية على نهج مناهج اصلاحية وتنموية متكاملة مما ساعد على اقتلاع جذور مظاهر التخلف بمعناه الفاحش واتخذت لهذه الغاية تدابير جدية ومرنة تميزت بالشمولية واتساع الطاقة الاستيعابية فكان من بين الحلول الناجعة الانعاش القروي الذي ما لبث أن تحول إلى الانعاش الوطني. وكم من الأهداف ساهم في تحقيقها هذا القطاع ويمكن الالماح اليها فيما قام به من خدمات في سبيل الاصلاح والترميم ومقاومة انهيار التربة وحفر الابار ومد

الطرق وبناء الأقسام المدرسية ودور الجماعات والأسواق الاسبوعية في البادية كما ساهم مساهمة محسوسة في التخفيف من حدة البطالة وتحريك الأيدي المعطلة وبالتالي عزز الجهود المبذولة في مجالات التنمية الاجتماعية. وخلاصة القول لقد كان للانعاش الوطني دوره الايجابي في استثمار الأراضي عن طريق تمديد قنوات الري وكذا فتح الأوراش وساهم كذلك في تطوير الخطارات وخزانات الماء البدائية فجعل منها قنوات وفق التنظيم العصري وأقيمت الأوراش في كل مكان وتمت الحملات في التوعية الصحية والتربية الأساسية والتأهيل الاجتماعي وتعزيز مكانة الأسرة في المجتمع.

العرش رمز الاستقرار والسيادة المغربية

• من الملامح الكبرى والسمات البارزة التي تميز الشخصية المغربية التفاف الشعب حول العرش إذ بفضل ذلك تحقق الاستقلال والحرية وتحققت الوحدة الوطنية والترابية ذلك لأن العرش هو رمز الاستقرار والسيادة والمحافظ عليها والمعبر عن رغبات الأمة في الرخاء والشدة وفي الملمات ويوم تدلهم الخطوب ذلك لأن البلاد مرت بأزمات ومحن وشدائد وخاضت معارك خرجت منها منتصرة رافلة في حلل العزة والمجد والبناء الخالد في سبيل التاريخ.

• وهذه المميزات والخصائص هي الدعائم التي ترتكز عليها القيادة الرشيدة للجالس على العرش. بل هي أساس المدرسة الحسنية التي منها يتلقن شباب البلاد والجيل الصاعد المناهج التربوية والاعدادية الصحيحة ونستوحي ذلك مما قاله قائد البلاد في موضوع تعبئة الشباب في خطاب لجلالته يوم 9 يوليوز 1964.

وها نحن نراكم مجتمعين حولنا في هذا الاستعراض الرمزي تنعكس على وجوهكم حيوية الشباب، وتتدفق من أجسامكم مظاهر العزة والقوة واليقين. وتلكم هي العدة التي لا بد للشباب في كل أمة وجيل. أن يتسلح بها لمواجهة حاضره وبناء مستقبله وهي الخصال المؤكدة بأن غدا مشرقا ينتظر شبابنا. كما ينتظر كل شباب واع مصمم طموح.

استمرارية المسيرة

• إن الوثبات المتلاحقة التي يثبها المغرب في مسيرته المستمرة تتم وفق خط استراتيجي يمس صميم الأهداف الكبرى التي تتمحور حولها معركة الجهاد الأكبر الذي يخوضه المغرب بزعامة العرش. وفيما تحقق من انجازات البرهان على ذلك. إذ ففي كل مجال تبرز تجليات ومظاهر التقدم والعمران. كما تبرز أهمية بناء السدود في دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية. في حين تتفاعل الأرقام مسجلة إنشاء المزيد من المدارس والمعاهد والكليات والجامعات ومؤسسات التكوين والاعداد. وباقي المرافق والمؤسسات الضرورية الأخرى لإقامة أسس النهضة الاجتماعية ولم تكن شؤون وقضايا الطفولة والشباب والأسرة بمغفولة. بل تحظى بعناية ملحوظة يتجلى بعضها في توسيع الطاقات الاستيعابية لمؤسسات العمل الاجتماعي على أساس خلق السبل الملائمة لايجاد التناسق والتكامل بين مختلف القطاعات المهتمة.

• وفي مجال البعث الاسلامي تحقق من الخطوات والأهداف ما يثلج الصدور وتطمئن له النفوس وتشرق به القلوب. ولعل الدور الايجابي الفعال الذي تقوم به وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية في مجالات تنظيم الوقف وبناء المساجد واحياء التراث ونشر الدعوة الاسلامية كفيل باعطاء الصورة المشرقة على المكانة التي تحتلها بلادنا بوصفها معقلا من معاقل الاسلام وإذا كانت شهادة التاريخ تتوج هذه الجهود فإن مؤتمرات القمة الاسلامية التي انعقدت بالمغرب ورئاسة جلالة الملك للجنة القدس الشريف ومبادرات المغرب المتعددة في هذا المجال كل ذلك وسواه يشكل تاج فخر واعتزاز وظفر وانتصار في حياة العرش والشعب، والمسيرة المغربية الاستمرارية تخترق الواجهات وتواجه التحديات بالمنطق السليم والفكر المستقيم. ناشدة التوازن والاستقرار وهادفة اسعاد الشعب ومحاربة التخلف والشر لا محاربة البشر.

• وانطلاقا من هذا المبدأ كانت المسيرة الخضراء الخالدة التي كان سلاحها القرآن والايمان بمشروعية الحق ولذلك تحقق الهدف الذي توخته واستهدفته وعادت الصحراء الى حظيرة الوطن الاب بالطرق السلمية واعطى بذلك المغرب للعالم أجمع مثالا رائعا في الأخلاق السياسية المثالية.

• بهذه الروح من المواطنة والجد والاجتهاد ونكران الذات ومراقبة الضمير ومحاسبة النفس تواصل المسيرة المغربية انجازاتها بمزيد من التعلق بالعرش العلوي المجيد الذي هو رمز عظمة الشخصية المغربية وضمانة وحدتها وترسيخ أمجادها الحسية والمعنوية ومهما كانت القراءة سريعة ومقتضبة لا يمكن أن تحيط بالنزر القليل من الأهداف السامية والأمجاد الخالدة التي تحققها المسيرة المغربية عبر استمراريتها وتلك محاور ستخوض فيها الأقلام وتتبارى في التعبير عنها القرائح والمواهب ومجمل القول أن هذه المسيرة تحمل رسالة الحق المبين والخلق الكريم المتين. ولذلك فإنها مباركة من الله والالتفاف الدائم حول العرش هو فضل من الله سبحانه وتعالى وهو الذي قال وقوله الحق : «**لو انفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم**».

سلا : علال البوزيدي

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

•• إن الإسلام دين ترتكز فيه الحياة كلها على مبدأ المسؤولية، وهي في مفهومه فردية وجماعية، فما من أحد منا إلا وهو يتحمل حظا منها يضيق أو يتسع ••

مواقف جلالة الملك الخالدة

للأستاذ مبارك الريسوني

يحتفل الشعب المغربي قاطبة بذكرى عيد العرش المجيد التي تصادف ذكرى تربع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله على عرش أسلافه المقدسين.

إن هذا الحدث التاريخي في حياة الشعب المغربي ليجل أروع التحام بين الراعي ورعيته، وهو بالتالي تجسيد لروح المحبة المتبادلة بينهما.

إن ثالث مارس من كل سنة عيد من أبرز الأعياد الوطنية على الإطلاق ذلك لأنه عيد يرمز إلى الوفاء والمحبة، ويرمز إلى الصدق والإخلاص، ويرمز إلى التعاون والتضافر، ويرمز إلى التلاحم والتجاوب، ويرمز إلى النهضة والتقدم، ويرمز إلى البناء والتشييد.

إن كل هذه المعاني تتجسد فيما يبدو ويظهر من تجاوب تلقائي بين جلالة الملك المخلص والشعب الوفي، وثالث مارس سيظل حدثا بارزا في تاريخ المغرب على مر الأجيال والأحقاب فيه تتلألأ الأنوار وتسطع أشعة الشمس على بلادنا بنورها الوضاء، وتتزين المدن والقرى بأبهى حلة، وتنعكس هذه المظاهر، مظاهر الزينة والفرحة والبهجة والحبور على الأمة المغربية فتستحيل إلى سمفونية ذات ألحان رائقة وأغرودة شجية.

أجل في هذه المناسبة العظيمة تقام الحفلات والمهرجانات الشعبية في كل مكان وخلالها يتبارى الكتاب والأدباء والشعراء والزجالون والملحنون وباقي رجال الأدب والفن لإبداع أجمل اللوحات معبرين فيها عما تجيش به صدورهم فيذكرون مناقب جلالة الملك، كما يتنافس بقية أفراد الشعب على اختلاف اتجاهاتهم وتباين اختصاصاتهم بشتى الوسائل للتعبير عن مدى فرحهم وسرورهم.

إن ما يجري بهذه المناسبة العزيزة من كل سنة من الاحتفالات التلقائية لبرهان ساطع وحجة قاطعة على مدى ارتباط الشعب بالعرش، والعرش بالشعب، وهو تجسيم لروح المحبة والإخلاص والوفاء.

وإذا كانت جميع فئات الشعب والهيآت السياسية تتنافس في التعبير عن هذه المناسبة فذلك راجع إلى وفاء صاحب الذكرى جلالة الملك إلى ما إئتمنه عليه شعبه من عزة هذا الوطن ورفعته.

ومن ثالث مارس 1961 إلى ثالث مارس 1983 مسيرة طويلة حافلة بجلائل الأعمال، لا يمكن بطبيعة الحال أن تستوعبها عشرات المجلدات، فخلال هذه المدة

الزمنية خاض الشعب المغربي - بقيادة جلالة الملك رائد الجهاد الأكبر وبطل المسيرة الخضراء، ومحرر الصحراء، وموحد الصف العربي والإسلامي - ثورات ناجحة ومعارك حاسمة على واجهات شتى أذكر منها معركة القضاء على أشكال التخلف والتبعية الاقتصادية، والقضاء على الهيمنة الفكرية والاستلاب، وهذه أخطر من معارك الانعتاق من الرق والعبودية والاستبداد والاستغلال، كما قام جلالته بتدعيم بعض الهياكل الاقتصادية والمصالح الاجتماعية، وخلق عددا من دور العلم والمعرفة، وبذر نواة لعدد من الهياكل الديمقراطية إلى غير ذلك من الأعمال التي قام بها خارج الوطن استهدفت رتق الصدع ولم الشمل، شمل العرب والمسلمين ليوم الفصل.

وبمواقفه الجريئة والشجاعة وإيمانه العميق وإخلاصه لروح العروبة والإسلام وشعورا من جلالته بالمسؤولية الملقاة على عاتقه سعى بكل الوسائل إلى توحيد صفوف العرب والمسلمين وجمع كلمتهم من أجل تحرير القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وكذا تحرير الأراضي الفلسطينية من أيدي دهاقنة الاستعمار الإسرائيلي الاستيطاني.

أيها التاريخ سجل هذه المفخرة - من عشرات المفاخر التي استأثرت على بقية الأحداث في العالم - بماء الذهب، لم يكن يتصور أحد أن المستحيل بات ممكنا وخاصة أعداء العرب والمسلمين، إن الذين كانوا يتصورون جمع قادة العرب على صعيد واحد هم الذين سعوا إلى تحقيق ذلك وفي مقدمتهم صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني.

إن إصرار جلالته لتحقيق المزيد من المكاسب كان لا بد من السير في الطريق الوعر والشاق، إنه اختيار من اختياراته لذا لم يدخر جهدا من جهوده إلا وبذله ولقد أفصح جلالة الملك عن بعض هذه الجهود وهو يتحدث لرجال الصحافة الدولية عقب انتهاء أشغال مؤتمر القمة العربي الثاني عشر بفاس في شطره الثاني، كما أفصح عن مساعي جلالة الملك من أجل تحرير القدس الشريف وبلاد فلسطين الحبيب الشطي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي في حديث صحفي عقب انتهاء الاجتماع المشترك للجنة القدس واللجنة السباعية المنعقد برئاسة جلالة الملك بمدينة مراكش.

وفي موضوع المساعي الحميدة لجلالة الملك الحسن الثاني يحدثنا الأستاذ محمد بوستة الأمين العام لحزب الاستقلال وزير الدولة للشؤون الخارجية فيقول : «في نونبر 1981 كان عنده إحساس داخلي قوي بالخطورة التي ستترتب عن تشتيت الصف العربي كان شعورا دفينا لم يعبر عنه لأحد، ولكن هذا الشعور الدفين تفجر عند أول شرارة، وكانت هي المكالمة الهاتفية صباح 25 نونبر 1981 عندما أبلغته في الثامنة صباحا أن الرئيس الأسد قد تعذر عليه المجيء إلى فاس في الحين تصور المآل حينما يظهر للعالم العربي أن العرب غير متفقين، وقال لي : «لم يكن هناك مبرر للمؤتمر، إن عواقبه لن تكون في صالح العرب».

وبدأ تكييف هذا التصور ثم ارجاء عقد مؤتمر ويواصل الحديث فيقول : «وفي فاس قام الحسن الثاني بدور المستفز لردم هذه الجدران وفي طاولة الأكل وداخل الجلسات في السيارة في الكواليس في زيارته للقادة في بيوتهم كان يساعد كلا منهم على أن يفرغ ما عنده وصولا إلى القليل من هذه المشاكل».

من هذا الحديث وغيره سنستخلص أن جلالة الملك توفق في توحيد الصف العربي وجمع كلمته بفضل حكمته وإيمانه وبعد نظره ومرونته.

ولقد خاب ظن المنظرين من الأعداء لما وقف القادة العرب جميعا - بعد الجلسة الختامية عقب انتهاء مؤتمر القمة العربي الثاني عشر - على صعيد واحد ليعلنوا للملأ في البيان الختامي المشترك عن توحيد الخطة ووحدة الهدف.

وبعد، فلنحاول الحديث عن التعليم وأهدافه في ظل جلالة الملك، ولنعرف بوضوح مدى العناية والاهتمام بالنشء وتكوينهم تكوينا عربيا وإسلاميا ليتحملوا المسؤولية التي ستناط بهم في المستقبل لا بد من القيام بعرض موجز عن التعليم قبل استقلال المغرب وبعده

للمقارنة من حيث الكم والكيف والغاية والهدف وإن كان الأمر لا يحتاج إلى مقارنة للبون الشاسع فيما بينهما !!

لا شك أن افراغ التعليم العربي من محتواه الفكري والثقافي وقطع كل صلاته التي تغذيه هي محاولة كانت يائسة من الاستعمار استهدفت هدم تاريخنا، ومحق أصالتنا، كما استهدفت خلخلة خطيرة لمقوماتنا وشخصياتنا، ولتحقيق أهداف المسخ وتشويه اللغة العربية بغية فصل الإنسان المغربي عن ماضيه جند الاستعمار كل بيادقه من رجال القمع والإرهاب بالإضافة إلى سيل من الباحثين والمستشرقين، وجحافل من البعثات التنصيرية التي تأتي بصفات مختلفة ظاهرها الإنسانية، ومع كل هذه الوسائل القهرية وغيرها كانت نتائجها مخيبة لآمالهم، وخاصة لما ارتفعت أصوات المناضلين من رجال الحركة الوطنية بقيادة صاحب الجلالة الملك محمد الخامس رضوان الله عليه، وإلى جانبه وارث سره وولي عهده آنذاك مولاي الحسن لينادوا بشعار هام : العربية لغتنا، والإسلام ديننا، والمغرب وطننا، ولقد حطمت هذه الصرخة كل ما بنوه وشيدوه.

إن التعليم كان نخبويا، وكانت صورته قاتمة، لم يكن يخدم سوى مصالح الاستعمار وأغراضه، وجاء عهد الاستقلال تتويجا لروح المقاومة ليتحول إلى تعليم شعبي نافع ووظيفي، وذي أهداف عربية وإسلامية وإنسانية. والسياسة التي انتهجها جلالة الملك الحسن الثاني في رحاب التربية والتعليم باعتبار الإنسان طاقة خلاقة وينبغي استثمارها ليعم نفعها استهدفت شحذ الهمم، وتنمية القدرات الكامنة إلى أقصى مداها، وتربية الناشئة على القيم والمبادئ والمثل، وتكوينها تكوينا يتلاءم وروح العصر لمسايرة ركب الحضارة الإنسانية في تقدمها، والمقصود بالتقدم، تقدم اقتصادي، وتقدم اجتماعي، وتقدم علمي، وتقدم عسكري، وتقدم صحي، وتقدم حضاري، إلى غير ذلك من أنواع التقدم.

ولبعد نظر جلالة الملك استهدف التعليم بالإضافة إلى ما ذكر خلق نظام تربوي عربي أصيل يجمع بين التراث العربي الماجد وبين التقدم العربي الحاضر لخلق أجيال عربية مؤمنة بعروبتها، واعية بمسؤولياتها، مزودة بأحدث مقولات العلم الحديث وتطبيقاته، قادرة هذه الأجيال على البقاء والعطاء من جهة، وقادرة من جهة أخرى على مواجهة تحديات الصهيونية وتهديدات الاستعمار الحديث.

وإنه ما لم يتسلح المتعلم العربي بسلاح العلم والمعرفة الحديثين فإن بقاؤه سيكون موضع سؤال، ولأهمية التعليم في بناء المجتمع كانت له أولوية الأولويات رغم التزاحم والتداخل لقطاعات أخرى حيوية، لكونه أساسا في كل نهضة ورقي وتحضر، وبنظرة إلى الخريطة المدرسية والرسوم البيانية تتجلى بوضوح وجلاء القفزات العملاقة التي عرفها نمو التعليم والتربية وارتفاع عدد المتمدرسين.

إن الاهتمام به سار جنبا إلى جنب توفير لقمة العيش للمواطنين المحتاجين، وإيجاد حقن الدواء للمرضى المعوزين، ومن هذه المقارنة يتضح أن التعليم كالهواء والماء بالنسبة للكائنات الحية فلا حياة بلا تعليم، كما لا حياة بدون ماء ولا هواء.

إن اهتمام جلالة الملك لم يقتصر فقط على التعليم دون سواه بل شمل بعنايته جميع الميادين وانصب أكثر على القطاع الفلاحي فأحاط الفلاحين بحدبه وعطفه ورعايته وعنايته بشؤونهم وشؤون مواردهم واستثمارها.

وأذكر على سبيل المثال في أوائل الموسم الفلاحي لهذه السنة 1982 ـ 1983 ترأس جلالة الملك انطلاقة عملية التويزة بإقليم فاس وخلال هذه العملية تفضل جلالته فقدم جرارات من أحجام صغيرة هبة من جلالته لصغار الفلاحين، وكم كان فرحهم كبيرا بزيارته لهم وبهذه الهبة الملكية الكريمة، وبالمناسبة أذكر كذلك أن جلالة الملك تفضل حفظه الله في السنة الفلاحية المنصرمة فقدم آلة صناعية متحركة للفلاحين بإقليم بني ملال لري أراضيهم، كما أذكر توزيع الأراضي المسترجعة على صغار الفلاحين بكل أقاليم المملكة، والحديث في هذا المضمار طويل جدا ولا يمكن الإلمام به كاملا فمنذ أن ائتمنه شعبه على مصيره وجلالته منكب على اختيار أيسر السبل، وأنجع الوسائل للتغلب على الصعاب التي تحول دون الزحف إلى الأمام وللنهوض والرقي لم يدخر جهدا، ولم تفته فرصة مواتية لم يستعملها

للحديث تارة على مضاعفة الجهود، وتارة لشحذ الهمم وتعبئة الطاقات والإمكانيات. إذ لم يحدث مشكل دون أن يوجد له حلا مهما كان. مثال ذلك استرجاع الصحراء الغربية إلى حظيرة الوطن دون إراقة دماء ! وتوحيد الصف العربي كل ذلك بفضل ما حباه الله من حكمة ومرونة، وسداد رأي، وبعد نظر، وإيمان بالله.

وقبل أن اختم حديثي عن ذكرى عيد العرش المجيد أود أن أقول : إن الالتزام بالحديث عن جانب من جوانب جلالة الملك الحسن الثاني دون سواه أمر لازم للإحاطة بهذا الجانب. وإذا أنا جمعت ما بين هذه الموضوعات ولم ألتزم فلأني أرى في ذلك أكثر من علاقة وسبب وعلة كالطرافة والجدة وشمولية الاهتمامات و.....

هنيئا لسيدنا صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أدام عزه ومجده بعيد العرش الذي هو عيد الشعب، لأن جلالته قال : «إذا كان الناس على دين ملوكهم فأنا على دين شعبي» أمد الله في عمره وأعاد على جلالته وشعبه أمثال أمثال هذه الذكرى بمزيد من اليمن والتوفيق والسؤدد والنصر والخير، وأقر عينه بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد، وأخيه صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد، وباقي أفراد الأسرة الملكية الكريمة. إنه على ما يشاء قدير.

المبارك الريسوني

سَعِيد حِجّي

تأليف الأستاذ أبو بكر القادري

في الخبر الذي نشرناه ضمن (شهريات الفكر والثقافة) في العدد الماضي ذكرنا خطأ أن كتاب (سعيد حجي الجزء الثاني) للأستاذ الكبير أبو بكر القادري من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. ونود أن نصحح ذلك فنؤكد أن الكتاب من منشورات دار الثقافة بالدار البيضاء.

وقد ورد هذا الخطأ على قلم محرر (شهريات الفكر والثقافة) بسبب ورود كتب أخرى في نفس الركن من منشورات وزارتنا فنتج عن ذلك التباس.

نعتذر للقراء الكرام، وللكاتب الفاضل الذي أثرى المكتبة المغربية بهذا الأثر النفيس، ولدار الثقافة بالدار البيضاء التي نشرت الكتاب.

فلا تحسبن الله مخلف وعده

صدق الله العظيم

للشاعر الأستاذ محمد محمد العلمي

بعيدك هذا القلب يشدو بحمده ! ... يعود فيزهو الخافقان بعوده !

وفي القرب أزداد اشتياقا لمالكي، ... فواعجبا للقلب في حال وجده !

فأنت ضياء للعيون، صباحه ... تبسم في عمق الضمير بوقده

وأنت رجاء للقلوب يقودها ... إلى نعمة النهج القويم برشده

وعيدك، أنت العيد في بشرياته ... يهل دواما في البلاد بسعده

يروق التزام فيه بالحزم والحجى، ... فيحمد هذا الشعب غاية جهده

تجيء المعاني فيه وهي جديدة ... معطرة الأنفاس، ترنو لمجده

نؤلف أصناف الرحيق قصائدا ... مرصعة، تحكي حلاوة شهده

ويزدحم العرفان في عمق سره، ... فلا يدرك الغواص أبعاد حده !

وتنبجس الأفكار من فيض فضله، ... وتنهمر الخيرات من ماء سده

تقوت صلات العرش بالشعب دائما ... بوحدة، توجيه لإدراك قصده

تعاقبت الأجيال، والحب خالد، ... وثيق مكين في صياغة عقده

فمنه إليه، نحن طوع يمينه، ... بمعركة تحيي بطولة جنده

وفي جيشه النصر المبين مؤثل، ... فيفني فلولا للدخيل وكيده

أرى فرحة العز المكين عميمة، ... بأوطاننا تغشى مسيرة بنده

وفي وحدة الصحراء بالأصل آية ... لقد حطمت قلب الحسود بحقده

وإنا رددنا من يسيء جوارنا، ... وقمنا جميعا مقسمين لرده

ومن حصد الأعداء حصدا، فإنه ... ستذكره الأجيال فخرا بذوده

فمرحى لعرش ألهم الصف وحدة، ... فتالله لا يأتي الزمان بنده !

تواصلت الأرحام في ظل عرشه، فلا الأخ قد يجفو أخا بصده،
وهذا الحمى يحميه رب مدبر حكيم، وجيش يستميت لرصده
إذا صفت الأرواح، وأبيض عمقها، فقد بسط المولى رضاه لعبده !

ه « ه

ورمز التحدي في ملاحم أمة، كأمتنا عرش يصول بجده
وللخامس المبرور روح نبيلة ترفرف دوما في فراديس خلده
تؤكد للشعب المكافح موثقا تبلور حقا في نجابة ولده
هو السيف، سيف الله يطفح هيبة، ولو أنه أمسى قريرا بغمده
لقد كابد المنفى السحيق، متوجا بتاج من الرضوان في حال زهده
وأفضل عرش في القلوب بقاؤه، وبيعة هذا الشعب عنوان مجده
وذاك الحضور الدائم النور بيننا يذيب حجابا من لواعج بعده
من الأرض يعلو للسماء هتافنا، فمرحى لشعبي في حماسة حشده !
وفي البدر شاهدنا من الشمس آية، وقد أشرق النور المبين بمهده
هو القلب في أبهى التصور قد غدا يرى طلعة المحبوب من طول سهده !
فحاشا وكلا، ما افتقدنا سناءه ، فلا يؤمن الوجدان قطعا بفقده !
لقد وهب الشعب الوفي حياته، وعاش دواما في ولاية عهده
وسلسلة الأشراف يزهو بها الحمى ومغربنا يهوى يتيمة عقده
هو **(الحسن الثاني)** المتوج بالهدى ومن يخطب الأقطاب ميزة وده !

ه « ه

أرى المغرب الحر الموحد جنة، ففي سهله تحلو الحياة، ونجده
به يجد الإحسان طبعا حياته، ويحتضن الطغيان ظلمة لحده
وفي الأطلس الجبار، والريف قلعة، وأقوى عرين للجهاد وأسده
ومن همة الأحرار رفرف عاليا لواء، جميع الحسن فيه لوحده ،
فمن خضرة الفردوس خضرة نجمه، ومن دمنا تختال حمرة برده !
على هامة الجوزاء دام مقامه، عزيزا كريما في ملاحم مجده !

ه « ه

فياكوثر الإلهام، إن شعورنا لقد فجر الإنشاد من نبع ورده
وياجنة الرضوان، ياعطرها الذي يضمخ أنفاسا لباقات ورده
وياملهم الشعب الوفي طريقه، لقد كنت في الأحداث موري زنده
ويامن بمعناه استقام سلوكنا، وليس يقاس المستقيم بضده

ويا أيها الراعي الأمين تحية ... من الشعب دوما، يامكسر قيده

وياكوثر الجود الأصيل، ومن به ... تحدثت العليا، اعترافا برفده

وياسبط طه الهاشمي محمد، ... ومن فاز في إشراق أمجاد جده

ويامبدعا أهدى المسيرات بيننا، ... ومن بهر الدنيا بآيات كده

لقد كان نقد الذات فيك سجية، ... وكم أفلح الحر الأبي بنقده !

وكم في (التحدي) من دروس بها سعت ... جماعات هذا الشعب في خير فرده !

لأنت حري بالولاء، فأنت من ... إليك جميع الشعب باسط خده،

فتنمية الأوطان هذا عطاؤها ... تعدد حتى لن يحاط بعده !

توالي من التاريخ أبهى فصوله، ... وتبعثنا بعثا لتجديد سرده

وترصد من صرح العروبة قمة، ... وترفع للإسلام سالف مجده

وفي (لجنة القدس) استبانت قيادة ... موفقة عند الوفي بعهده

تزول نزاعات الأشقاء بيننا، ... فنرجع للنهج القويم برشده

فياسيد الأحرار، من فاز دائما ... بطالع يمن، في رجاحة وفده

ويامن له السبق المبين، ومن به ... تضوعت الأنام من نفح نده،

لأنت الخطيب المصقع الفذ، من به ... تروق المعاني في إصابة رده

فسل ندوات في الوجود لها صدى ... عميق لمولى نحن نشدو بحمده

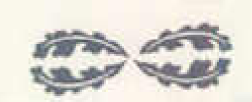
فدم يا أمير المؤمنين لأمة ... تتوق إلى روح السلام وبرده

لأنت صباح مشرق لبلادنا، ... لقد عمت الدنيا بشائر سعده

فقد صدقت فيك الفراسة دائما، ... وأيدك الله العظيم بجنده

وذلك وعد الله في من يحبه، ... «فلا تحسبن الله مخلف وعده» !

الرباط ـ **محمد بن محمد العلمي**



لوحات من عرشيات المسيرة

للأستاذ مصطفى الشليح

1 ـ قبل الرسم :

مسيرة الفتح، بل أحدوثة الزمن ... ووثبة الحق، بل أعجوبة الحسن
لولا حقائق قد أبصرت واقعها ... لقلت ، ضرب من الأوهام لم يكن
قد كنت أنكر أخبارا مشوقة ... من الملاحم عن سيف بن ذي يزن
حتى رأيت الذي فجرت من عجب ... فقلت ، قد نقل الراوي، ولم يمن (1)

إن المسيرة الخضراء وشم في الذاكرة المغربية، خيط ينسل من تلافيفها ليربط الماضي بالحاضر، ويصل المجد المؤثل بالأمجاد المستحدثة في دنيا الحضارة والنضال. يقف التاريخ، وتدخل المسيرة الخضراء محرابه المقدس، ثم يواصل انسيابه الامتدادي، وينتصب الفن منبهرا قدام ابداعيات المسيرة الخضراء، لأن ما خلفته من روائع دليل على عمق المعاناة الوطنية التي واكبت ذلك الحدث الشامخ.

وقد تركت المسيرة الخضراء أرقى البصمات على الأدب المغربي شعره ونثره، فصيحه وعاميه، وقتها ليس مهما جنس الخطاب، ولا أدواته، لأن الأهم هو أن تقول، لأنك من الداخل تغلي، وتحتاج إلى متنفس.

ومن الأكيد أن أدب المسيرة الخضراء هو أدب نضالي يدرج حتما في اطار «الأدب الوطني»، وأن هذا الأدب كون ظاهرة متميزة تحتوي على سماتها وخصائصها، ومن ثم فدراستها دراسة علمية من مختلف جوانبها واتجاهاتها أمر لا مندوحة منه، لأنها تؤرخ لحقبة مهمة من تاريخ المغرب.

والشاعر المغربي المدني الحمراوي - في الابيات - التي سقناها أعلاه - يعني حقيقة المسيرة، ويدرك أبعادها، ويزاوج بين واقع محسوس يتمثل في المسيرة وبين واقع متخيل توسه الذاكرة واسترجاعاتها التي ترتمي في حضن التاريخ السحيق لتقدم لنا سيف بن ذي يزن، الواقعان معا تقربهما «مسيرة الفتح» و«وثبة الحق»، لأنها حقيقة تاريخية وموضوعية عاشها الشاعر / العالم عيانا، ولم تنقل إليه خبرا

1) المدني الحمراوي : ذكرى المسيرة الخضراء في دعوة الحق يبراير - مارس 1978 ص 150.

مرويا وملحمة تناقلتها الألسن والكتب، ومن ثم يبرز «العجب المفجر» الذي حدا بالشاعر إلى التسليم بصدق الراوي.

إن مقياس الصدق عند المدني الحمراوي يتمثل في المسيرة الخضراء كظاهرة معيشة لها ملامح ولوحات وأبعاد، والشعراء المغاربة واكبوها ورسموا تلك «اللوحات». إن قصائدهم لم تقف عند وصفها فحسب، بل تجاوزتها إلى تمثلها واعتبارها حافزا يقود إلى مسيرات أخر ينشدونها لهذا الوطن. ولذلك فـ «المسيريات» تخطت تزامنية الحدث، وامتدت في التاريخ كلما عادت الذكرى، وأبعد من هذا وذاك فقد ارتبطت بعرشياتهم التي يقولونها في مناسبات عيد العرش.

إن أبيات المدني الحمراوي مدخل إلى تلك اللوحات التي يهدف هذا البحث إلى الكشف عنها، وقد قسمناها إلى ثلاث لوحات، وكل لوحة تقدم معلمة من معالمها، وتساهم في اعطاء صورة متكاملة عنها.

2 ـ اللوحة الأولى :

لعل القيمة الحقيقية للشعر الوطني في المغرب أنه شعر قضية، وأن هاته القضية سامية المقصد، نبيلة المطمح، تختص (بمجموعة انسانية ذات كيان سلب منها غصبا) (2)، وأن هاته «المجموعة الانسانية» هبت ـ مهتاجة ـ للدفاع عن ذلك الكيان السليب عدتها الايمان، وزادها الاقدام، وغايتها تحقيق الحرية، واستكمال الوحدة الترابية بعد ذلك. وبناء على ذلك فإن شعر المسيرة هو امتداد طبيعي للشعر الوطني الذي قيل في عهد الحماية. وقد التف الشعب المغربي برمته حول العرش مطالبا بتحرير ما تبقى من الاجزاء المغتصبة، باعتبار العرش ـ كان ولم يزل ـ موحد الأمة، والدرع الذي يقيها من هجمات الجشعين والغلاة والمستهترين كما يقول الشاعر المرحوم عبد المجيد بنجلون في هذا النص : (3).

إلى الذي استلهمها في خلوتـــــه
مسيرة روعتها من روعتـــــه
في وطن تمزقت أوصالـــــه
مزقها العدو في وحشيتـــــه
خاطرة عدت إلى أن أصبحـــت
تحديا يخيف في دمدمتـــــه
تحديا للجشعين وللغـــــلا
ة وللذين استهتروا بقوتـــــه
وللذين غرهم وقـــــاره
وحسبوا الخذلان في مروءتـــــه

إن هاته اللوحة «البنجلونية» توضح الرابطة الروحية الموجودة بين العرش والشعب، وهي رابطة تضرب في أعماق التاريخ، وتتجذر بأغواره، وتبرز بجلاء الالتحام المتوارث الذي ساهم بكيفية فاعلة في تكتل الوطنيين المغاربة للتخلص من براش المحتل، والتحرر من قبضة التخلف بعد ذلك. وإذا كان العرش هو الذي أصدر قراره التاريخي بانطلاق المسيرة الخضراء لتحرير الصحراء، فإنه جاء ليتجاوب مع الرغبة الشعبية العارمة التي تطمح إلى استكمال الوحدة المغربية، وتكشف ـ كذلك ـ التحدي الرهيب ضد كل أنماط الاحتلال، وألوان الممارسات الاستفزازية التي تعرض لها هذا الوطن منذ بداية مطالبته بصحرائه من لدن المستعمر الإسباني من جهة، ومن طرف الجيران الذين ساهم هذا السعي من جهة ثانية.

لقد آن لهذا الوطن أن يطرد التمزق، وأن له أن يوحد شمله، وأن له أن يبعث غابر المجد، وأن لهذا الشعب أن ينهض متوثبا يرسل التحدي يحدوه الايمان بنبل القضية، وتكلؤه الرعاية الالاهية، لأنه قام لاحقاق الحق، ودحض الباطل من موقع الكرامة الأبية.

صحراء فجرك موعود بما يلـــد
والمغربيون أكفاء بما وعدوا (4)

هكذا قال شاعر الرافدين محمد مهدي الجواهري، وذلك هو الواقع الذي تحفظه أسفار التاريخ ومدوناته، وتنطق به جهارا المسيرة الخضراء. وفي القديم والحديث يرتسم المجد وضاء يعلو جبين المغرب، ويأتلق الفخار في عيونه نورا أبلج يهدي السراة في ليل بحثهم عن الأمجاد

---

2) ابراهيم السولامي، الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية ص 209.

3) عبد المجيد بنجلون، مسيرة روعتها من روعتك في دعوة الحق مارس 1977 ص 39.

4) محمد مهدي الجواهري، الصحراء في فجرها الموعود في المناهل عدد 1، نونبر 1974.

والمكرمات، والشعراء المغاربة رصدوا ذلك المجد، وصوروه، وأرخوا له. لنستمع إلى الشاعر علال الهاشمي الخياري، وهو يؤثل الفخار، ويرسم بفرشاة المعاناة الوطنية لوحة تكمل لوحة المرحوم عبد المجيد بنجلون يقول من قصيدة (أيها الخالد في عمر الزمان) (5).

ومضينا نتحدى الزمنـــــــــــــا
رائد النهضة يحدو ركبنـــــــــا
صادق الايمان، وضاء السنــــــــــا
حقق الوحدة والنصر لنـــــــــا

٥ ٥ ٥

رفت الصحراء في موكبـــــــــه
درة في التاج تزدان بـــــــــه
ألسنا الغامر من موكبـــــــــه
والأماني الغر من مكسبـــــــه

٥ ٥ ٥

نحن والمجد قرينان معـــــــــا
من غفا عن حقنا أو ضيعـــــــا
نحن نسقيه المنايا جرعـــــــــا
إن أبى أن يرعوي أو يسمعـــــا

تتلاحق الصور الشعرية في هذا النص، تتدافع وتنسل من ذات الشاعر تطفح بالوطنية، وتنبض بالحب النبيل، تنساب في رقة غنائية مصورة موقع الصحراء من المغرب (درة في التاج)، وتعلو مصطخبة عندما تتناول حقنا المشروع في استرداد صحرائنا. نحن نعيش زمن السلم إذا كان الحق مصونا، والكرامة الأبية محفوظة، أما عندما يغفو الخصم عن حقنا، أو يروم تضييعه، فإننا نهب مستوفزين للدفاع عنه لحفظ الشرف حيث الأفق أحمر، والمنايا موائل تولول.

إن هذا النص يكمل نص بنجلون، وهما معا يحددان معالم اللوحة الأولى التي تتجلى في التفاف الشعب حول الملك في مسيرة خضراء، مؤمنة بالله، مضت لتحرر البيد انطلاقا من عوامل متعددة، تعرض لها الشاعر المرحوم أبو بكر المريني في عرشية له عنوانها (قل مغربي انا تعلوبك الرتب) (6)، وقد جعلناها لوحة ثانية، لأنها تصف انطلاق جموع المتطوعين في المسيرة الخضراء.

3 ـ اللوحة الثانية :

يقول المرحوم أبو بكر المريني :

مسيرة الفتح بالقرآن زاحفـــــة
إليك يا بيد، والأعداء قد نكبـوا
ورجت الأرض، والاعلام خافقـــة
والله أكبر في أصدائها رهـــــب
وقد علا الحق، والبهتان منحـــدر
وليس يغني العدا زور ولا كـــذب
وعادت البيد والأرحام قد وصلـت
وغيظ أعداء جمع الشمل وانتحبـوا
وزغردت في العيون اليوم وحدتنـا
واسمعت من في أذنه ثقـــب (7)
وجدد العهد في الصحراء سادتهـا
وهم أحباؤنا والإخوة النجـــب
والأهل فيها أشقاء لنا، وإلـــى
أنسابها طاهر الأرحام ينجـــذب

يمكن رصد مجموعة من الملاحظات في مقطوعة المريني، وهي كالتالي :

1 ـ المسيرة هي مسيرة الفتح، ولهذا الفتح دلالة تاريخية ودينية، فأما أولاهما فتحيلنا على فتح مكة بطريقة سلمية، وهو فتح ثان حققته المسيرة الخضراء، وأما ثانيهما فيتمثل في كون فتح مكة جاء بالحق لازهاق الباطل، والمسيرة انطلقت من حق مشروع، يتمثل في

5) علال الهاشمي الخياري ، أيها الخالد في عمر الزمان في دعوة الحق مارس 1982 ص 120.

6) أبو بكر المريني ، قل مغربي انا تعلو بك الرتب في دعوة الحق مارس 1977 ص 198.

7) البيت لا يستقيم عروضيا إذ يلزمه وتد مفروق (ـ 5 ـ) بين أسمعت ومن في.

البيعة، لانها باطل يتجسد في الاحتلال اللامشروع لجزء من التراب الوطني.

2 ـ مسيرة الحق زحفت بالقرآن مرددة «الله أكبر» ومستعدة للاستشهاد في سبيل القضية المقدسة.

3 ـ كان التضامن الشعبي مشفوعا بتضامن عربي واسلامي، وقد شاركت وفود كثيرة في المسيرة، وما «الاعلام» التي يومىء اليها الشاعر الا تنويه بذلك «التضامن» وتاريخ له.

4 ـ استحكام الأصرة الرحمية بين المغرب وصحرائه (وهم أحباؤنا والأخوة النجب) (والأهل فيها أشقاء لنا، والى ه أنسابها طاهر الأرحام ينجذب)، ووجود حق مغربي تاريخي في الصحراء، وهو البيعة (وجدد العهد في الصحراء سادتها).

5 ـ انتصار المسيرة الخضراء، وتحقيق الوحدة (وزغردت في العيون اليوم وحدتنا).

من هذه الملاحظات نستخلص العوامل المتعددة التي أشرنا إليها آنفا، وهي تتحدد على النحو الآتي :

1 ـ مغربية الصحراء.

2 ـ هذه المغربية يفرضها التاريخ.

3 ـ وهذا التاريخ تزكيه البيعة والعلاقة الرحمية بين المغاربة وإخوانهم الصحراويين.

إن هذه اللوحة الثانية التي يقدمها الشاعر المرحوم أبو بكر المريني تشكل امتدادا للوحة الأولى، وغاية نبيلة استهدفتها الدعوة الملكية السامية بمسيرة خضراء.

وقد تجاوز الشعراء المغاربة في عرشياتهم وصف «مسيرة الفتح» إلى رصد نتائجها، والتعرض للمنجزات التنموية التي عرفتها الصحراء على عهد الاستقلال والحرية، وذلك ما تقدمه اللوحة الثالثة.

4 ـ اللوحة الثالثة :

يقول الشاعر وجيه فهمي صلاح من عرشية له معنوية بـ (ظلال العرش) (8).

قد أشرق الرمل في الصحراء مغتبطا
بابن الرسول، فحل الغيث والمطـــر

هناك من همم المنصور ألويـــــة
غنى لها الطير لما أينع الشجـــــر

وفي العيون رقيق الخير طالعـــــا
فاستبشر القلب بالانجاز والنظـــر

سحائب الحب رشت في مرابعهـــا
ماء الحياة، فهان الصعب والوعـــر

فهلل الأمل المنسوب مرتقبـــــا
أن يزهر الرمل في الصحراء والحجر

لم لا ؟ وهذا مليك الفكر متشـــح
بالصبر والفكر، جلت في الورى الفكر

مفاخر الحسن المقدام ماثلـــــة
لكل عين يراها البدو والحضـــــر

للرمل إشراق، ولذراته تصفيف وتهليل، وللأكام ترجيع وتكبير، وللصحراء اغتباط بالوافدين إليها، بابن الرسول وبالمطر، وكلاهما خير، ورحمة، وأياد بيضاء. تتعدد المعاني، وتطرد الصور ملفوفة بالأمل الباسم الذي غمر الصحراء، ويتفنن الشاعر في تفصيل ذلك عندما يستخدم قاموسا يزدحم بكل الألفاظ المؤدية إلى الاشراق ، مطر يروي الرمال العطاش، وخضرة تكسو المرابع فيصدح الطير مغردا، وحب يعلي ارادة شعب في التحرر والانعتاق واستكمال الوحدة. إن الصحراء، بقفرها وجدبها أصبحت جنات دانية قطوفها تلوح بالإنجازات العظيمة التي حققها (مليك الفكر) في ربوعها، وتشهد بـ (مفاخر الحسن المقدام)، وتشدو بملحمة صاغها العرش والشعب، فاهتزت لها الدنيا، وغدت منقوشة في ضمير الدهر إلى أبد الأبدين. إن محمد الحلوى يساهم هو الآخر في تكوين هذه اللوحة عندما يقول : (9).

أبا المجد لا صحراء بعد فقد غـدت
بفضلك جنات مراتعها الخصـــب

وتلك ترنيمة صرح بها الشعراء المغاربة، وهم يسترجعون حدث المسيرة الخضراء.

---

8) وجيه فهمي صلاح : ظلال العرش في دعوة الحق مارس 1978 ص 148.

9) محمد الحلوي : أيا حسناء في دعوة الحق، مارس 1980 ص 31.

وماذا بعد ؟

إن الحديث يمتد ويتشعب، والنصوص التي تعاملت مع المسيرة وصفا وتأريخا واسترجاعا متعددة وكثيرة، وهي محتاجة إلى دراسة دقيقة تتجاوز محيط هذا المقال الاستعراضي، لأنها ـ وكما أشرنا آنفا ـ أدب وطني، ومن حق هذا الأدب علينا أن ندرس ونبرز ظواهره، ونجلو خفاياه حتى نكون في مستوى حدث جليل كحدث المسيرة الخضراء، وحتى نبطل القولة الشائعة من كون المغاربة لا يدرسون أدبهم، ولا يؤرخون، رغم أنها مبطلة ـ من أساسها ـ وما ذاك السيل الاتي من الدراسات والأبحاث التي تعج بها المكتبة الأدبية في المغرب إلا دليل عميق على ذلك.

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

•• بالتخطيط الإسلامي المحكم، والعمل المتواصل، المنظم للدعوة الإسلامية الموحدة، يتغلب المجتمع الإسلامي على كثير من الأزمات ويتصدى بفعالية ونجاح لمواجهة كثير من التحديات ويمارس مسؤولية تطوره ونمو نفسه ••

الإلمام بمن وافق حكمه للمغرب استهلال المائة عام

للدكتور عبد الهادي التازي

كلمة أولى :

قبل ربع قرن ظهر لي في أول عدد من «دعوة الحق» ذو الحجة 1376 = يوليوز 1957 كلمة بعنوان : «حاجة الدعاة إلى مقومات» ومنذ ذلك الحين شدتني إلى «الدعوة» أصرة ظللت أتعهدها طيلة هذه الحقبة من التاريخ، سواء أكنت داخل المغرب أو خارجه، وإني إذ أوثرها في هذه المناسبة برسالتي «الإلمام، بمن وافق حكمه للمغرب استهلال المائة عام» ليطيب لي أن أشيد بدورها البارز في تعميق الوعي الإسلامي والوطني، وفي إثراء الفكر المغربي والتعريف به خارج البلاد، متمنيا للمشرفين عليها المزيد من التوفيق والوافر من العمر لمتابعة المسيرة...

تمهيـــد :

لم يكن هناك بالنسبة للعالم الإسلامي، في فجر أيامه، غير أعياد ثلاثة دأب المسلمون على الاحتفاء بها وإيثار أيامها بمظاهر خاصة، تلك عيد الفطر الذي يأتي في أعقاب شهر رمضان المعظم، وعيد الأضحى الذي يأتي مباشرة بعد يوم عرفات حيث يؤدي المسلمون فريضة الحج، ثم يوم الجمعة الذي يكون عيدا ثالثا له حرمته حيث يذر المسلمون بيعهم وشراءهم ويتجهون إلى سماع الخطبة وأداء فريضة الجمعة.

وهكذا فلم يكن هناك ما نسميه اليوم (عيد المولد) أو (عيد الهجرة) أو (عيد أول السنة) ومن ثمة ظلت كتب التاريخ الإسلامي القديمة خالية من كل إشارة تدل على أن الجماعة الإسلامية سواء على مستوى الحكومات أو على مستوى الأفراد، كانت تقوم بإحياء أعياد غير الأعياد الثلاثة السالفة الذكر... ومن ثمت لم نر ذكرا لها في عهد الأدارسة والمرابطين والموحدين...

إلا أن بعض الجهات الإسلامية لم تلبث أن تنبهت إلى ضرورة الاهتمام بالحدث العظيم الذي يتجلى في ظهور النبي صلى الله عليه وسلم. ولا بد أن المفكرين من المسلمين آنذاك وازنوا بين أيام الإسلام المحجلة ليختاروا منها يوما يكون هو المناسبة... وهكذا وقع الاختيار على حادث ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره طالع يمن على الكائنات البشرية.

ومن الموافقات الغريبة أن نجد أن الاهتمام بالموضوع، بصفة منتظمة، يأتي من المغاربة تقريبا في نفس الوقت الذي أخذ فيه القادة بالمشرق يقيمون احتفالات المولد، هل هو توارد خواطر أم كان مما يدخل في إطار التنافس بين قادة المشرق والمغرب... قد يكون هذا وذاك...

ولقد كانت الجهات التي تنبهت إلى هذه المنقبة هناك أواخر القرن السادس الهجري أسرة بيكتيكين (BEGTEGIN) في شخص زعيمها مظفر الدين كوكبوري (KOKBÜRI) صاحب إربل...

فقد تحدث ابن خلكان في وفياته عن احتفال هذا الملك بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كان يصل إليه في كل سنة من البلاد القريبة كثير من الفقهاء والصوفية الوعاظ والقراء والشعراء، ولا يزالون يتواصلون من المحرم إلى أوائل شهر ربيع الأول حيث تتميز الاحتفالات بإنشاد السماع واستعراض سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وإيقاد الشموع الموكبية التي تحمل على البغال، كما تتميز بإطلاق البخور وتقديم السماط للحاضرين...

وقد كان ابن دحية المغربي في جملة الذين حضروا إربل سنة 604 وشاركوا في تلك الاحتفالات وألفوا لمظفر الدين حولها كتاب «التنوير في مولد السراج المنير»...

أما الذين تنبهوا إلى الموضوع في ديار المغرب فهم أسرة العز في أصحاب سبتة الذين سنوا عيد المولد أواخر القرن السادس في بلاد المغرب وأتوا بزلفى تدنيهم إلى الله وتقرب» على حد تعبير المقري، وقد رأينا أبا العباس العزفي يشرع في تأليف كتاب «الدر المنظم في مولد النبي المعظم» الذي ينهيه ولده أبو القاسم، كما سنرى ابن مرزوق يؤلف كتابه «جنى الجنتين في فضل الليلتين».

ولم تلبث هذه المناسبة أن اصبحت في عداد الأيام التي تحفل بها الدولة على المستوى الرسمي في سائر الجهات المشمولة بحكم بني مرين سواء في بلاد المغرب أو الأندلس، وهكذا وجدنا السلطان أبا يعقوب يوسف يصدر ظهيرا (مرسوما ملكيا) شتاء سنة 691 = 1292 في أعقاب جواز العاهل المريني إلى الأندلس لرد عدوان المغيرين على الثغور التابعة للمغرب... وجدناه يشرع الاحتفال بعيد المولد في سائر جهات المغرب ويعتبره يوما رسميا للدولة، تتلقى فيه التهاني من سائر طبقات البلاد، الأمر الذي استمر عليه التقليد إلى اليوم في المغرب الأقصى.

وإذا كانت مجالس الاحتفال بهذه المناسبة قد أصبحت عادية عند بني مرين بفاس... فإنها عند إخوانهم بني عبد الواد في تلمسان أثارت

انتباه يحيى ابن خلدون الذي تحدث هو الآخر عن المشاعل التي كانت تحكي الاسطوانات القائمة، كما يحكي عن المباخر الضخمة، ويحكي عن السماع الذي يسترسل إلى آخر الليل علاوة على نصب السماط !!

ولا بد أن نلاحظ أن الدواعي التي كانت وراء إنشاء مثل هذا الاحتفال بعيد المولد لم تكن فقط التعقيب على الشيعة الذين اعتادوا الاحتفال بمولد الإمام علي والحسين، ولكن الأمر يتعلق بتقليد العادة التي جرى عليها المسيحيون في احتفالهم بعيد السيد المسيح وإقامتهم المهرجانات لأجل تلك المناسبة.

إن أهل سبتة أقرب الناس جوارا للمسيحيين وقد تتبع المسلمون دون شك اهتمام ذلك العالم المسيحي بأعياد الميلاد ومطالع العام فقاموا أي المغاربة هم كذلك بسن عيد المولد اجتهادا منهم وتعبيرا عن تشبث المسلمين بدينهم واعتزازهم بنبيهم...

وما من شك في أن أهل (ربل) انطلقوا من نفس المنطلق سيما وهم يحتكون هناك بالمسيحيين من كل جانب... لقد كان الأمر يقتضي ضربا من المنافسات والمفاخرات والمتابعات... ولا بد أن نلاحظ أن فترة التقليد من جانب المسلمين اقترنت باحتفال العالم المسيحي **بمطلع القرن الثالث عشر الميلادي** الذي اهتزت له المحافل الدينية مما زاد في حماس المسلمين لتشريع منقبة الاحتفال بالمولد.

وعندما كان أسلافنا هنا أو هناك يحتفلون بعيد المولد... كانوا يحتفلون أيضا بذكرى الهجرة التي تعتبر بإجماع المسلمين الحد الفاصل بين عهدين، أفلم نسمع أن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إنما انطلقت في واقع الأمر عند الأيام الأولى لشهر ربيع الأول التي كانت تصادف أيام مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وهكذا وجدوا في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول ظرفا مناسبا للاحتفال أيضا بالهجرة والتنويه بها.

وعندما أمر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام 17 بحساب الهجرة من اليوم الأول من المحرم وليس من ربيع الأول، فإنه كان يعرف

أن نيته وعزمه صلى الله عليه وسلم على الهجرة كانت ابتداء من أول المحرم أي قبل شهرين من تنفيذ الخطة، واختيار عمر رضي الله عنه يأخذ بإشارة القرآن الكريم إلى «أول يوم» في حياة المسلمين عندما تحدث القرآن عن المسجد الذي أسس على التقوى بدار الهجرة، وقد نص ابن خلكان على أن بداية الاحتفال بالمولد كانت تنطلق من المحرم...

وهكذا رأينا أن الاحتفال بعيد المولد لم يلبث أن هدى الناس جميعا إلى الاحتفال باليوم الأول من السنة الهجرية، لأن المناسبتين متلازمتان، ومعنى هذا أن أسلافنا الذين قلدوا المسيحيين في الاحتفال بعيد الميلاد كانوا يقلدونهم أيضا في الاحتفال بمطلع السنة، ولم يجد العلماء في هذه «البدعة الحسنة» من بأس ما دام القصد إلى أن يتخذ المسلمون من هذه المناسبة فرصة للتأمل واستعراض التاريخ...

وقد رأينا ونحن نعيش استهلال القرن الخامس عشر الهجري أن نسهم بهذه المناسبة بتقديم ومضات سريعة عن **الشخصيات الخمس عشرة** التي صادفتها مطالع القرون الهجرية وهي تحكم بأرض المغرب تذكيرا واعتبارا سيما وفي تلك الشخصيات من كان بعيدا عن مناخ المغرب وفيها من ورد عليه من المشرق وفيها من كان يسير في ركب الفاطميين بالمهدية أو في ركب الأمويين بقرطبة، ولو أن جلها أي تلك الشخصيات ينتمي لصميم الصحراء المغربية على ما نراه منذ ظهور المرابطين إلى العلويين...



1) هرقل : (هيراكليوس)

610 م - 641 م 12 هـ - 20 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري الأول، هو الجمعة الموافق 16 يوليه 622.

اعتلى القيصر هرقل عرش بيزنطة عام 610 ميلادية، واستمر حتى 641... كانت المقاطعات البيزانطية في افريقيا تحت حكمه - ومنها المغرب الأقصى وجزر الباليار، وكانت تنعم على عهده ببعض الهدوء والرخاء.

بيد أنه لم يلبث أن أخذ يواجه الصراع الذي شب في الشمال الإفريقي حيث أعلن البطريق كريكوريوس الثاني الذي تسميه المصادر التاريخية العربية، «جرجير» ثورته على الحاكم العسكري الذي كان يشاركه في الحكم. وهكذا انفصل كريكوريوس عن قيصر بيزنطة، واستبد بالشمال الإفريقي بسبيطلة (جنوب غربي القيروان)... قبل أن تجهز عليه طلائع الفتح الإسلامي...



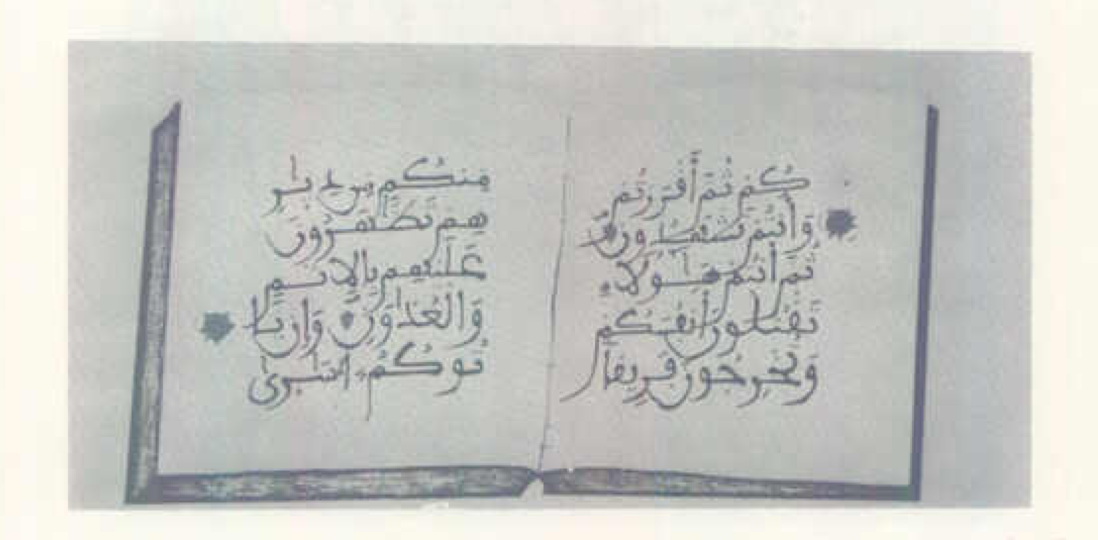
صورة خطاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل، وقد كان حكمه يمتد إلى المقاطعات البيزنطية في إفريقيا، بما فيها المغرب الأقصى، فالرسالة إذن كانت موجهة إلينا أيضا !

وهرقل ذلك هو الذي بعث إليه نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم بدحية الكلبي في مطلع السنة السابعة من الهجرة (مايه 628) يحمل رسالته التاريخية المشهورة التي تدعوه إلى اعتناق الإسلام، في أعقاب حروبه مع ملك الفرس.

وهكذا رأينا أنه عندما كانت السنة الأولى للهجرة، كان المغرب، تحت حكم هرقل... وكان واليه على البلاد هو گريگوريس أو جرجير.

وعلى ذكر خطاب النبي إلى هرقل، نذكر أن الناصر الموحدي آل إليه ذلك الخطاب... كما نذكر أن السلطان مولاي إسماعيل ابن مولاي الشريف ملك المغرب (1082 ـ 1139 = 1671 ـ 1727) عندما كانت علاقاته جيدة بلويس الرابع عشر ملك فرنسا كان ينسبه إلى هرقل عظيم الروم «الذي كتب له جدنا وسيدنا عليه الصلاة والسلام» ولكنه عندما توترت العلاقات ذات يوم مع ملك فرنسا بسبب محاصرته الثغور المغربية (سنة 1114 = 1702) قال له السلطان مولاي إسماعيل.

«ما أنت من ذرية هرقل على كل حال بإجماع الأجناس ولكنك من ذرية جرجير الذي كان بإفريقية وقتله عبد الله ابن الزبير» !!



وصلت رسالة الإسلام ديارنا فاحتضنها المغاربة من يومئذ وغدا كتاب الله ملاذهم أناء الليل وأطراف النهار : تدارسه علماؤهم وفقهاؤهم.

2) عمر بن عبد العزيز

718 م - 720 م 99 هـ - 101 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري الثاني، هو الإثنين الموافق 24 يوليه 719.

تولى الحكم بعد سليمان بن عبد الملك ابن مروان بعهد منه فبويع في مسجد دمشق (69 - 101 هـ = 720).

وإلى هذا الرجل الجليل يرجع الفضل في بث الإسلام بين أهل المغرب وتفقيههم في دينهم، حيث وجدناه يعهد إلى بعثة تتألف من عشرة من التابعين بهذه المهمة... كان من هؤلاء حبان ابن أبي جبلة.

وقد اختار واليا عنه على بلاد المغرب اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر فقدم القيروان سنة مائة، وكان خير أمير وخير وال... كان لما ورثه عمر بن عبد العزيز عن عمر ابن الخطاب من جهة أمه. أثر في حسن سيرته فجدد ما بلى من الدين ونهض بالعلم بعد خمود وعمل على إصلاح طائفة من المرافق...

وهكذا وجدناه يعيد العمل بالشورى ويقرب العلماء ورجال الصلاح للأخذ برأيهم في أمور الملك.

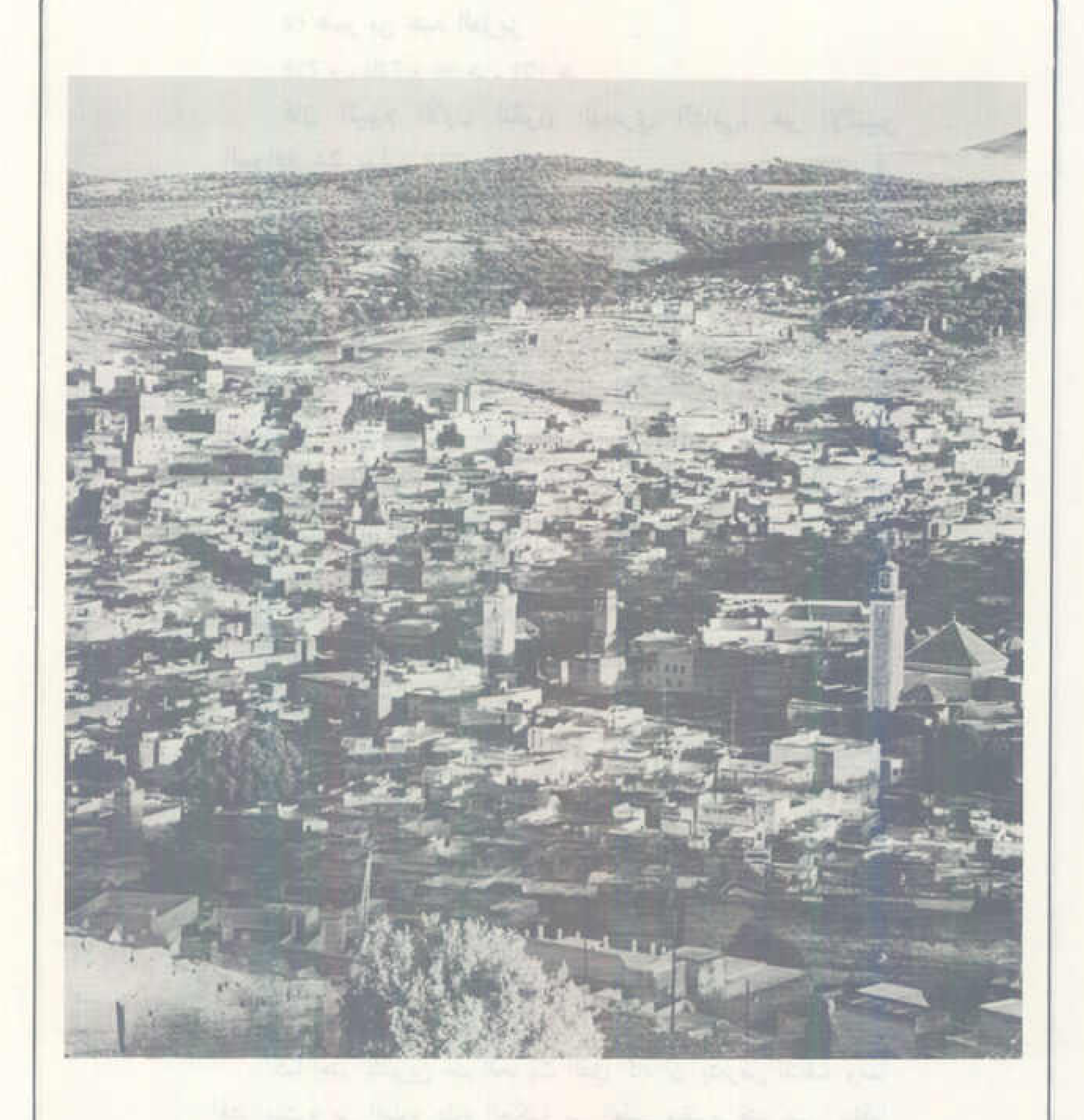
كما رأيناه ينصف طوائف الأمة على اختلاف أجناسها وآرائها وعقائدها فقضى بذلك على الفتن والتشنجات الداخلية.

وقد كان مما قام به من إصلاحات تخفيف الضرائب على الناس... وعندما استأذنه واليه على مصر في أن يفرض الجزية على من أسلم أجابه قائلا : إن الله إنما بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا.

ومما قام به اهتمامه بتدوين العلوم ونشرها وعدم تفرقته في ذلك بين العلوم الشرعية وغيرها.

كما اهتم بتدوين علم الحديث الذي كاد أن يتعرض للتلف، ومما اهتم بنشره من العلوم علوم الحكمة من الطب وغيره، فقد عنى بنقلها إلى اللغة العربية وكان يقرب إليه بعض المشتغلين بها...

ويكفيه مفخرة أنه ضرب بعدله مثلا لمن أتى بعده من الملوك والحاكمين...



مدينة فاس العاصمة الأولى للإسلام بديار المغرب الأقصى، بناها الإمام إدريس
بن إدريس ، قبل أن يفتح مدينة تلمسان ويبني بها مسجده الشهير...

3) إدريس بن إدريس

804 م - 828 م 188 هـ - 213 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري الثالث، هو الأربعاء الموافق 30 يوليه 816.

يعتبر إدريس بن إدريس من الأمراء الأوائل الذين تقلدوا منصب المسؤولية، ولما يمض من عمره زهاء عشر سنوات وذلك في أعقاب اغتيال والده من طرف العباسيين...

وفدت عليه وفود العرب من افريقية والأندلس نازعين إليه ملتفين حوله. فاستوزر عمير بن مصعب الأزدي، وتعبيرا منه عن مناصرته للمذهب المالكي أسند القضاء لعامر بن محمد بن سعيد القيسي الذي سمع من مالك بن أنس...

وإلى ادريس هذا يرجع الفضل في بناء مدينة فاس 192 = 808 التي تعتبر الحاضرة الأولى للإسلام بالمغرب الأقصى. والتي ظلت «دار علم» كما أراد لها ادريس، منذ اليوم الأول.

وقد صادفه مطلع القرن الهجري الثالث في مدينة تلمسان يدير أمرها ويصلح أحوالها بعد أن كان قد قضى على من بقي هناك من المناوئين.

وقد قال أبو مروان عبد الملك الوراق، دخلت مدينة تلمسان سنة خمس وخمسين وخمسمائة، فرأيت في رأس منبرها لوحا من بقية منبر قديم قد سمر هناك مكتوبا عليه ، «هذا ما أمر به الإمام إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم في شهر المحرم سنة تسع وتسعين ومائة».

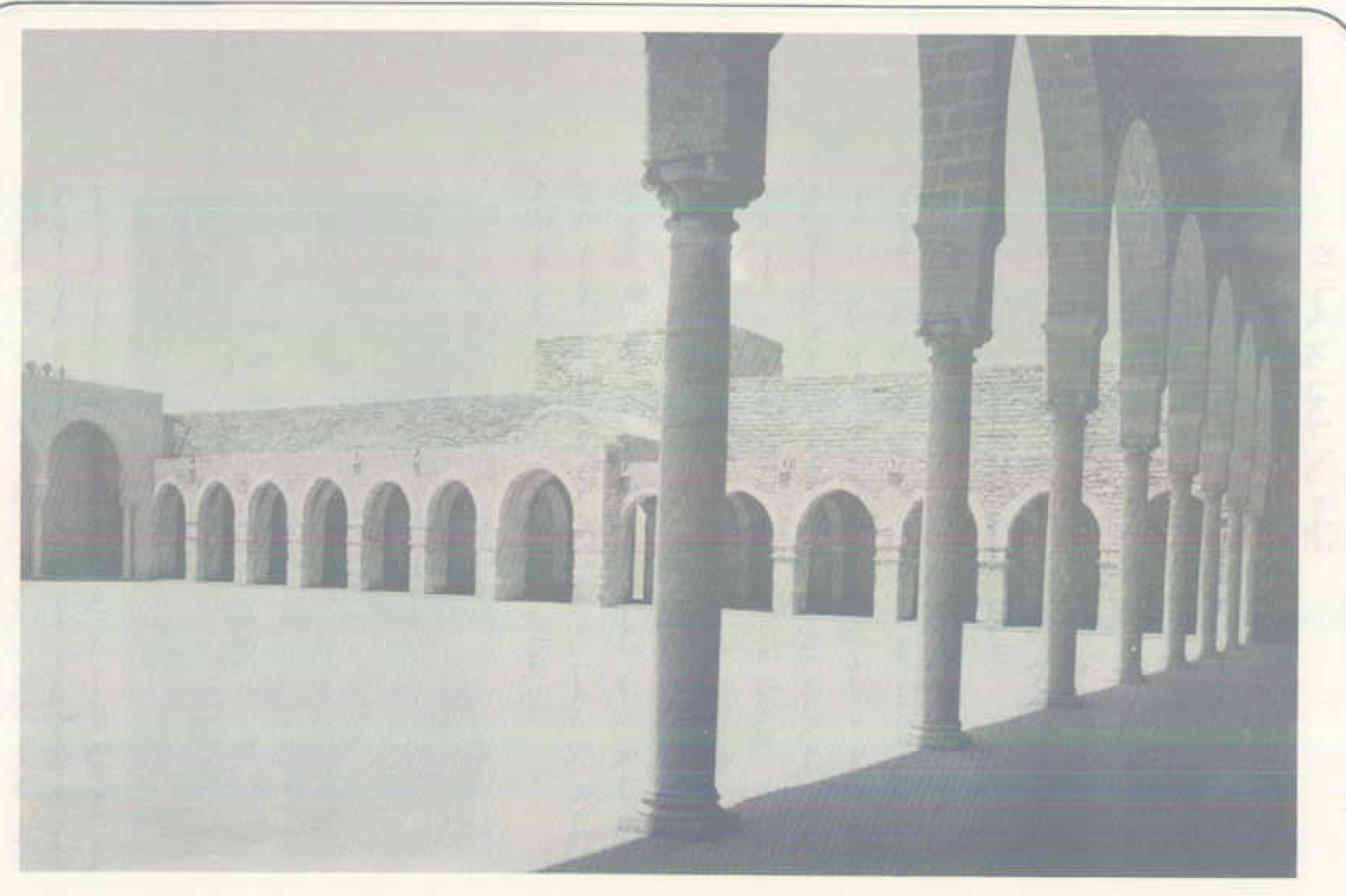
4) يحيى بن إدريس بن عمر

905 م - 944 م 292 هـ - 332 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري الرابع هو السبت الموافق 7 غشت 913.

ولى سنة 292 وتوفي بالمهدية (تونس) 332. كان يحيى هذا أعلى بني إدريس قدرا وأوسعهم ذكرا وأكثرهم عدلا. وأغزرهم فضلا وأبعدهم ملكا على حد تعبير المؤرخين، وكان إلى جانب هذا فقيها حافظا للحديث ذا فصاحة وبيان، بطلا شجاعا ذا صلاح وورع ودين. قال علي النوفلي ، كان يشهد مجلس يحيى هذا، العلماء والشعراء، وكان أبو أحمد الشافعي من جلسائه وممن يتكلم عنده في العلم، وكان ينسخ له عدد من الوراقين، وهو أول ملك واجه عنت الفاطميين الذين تاقت مطامعهم إلى الاستيلاء على المغرب الأقصى الأمر الذي أدى - بعد الاصطدامات المسلحة - إلى قبول الأمير يحيى لمبايعة عبيد الله المهدي وقبوله كذلك أن يقتصر حكمه على مدينة فاس وأعمالها. في حين تنازل فيه لموسى ابن أبي العافية على ما سوى المدينة، وذلك بمقتضى عقد مع مصالة قائد عبيد الله المهدي وابن عم ابن أبي العافية.

وقد استطاع الأمير يحيى - وهو في هذا الموقف الحرج الدقيق - أن يحافظ، بفضل سياسته ولياقته، على ما يمكن الحفاظ عليه بالرغم من تعنت عملاء الفاطميين... بيد أن هذه المجاملات لم تدم فقد تنكر الفاطميون ليحيى ونكبوه قبل أن يدركه **أجله منفيا في المهدية...**



هنا في (المهدية) (تونس) قضى يحيى بن ادريس بن عمر بقية حياته بعيدا عن مملكته التي استبد بها الفاطميون بعض الوقت... ان المغرب أمسى محل تنافس بين الفاطميين في تونس وبين الأمويين في الأندلس.

5) المعز بن زيري ابن عطية

1001 م - 1026 م 391 هـ - 417 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري الخامس هو الثلاثاء الموافق 15 غشت 1010

ولي المعز هذا بعد وفاة والده زيري ابن عطية باني مدينة وجدة ولقد سلك نفس سياسة والده وبايع عبد الملك ابن المنصور ابن أبي عامر الذي رأيناه يبعث له بعهده على فاس وسائر أعمال المغرب حواضره وبواديه. وذلك سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة.

وقد صادف مطلع القرن الخامس تنصيب **عبد الرحمن بن المنصور** ابن أبي عامر في أعقاب وفاة أخيه عبد الملك. حيث وجدنا المعز بن زيري يبعث بهدية نفيسة تحتوي في جملة ما تحتوي عليه. على **خمسين فرسا وكانت هذه** فرصة لكي يقوم عبد الرحمن بإرجاع الأمير معنصر بن المعز الذي كان رهينة لدى البلاط العامري...

وكانت مناسبة أيضا ليخلع على الولد وعلى السفراء الذين وردوا بالهدية من ضروب التكريم... الأمر الذي نال **مناله من المعز،** حيث قام بجمع كل الجياد التي كان يتوفر عليها ليبعث بها إلى قرطبة. **وقد وصل عددها إلى تسعمائة فرس،** ولم تصل من المغرب إلى الأندلس هدية أعظم منها على ما تقول المصادر التاريخية المغربية.



بعث العاهل المغربي زيري ابن عطية قطيعا مكونا من تسعمائة فرسا هدية منه إلى عبد الرحمن بن المنصور ابن أبي عامر عندما تخلص المغرب من هيمنة الفاطميين وعاد تابعا لحكم الأمويين بالأندلس... إن الفرس المغربي مشهور بسمعته منذ أقدم العصور.

6) علي بن يوسف بن تاشفين

1107 م - 1143 م 500 هـ - 537 هـ

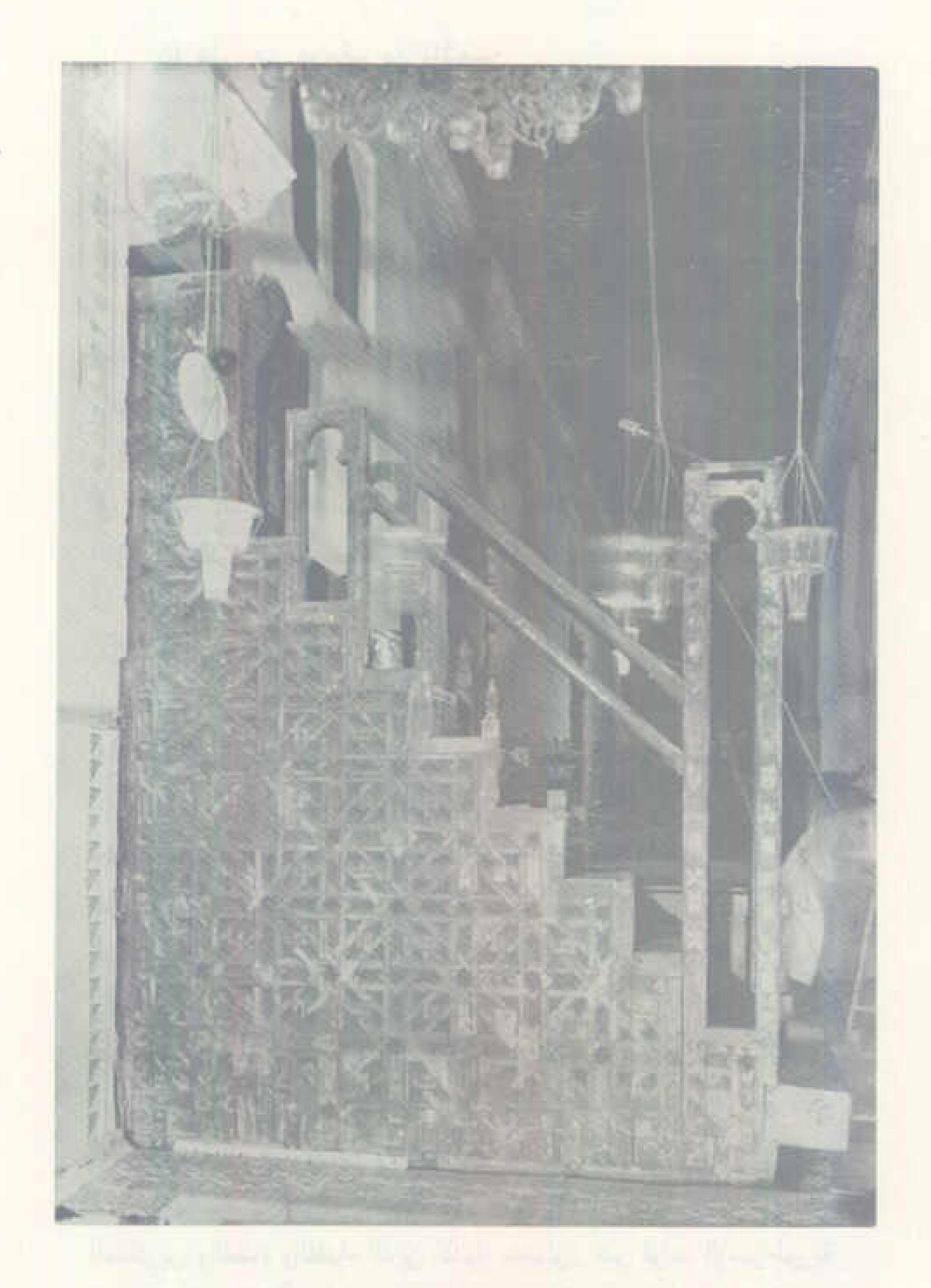
كان اليوم الأول للقرن الهجري السادس هو الخميس الموافق 22 غشت 1107

بويع أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين أوائل محرم سنة خمسمائة بعهد من أبيه إليه... فسلك طريق والده العظيم بطل الزلاقة، وملك من البلاد ما لم يملكه سلفه، لأنه صادف البلاد بمهدة والأموال وافرة والرعايا آمنة، من تخوم السودان إلى جنوب أوروبا إلى حدود النيل.

وقد دشن حياته في الأندلس بجولات عظيمة أقضت مضاجع الفرنج... وقد ظل على صلة ولاء بالخلفاء العباسيين في بغداد على نحو ما كان عليه والده، ونظرا لوفرة المراسلات مع الخلفاء فقد لاحظ أن مطالع الشهور تختلف في المغرب عنها في المشرق، الأمر الذي حدا به إلى طرح موضوع توحيد التاريخ الهجري على رجال الاختصاص الذين أدلوا بفتاويهم في هذه النازلة التي يتجدد الحديث عنها كل عام !

وقد قام أمير المسلمين علي بن يوسف بحركة واسعة لإعادة بناء جامعة القرويين في مدينة فاس وما يزال اسمه منقوشا في أعالي قبابها على مقربة من المحراب... حيث نقرأ بين الأفاريز التي تحيط بالقبة المستطيلة هذه الكلمات : «أمر بعمله، عن أمر الملك العادل الآمر بالخير والفضل أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين أدام الله له أسباب التأييد والتمكين، الفقيه المشاور الأجل الإمام القاضي الأفضل أبو محمد عبد الحق بن عبد الله بن معيشة الكناني... وكان إتمام ذلك كله في سنة إحدى وثلاثين وخمس مائة».

وقد عرفت الحركة العلمية على عهده نشاطا كبيرا تجلى في عدد المفكرين والقضاة والفقهاء الذين كانوا يتجولون عبر قواعد الإمبراطورية المغربية الفسيحة الأرجاء.



منبر جامعة القرويين الذي أســه الخليفة علي بن يوسف بن تاشفين... تاريخ هذا المنبر هو بالذات يحمل تاريخ المغرب السياسي والثقافي والاجتماعي، لقد كان وراء السياسة والقرار في كل المراحل التي قطعها المغرب...

7) الناصر بن يعقوب المنصور

1199 م - 1214 م - 595 هـ - 610 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري السابع هو الأحد الموافق 29 غشت 1204

بويع لمحمد الناصر لدين الله في حياة والده يعقوب المنصور الموحدي، ثم جددت له البيعة بعد وفاة الوالد يوم الجمعة 22 ربيع الأول سنة 595.

ولم يلبث أن تحرك نحو بلاد افريقية لإرجاع المنشقين إلى جادة الصواب، وقد أصبح كالشأن في والده، لا يقول بالولاء لرسوم الخلافة في بغداد، لأنه كان يرى أن الخلافة أصبحت مفتتة في يد الأعاجم، ولهذا فقد قصد الجهات المنشقة لقطع الخطبة باسم «الخليفة العباسي» حيث صادفه مطلع القرن السابع هناك على أبواب **المهدية** بأسطوله وعتاده، ومن هنا فوض لوزيره أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص حكم تونس.. فكان هو جد الملوك الحفصيين..

وبعد عودته إلى بلاد المغرب والمقام قليلا تناهت إليه الأخبار عن تطاول ألفونصو في الأندلس، فقرر الجواز إلى تلك الجهة لمناهضة العدوان.

وهنا اهتزت بلاد الفرنج لجوازه وتمكن رعبه من قلوبهم، وكتب إليه أكثر أمرائهم يسألونه السلام ويناشدونه الأمان ويطلبون العفو... ووفد عليه منهم ملك بيونة (   ) التي كانت تحت التاج الإنجليزي على ذلك العهد. ويذكر صاحب كتاب «روض القرطاس» أن ملك بيونة قدم بين يديه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي بعث به إلى هرقل يستشفع به..

ومن الطريف أن نقرأ في المصادر الإنجليزية القديمة عن سفارة بعث بها يوحنا ملك إنجلترا وشقيق الملك قلب الأسد إلى الخليفة محمد الناصر 608 = 1212 بعد بضع سنوات من بناء جامع حسان، يستصرخ به عندما تحرج موقفه، فقد تألب عليه الأشراف ورجال الدين والأهالي

وزاد الطين بلة أن البابا كان قد حكم عليه بالحرمان الكنائسي قبل ذلك بثلاث سنوات..؟! وأطرف من ذلك أن نرى الملك جوهن يعرض على الخليفة الموحدي، كدليل على الامتنان، أن يعتنق العاهل الإنجليزي الإسلام هو وسائر أفراد رعيته !!



صورة تاريخية لملك انجلترا جوهن الذي أرسل سفارته إلى الخليفة الناصر الموحدي، بعد بضع سنوات من بناء جامع حسان (بالرباط)... عرضت السفارة على الناصر ـ كدليل على الامتنان ـ أن يعتنق الملك جوهن.. الإسلام هو وسائر أفراد رعيته في مقابلة أن يمده العاهل المغربي بالعون.

8) يوسف بن يعقوب بن عبد الحق

1286 م - 1306 م - 685 هـ - 906 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري الثامن هو الأربعاء الموافق 6 شتنبر 1301.

بويع في أعقاب وصول الأخبار بوفاة والده في قصره بالجزيرة الخضراء من الأندلس 22 محرم فاتح 685 حيث التحق يوسف بالمدينة المذكورة وهناك جددت له البيعة قبل أن تنقل الجثة إلى شالة بظاهر مدينة الرباط...

واجه هذا العاهل مشاكل الحركات الانفصالية التي ظهرت في المغرب الأوسط، كما عاش تناقضات بني الأحمر في الأندلس حيث وجدنا سلسلة من الاصطدامات والمصالحات بين هؤلاء وأولئك...

كما شاهدنا طائفة من الاجتماعات على مستوى عال بين الحكام، سواء في الأندلس أو ايالات المغرب، ولكن النتائج لم تلبث أن ذهبت أدراج الرياح...

وقد شهد مطلع هذا القرن وجود السلطان أبي يعقوب يوسف في معسكره يحاصر آل يغمراسن في تلمسان، حيث كان يسير من هناك أعمال الدولة. ومن ثمة أيضا واصل اتصالاته بديار المشرق حيث بعث بركب الحاج المغربي في حامية تناهز خمسمائة فارس ووجه خطابا إلى صاحب الديار المصرية الملك الناصر محمد بن قلاوون وأتحفه بهدية استكثر فيها من الخيل العراب والمطايا الفارهة... ظلت هذه السفارة حديث المجالس. وقد أجاب عنها صاحب مصر بعدد من الهدايا المطرفة كان فيها الفيل والزرافة.

وقد سجل عهد يوسف بن يعقوب أول صلة مباشرة للمملكة المغربية بشرافة مكة، في أعقاب التنافس الذي شب بين أبناء الشريف أبي نمى الأول، حيث رأينا العاهل المغربي يبذل مساعيه الحميدة لتطويق الخلاف بين صاحب مصر وبين أشراف الحجاز.

والي يوسف هذا يرجع تاريخ الظهير الذي صدر إلى سائر عمال المغرب بإقرار **الاحتفال بعيد مولد النبي** صلى الله عليه وسلم أواخر القرن السابع. هذا الاحتفال الذي يعتبر في الواقع احتفالا بمطلع العام والقرن الهجري وكان بنو العزفي أصحاب سبتة قاموا في مطلع القرن بسن تلك العادة واتخاذ ذكراها مناسبة للإشادة بنبي الإسلام عليه السلام كما قلنا.



ما بقي من أطلال منار جامع (المنصورة) في تلمسان الذي كان حديث المجالس لدى المؤرخين. بناه السلطان يوسف بن يعقوب وجعل على رأسه تفافيح من ذهب صير عليها سبعمائة دينار... وبانتهاء بنائه أصبحت المنصورة مدينة عظيمة استبحر عمرانها ونفقت أسواقها ورحل إليها التجار بالبضائع من جميع الآفاق... لكنه اليوم مزارة للسواح...!

9) أبو سعيد بن أبي العباس

1398 م - 1420 م - 800 هـ - 823 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري التاسع هو الجمعة الموافق 13 شتنبر 1398.

صادف ظهور هذا القرن تغير الأحوال بالمغرب، فقد طويت طائفة من محاسن العمران وتقلص ظل عدد الدول وفل حدها ووهن سلطانها وتداعت أحوالها وخربت الأمصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل، وكأنما نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانقباض.!!

في هذا الجو بويع السلطان أبو سعيد عثمان بن أبي العباس بن أبي سالم.

بويع يوم 30 جمادى الثانية سنة 800 = 1398 بيد أن النقض والإبرام كان بيد الوزراء والحجاب..! وكان من أكبر حجابه أبو العباس القبائلي وفارح بن مهدي وأبو محمد الطريفي، وعبد العزيز المليانى ومن وزرائه صالح اليابانى ويحيى الهكوري، ومن كتابه الأديب ابن أبي دلامة ومن قضاته عبد الرحيم اليزناسني...

وقد تعرضت مدينة تطوان في عهد أبي سعيد هذا إلى عملية انتقامية من الجيش الإسباني... كما أن مدينة **سبتة** استهدفت هي الأخرى لعملية غدر في قصة مثيرة، فلقد شاهدنا النصارى يأتون بصناديق مقفلة يوهمون أن بها سلعا وأنزلوها بالمرسى كعادة المعاهدين... وكانت تلك الصناديق مملوءة رجالا يقدر عددهم بأربعة آلاف من الشباب المقاتلة فخرجوا على حين غفلة واستولوا على الثغر، حيث وجدنا أهل المدينة يتطارحون على السلطان عبد الحق بن أبي سعيد راجين المساعدة.

«ياملكا قد صان بيضة مغـــرب   بضوارم وصوارم وجنـــود
هتك النصارى علينا حرمة سبتـة   غدرا بنقض مواثق وعهـــود»!

ولم تزل مدن المغرب ترتدي المسوح والنعال السود ونسوان المنطقة يجعلن على رؤوسهم (شمريرا) وهي قبعة من الدوم تعبيرا عن الحزن.



كان عالم سبتة وشاعرها مالك ابن المرحل على حق عندما شبه شكل مدينة سبتة بعود غناء ألقى على بطنه في البحر المتوسط ولكأنما أخذ لها بذلك صورة من طائرة تحلق على شبه الجزيرة :

كأنها عود غناء، وقد ألقى في البحر على بطنه

10) أبو عبد الله محمد الشيخ

1472 م - 1505 م - 876 هـ - 910 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري العاشر هو الموافق 21 شتنبر 1495.

بعد تزعمه في مدينة أصيلا. طمحت نفسه للاستيلاء على فاس العاصمة التي كانت قد استنامت إلى شريف إدريسي هو محمد بن علي العمراني الجوطي...

ولقد عقد محمد الشيخ اتفاقية هدنة مع البرتغال تمكن بواسطتها من التصدي لبسط نفوذه على باقي المدن المغربية. وهذا الأمير هو محمد الملقب بالبرتغالي نظرا للفترة التي قضاها بالبرتغال.

وقد شهدت أيام أبي عبد الله محمد الشيخ استيلاء الملكة إيزا بيلا عاهلة اسبانيا على حمراء غرناطة حيث وجدنا أميرها السابق أبا عبد الله ابن الأحمر يقدم على أبي عبد الله محمد الشيخ بعد أن خاطبه بقصيدة طويلة من نظم العقيلي. موصولة برسالة طويلة. وقد استهلت القصيدة هكذا :

مولى الملوك ملوك العرب والعجـــم

رعيا لما مثله يرعى من الذمـــم

بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن

جار الزمان عليه جور منتقـــم!!

كما شهدت أيام محمد الشيخ كذلك استيلاء البرتغال على ساحل البريجة حيث شيدوا مدينة (الجديدة)... وشهدت استيلاءهم كذلك على بعض سواحل السوس، حيث بنوا حصن فونتي على مقربة من أكادير... وكانوا يمنون أنفسهم بالبقاء في هذه المواقع قبل أن تداهمهم طلائع الدولة السعدية.



هناك مثل مغربي دارج يقول : «أصيلة صغيرة ومحاينها كبار»... كانت محن المدينة بالفعل أكبر بكثير من حجمها لكن سرها كان يكمن في معناها ومغزاها لقد تردد ذكرها أكثر من مدينة فاس في بعض فترات التاريخ لأن الاستيلاء عليها كان يعني الاستيلاء على مفتاح جميل من مفاتيح المغرب.

11) أحمد المنصور الذهبي

1578 م - 1603 م - 986 هـ - 1012 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري الحادي عشر هو الخميس الموافق 8 أكتوبر 1592.

تولى أبو العباس أحمد المنصور الخلافة في ساحة الحرب بموقعة وادي المخازن أو معركة الملوك الثلاثة، حيث كان مصرع دون سباستيان ملك البرتغال، وكانت وفاة السلطان مولاي عبد الملك ملك المغرب، ومقتل الأمير محمد الملقب بالمسلوخ الذي كان يعضد البرتغال ضد السلطة الشرعية.

ولقد جنى أحمد المنصور ثمرات ذلك النصر العظيم، حيث شاهدنا أن مركز المغرب يتعزز على الصعيد الدولي، وأمكن أن نشاهد العاصمة مراكش تستقبل في **قصر البديع** عددا من السفارات الأجنبية من مختلف جهات الدنيا.. وكتبت مئات التقارير بشتى اللغات عن المملكة المغربية، ووجدنا الأرشيفات الوطنية في العواصم الأوربية تزخر بالوثائق الهامة التي تتعلق بالمغرب الذي كان على هذا العهد يمون دول أروبا بالسكر !!

وبالرغم من أنه كان صديقا للعثمانيين إلا أنه كان حريصا أشد الحرص على استقلال بلاده غير راض إطلاقا بالخضوع للهيمنة التركية، ومن ثمة وجدناه يحتد غضبا إزاء إمبراطورية سنغاي (افريقيا الغربية) التي بلغه عنها أنها ربطت لها صلات في مصر، مع صنائع الدولة العثمانية الذين «فوضوا» لسنغاي النظر في تلك الأقاليم !!

وقد أخذ أحمد المنصور بعد هذا يخطط لمداهمة الممتلكات الإسبانية في أمريكا اللاتينية والهند بقصد إضعافها تمهيدا لتحرير الثغور المغربية في الشمال.

12) إسماعيل بن المولى الشريف

1671 م - 1727 م - 1082 هـ - 1139 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري الثاني عشر هو السبت الموافق 15 أكتوبر 1689.

بويع السلطان مولاي إسماعيل في أعقاب استشهاد أخيه السلطان مولاي الرشيد أثناء جولة بالفرس في حدائق قصر البديع بمراكش...

كان على السلطان مولاي إسماعيل أن يطمئن على الأحوال الداخلية في البلاد حتى يتفرغ لمواجهة الأجانب الذين يحتلون بعض الثغور المغربية. كانت الخريطة السياسية للمغرب ممزقة، فلقد صادف ظهور الدولة العلوية الشريفة بقايا السعديين وإمارة الدلائيين في الغرب، وإمارة مراكش وإمارة إيليغ في الجنوب، وإمارة الهبط، وإمارة الريف في الشمال، ومنطقة للنفوذ التركي شرق المغرب ! هذا علاوة على الوجود الإسباني والبرتغالي والإنجليزي في بعض المواقع...

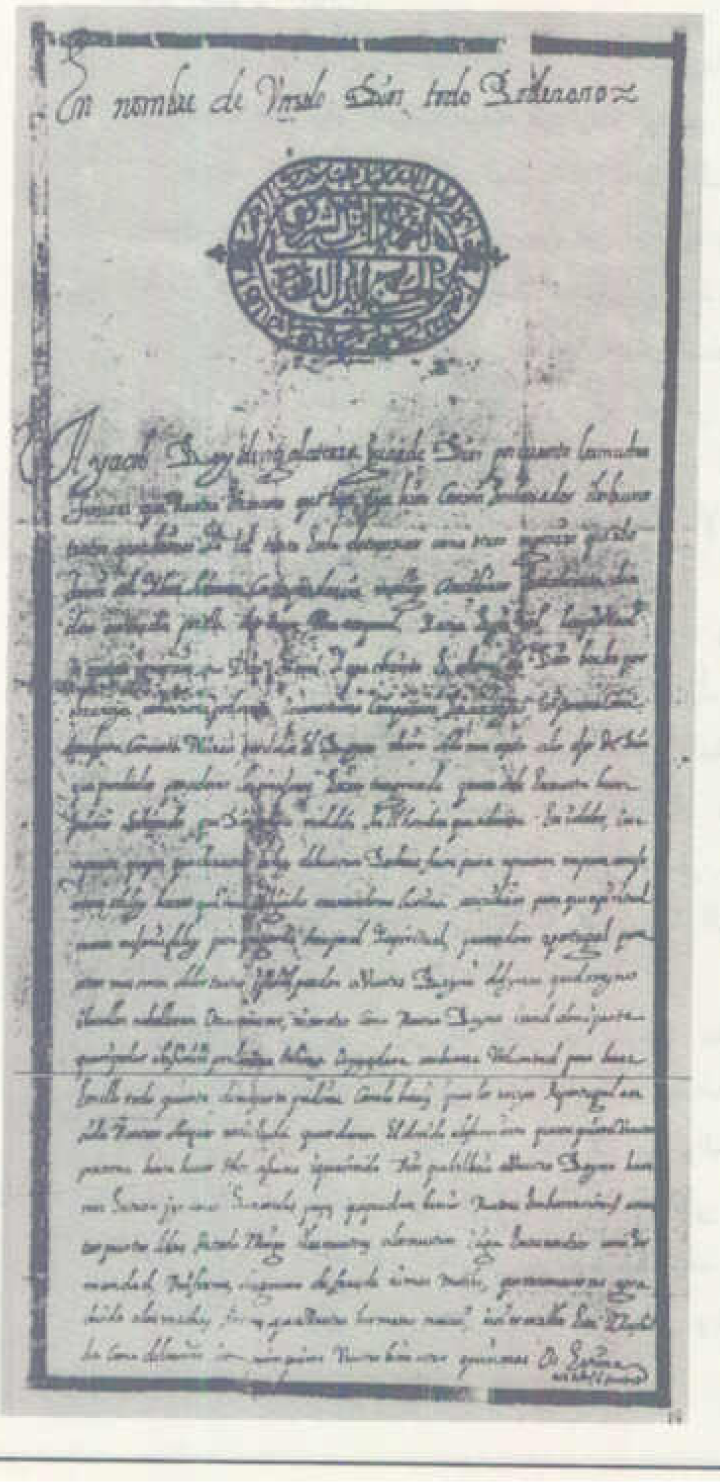
ولكن البلاد ما لبثت أن توحدت، حيث وجدنا العلويين يعملون بشتى الوسائل، سواء منها الدبلوماسية أو العسكرية على تحرير المدن المحتلة.

وهكذا أجلى السلطان مولاي إسماعيل الإسبان عن المعمورة (المهدية) ثم الإنجليز عن مدينة طنجة. وكانت أجمل هدية قدمها مولاي إسماعيل إلى شعبه في مطلع القرن الثاني عشر الهجري (1690) هي تحرير مدينة العرائش التي ظل المغاربة - حدادا عليها - يلبسون النعال السود منذ أن تسلمها الإسبان قبل اثنين وثمانين سنة. وتبع هذا تحرير مدينة أصيلا، بعد قرنين وربع من الاحتلال البرتغالي. ديوان ضخم من الشعر أشاد بالحادث واتجه إسماعيل لمحاصرة سبتة :

رفعت منازل سبتة أقوالهـــــا   تشكو إليكم بالذي نالهـــــا !

كان السلطان مولاي إسماعيل يمتاز باعتزازه الفائق ببلاده وبدينه... تجلى ذلك في الآلاف من الوثائق التي تزخر بها المكتبات الوطنية في البلاد الأوربية، وفي العشرات من الكتب التي ظهرت منذ ذلك الوقت، سواء باللغة الفرنسية أو اللغة الإنجليزية أو الإسبانية...

لقد كان هناك شبه قوي بين السلطان مولاي إسماعيل بن مولاي الشريف والسلطان أحمد المنصور الذهبي... سواء في بقائه على صلة تامة بالجنوب المغربي أو في تشييد المعالم التي أصبحت تفوق ما بناه المنصور في مراكش !



كان السلطان مولاي إسماعيل بن المولى الشريف هو الذي حرر الثغور من احتلال الأجنبي وهو الذي وحد المملكة المغربية بعد أن أصبحت تمثل عددا من المغاربة ! وهو الذي خاطب بهذه الرسالة في مطلع القرن الهجري الثاني عشر ملك انجلترا جاك الثاني يعدوه لاعتناق الإسلام !

13) **محمد بن عبد الله**

1757 م ـ 1790 م ـ 1171 هـ ـ 1204 هـ

كان اليوم الأول للقرن الثالث عشر هو الثلاثاء الموافق 24 أكتوبر 1786.

تقلد السلطان سيدي محمد بن عبد الله زمام الأمر في حياة والده وبتكليف منه. وقد جددت بيعته فور وفاة الوالد.

وقد حلق هذا الملك العظيم في حقل السياسة الدولية ووجدناه يتفوق على عدد من القادة العالميين في تفكيره وتقديره للأمور بشهادة الذين اهتموا بحياة السلطان سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث).

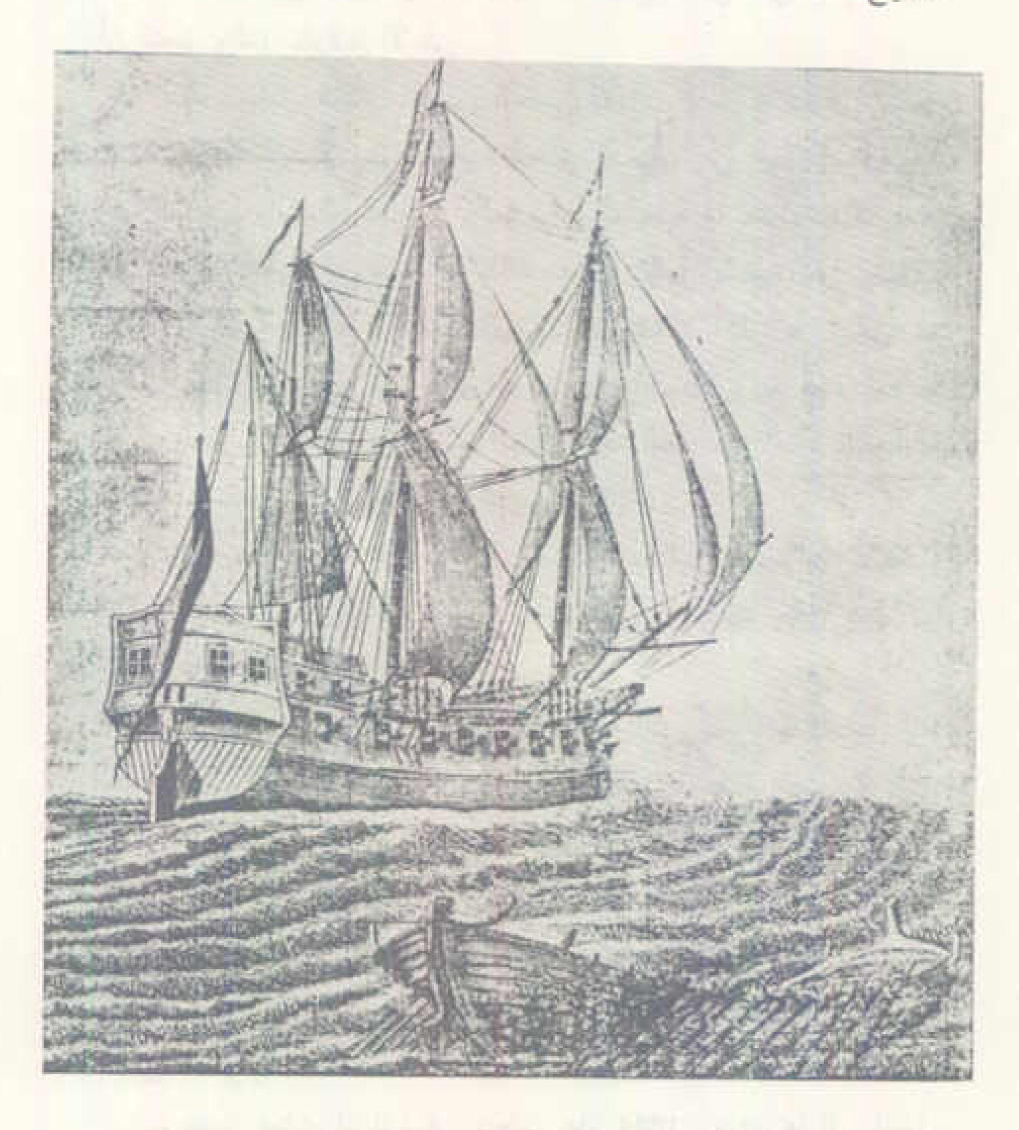
وكما كانت الخطة التي اتبعها جده السلطان مولاي إسماعيل، وجدنا سيدي محمد يقوم بنشاط مزدوج، فهو من جهة على بصيرة بما يدور في العالم الخارجي... الأمر الذي تنطق به كذلك سائر الأرشيفات الوطنية الموجودة سواء في استانبول والعالم الإسلامي أو في القارة الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية كذلك.

وهو بالإضافة إلى إنشائه لمدينة الصويرة على المحيط الأطلسي جنوب المغرب وجدناه يتجه إلى تكميل ما ابتدأه جده السلطان مولاي إسماعيل، حيث وجدناه يهتم بتعزيز الثغور المغربية وشحنها بآلات الجهاد، كما وجدناه يقوم بعملية إجلاء البرتغال عن **مدينة الجديدة، وبذلك صفى آخر معقل للبرتغال** بديار المغرب، وقد قام إلى جانب هذا بحصار مدينة مليلية التي كانت على وشك التحرر لولا عملية غدر خذلته من جانب داي للجزائر !

وقد كان من أبرز ما اهتم به سيدي محمد إحياء الأسطول المغربي حيث كان يتوق إلى إنشاء دار الصناعة على نحو ما كان عليه الأمر على عهد الموحدين وجدناه يتخذ من سلا والعرائش مركزين لصنع السفن والمراكب التي بلغت في عهده المئتين على حد تعبير المؤرخين المغاربة وعلى ما تؤكده التقارير الدبلوماسية، وقد كان من تلك السفن «المعونة» التي بلغ عدد بحريتها 330 بحار وبلغت مدافعها أربعة

وخمسين مدفعا. وقد استنفر سيدي محمد في مطلع القرن ألف شاب لتدريبهم على خدمة البحر، حيث كانوا يقيمون في طنجة...

ومن جهة أخرى فإنه ليس من قبيل الصدفة أن نجده في مطلع القرن يتخذ قراره بتخصيص بعثة طلابية يناهز عددها 140 ناشئا من أجل تعلم الصنائع الوطنية التي تمثل تراثنا الحضاري حتى لا يتعرض للضياع.



كان من أبرز ما تميز به عهد الملك محمد الثالث، احياء الأسطول المغربي وقد كان يتوق إلى أن تصل قطعه البحرية إلى القارة الامريكية... وهذه سفينة من سفنه التي ناهزت المائتين على حد إفادة المؤرخين.

14) الحسن بن محمد بن عبد الرحمن

1873 م - 1894 م - 1290 هـ - 1311 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري الرابع عشر هو الجمعة الموافق ثاني نونبر 1883.

دن السلطان مولاي حسن يمارس الأعمال في حياة والده الذي كان يستخلفه في كثير من المهام. وهكذا أجمع الناس على مبايعته بعد أن التحق والده بالرفيق الأعلى...

لقد استقبل مولاي الحسن (الحسن الأول) أياما كانت في منتهى الدقة. فالاستعمار الأروبي يأخذ بمخنق المغرب من جهة الشرق ومن جهة الجنوب والشمال كذلك... والمؤامرات الداخلية ما تنفك تتفاقم بدعم من القوى الخارجية ولكنه مع ذلك عرف كيف يستفيد من اختلاف الدول الأجنبية لصالح احتفاظ المغرب باستقلاله أكثر ما يمكن من الوقت. ولم يتردد في بث **سفرائه** عبر العواصم الأروبية قصد إبلاغها صوت المغرب وإقناعها بمطالبه العادلة. وقد نجح في إقناع المجموعة الدولية بالمشاركة في مؤتمر مدريد عام 1880.

وفي مقابلة هذا ظل البلاط الملكي يستقبل السفارات الأجنبية وظل العاهل يحاور سائر الأطراف وهو في كل ذلك حذر يقظ لما يجري من حواليه.!!

ولا بد أن نذكر هنا بالمواقف الحازمة التي تميز بها العاهل إزاء الحفاظ على الحدود المغربية وبصفة خاصة في المنطقة الجنوبية. التي كانت تغري بعض الدول الأروبية بالنزول فيها حرصا على ازدهار تجارتها وتثبيت قدمها !

وأن ما حررته الدبلوماسية المغربية من مكاتبات وخطابات في سبيل تحرير ثغورها ليعتبر حقا من عيون الوثائق الوطنية التي تشهد بالغيرة المغربية الصادقة.

وعندما بعثت اسبانيا في دجنبر عام 1884 بمنشورها إلى الدول الأجنبية معلنة بسط حمايتها على بعض أطراف الشاطىء الأطلسي والصحراء رفض السلطان مولاي الحسن هذا الوضع... مؤكدا حدود الايالة

المغربية «**وأما وادي الذهب فإنه بناحية أولاد دليم وقبيلته تسمى العروسيين الذين هم بخدمتنا الشريفة نازلين بنواحي مراكش وفاس، وتسمى عندهم بالداخلة.**

وإن من أطرف ما تميز به مطلع القرن الهجري الرابع عشر هو إصدار السلطان مولاي الحسن لرسالة نشرت على أوسع نطاق بين الرعية... وقد كان من أسباب تعميم الرسالة الرد على التدخل في الشؤون الداخلية المغربية من طرف حركة ظهرت في السودان ؛ الأمر الذي قد يفسره أيضا تأكيد العاهل على أن حدود المغرب تمتد إلى السودان ذاته..!

وقد أصحبت الرسالة الحسنية بظهائر بتاريخ 1801 تطلب إلى عمال المملكة تعميم الانتفاع بالرسالة في كل الجهات.

(ظهير السلطان مولاي الحسن الأول) حول الحدود المغربية : وأما وادي الذهب فإنه بناحية اولاد دليم وقبيلته تسمى بالعروسيين الذين هم بخدمتنا الشريفة النازلين بنواحي مراكش وفاس، ويسمى عندهم بالداخلة...

15) الحسن بن محمد بن يوسف

1961 م - 1380 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري الخامس عشر هو الأحد الموافق 9 نونبر 1980

لقد رأى فيه جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله مخايل العبقرية فرشحه منذ نعومة أظفاره لولاية العهد. الأمر الذي استقبله الجمهور المغربي بكامل الرضى بالرغم من الموقف المعادي الذي اتخذته السلطات الاستعمارية.



«... هذا الملك الذي دوى صيته عبر القارات والذي أصبحت كلماته مثلا تضرب في المرويات، وأصبحت توجيهاته حكما تروى بين الناس.
حاولت أن أبرز جانبا من جوانبه لكنها جميعها كانت متوازية ، إنه ينتمي إلى خمسة أحياز كانت هي أصول مآثره وآثاره حيز القارة الإفريقية، حيز العالم الإسلامي، حيز العالم العربي، حيز الفكر الغربي وحيز الوطنية المغربية...».

كان لوالده العظيم نعم الصاحب في شتى الظروف وخاصة منها ظروف المنفى. وبعد عودة الأسرة المالكة إلى أرض الوطن وتحقيق الاستقلال عين بتاريخ تاسع يوليه 1957 وليا للعهد بصفة رسمية... وبعد استشهاد الوالد يوم 26 يبراير 1961. في أعقاب عملية جراحية. جددت للأمير الحسن البيعة ملكا على البلاد...

وهناك ظاهرة تميزت بها تربية الأمير، ربما خفيت على البعض، ولكن الملاحظين يولونها أهمية بارزة، تلك أن جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله «اختار أن يتلقى ولي العهد ما يجب أن يتلقاه من حقول المعرفة داخل البلاد، حتى يمكن جلالة الوالد أن يتتبع عن كثب مراحل تلقي ابنه لمختلف العلوم واللغات، وحتى يظل سمو ولي العهد على صلة كاملة بالواقع المغربي».

لا أجرؤ على القول إنني أستطيع في هذه السطور القليلة تقديم هذا الملك الذي دوى صيته عبر القارات والذي أصبحت كلماته مثلا تضرب في المرويات، وأصبحت توجيهاته حكما تروى بين الناس...

حاولت أن أبرز جانبا من جوانبه لكنها جميعها كانت متوازنة، إنه ينتمي إلى خمسة أحياز كانت هي أصول مآثره وآثاره، حيز القارة الافريقية، حيز العالم الإسلامي، حيز العالم العربي، حيز الفكر **الغربي** وحيز الوطنية المغربية. رأيناه يسهم بحظ وافر في إنشاء افريقيا الحرة... ورأيناه يتزعم العالم الإسلامي والعربي ويتحدث بلسانهما إلى العالم المسيحي ورأيناه يصل بين قارة وأخرى، سمعنا عن مغرب المؤسسات والمنشئات، عن مغرب السدود، وأصبحنا نقرأ في الموسوعات العالمية الحديث عن المسيرة الخضراء على أنها معلمة من المعالم التاريخية على الصعيد الدولي.

ونحن نعيش اليوم مع مغرب يتجدد باستمرار في سائر مرافق حياته وما يزال الناس يتتبعون ثنايا الخطاب التاريخي الذي وجهه إلى العالم الإسلامي بمناسبة مطلع القرن الهجري حيث أحيا سنة أسلافه...

د. عبد الهادي التازي

عصر المصطفين

للأستاذ محمد بن تاويت

نريد بالمصطفين خمسة رجال، كانت لهم شهرة وتأثير في أجيالهم، هم مصطفى كامل، ومصطفى لطفي، ومصطفى صادق الرافعي، ومصطفى كمال التركي، ومصطفى النحاس الوفدي.

أما الأول مصطفى كامل، فيعد من رواد الوطنية بمصر بل كان رائدها الأول، بالمعنى الصحيح للوطنية المتجردة، برز في هذا الميدان، فكان له أتباع، يكبرونه سنا، ويكبرهم حماسا وغيرة وتفانيا، كما كان له مراسلون في العالم الأوربي يراسلهم في القضايا الوطنية، ويبعثهم على أن يكونوا دعاة لقضية بلاده، التي كانت ترزح تحت نير الاستعمار الانجليزي.

وبالرغم من المنية اخترمته وهو في الأربعة والثلاثين، فإنه ترك خطبا رنانة، امتلأت بكلماته التي صارت تردد بعده، فيمن خلفه مثل «لاحياة مع يأس ولا يأس مع حياة»، وقد ألف فيه أحد أتباعه كتابا حافلا، احتوى على ترجمته وذكر أنشطته الدائبة، وبعض كلماته السيارة.

وحيا الله زمانا كنا نجتمع فيه كل ليلة جمعة، بدار الأستاذ السيد الهاشمي الفيلالي، نلقي فيها الخطب والكلمات ونستمع إلى عرض الأستاذ يرتجله، ويعرض ما يحدث أو يعلق عليه منورا للأذهان فنفسهم منه القليل أو الكثير، ونحن مأخوذون به معجبون، على كل حال.

كان ترددنا على داره مراقبا من مقدم حومة المخفية، وكنا ندرك هذا، ونتحسب له، من ذي قبل، فاستعرنا لأنفسنا أسماء، كنت فيها، مصطفى كامل، وكان محمد الصنهاجي (والد الطبيب في بني ملال حاليا) بن عبد الكريم.

وذات ليلة من تلك الليالي، خرجنا عائدين إلى بيوتنا، فأسر إلي إبراهيم التازي (الوزاني) بأنه يحمل منشورات يريد بثها في داخل الحوانيت المغلقة، فلما هممنا بتنفيذ المهمة، لاحظنا المقدم يرقبنا من بعيد، فكففنا، ثم عاودنا المحاولة، فوجدناه، وراء منعطف يرقبنا بإحدى عينيه، وهو مختف بكله، فانصرفنا عن ذلك، وذهب كل لحال سبيله.

وفي الغد علمت، كما علم الزملاء وغيرهم، أن سيدي ابراهيم قبض عليه متلبسا بإلقاء المنشورات، وزج به في سجن الباشا بوشتا البغدادي.

وتوقف الاجتماع الذي كنا نعقده، ثم سألت سيدي الهاشمي الوزاني عن صديقه، هل يراه ؟ فقال نعم، رأيته أخيرا وهو يساق من السجن إلى المشور، أو العكس، وجلابته ملطخة بالدماء، من جراء ما كان يناله كل يوم من جلد الجلادين بمشور الباشا بوشتا.

ثم عدنا إلى تجديد عهدنا بالاجتماع، فكان ضمننا عبد الكريم غلاب والمرحوم عبد الكريم بن ثابت.

أما مصطفى لطفي المنفلوطي، فإن العالم العربي المعاصر مدين له في تيسير الأسلوب العربي على ناشئته وفي تجميله بتلك التعابير التي تستحوذ على القلوب وتستهيها الأذواق المهذبة، في غير تصنع ولا تصنيع وفي عفوية تتسم بالطلاقة والانسياب، وتتحلى بجمالها قبل أن تتحلى بحلية لها.

الحقيقة أن وطنيتنا عليها من فضل المنفلوطي كثير، أن لا يكن في الفكرة ففي تربية التبليغ الحسن وفي ترقية الشعور وتنمية المواهب الفطرية للقادة والاتباع على السواء.

لقد كانت النظرات تجتمع حولها الجماعات وتتلى عليهم، وكأن القوم على رؤوسهم الطير. شاهدت في مدرسة اجتمع فيها جماعة ضمت أخا لي ، والسادة علال الفاسي، والهاشمي الفيلالي، وبوشتا الجامعي، وعلال الذي كان يقرأ لهم النظرات، وكان حسن السرد الذي كان يتولاه لسيدي العباس المكناسي في اقرائه للمكودي على الالفية. فكان الجميع منصتا إلى تلاوة النظرات، لا لمجرد الأفكار، ولكن لسخر البيان قبل كل شيء.

وبعد ذلك كان هذا الأخ، يقرأ على جماعة إحدى العبارات، وكان عصي الدمع، ولكنه لم يتمالك نفسه، ان انحدرت من عينه دمعة، فتناول كمه لمسحها، ورفع رأسه لينظر ما يكون عليه المستمعون، وإذا بهم بكاة جميعا، في صمت ثم نشيج، لما افتضح الأمر، ولم يعد هناك مجال للتخفي.

لم يقف الأمر عند المثقفين، بل تعدى حتى للعوام، فصاروا يسمون من بناتهم باسم «ماجدولين» وينطقونها بالجيم العربية، لأن المنفلوطي هكذا كتبها، ولكنه أراد أن تنطق جيمها نطقا قاهريا، كافا معقودة.

لقد كان عهد المنفلوطي عهدا تجلى فيه مثل العقاد ويكن، وكتب فيهم المتاب الثلاث، ولكن الإقبال المفعم العرم كان على المنفلوطي ولم يكن على غيره.

أراد الناس فيما بعد أن يخضعوا المنفلوطي لأحكامهم، ويزنوه بموازينهم، ولكنهم عبثا حاولوا، فبقي للمنفلوطي اعتباره من التقديس، وقال فيه السابقون ماشاطرهم فيه اللاحقون، الذين كان منهم الدكتور صالح الاشتر، في حديث أجراه معي.

حضرت مجلسا في دار الأستاذ محمد بن عبد الله بسكناه في المخفية، فيما أظن، وكان المجلس مكونا من صاحب الدار والسادة عبد الهادي الشرايبي ورشيد الدرقاوي، والأخ الأكبر لعبد الوهاب بن منصور، فقال هذا الأخير ، ان وطنيتنا يعود الفضل فيها إلى المنفلوطي، فاستخف القوم بهذه الكلمة، وكان أشدهم صاحب الدار وسخر منه قال غيره بعد ما نفض المجلس، كلمة بالغ في التنقيص بها، ولكن ابن منصور كان على حق، وان بالغ، وهو يعني النشأة الأولى للوطنية المتكلمة الداعية المؤثرة الخطيبة الكاتبة، لا الوطنية الصامتة، فهذه لا تعني أحدا في مفعولها لم يكن مجرد كاتب محبوب من الجميع بل كان أكثر من ذلك كما عبر عن بعضه الأديب الكبير المرحوم السيد محمد بن اليمني الناصري في رثاء للمنفلوطي.

ما للمعارف ترسل النظرات
نحو الثرى وتسيل العبرات
ما للمعالم نكست أعلامها
فتنات التصفيق بالعذبات
هل في سبيل التاج خان العهد من
باع الحمى بخسائس الشهوات
مثل الذي حرم السعادة والرضى
إذ كاد للحرمين والحرمات

أم هل بنو التاميز حين تميــزوا
غيظا أجادوا الخبط في عشــوات

إلى أن يقول ،

كلا ولكـن مات سحار النهــى
ــلا بهـا بروائــع النفثـــــات
المنفلوطـــي الــذي أقلامـــــه
مــن دونهـــن رواعــف القنــوات

إلى أن يقول ،

يا مصطفى وليت عنا لابســـا
حلل الثناء موفــق الخطـــوات
لم تأت فيما قد علمنا وصمـــة
أبدا ولم تدنس مــن الـــزلات
بل كنت فينا مرشدا ومهذبـــا
ومثذبـا بالخيـر خيـر نبـــات
حتى بنيـت علـى أسـس محكـم
صرحا من الأخلاق والهمـــات
ألقت بك العليا عصا تسيارهـــا
لتناشـد الفتيـان والفتيـــــات
فالأنـــس للأحـرار بعـدك وحشة
تحشــو الحشـا بلواعـج الجمـرات
لا غرو أن لقى المصاب جميعهـم
بطويـة تطـوى علـى الحسرات

وأما مصطفى صادق الرافعي، فقد صال وجال، في ميدان كان الغالب من الناطقيـن بلغة الضاد، يسرهم أن يصول ويجول فيه هو وأمثاله وهم كثير، من نحو المحامي لطفي جمعة، إلى غيره من عشرة أو يزيد، كتبوا ردودهم على الشعر الجاهلي .

ولكن الرافعي وحده هو الذي كتب له النصر والفوز والبطولة التي اختار لها عنوانا، هز الناس في مشاعرهم وجعلهم يهتفون بصابه مكبرين فيه كل ما يقول من كلمات جهنمية لامعة براقة وهاجة، بشتى ألوان السخرية والتسفيه والتكفير...

فكان كتاب تحت راية القرآن - في نظرهم - كتاب انتصار للقرآن، وما انتهى إلى الأسماع نبأ وفاته، حتى حزن القوم لها، ثم أقاموا له حفل تأبين، بمناسبة ذكرى الأربعين يوما على وفاته، فكنت من المؤبنين، بكلمة هذا استهلالها ،

أيها السادة الأعزاء ، أريد الآن أن أحدثكم - قليلا - وقليلا فقط عن بعض أعمال مؤبننا المرحوم - سقى الله ضريحه - تلك الأعمال الجليلة التي تثير الإعجاب فيقف الإنسان أمامها خاضعا مطأطىء الرأس إجلالا لصاحبها وإكبارا له وإنها لأعمال قل أن تقوم بها الجماعات فضلا عن أن ينهض بعبئها الأفراد ولكن ،

«ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد»

المرحوم مصطفى صادق الرافعي - باختصار - رجل عالم كبير واسع الاطلاع بكل معنى الكلمات، عامل لا يفتر لما فيه صلاح الأمة والدين، مجاهد، في سبيل الله، حام لبيضة الملة قامع لثورات الزائغين الملحدين، مخلص في كل هذا لآخر رمق من حياته،موفق مظفر والله مع الصابرين.

قلت اني سأحدثكم عن بعض أعمال الرجل العظيم، فأحدثكم الآن عن جهاده في سبيل نصرة العروبة والإسلام ذلك الجهاد الطويل العنيف الذي استمر فيه طيلة حياته ثابت القدم ثبوت الرواسي، مستبلا مستقلا لا يستمد النصر والمعونة إلا من الله الذي وعده النصرة ان نصره «**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**» ها هو ذا يخوض المعامع ويلاقي الصدمات معتصما بالله مستنجدا به رافعا صوته الجهوري ، (اللهم هيىء لنا الخير واعزم لنا على الرشد وآتنا من لدنك رحمة واكتب لنا السلامة في الرأي وجنبنا فتنة الشيطان أن يقوى بها فنضعف أو نضعف لها فيقوى ولا تدعنا من كوكب هداية منك في كل ظلمة شك منا واعصمنا أن تكون آراؤنا في الحق البين مكان الليل من نهاره أو تنزل ظنوننا من اليقين النير منزلة الدخان من ناره، نسألك بوجهك ونتوسل إليك بحمدك وندعوك بأفئدة عرفتك حين كذب غيرها نافرت وآمنت بك فزلزل غيرها واستقرت) هذا الدعاء المبارك افتتح به كتابه الكفاحي الذي ناضل فيه عن العروبة والإسلام ونافح

عنهما أشد منافحة كتابه الذي سماه - تحت راية القرآن - وما ظنك بكتاب يحارب تحت راية القرآن أبدعه الله للأعداء فينهزم ويرجع القهقرى ؟ كلا وألف كلا لم يكن الله ليخذل من اعتصم به ولاذ برايته وتوكل عليه ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره. أجل في هذا الكتاب (كتاب تحت راية القرآن).

وفي شهر يليه لسنة 1950 كتبت عن كتابه «وحي القلم» لمجلة الأنيس العدد 42 فقلت فيه سلسلة مقالات أوحى بها عقل الرافعي إلى قلمه فجمعت موضوعات شتى من دين وأخلاق إلى فلسفة واجتماع ومن تاريخ وقصص إلى فن وخيال. ومن حديث عن الزعماء والأبطال... إلى حديث عن الحمقى والخرفان والسناسير.

أما مصطفى كمال. فقد نظر إليه، كبطل من أبطال الإسلام. حارب الطليان دفاعا عن ليبيا. وحارب الحلفاء في الحرب العظمى. كان بطل المواقف التي تسجل لأصحابها الفخر والذكر الصائت. ولم يقف الاعجاب به عند الفئة المثقفة التي نظمت فيه القصائد الطوال. كما نجد عند شعرائنا كمحمد الجزولي الرباطي القائل فيه من قصيدة عصماء :

أيا مصطفى من بين صفوة قومه
ويامنقذ الأوطان من قبضة العدا
ويا بطل الإسلام يا حاقن الدما
بسفك دماء من على الوطن اعتدى
ليهنك أن قد قمت فردا بحمل ما
به ناء ذوتاج فصار مقيدا
ومن عدم أبرزت جيشا وقوة
سحقت بها جيشا وأرهبت من عدى
خسفت بقسطنطين عرش جلاله
وأشقيته من بعد ما كان أسعدا
وأضحكت ثغر الشرق بعد تجهم
وأنسيته من همه ما تكبدا
سيذكرك التاريخ ذكرا مخلدا
وحسبك مجدا أن تكون مخلدا
ليهنك يا أمة الترك عزكم
إذا ما نأى عمن إلى الذل أخلدا
وحسبكم الدعاء بنصركم
أمد به عند افتخاري بكم يدا

وحتى عوامنا كانوا يتغنون «مصطفى كمال سرج وركب» وتبهرهم صوره في المجلات التي كانت تنهال عليهم دوما من الشرق. كما كانت صوره الملونة تباع على حدة أما التغني فسمعته كثيرا. وعلق بحفظي منه وأنا لا أعرف مصطفى كمال. كما ينطقه القوم. ولا ماهيته ولا مواقفه. التي أملت هذا على القوم العوام وما صار ظل مصطفى يتقلص عندنا إلا بعد تنكره لمجد الإسلام في تركيا. ولغة الإسلام. إزاء لغتها. وقيام كتاب العرب بحملة عنيفة ضده. وكان في القائمة شكيب أرسلان . ولا شك أن السياسة التي أحكم خيوطها الانجليز. وسلم بها عرب الجزيرة وغيرهم. كما ان الحكم العثماني. كان الضيق به عاما في العالم العربي. كل ذلك جعل من أولئك موقفا تبلور في الحرب العظمى. عما أغضب الأتراك وبطلهم فاختفى مصطفى كمال من على الألسن لاختفاء اسمه أو اخفائه هو له. فصار يدعى «أتاترك» ثم أصبحت تركيا الجديدة. كما سمعتها تفخر بكونها لا تعرف ولا تريد أن تعرف شيئا عن قديمها المسلم الزاهر. بالرغم من كون الإسلام. ما زال حالا بكل قلب تركي حتى الآن...

وأخيرا كان مصطفى النحاس. الذي أقبل عليه عالم الإسلام. والمغرب منه. أكثر من إقباله على «زغلول» نفسه. وأذكر اني حينما اشتريت من فاس «طربوش تركي» ووجدت داخله صورة زغلول. سألت عن صاحبها. وعن هذا الإسم الذي ما استغته لأول وهلة فلم يعجبني ولا صورة صاحبه العبوس. ولم أفرضه على نفسي إلا أخيرا. وبحكم العقل الذي قدر فيه الجهاد والصمود. بعد وفاته ومن الكتاب الضخم الذي جمع ما قيل في رثائه وتأبينه. فكانت من ذلك قصيدة الكاظمي. يا أم سعد عزاء ثكلت ذاك العلاء .

أما خلفه مصطفى فبطلاقة وجهه وانشراحه، الذي كان يبدو به في صوره. كان الانجذاب إليه قلبيا كأنه الزعيم الوحيد للوطنية الحق. وفي مناسبة أهداني صديق مجموعة من «اللطائف» وجدت فيها محمد محمود باشا ينافسه أو يعارضه أحسست تجاه هذا إحساسا جعله خارجا عن ربقة الوطنية القويمة. في نظرتي السطحية. وفي تقديري الذي هيمن عليه النحاس هيمنة تامة والحب كما قيل قديما يعمي ويصم. وعليه الاعتماد في الزعامة. قال طه حسين بمحضره منوها به، فعقب عليها بأنه أديب. وهي «فاروق أمير الشباب» وأمير المومنين مصطفى النحاس.

وهكذا كان على عرش القلوب ، حتى خلال الحرب العالمية. التي توجهت الانتقادات نحوه لتسامحه. وهو رئيس دولة مع الانجليز ومندوبهم السامي. وانشق عليه زميله المخلص، مكرم عبيد. وأسس حزبا مجانفا له. فما وهن مصطفى ولا ضعف. وان كان الانشقاق في طمعه كان نذيرا بتحطيم حزب الوفد. وهي طبيعة في الأحزاب التي تنشق على نفسها. فلم تعمر «الكتلة» لا في حزبها الجديد ولا في صحيفتها كذلك.

فكانت النهاية الحتمية. وكان الانقلاب الذي أطاح بكل شيء، وتغيرت به المعايير التي اعتادها الناس من قديم وصار الجميع بدون استثناء. يتطلع إلى اليوم الموعود. حققه الله. ونصر العروبة والإسلام. وعلى أعدائهما الغاصبين والمتربصين هؤلاء. المصطفون الذين كانوا ملء الأسماع والأبصار طيلة النصف الأول من هذا القرن أو يزيدون.

ومن الصدف أن يعاصر هؤلاء. رجلان كان لهما وزنهما الراجح، وهما من أبرز تلاميذ الشيخ محمد عبده، ومن الذين تولوا مشيخة الأزهر. وبهما ختمت مكانتها العلمية والقدسية ألا وهما محمد مصطفى المراغي، ومصطفى عبد الرازق.

كان المراغي رحمه الله من العلماء الأفذاذ الذين ضموا إلى علمهم في الدين وعلومه، علمهم بشؤون العهد الحاضر، وتمكنهم من لغة أوربية، هي الانجليزية التي ترجم إليها هذا الشيخ القرآن الكريم. ولا شك أن هذه الترجمة لا يقدم عليها من المسلمين. إلا من كان على مستوى من القدرة في هذه اللغة والتمكن من ناصيتها تمكنا تاما. فلو قدر لهذا التفسير أن تناله الطباعة. فإنه سيكون لامحالة له فضل كبير.

إلى جانب هذا كان المراغي بيده مقاليد الملك الشاب، فاروق، رحمه الله وهو الذي أحاط هذا الملك بسياج من الخلق القويم، والسلوك الديني، الذي أضفى عليه لقب «الملك الصالح» فكان لا يتأخر عن حضور صلاة الجمعة، بعدما كان والده لا يحضر إلا اليتيمة من الجمع كل سنة، ولم يخرج عن هذا السياج الإسلامي إلا بعد وفاة المراغي، رحمه الله.

وتلا هذا الشيخ، الشيخ الدكتور مصطفى عبد الرازق الذي درس الفلسفة فكان من أعلامها، خصوصا الفلسفة الإسلامية منها، فقلما وجدنا تأليفا في الفلسفة، على عهده إلا وجدناه في القائمة الأولى، ضمن المصادر والمراجع.

تولى وزارة الأوقاف، ثم خلف الشيخ المراغي، في مشيخه الأزهر الشريف، فكان لا يتقاضى أجر مرتبه الضخم، ويحوله على مساعدة الطلبة الفقراء، من المشايخ رحم الله الجميع»

محمد بن تاويت



للدكتور محمد عزيز الحبابي

لا نود تأريخا لمفهوم «تاريخ» ولا عرض النظريات المتضاربة حوله، وإنما نريد إشارات عابرة عما يكتسيه ذلك المفهوم من التباس عند الاستعمال، خصوصا عند عينات مختارة من المثقفين العرب المرموقين.

مفهوم «تاريخ» :

«تاريخ» مرتبك تتضارب دلالاته. يرى الكثيرون في التاريخ الحكم الذي لا استئناف لحكمه، أو السجل الأكبر، أو الذخيرة التي لا تفنى، أو العبر للصغار والكبار... وبقدر ما تزداد ثرواته الدلالية بقدر ما يظهر الاحتياج إلى المزيد من الدقة في التحديد. ففي الوقت الذي يستشهد البعض بما سجله المؤرخون لـ «العبرة» يكون آخرون صورة أسطورية عن التاريخ، ومنهم من ينسب له «منطقا» كأنه عقل جبار يعلق في برزخ من وراء سحب :

أ) ـ «منطق التاريخ» :

«عصرنا لا يتحمل دولة عنصرية مثل إسرائيل، وإن استطاعت أن توجد، فلأجل محتوم يترصد له منطق التاريخ» (1).

عصرنا «لا يتحمل» وإسرائيل توجد «لأجل محتوم» إلخ...

ومن المضحك ـ المبكي عند كاتبنا الكبير كون «إن» الشرطية الواردة في قولته، تربط وجود إسرائيل بقدرة غيبية . «الأجل المحتوم».

1) نجيب محفوظ، في حديث مع عبد العال الحمامصي، هؤلاء يقولون، ج 1، القاهرة دار الهلال، ص 24.

يذكرنا هذا بالدهريين الذين كانوا يرددون : «إنما هي أرحام تدفع، وأرض تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر». ما أشبه الدهر هنا بـ عند الإغريق : لا حول ولا قوة للبشر، فالزمان وحده الفاعل القهار.

أيها العرب ! انتظروا ! واقنعوا بمصيركم، واقتنعوا بأن اسرائيل ستظل، لـ «أجل محتوم» فهي **محكوم** عليها بالاضمحلال. فاصبروا، وصابروا، فإن «منطق التاريخ» في **النهاية** لاسرائيل بالمرصاد ! أما أنتم فثرثروا «فوق النيل»، وحجوا إلى أضرحة أولياء الله الصالحين، رفقة بعض أصحاب الجاه من رجالات الفكر والسياسة، فبركتهم تتصرف في سير التاريخ **ومنطقه...**

في تعليق على معرض لوحات زيتية لعمر بوركبة، نقرأ تعاريف لمفاهيم، مثل «فن» و «تاريخ» و «ضمير جمعي» و «قيمة». وينسب ذ. الخليفة العلمي، صاحب المقال، إلى نيتشه التعريف الآتي لـ «تاريخ» :

«التاريخ ظاهرة تتجذر خارج الخير والشر مستقلة بعلويتها الأنتلوجية الأبدية» (2).

ويضرب مثلا على «الظاهرة المستقلة بعلويتها» بلوحة من رسم بيكاسو «تكون حاملة بداخلها لكون أنثروبولوجي يستحيل ربطه بجدلية نسبية وظائفية صادرة عن نوعية تاريخية أو إنسية معينة إنه الفن بسموه وملكوته..».

ذاك «التاريخ» الأثيري، وهذا الفن المجرد عن كل نسبية (أي عن أية علاقة تربطه بأي مجتمع ـ أو بأية ظاهرة ثقافية، والمنسلخ تماما على التاريخ وعن كل الناس) أين وجودهما في خريطة المعاني ؟ إنهما دالان على اللا مدلول.

وما دام الخليفة العلمي يضرب المثل ببيكاسو، فلنتأمل قليلا في أعظم وأشهر لوحاته : غرنيكا، إن لها على عكس ما جاء في كلام الخليفة العلمي، تاريخا مضبوطا، هو الحرب الأهلية الإسبانية، وبالتدقيق، بعد المذابح والحريق المهول الذي قضى على البلدة وعلى سكانها، وصاحب تلك الجرائم معروف ومحدد : الفرنكويون. كما للوحة المذكورة وقت وأسباب تاريخية، لها مكان محدد : إن اللوحة تحمل نفس الإسم العلم الذي تحمله البلدة الشهيدة.

أبعد كل ذلك يجوز القول بأنه «يستحيل» ربط الكون الذي تحمله لوحة بيكاسو «بجدلية نسبية وظائفية» ؟

فالسببية والنسبية بارزتان في مشروع بيكاسو : ـ أنجز لوحته **لفضح جرائم؛ ـ تلك** الجرائم كانت **أكثر** فظاعة من بقية جرائم الحرب المعهودة، هكذا جاءت اللوحة أكثر تعبيرا عن واقع تاريخي... وهذا الواقع لا «يتجذر خارج الخير والشر» إنه شيء لا ريب فيه، ولا شر أبشع منه، ولا «يستقل» إطلاقا بعلويته، إذ لا علوية فيما يهدد إنسانية البشر.

ونؤكد كذلك أن «الأنتلوجيا الأبدية» قد أخذت مسيرة إجبارية نحو كرامة الإنسان وحركته، ولا مسيرة غيرها...

ب) ـ ثقافة خارج التاريخ

التاريخ حي قيوم، إلا أنه تأخذه سنة ويأخذه نوم، فيستغل تلك الفترات بعض مفكرينا ليفرضوا عليه قوانين يسير عليها، مثل هذا «القانون» الذي استنتجه حسين فوزي دون استدلال :

«الانفتاح الثقافي ضرورة، حتى قبل الانفتاح الاقتصادي» (3).

إنها قولة ترفضها بعض الاتجاهات الماركسية، على اعتبار أن الثقافة بنية فوقية لا يتحقق وجودها إلا انطلاقا من القاعدة الاقتصادية (البنية التحتية)، يجوز، من منظار آخر، أن تكون قولة الأستاذ فوزي صادقة، إذاك يوضع هذا السؤال :

إذا جاز لإمكانات حضارية (وهي نتائج ما يحصل من تفاعل بين ثقافات مختلفة) أن تستخدم الانفتاح الاقتصادي فمتى وأين تنشأ تلك الإمكانات نفسها ؟

وهل تستطيع أن تنشأ منعزلة عن النظام الاقتصادي الذي يمكنها من أدوات العمل ومواده ؟

2) العلم، 19 ـ 5 ـ 1981.

3) الصاعصي، هؤلاء يقولون... ص 35.

إن «الثقافة» تتجسد في الصنائع والفنون، وفي أنظمة المبادلات الداخلية والخارجية، على اختلاف الأصناف والأنواع، فبالاقتصاد المزدهر، تتفتح الثقافة وتتسع وتتعمق، وبانتشار الثقافة العميقة الواسعة يتغلب على الحاجات، وتنمو الموارد والقدرات على استغلالها، ويحصل الرواج، ويزداد مستوى الاستهلاك.

إن ثقافة أمة ما، في أية فترة من حياتها، انعكاس لكل ما تحقق في تلك الفترة، به تؤرخ تاريخها العام (4).

• • •

هذا تعريف من التعاريف الممكنة للثقافة، فمنها ما يتمتع بمناعة الدقة، ومنها ما يتسع فيطلق على اكثر من مفهوم، مثل ما جاء عند عثمان أمين بالنسبة للثقافة إذ يجعلها مرادفة :

«لحضور الوعي ويقظة الروح وهما لا يكونان إلا مع الضمير الحي والعقل الناضج» (5).

هذا تعريف يمكن أن يعطي للكثير من الأشياء، بيد أنه لن يحدد أي شيء على الخصوص.

(ج) ـ التنبؤ بالغيب :

هناك موقف آخر لبعض الكتاب العرب من التاريخ، إنهم يتنبؤون بما سيأتي به المستقبل، إذ يريدون الأحداث على هذا الشكل أو ذلك، اعتمادا على تخيل لا تسانده معطيات علمية ومنطقية، فذاتيتهم في هذا الحال، تسمى بديلا لـ «منطق التاريخ»، نجد هذه النظرة عند الشاعر صالح جودت، حيث يؤكد أن أحمد شوقي :

«سيبقى، إلى ما شاء الله، سيد القدامى والمحدثين، لأنــه كــان شاعــر مصــر وشاعــر الإنسانيــة جمعــاء، وكانت موسيقاه الشعرية فريدة لم يدن منها قبله، وأشك في أن يأتي بها شاعر بعده» (6).

فيما يتعلق بما «سوف يأتي بعد شوقي»، هذا شيء لا يعلمه إلا علام الغيوب ! فمن «السلطوية» والمجانية أن نسبق الأحداث فنحكم، من الآن، على الملايين من السنوات المقبلة، ولو بطريق الاستشفاف !... إن المستقبلية نفسها (7) لا تتنبأ على المدى البعيد وإنما تقف عند سنوات، وهي إذ تفعل، تنطلق من معطيات «موضوعية» معتمدة الإحصائيات ومستقرئة الأوضاع الاقتصادية والمالية والتكنلوجية، فتقيم مستوى الأطر ومؤهلات الكليات ومعاهد التعليم العالي... في هذا الحال، يلتحم المنطق بالواقع المعطى ليتجاوزه إلى الواقع المترقب، ويكون دور الذوق الفردي والذاتية محدودا، فإن كان للتاريخ «منطق»، فهو بالضرورة خارج عن قواعد المنطق البشري...

أما فيما يتعلق بتصريح صالح جودت عن «ما قبل شوقي»، فنشك أن يكون قائله قد قام بعملية استقرائية تامة لتاريخ الشعر، عند مجموع الشعوب، إن مثل هذا الاستغراق في حكم تقييمي قاطع يفترض، مسبقا، أن من صدر عنه قد قام بتجميع (كما يقول أصحاب المنطق الرياضي) (8)، وهذا ما لم يفعله صالح جودت، ولن يستطيعه ولو كان جميع العرب له مساعدين، لذا لا تجازف إذا صرحنا بأن في الأحكام السابقة رائحة شوفينية، لا شعر فيها ولا موسيقى، لقد صدرت عن شاعر في حق شاعر آخر من مواطنيه، أكيد أن الأحكام الصادرة عن الذاتية لا ترغم التاريخ على أن يلتزم بنزواتها، حتى لو تعلق الأمر بأمير الشعراء العرب.

إن ما أوردنا من أحكام عن شاعرية شوقي لا يدخل في اهتمام هذا البحث إلا بقدر ما يعطي نموذجا حيا عن الكيفية التي يؤرخ بها بعض كتابنا، ويصدرون أحكاما في الآداب أو السياسة.... يروي محمد أبو ريه عن المشير أحمد مختار باشا الغازي هذا التقييم في حديث عن محمد عبده :

---

4) انظر كتابنا : من المنغلق إلى المنفتح (الأحاديث الثلاثة الأولى)، القاهرة، دار الأنجلو المصرية.
أما بخصوص التفرقة بين تاريخ وتأريخ، Histoire في معجمنا مصطلحات فلسفيه 1962.

5) الجوانية، دار القلم، القاهرة ص 246.

6) عبد العال الحمامصي، هؤلاء يقولون في السياسة والأدب.

7) مستقبلية Prospective

8) التجميع : ضرب من الاستقراء الإحصائي الكامل الذي يؤدي إلى أحكام مركبة.

«إني أعتقد أن دماغ هذا الرجل هو أعظم دماغ عرف، وأنه لو وزن لرجح بكل دماغ من أدمغة الرجال العظام الذين عرف الإفرنج وزن أدمغتهم» (8 م).

لو أن الأستاذ الإمام علم بهذا الحكم على دماغه لحزن لتفكير بعض كبار ضباط الجيوش العربية...

• • •

نجد عند عبد الله العروي خطاطة فكرية مماثلة لما جاء عند صالح جودت. يتحدث العروي عن نظرة الغرب إلى التاريخ، فيرى أنها على :

«طرفي نقيض مع النظرة التقليدية».

إنها تنبني، في آخر التحليل، على افتراض هو :

«أن الأمر الإلهي ليس حاضرا في الكون منذ البدء» 9).

هذا افتراض طبيعي عند الماديين والملاحدة، لكنه غير مقبول عند المسيحيين (وهم أغلبية الليبراليين)، لأنهم يومنون بوجود عناية الله La providence التي تهيمن على كل شيء. فتعميم الافتراض مجازفة. كان الأولى أن يقال :

«إن الأمر الإلهي غير حاضر عند بعض الغربيين».

تلك هي الملاحظة الأولى، أما الملاحظة الثانية فتتعلق بما يضيفه العروي إلى قولته السابقة : أن الأمر الإلهي ليس :

«غائبا إلى أبد الدهر».

أنفهم من هذا أن «الأمر الإلهي» سيظهر يوما ما وسيدخل في التاريخ لأنه ليس «غائبا أبد الدهر» ؟

فما علة عدم حضور الأمر الإلهي في التاريخ منذ البدء ؟ (خصوصا وأنه يجوز تصور ذلك الحضور استقبالا). ذلك الغائب حاليا، والذي ليس غائبا نهائيا، بل يتوقع حضوره. أين هو الآن ؟ إن العدم لا يحضر، لا عند البدء ولا «يدوم» غائبا «أبد الدهر».

فعندما سيبدأ التدخل، سترتبط نظرة الغرب إلى التاريخ بنظرة اللهوتيين والمتكلمين. ولن تبقى «على طرفي نقيض مع النظرة التقليدية».

يفسر العروي قولته تفسيرا يؤكد التأويل السابق ويزيد الأسئلة حدة :

«إن الحقيقة المطلقة ليست معروفة منذ القدم ولا هي خارج متناول البشر أبد الآبدين».

حقا، إن «**الحقيقة المطلقة**» ستصبح في متناول البشر. بأية «عناية» سيتم ذلك ؟

فأن يثبت مؤرخ أن الأمر الإلهي غير موجود في الكون ولم يوجد سابقا، قد يقبله البعض ويرفضه آخرون. لكن، لا أحد يجرؤ فيتحمل مسؤولية التنبؤ بما سيحدث للبشر، في أبد الآبدين !

فبمثل تلك التصورات، يفقد حقا التاريخ إيجابياته. فيعود حقا مسرحا لخيال الظل.

ينتقل بنا العروي من مفاجأة إلى مفاجأة. فلننظر إليه ، يحوم حول «الحقيقة المطلقة» وهو يقاوم النظرة التقليدية :

«لكي يكون التاريخ ميدان جد ومسؤولية، لا بد من اعتبار الحقيقة المطلقة كحركة وكصيرورة».

تلك الحقيقة المطلقة، سماها المتكلمون بـ «الله». المهيمن المدبر. وكما أن الله يخالف كل ما يخطر بالبال لأنه متعال. كذلك «الحقيقة المطلقة». لقد اكتسبت المطلقية من الابتعاد الكلي عن كل ما سواها. لا تعتريها نسبية ولا إحالة على شيء عداها. وهذه، بلغة علم الكلام، **تعال**. والتعالي صفة من صفات الله ، الرب هو «الحقيقة المطلقة» إنه المطلق الذي يتمتع بمطلقية قطعية إطلاقا.

هكذا أراد العروي أن يبتعد عن «منطق علم الكلام» ابتعادا بلا رجعة، وأن يتجاوز النظرة «التقليدية» (11). فوقع في ما فر منه.

• • •

يمكن أن نؤول فكرة العروي تأويلا آخر بإرجاعها إلى الأصل الذي استوحت منه. يقول العروي عن نظرية الغرب إلى التاريخ إنها تنبني، من جملة ما تنبني عليه،

8م) في تقديم لرسالة التوحيد، ص 10، دار المعارف، القاهرة، ط 1971.
9) العرب والفكر التاريخي، ص 59 ـ 60.
10) نفس المصدر، نفس ص.
11) ص 59.

على افتراض : «هو أن الأمر الإلهي ليس حاضرا في الكون منذ البدء ولا غائبا إلى أبد الدهر، أو بعبارة أقل ارتباطا بعلم الكلام إن الحقيقة المطلقة ليست معروفة منذ القدم ولا هي خارج متناول البشر أبد الآبدين لأن في كلتا الحالتين يفقد التاريخ إيجابيته ويعود مسرحا لخيال الظل» (12).

لا يحمل هذا أية مفاجأة للقارئ. إنه يكرر الأطروحات الماركسية التقليدية. بيد أن تناقضا يكمن في ما سيذهب إليه المؤلف في الشطر التالي من العبارة : فكون الحقيقة المطلقة في متناول البشر، ولو بعد حين، قولة مباغتة لأننا لا ندري ما هي الشروط التي سيقتضيها الذهن الإنساني، في نهاية المطاف ليتاح له أن يحيط بأطراف «الأمر الإلهي».

سبق للكاتب أن أكد أن الغرب تبنى نظريته للوجود على إلغاء الأمر الإلهي والتعالي، وبالتالي ينفي كل فعالية للعناية الإلهية. من ذلك تعادل بين المطلق والأشباح. فما ينبغي التنبيه إليه هنا، هو أن ما يرد واضحا في الأطروحة التقليدية، يأتي ضمن تضاربات قد تحملنا على القول بأن الفكرة الهيجلية لم تحرر بعد من «قشورها اللهوتية عند العروي. فلا يبعد أن تكون محاولته ترمي للمزج بين الظاهر والباطن، بين الخفي والمصرح به، بحيث تتجه إلى تبني موقف باطني، وفي هذا ما فيه من تعارض مع الفكرة المعبر عنها بوضوح لدى الماركسيين.

نقطة أخيرة : ماذا يقصد المؤلف بـ «أمر الله» ؟

حسب السياق، إنه يعطي للعبارة معنى خاصا : تدخل إرادة الله / العناية الإلهية / القضاء. لكن هذا المعنى غير مقبول هنا. فـ «أمر الله» عبارة استخدمت في القرآن والأدب السياسي، للتعبير عن «نظام الحكم» و «السلطة السياسية»، ومنه سمي الحاكم بـ «الأمير» (من ينفذ أوامر الله ويسهر على احترامها)، كما سمي القادة بـ «أولي الأمر». جاء في القرآن :

«يا أيها الذين آمنوا ! أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» (النساء ـ 59) (13).

وأخيرا : ما التاريخ ؟ وما «التاريخانية» ؟

يجيب عبد الله العروي :

«أستعمل كلمة تاريخانية للتعبير عن النزعة التاريخية التي تنفي أي تدخل خارجي في تسبب الأحداث التاريخية، بحيث يكون **التاريخ هو سبب وخالق ومبدع كل ما روي ويروى عن الموجودات» (14).**

ينفي المؤلف تدخل أي سبب «خارجي» عن التاريخ لتفسير التاريخ. فكان عليه وهو مؤرخ، أن يدلنا على الأسباب التي هي من التاريخ. **وبها يفسر ويؤول وعلى** الأسباب التي هي خارجة عن التاريخ كي يتجنب الباحثون الخلط.

ـ ثانيا، إذا كان التاريخ هو «سبب الموجودات» و «خالقها» و «مبدعها» فمن العبث محاولة «تفسير» التاريخ أو «تأويل» أي حدث. لأن **التاريخ نفسه سيصبح سببا لذاته**، وخالقا لذاته، ومبدعا لذاته.

فالتاريخ هو تاريخ بالضرورة لكذا... أو كذا... فأين مكان الإنسان في تاريخ الإنسانية ؟

وأين أدوار الإنسان في صنع التاريخ ؟

لماذا طمست تفاعلات الناس فيما بينهم، وتفاعلاتهم مع الطبيعة ؟

فالاعتراف باستقلال بعض القوانين عن الإنسان لا يخولنا أن ندعي وجود قانون يفرض سلبية الإنسان في التاريخ، ولا أن نجعل من التاريخ سرا تغلفه أسرار بحيث إذا حاول أحد أن يحل السر الأول وجب عليه أن يعرف مسبقا كيفية حل الثاني، ومعرفة الثاني تتوقف على معرفة السر الثالث، و ...

ـ هل نحن أمام مثالية أو روما نتيقية ؟ أم أنه مجرد «فن تجريدي»، إن لم تكن نظرية نهيلية عدمية للتاريخ...

---

12) نفس المصدر، ص 60.

13) انظر دراسة ممتعة في الموضوع لشكري نجار، الباحث، عدد 7، ص 90، سنة 1979.

14) العرب والفكر التاريخي، ص 126، تعليق 10.

قد يكون لفظ «عدمية» هنا، غير ملائم، أو على الأقل مبالغا فيه. فالأفضل استعمال «مثالية ـ ذاتية». فلا ننسى أن العروي مؤرخ، وأن المؤرخ العروي هو الذي يصرح أن : «التاريخ لما هو مكتوب اليوم يركز على منطق الأحداث إلى حد أن الأحداث في ماديتها قد تذوب ويظهر التاريخ كأنه كله من عمل عقل المؤرخ» (15).

ـ هل الباحثون في التاريخ يؤمنون ـ مع العروي ـ بشيء يسمى «منطق الأحداث» أو «منطق التاريخ»، كما سماه صالح جودت ؟ (16).

فلنترك للمؤرخين أن يجيبوا، كما نرجو منهم أيضا أن يخبرونا من منهم يعتقد أن التاريخ يظهر وكأنه «كله من عمل عقل المؤرخ» ! وهل لهذا العقل الخاص منطق خاص يتجاوز الأحداث، وحتى الأفراد ؟

ونوجه لهم سؤالا أخيرا :

أحقا أن «مادية الأحداث تذوب ويظهر التاريخ كأنه كله من عقل المؤرخ» ؟

إذا ذابت «مادية الأحداث» = (الموضوع) ولم يبق إلا «عقل المؤرخ / ذات المؤرخ» لن ينتج، في الأخير، إلا تاريخ ممتزج بمؤرخ، ولا يتدخل أي شيء آخر. أما المنهج **فاستبطان** (الذات الموضوع). نظن أنه، لا عقل المؤرخ يدرك تجريديا، ولا التاريخ يفهم ويفسر بعد أن «تذوب مادة الأحداث».

وما معنى أن «تذوب الأحداث» ؟

في أي وعاء يحصل الذوبان : في التاريخ أم «في» **شعور وذهن** المؤرخ ؟

إن الاعتقاد في الذوبان من شأنه أن يسقط في مزلقين :

ـ أنطولوجي وبيانه أن لمنطق الوعي وجودا «خارجيا» و «موضوعيا» . في منأى عن الواقع (مثالي ـ ذاتي) بمعنى أن إسقاط هذا الذوبان على العالم الخارجي (بما فيه الأحداث) ليس إلا تصورا فرديا يضخم بشكل لا واقعي.

صحيح أن في التاريخ أشياء تتجاوزه، هي قوانين التاريخ. لكن، صحيح كذلك، أن للفكر قوانين بها نفكر وندرك سير التاريخ. فلا تأريخ دون مؤرخين، كما لا تاريخ (مادة الأحداث) دون أناس ليصنعوه. **فالإنسان هو الكائن الذي يتأرخ قبل أن يؤرخه الآخرون، لأنه يتطور ويتقدم ويعي التغير فيؤرخه.** إن العقل لا يشرع للطبيعة قوانين سيرها، إلا أنه يلاحظ ما يعتريها فيعيه ويتأمل فيه.

للعروي تعريف آخر لـ «تاريخ» ويريده تعريفا، على وجه الدقة لما يسميه «التاريخانية الماركسية». إنه، بمعنى ما من المعاني :

«النظرة الشاملة التي يلقيها مجتمع ما على مجموع حوادث الماضي».

يعلق محمد عابد الجابري على هذا التعريف :

«إن مفهوم التاريخ بهذا المعنى، مفهوم ضبابي، لا ماركسي» (17).

ويحتج الجابري على ذلك بما جاء عن ماركس نفسه في **الأسرة المقدسة** :

«التاريخ لا يعمل شيئا، لا يملك ثروة كبيرة، لا يقتل ! هو الإنسان، الإنسان الشخص الحي الذي يقاتل ويملك كل ذلك (...) إنما التاريخ هو نشاط الإنسان في سعيه نحو أهدافه».

كثير من الباحثين انتقدوا بشدة «ماركسية العروي» (18). جاء عند محمود العالم بهذا الصدد :

«إن الماركسية التي يتبناها الأستاذ العروي ويطلق عليها اسم الماركسية التاريخانية ليست في تقديري هي ماركسية ماركس وانجلس ولينين. ليست تلك النظرة التي تقوم على

15) نفس المصدر، ص 44، تعليق 2.
16) انظر هنا، ص.
17) الجابري، المحرر الثقافي، (22 / 1 / 74).
18) منهم (جورج لابيكا) في المجلة الباريزية La pensée ، ومحمد عابد الجابري في المحرر الثقافي، وتوفيق السعدي في الثقافة الجديدة، وجابر رشيد في أنوال، ومحمود أمين العالم، في منشورات مختلفة.

المادية الجدلية والمادية التاريخية. وإنما هي ماركسية تجريدية تعتمد على جدل يكاد أن يكون هيجليا. إنها ماركسية إيديولوجية معلقة في فراغ التجريدات والتعميمات» (19).

19) قضايا عربية، عدد 2، 1974، ص 116.

يلخص الجدول البياني التالي شروط تحقيق إنسية ومقوماتها، تبعا لـ «فكرلوجيا» كما نتصورها :

● توتر نحو ...	- آفاق جديدة
	- مغامرات مستمرة
● معتقـــدات	- عن اقتناع
	- محاولة إقناع
● ذاتيـــة	- في نزوع إلى تموضع
	- في نزوع إلى تجاوز
● حقل ثقافي	- مجال فردي
	- مجال تواصلي
● محيط كوني	- الطبيعـــة
	- الكائنات الحية
● عقل مجند	- لفهم الواقع
	- لتطهيره من الخرافة
	- عقلانية نقدية
● منهـــج	- حرب ضد الابهام
	- استبارات - اختبارات من أجل التكيف
● التـــزام	- سياســـي
	- تطويري إصلاحي

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

● أنت شعبي العزيز، شعب أصيل فعليك أن تبقى أصيلا وعليك أن تبقى راعيا لمقوماتك من حضارة في تواضع، وكرم في اقتصاد، وشجاعة في رأي، وأخوة بدون قيد ولا شرط ●

الإيمان بالغيب

للأستاذ المحسن السائح

من أسس قواعد الإسلام.. الإيمان بالغيب. ويدخل في الغيب كل ما لم يعرفه الإنسان عن الماضي وكل ما يتجاوز الرؤية الذاتية في الحاضر. وكل ما سيأتي به المستقبل. كما يدخل فيه المفاهيم الميتافيزيقية الكلية. والعامة. التي تختفي وراء الفزيقيات. ولقد كان العلماء الماديون والفلاسفة الماديون كذلك يرون أن الغيب بهذا المفهوم لا يمكن أن يسلم به عقليا. لأن العقل يعتمد على منطق محدد. وتجربة ملموسة. ليستطيع أن يحكم بها على وجود الشيء أو على نفيه. فكل ما لا يمكن أن يخضع لمنطق العقل أو لقانون التجربة. فإنه يكون وهما أو أسطورة. لا يمكن التصديق به. وهذا ما جعل قضية الإيمان بالغيب في حاجة إلى دراسة علمية لاثبات حقيقته. فالإيمان الغيبي في الإسلام يضع الأشياء التي لم يشاهدها الإنسان ولم تخضع للمنطق. أو أن تكون واضحة. في إطار السبب والعلة. من المسلمات التي يجب الإيمان بها والتصديق بها سواء كانت قضاءا وقدرا أو ما ستكون عليه بعد نهاية العالم. وتدميره. أو من أخبار وقصص الماضي السحيق. أو ما بعد موت الإنسان ونهاية العالم. كل هذا يدخل في عالم الغيب الذي يجب الإيمان والتصديق به. ولو عجز العقل عن إثباته. ولعل الديانات السماوية تحتفظ جميعها ببنية مفاهيم دينية مطلقة لا زمنية وكلية لا جزئية تنطبق على الواقع الاجتماعي والسياسي. وهذه المفاهيم الدينية والاحداث التاريخية تسمى بالغيبيات العلمانية. وهي غيبية لأنها مطلقة لا تخضع للنقاش والإيمان بها يشبه الإيمان بالمطلق وغير قابلة للتغيير باختلاف الزمان والمكان. وهي علمانية لأنها مفاهيم صالحة للتعامل مع الواقع السياسي والاجتماعي. والتاريخي.. لأنها تحرك طاقة الأمم والشعوب.. فمن الغيبيات التصديق بمعجزة الأنبياء. واعتبار الأنبياء هم المصطفون لتحمل الرسالة أو المتحدثون باسم الغيب وكل ذلك جزء من حياة الإنسان الواقعية وإذا كان الإسلام يقر بداية الخلق بالنبي آدم عليه السلام ونهاية النبوة برسالة النبي سيدنا محمد صلوات الله عليه. فإن اليهودية تعتقد أن الوحي ليس مقصورا على نبي أو رسول بل ينتقل من نبي إلى نبي. وأن رسالته مستمرة

ليساير الإرشاد والهداية لشعبه وحده دون باقي الشعوب، بل أن النبي موسى عليه السلام تمنى أن يكون كل أفراد شعبه من الأنبياء.

أما المسيحيون فقد قالوا بنبوة عيسى عليه السلام وحده، ولكن الوحي يستمر في خلفائه من الحواريين ثم البابوات. ولهذا فإن الحركات المنحرفة عن الاسلام المتأثرة بالتعاليم اليهودية أو المسيحية تقول بتجدد الوحي كالبهائية (الظالة) وقد حاول فلاسفة اليهود المعاصرين التقليل من حقيقة النبوة. وذلك أن يكون النبي مجرد مدافع عن الأخلاقيات اليهودية وأن أنبياء بني اسرائيل مفكرون حاولوا تخليص الإنسان من أوهام الأساطير وعقلانية الفلسفة اليونانية. ولهذا فهم ينكرون الطبيعة المتفيزيقية للنبوة. ويؤكد التاريخ أن أنبياء بني اسرائيل كانوا حكاما وملوكا، وأنهم كانوا خطا ممتدا يوازي خط الفلسفة اليونانية من عهد سقراط وأفلاطون وأرسطو لنقد العقل الفلسفي. كما بدت بعد عهد الفلسفة اليونانية العقلانية نزعة صوفية سواء في الفلسفة الافلاطونية أو في الفلسفة المسيحية ترى أن التنبؤ ضرب أو نوع من الاتحاد الصوفي بين الخالق والمصطفين من البشر وهو كفر صريح وفي شطحات الحلاج السهروردي ما لا يخفي هذا الاتجاه فوحدة الوجود والحلول يمثلان اتجاها يقارب هذا التفسير للوحي كما أن بعض المفكرين اليهود الضالين يعتقدون أن النبوة هي نوع من الاتحاد الصوفي. وأن الإنسان يصل إلى الاستنارة من خلال هذا الاتحاد... ولهذا فاليهود يسردون أسماء أنبياء مدججين محاربين ولهذا أيضا كانت الحركات الصهيونية تظهر كبعث علماني لتقاليد اليهودية وكتفكير يحيوي لا يهتم بالتاريخ بل يعود إلى نفسه لينطلق منها والنبوة عندهم حقيقة علمانية ينبني عليها المجتمع اليهودي.. وتبقى عودة الأنبياء أملا لتخليص الإنسان كما ظهرت في المسيحية فكرة انتظار الألف سنة التي سيأتي فيها المسيح ليسود العدل والاطمئنان وكذلك فإن اليهودية كإيديولوجية تنتظر المسيح وظهور العصر الذهبي. ولهذا فإن فكرة المهدي المنتظر الشيعية وانتظار المسيح ليملأ الدنيا عدلا كما ملئت زورا لها صولها في أدبيات الاسرائيليات. فالغيب لا محالة ضرورة إنسانية في جميع الديانات السماوية وكما تظهر الأسطورة في الماضي السحيق لتغذي الواقع. فإن وعي التاريخ بداية لتطور الإنسان. وقد كان من الواقع أن تظهر فكرة الحلول في التاريخ متجها إلى هدف أعلى وغاية عظمى في خط عمودي. وأنه ليس مجرد شكل دائري هندسي يتحرك حول نفسه دون غاية... فالتاريخ كما يرى العلماء هو عملية كشف الغطاء وتجليات العمل الإلاهي جل علاه. فهو ذو مسار واضح ومقدس لأنه يعتبر عن تحقيق الإرادة الإلاهية وليس محاولة بشرية.

إن الوحي في التحليل الإسلامي له أسس دينية تكلم عنها ابن خلدون وغيره وهي مشروحة في كتب التفسير والحديث شرحا واضحا مقنعا. أما عن اليهود. فالوحي في فهمهم الضال يتحول إلى أفكار تفهمها الجماهير وتؤمن بها ثم تصبح عقيدة فيكون تطابقا تاما بين الوحي والعقيدة والتاريخ. فيتحول التاريخ إلى وحي مستمر والوحي إلى أعمال مؤقتة ويصبح التاريخ وحيا والوحي تاريخا ويصبح الإيمان بالتاريخ إيمانا بالغيب. ويبقى أن الفرق بين العقل المؤمن والعقل الملحد أن العقل المؤمن يربط الأسباب بالمسببات وفي نفس الوقت يعترف بقصور اضطلاعه على كل شيء، ومن ذلك عن إدراكه للغيب. بينما العقل الملحد يرفض ذلك وينكر وجود الغيب. وما لا يستطيع عقله إدراكه. ولا شك أن هذا الاتجاه نوعا من التعنت فحقيقة العقل غيبية وطريقة عمله غيبية أيضا. والإنسان لا يستطيع أن يدرك كل الحقائق بعقله. ورغم تقدم العلم فهو لحد الآن لم يكتشف العلاقات التي تربط بين أعضاء الإنسان وطريقة تفكيره وميكانيزم قيام العقل بالعمليات العقلية. وهكذا لا يستطيع العقل المادي إدراك الغيب وحتى لو استطاع بعض النبغاء في إدراك حقيقة ما. فإنهم يدركونها جزئيا بطريقة التخصص. ولا يستطيع العقل الإنساني إلا أن يدرك جزءا بسيطا جدا من المعلومات. ولذا فالإيمان بالغيب لا يمكن أن ينفصل عن الذات الإنسانية. إن عملية الفكر والعقل هي مطلقة لا نسبية. والتاريخ إنما يعني تعاقب الأحداث ولا يعني

الأنساق التاريخية المتكررة، فالإيمان بالغيبيات هو جزء من عقيدة المسلم، وإذا كانت المغيبات تاريخيا فإن التاريخ قد يكون مقدسا، نريد به القصص الدينية التي جاء ذكرها في القرآن الكريم وفي كتاب التوراة والإنجيل حيث تعرض لنشأة الكون ونشأة الإنسان وتوالي الأنبياء، وكلها تاريخ أخلاقي واجتماعي يستخلص المؤمن منه العبر، ويصلح لأن يكون أساسا لبرنامج سياسي أو اجتماعي لأن الرؤية السياسية أكثر تركيبا من الرؤية الأخلاقية. فالقصص الديني لا يمكن شرحه علميا، ولكن يظل رمزا يختلف المفسرون في معناه. بل إن كتب الحديث تتعرض لتاريخ الشعوب والأمم، وهو تاريخ واقعي تؤيده الوثائق التاريخية الأخرى. فالتاريخ الديني تتداخل فيه البنيات ولا يخضع للجدلية، وإنما يعبر عن نفسه بجلاء، وكثيرا من المفكرين السياسيين لا يهتمون بنقد التاريخ الديني وإنما يجعلون منه أداة للتنظيم الواقعي لأنه جزء من حياة الشعب وتفكيره.

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

• عليكم أن تعلموا أنه فيما يخص الحسن الثاني، الذي سن سنن الحرية والديمقراطية في هذه البلاد، أن الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن قد فقد حريته منذ أن أصبح أسير قسمه.

تحية المغرب المسلم إلى السنغال المسلم

للأستاذ الشاعر محمد عبد الكبير العلوي

القصيدة التي ألقاها شاعر الوحدة محمد الكبير العلوي في مدينة سنلوى السنغالية بعد أن قال رئيس الاتحاد الثقافي الاسلامي السنغالي كلمته الخالدة ، المغرب الداني. وأثنى على المغرب ثناء عطرا مما أثار عاطفة الشاعر فألقى هذه القصيدة مشيرا فيها إلى العلاقات بين السنغال والمغرب ملكا وحكومة وشعبا وإلى أهمية مدينة سنلوى والمتوأمة مع مدينة فاس وإلى باقي مراكز الدعوة الاسلامية في سنغال.

هذي سنلوى وهذى فاس في آن ... كلتاهما دار ايمان واحسان

كلتاهما شع منها النور وانطلقت ... منها بعوث هدايات وعرفان

وذى دكار منار العز شامخة ... إلى العلى حيث ينحط السماكان

وذى تواون لا يخفى مآثرها ... ونورها وهداها غير شيطان

وذى منارات طوبى فهي مفتخر ... مشيد ليس يبليه الجديدان

وهذه كولخ الغرا تقيم على ... أمجادها وعلاها ألف برهان

وهذه السنغال المستضاء بها ... شرقا وغربا وهذا المغرب الداني

طود هناك وطودها هنا علم ... سامى الذرى فهما للدين ركنان

ركنان للسنة الغراء قد بنيا ... على علوم أحاديث وقرآن

شعبان ضمهما فخر يقوم على ... ماض مجيد من التاريخ مزدان

وعاهل ورئيس طالما وقفا ... ليدحضا كل تزوير وبهتان

ودولتان أعز الله شأنهما ... لترفعا للمعالي كل بنيان

لهذه عزة تسمو ومفتخر ... وتلك ذات جلال شامخ الشأن

في هذه عبد ضوف وهو قطب هدى ... وقطب تلك الامام العاهل الثاني

أوحى إلى بديع الشعر بينهما ... معنى يهيج أشعاري وأوزاني

قالوا اعدت لقول الشعر مندفعا ... وقد تخليت عنه منذ أزمان

فقلت ما كان مني تركه لقلى ... وليس هجر قوافيه لسلوان

لكن شيطان شعري ظل يرسف في ... قيد فأطلقت يا عيان شيطاني

أعجبت بالمغرب الداني وكم لك في ... أرجائه من أحباء وإخوان

لتهنأ السنغال اليوم أن لها ... شباب هدى واسلام وإيمان

باسم الثقافة والاسلام في بلدى ... واسم العروبة من قاص ومن دان

أهدي التحايا ومكنون الوداد إلى ... هذا الشباب الدؤوب العامل الباني

فلترفلي سنغال المجد في شرف ... وفي رقي وفي عز وسلطان

ولتنعمي وتحوزى كل مفتخر ... في ظل قطب عظيم القدر رباني

في ظل مالك القطب الذي شرفت ... به الخلائق من بيض وسودان

أسبوعه صحوة جاد الزمان بها ... يا ليت أسبوعه الوضاء شهران

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

• إن على المغاربة لا في هذا القرن ولا في القرون الاتية، أن يبقوا دائما مجندين مسلحين. ذلك لأن الله اختار فخلق وصنع المغرب في ملتقى البحرين وملتقى البحرين فيه خيره وشره وحلوه ومره•

في ذكرى ابن الخطيب
النابغة الشهيد...

للأستاذ محمد
محيي الدين
المشرفي

شهدت بلاد الأندلس في النصف الأخير من القرن الثامن الهجري، أي في القرن الرابع عشر الميلادي حركة فكرية ممتازة كانت تغذيها نخبة من كبار العلماء والمفكرين، من بينهم علم من أعلام الأندلس والمغرب بلا نزاع، أجمع النقاد والدارسون على أنه أوسعهم صيتا، وأغزرهم علما، وأعظمهم في ميدان الكتابة والإنشاء نثرا وشعرا. ذلك هو لسان الدين ابن الخطيب الذي قيل في حقه ما قيل في المتنبي من أنه «جاء وملأ الدنيا وشغل الناس» حقبة غير يسيرة من الزمان.

والواقع أن الباحثين على اختلاف درجاتهم، سواء في المشرق أو المغرب، ما زالوا يصبون اهتماماتهم على كل من هذين المفكرين العملاقين، ويخصون بالدرس والتحليل ما ترك كل منهما وراءه من تراث رائع وانتاج أصيل.

وليس من الغريب في شيء أن يقترن اسم المتنبي باسم لسان الدين ابن الخطيب، إذ كلاهما ظهرت نجابته في صغره، وكلاهما أثار من حوله، نتيجة ما اتصف به من كبرياء وطموح ضجة كبرى كان يؤجج أوارها وينشر دخانها جماعة من الأعداء والحاسدين أدت في نهاية الأمر بكل منهما إلى التعذيب والقتل العنيف ! ومع ذلك فقد أوتي المتنبي شهرة في حياته لم يحظ بها شاعر آخر قبله كما ظلت آثار ابن الخطيب خزانة علمية رائعة يتردد عليها الدارسون ويقتبس من فيضها كبار الكتاب والباحثين.

من أجل ذلك كانت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية يوم كانت تضم بين أحضانها قسم الشؤون الثقافية قد عزمت على تنظيم مهرجان أدبي واسع بالرباط تخليدا لذكرى ابن الخطيب، واحتفاء بمرور ستة قرون على وفاة رجل مرموق صرف حياته كلها في خدمة الأندلس والمغرب الذي كان يحبه من صميم قلبه إلى أن ادركته الوفاة بهذا البلد الأمين في ظروف سنتعرض لها خلال هذا الحديث إن شاء الله، وهي ظروف كما تعلمون، قاسية، شديدة الوطأ على النفس. فمنذ سنة 1973 والرغبة مصروفة بالفعل لإثارة قضية ابن الخطيب، وتسديد النظر مرة أخرى فيما حواه ذلك الملف الضخم من اتهامات قد تكون صحيحة ثابتة أو انتقادات تافهة مغرضة قامت بتلفيقها جماعة من الخصوم والأعداء، يعرفهم التاريخ كما يعرفون أنفسهم من أمثال قاضي القضاة أبي الحسن بن عبد الله النباهي المالقي والكاتب المعروف أبي عبد الله الوزير ابن زمرك على الخصوص.

لكن قبل أن نتمكن من إعادة النظر في الحكم الذي صدر بقساس على هذا الكاتب الفحل، يتعين علينا مراجعة حياة المتهم والوقوف على طائفة من آثاره العلمية كما يجمل بالباحث أن يكون على بينة من موقف المدعى عليه من القضايا الوطنية الكبرى التي كانت خلال القرن الثامن محط اهتمام المسؤولين في الأندلس والمغرب دونما

إهمال للنشاط الذي كان يقوم به صاحبنا في مجال أعماله اليومية والخدمات التي كان يقدمها لهذا وذاك من المواطنين بحكم الوظيفة السامية التي كان يشغلها في البلاط الملكي. تلك الوظيفة التي كانت لا محالة من الأسباب التي أذكت بالغيرة والحسد البغيض قلوب الجاحدين للنعمة التي كان يغدقها عليهم بغير حساب.

أجل. ظهر لسان الدين ابن الخطيب في أواخر القرن الثامن الهجري بالأندلس. كما هو معلوم، وتألق نجمه هناك بين نخبة ممتازة من المفكرين والشعراء والفلاسفة ممن اعادوا للأدب الأندلسي صفاءه وروعته وأسبغوا على التفكير العربي في العدوتين كامل رونقه وجدته بحكم العلاقات الوثيقة التي جمعت - منذ زمن بعيد - بين المغرب والأندلس، في ميدان السياسة والعلم والثقافة. وهكذا كان ابن الخطيب يعد من جملة طبقة خاصة لفتت إليها الأنظار من أمثال ابن سلطور الهاشمي، وأبي خاتمة الأنصاري شاعر المرية، والوزير أبي عبد الله بن الحكم اللخمي، والوزير أبي الحسن ابن الجياب، وأبي عبد الله محمد بن جزي الذي سيكون مضطرا للالتحاق ببلاط أبي عنان المريني بفاس، مغضوبا عليه من قبل يوسف أبي الحجاج يوسف ملك غرناطة، وهو الذي سيتولى تحرير رحلة ابن بطوطة الطنجي، ومن بين هؤلاء الفحول أيضا الوزير ابن الخطيب، والد لسان الدين، والقاضي أبو الحسن النباهي، المتقدم الذكر الذي سيقوم بإعداد صك الاتهام الموجه لأبي الخطيب، ثم أبو سعيد بن لب والوزير أبو عبد الله بن زمرك الذي سيكون معه لابن الخطيب حساب طويل عسير يوم أن يقوم الناس لرب العالمين، «إن ربك أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلم بمن اهتدى»

كان ابن الخطيب فعلا أحد هؤلاء العلماء الأقطاب الذين تألق نجمهم في المغرب والأندلس، إلا أن نجابته سرعان ما ظهرت عليهم جميعا لأن عبقريته كانت متعددة الجوانب، إذ استطاع أن يضيف إلى نبوغه كطبيب براعة لا غبار عليها في الأدب والفلسفة والشعر والنثر والتاريخ، ثم كان في الأخير وزيرا متحنكا ناجحا لامعا، فكيف لا يكون - والحالة هذه - معرضا لحسد الحاسدين ومناورات المغرضين الذين راحوا ينشرون من حوله إشاعات وأقاويل من شأنها أن تمس بسمعته، وهو صاحب البيت الرفيع والنسب الكريم ؟!

والذين يبحثون حياة هذا العالم الجليل بروح نزيهة مستقيمة لا ينفكون أن يخرجوا بنتيجة واضحة، لا غبار عليها، هي أن تلك الإشاعات كانت في معظمها إشاعات واهية مغرضة لا تستند على أساس متين كما يظهر ذلك من خلال المراحل المضطربة التي قطعها ابن الخطيب في حياته القصيرة سواء كان بالأندلس أو المغرب.

ولقد كفانا ابن الخطيب - جازاه الله بما هو أهل له في دار النعيم ! - مشقة البحث عن حياته حيث دون لمن يكون من بعده ترجمة كاملة لنفسه في كتابه المسمى : «الإحاطة في أخبار غرناطة» كما قص علينا - رحمه الله ! كثيرا من مراحل حياته السياسية في كتبه المختلفة الأخرى ولا سيما ما جاء في كتاب «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب»، وفي «اللمحة البدرية في الدولة النصرية»، وكذلك ما جاء في كتاب «ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب» ويستخلص من كل ما جاء في تلك المراجع أن اسمه هو محمد بن عبد الله ابن الخطيب، الملقب بلسان الدين، وأن أسرته استقرت أول مرة بقرطبة، ثم نزحت بعدها إلى طليطلة على إثر وقعة الربض الشهيرة في أيام الأمير الحكم ابن هشام (202 هـ - 817 م) وبعد ذلك شاءت الأقدار أن تنتقل إلى مدينة لوشة (   ) من أحواز غرناطة، وبها ولد ابن الخطيب سنة 713 هـ (1313 م).

هذا ولقد نشأ ابن الخطيب في بيت علم وفضل، إذ كان جده عالما ورعا كما أن والده عبد الله كان من كبار العلماء ومن فقهاء عصره. كتب له أن يسخر جهوده لخدمة ملوك بني الأحمر ابتداء من عهد السلطان أبي الوليد اسماعيل وعدد آخر ممن جلسوا على عرش مملكة غرناطة، ومما يذكر أنه كان مصاحبا للكاتب الشاعر الكبير أبي الحسن بن الجياب، وبالجملة يمكن القول في حق عبد الله ابن الخطيب أنه كرس حياته لخدمة بلاده والدفاع بالسيف عن حوزة وطنه إلى أن استشهد - رحمه الله ! في معركة طريف الشهيرة التي انكسر فيها جيش المسلمين

بالأندلس سنة 1340 م. بقيادة أبي الحسن المريني ومؤازرة يوسف أبي الحجاج عن مملكة غرناطة.

في هذا الجو المشحون بالعلم والجهاد نشأ محمد لسان الدين ابن الخطيب موجها عنايته لدراسة الشريعة الإسلامية واللغة والأدب على يد جماعة من أقطاب العصر أمثال أبي عبد الله ابن الفخار، شيخ النحاة في زمانه، والمحدث شمس الدين أبي جابر الوادي آشي، وأبي عبد الله بن مرزوق، الفقيه الشهير بالمغرب الكبير، والقاضي أبي البركات ابن الحاج البلفيقي، كما أخذ الأدب على يد الوزير أبي الحسن بن الجياب، إمام المنشئين نثرا وشعرا... وبعد ذلك درس الطب والفلسفة على أبي زكرياء يحيى بن هديل. وكان أبوه، كما تقدم، يشغل يومئذ وظيفة سامية في البلاط السلطاني، ثم انتقل منها إلى ديوان الإنشاء، إلى أن استشهد في معركة طريف مع ولده الأكبر - رحمهما الله وكتب لهما الجنة مع المتقين !

فلما توفي والده، سنحت إذ ذاك لابن الخطيب فرصة الارتقاء إلى خدمة السلطان مكان والده، وهناك تلقى أحسن الدروس في كيفية تدبيج الرسائل السلطانية على يد أستاذه الكاتب البارع أبي الحسن بن الجياب. فظهرت للناس براعته، وذاع في الأوساط العلمية نبوغه، ولما توفي ابن الجياب بالطاعون الذي أصاب البلاد سنة 1349 م. خلفه ابن الخطيب في رياسة ديوان الإنشاء وتلقب إذ ذاك بلقب الوزير. فلم يمض إلا زمن يسير حتى تألق نجمه وبعد صيته، وأغدق عليه السلطان من عطفه ما حرك ألسنة الحساد بالضغينة عليه بعد أن جعل منه كاتب سره، وابتداء من ذلك، صدرت عنه طائفة من الرسائل السلطانية، نقل إلينا المقري في «نفح الطيب» جملة منها، وهي من البراعة والإبداع وقوة السبك ما جعل عبد الرحمان بن خلدون يصفها قائلا بأنها من الغرائب في روعتها. وهكذا انتشرت سمعة ابن الخطيب وتمركز نفوذه في البلاط إلى درجة أن قلده السلطان أبو عبد الله محمد الغني بالله الوصاية على أمراء القصر، أبناء السلطان الهالك يوسف أبي الحجاج، وبعد مدة قصيرة تم تعيينه سفيرا لدى أبي عنان بفاس.

ولقد حالفه النجاح في هذه المهمة الصعبة الدقيقة إلى درجة مكنت ابن الخطيب بعدها من الاستئثار بثقة الغني بالله، ومن ثم استحق لقب ذي الوزارتين لجمعه بين الكتابة والوزارة إلى أن أذن الله جلت قدرته بأن تتغير الأمور غير الأمور بعدما تمت الإطاحة بالسلطان الحاكم ! وهناك تمكن أهل الشحناء، أعوان الثورة من القبض على ابن الخطيب، فاستخلصت أمواله، وكانت واسعة عريضة، تضم إلى الضياع وقوام الفلاحة كثيرا من الجنان والبناءات، وهو أمر يدلنا على أن ابن الخطيب كان يعيش في ترف وغنى لا حد لهما ربما كانا من الأسباب التي جرت عليه نقمة الناقمين، في طليعتهم تلميذه العاق أبو عبد الله ابن زمرك الذي راح يثير ضده الشحناء ويلاحقه بالسباب والتعيير... لكن نكبة ابن الخطيب، لحسن حظه، لم تدم طويلا، كما نقرأ ذلك في «الإحاطة» خاصة، وفي غيرها من الكتب والدراسات التي تعرضت لحياة صاحبنا حيث تمكن بمعية السلطان المخلوع من العبور إلى المغرب الذي كانت تجمعه بهما علائق ود وصداقة، نتيجة الدعم القوي الذي كان المجاهدون بالجزيرة يتلقونه باستمرار من دولة بني مرين التي سخرت كثيرا من مواردها للدفاع عن حوزة الإسلام ورد هجمات العدو بالأندلس... وهكذا أنزل السلطان محمد الغني بالله نزول يمن وبركة عند سلطان بني مرين، يرافقه وزيره ورفيقه في السراء والضراء، وهناك أنشد ابن الخطيب بين يدي أبي سالم قصيدته الرائعة التي يقول فيها :

قصدناك يا خير الملوك على النوى
لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر

إلى أن قال :

وأنت الذي تدعى إذا دهم الردى
وأنت الذي ترجى إذا اخلف القطر

وتمضي الأيام بحلوها ومرها... ويستقر محمد الغني بالله مدة من الزمان بمدينة فاس ينعم بعطف وكرم صديقه أبي سالم.. ويستقر لسان الدين ابن الخطيب بمدينة سلا لينعم فيها هو الآخر بعطف سلطان بني مرين

الذي لم يتأخر في مساعدته على اقتناء جملة من الدور والرياض والأراضي الفلاحية كما استجاب لتحقيق رغبته في القيام بجولة استطلاعية عبر أقاليم المملكة، عاد بعدها إلى سلا حيث انصرف إلى الكتابة، فنتج عن ذلك تدوين عدد من كتبه القيمة كما انهمك في تحرير جملة من تلك الرسائل السلطانية الرائعة... ومما يبعث على الاستغراب في هذا المقام بالذات، أو يثير على الأقل الشكوك في النفوس هو قرار ابن الخطيب بأن يتخذ مدينة سلا مقرا لسكناه، بعيدا عن سلطانه المخلوع. ألم يكن من الأولى به أن يستقر بجانبه، يجنح إليه عند الحاجة، فيقيم الدليل على حسن طويته وصدق اخلاصه ووفائه لملكه..؟ لكن ابن الخطيب الذي امتلأ قلبه بحب الدنيا وجمع المال فضل الإقامة بسلا لسبب واحد، هو أن يكون على مقربة من قبر أبي الحسن المريني، يجاوره ويحاوره في المنام ليلا... ثم ينقل إلى ولده أبي سالم الجالس على العرش ما قد يكون أوصى به الملك الراحل ولده مؤكدا على إخراج مساعدة مادية تعين ابن الخطيب على تحقيق مبتغاه في شراء الدور واقتناء الجنان؛ وهي، كما ترى، أساليب غريبة كان يستعملها ابن الخطيب أيضا كلما سعى إلى توظيف أحد أولاده بالبلاط المريني.

ترى، هل كان ابن الخطيب من محبته للمال وشغفه بحياة النعمة والترف ما جعله يتهافت على الدنيا تهافتا أفقده الرزانة والاعتدال في التصرف مع الغير باعتباره شخصية رفيعة ووزيرا سابقا لملك مخلوع ؟ ربما كان في موقفه هذا ما يعطي الدليل وخاصة للخصوم - وما أكثرهم يوم النكبة ! - على أن ابن الخطيب رغم ما كان يتحلى به من محاسن خلقية ثابتة إلا أنه مع ذلك كان رجلا ماديا، أنانيا، لا يحب إلا نفسه، ولا يعمل إلا لمصلحته، ومن ثم راح بعضهم يشيع في الأوساط أن أكبر همه كان منصرفا إلى جمع المال الذي هو ذاهب، لا محالة، مع ذهاب صاحبه...

والواقع أن ابن الخطيب وجد في مدينة سلا التي يدعوها بالثغر الشيق الجميل راحة وطمأنينة كان يرغب فيهما منذ زمن بعيد، وبالأخص يوم كان متحملا لعبء الوزارة الثقيل، فراح يهتم بشراء العقار واكتساب الأملاك على عادته يوم كان بالأندلس، وانكب على الكتابة، كما أسلفنا، بحيث يمكن القول بأن السنتين اللتين قضاهما بسلا الجميلة كانتا أخصب حياته الفكرية، وهذا الذي صرفه بالفعل عن فاس، ولو استقر بقاعدة بني مرين، بجوار سلطانه المخلوع لما استطاع أن يتفرغ للكتابة مستخلصا العبرة من تلك الأحداث السياسية التي كان الغرب الإسلامي مسرحا لها في ذلك الوقت. ثم إن هناك دليلا آخر على تمكن هذه المدينة من قلبه هو أنه حتى عندما جاءته الإشارة من الغني بالله - بعد عودة هذا الأخير إلى ملكه - بالالتحاق فورا بحاضرة غرناطة واستئناف عمله داخل القصر الملكي فإنه لم يظهر تحمسا شديدا لمغادرة المدينة على الفور، فلم يصحب معه أهله، بل تركهم بسلا، وفي ذلك دليل على الروابط المتينة التي جمعته بأهلها وخاصة بثلة من علمائها الأجلاء... ثم إنه لم يلبث وهو بالأندلس، أن اعرب عن رغبته الشديدة في العودة إلى سلا التي اشتد تعلقه بها، وبالجملة فإذا كان ابن الخطيب يميل للنزوح إلى المغرب فذلك لأن نفسه الكبيرة كانت تجد في هذا البلد الكريم المضياف من يكيل لها الإجلال والتقدير، ويحقق بالتالي لابن الخطيب ما كان يرغب فيه دائما، حياة غنية في جو ثقافي لا تروعها الأحداث ولا تعكر صفوها القلاقل والأزمات.

وتمضي عجلة الزمان تدور، ويظل محمد الغني بالله يرقب الأحداث... متحينا الفرصة التي ستمكنه - ومن يدري ؟ - من استرداد عرشه من الغاصبين، وذلك حتى إذا عيل صبره سنحت له تلك الفرصة المنتظرة، وذلك على إثر انقلاب أطاح بالسلطان أبي سالم المريني الذي خلفه في الحكم وزيره وصهره عمر ابن عبد الله، فسأل الغني بالله هذا الأخير أن يعينه على استرداد عرشه، ولم يمض بعد ذلك على الغني بالله إلا زمن يسير حتى ظهرت له بشائر الانتصار نتيجة ثورة أخرى وقعت بغرناطة ذهب ضحيتها السلطان اسماعيل.

وهكذا عاد أبو عبد الله محمد الغني بالله إلى عرشه مشيرا على ابن الخطيب بالتأهب للالتحاق فورا إلى سابق

مكانته بالوزارة. والتحق ابن الخطيب متباطئا بغرناطة، وكأن قلبه بقي مشدودا إلى المغرب، متصلا بمن تركه وراءه من أهل وصحاب، ولذلك لم يمكث هناك طويلا حتى شعر بنوع من الضيق كان السبب فيه أحد المقربين بالبلاط الأندلسي اسمه عثمان بن أبي يحيى. فيحتدم النزاع بين الرجلين ويشتد، ويروح ابن الخطيب بما وهبه الله من ذكاء، وما كان يتمتع به من منزلة خاصة لدى السلطان يذكي نار البغض ضده حتى ينتهي السلطان إلى التأثر بتحريضه، فيتعرض عثمان بن أبي يحيى لنقمة الملك وتحل به النكبة! وإذ ذاك يصبح الجو خلوا لابن الخطيب، ويروح يتصرف في أمور الدولة تصرف المستبد المطلق. فلا يلبث أن يثير حوله كثيرا من النقد اللاذع والكلام الجارح حتى سئم الحياة وضاقت به الأرض بما رحبت. ورغم أن السلطان لم يكن في أول الأمر يعير كبير اهتمام لتلك الإشاعات إلا أنه أصبح في الأخير يتأثر لمفعول وشايات الخصوم... وأحس بذلك ابن الخطيب، صاحب القلب الكبير والهمة المترفعة، فلم يسعه إلا أن يفكر في مغادرة بلاد الأندلس للقيام بفريضة الحج، فرارا من وسط أصبح يعاديه، ورفاق أصبحوا يكيدون له كيدا. ومعلوم أن في طليعة أولئك الذين تزعموا هذه الحركة الضالة يوجد تلميذ ابن الخطيب سابقا هو محمد بن يوسف المدعو ابن زمرك الذي كان يسعى - باللخسة! - في تنحيته من الوظيفة ليتقلد مكانه اعباء الوزارة، كما قام في وجهه خصم آخر، وأي خصم؟ راح يكيد له القدح ويجاهره بالعداوة هو أبو الحسن النباهي، قاضي القضاة الذي ضم صوته إلى جماعة المتنكرين لابن الخطيب، بل ذهب به الغلو إلى أنه رماه بالزندقة والاستخفاف بشؤون الدين، وهي تهمة خطيرة يقع عبؤها على صاحبها إلى يوم الدين!

وأمام هذه الحملات المغرضة ترى ابن الخطيب يعدل عن فكرة الحج، ويفكر في مغادرة الأندلس نهائيا، لاجئا بنفسه إلى المغرب الحبيب الذي كان يعتز بالانتساب إليه باعتباره مأوى المجاهدين، ومصدر المقاتلين في سبيل رب العالمين... ومن ثم لم يتردد في مكاتبة السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن المريني - ولم تكن إذ ذاك العلاقات بينه وبين الغني بالله على أحسن ما يرام - ليعرض عليه القدوم إلى المغرب بقصد الاستيطان والاستقرار، ثم نراه يعمل الحيلة ليحظى بموافقة الغني بالله على أنه يرغب في القيام بجولة تفقدية لأقاليم الجنوب، ثم يغتنمها فرصة لعبور البحر عن عزم وسابق إصرار، كما يقولون في جمع من الحشم والأعوان. فيصل فجأة إلى المغرب، ويستقر بجوار السلطان عبد العزيز، وذلك في الوقت الذي كان هذا الأخير محاصرا لمدينة تلمسان...

ولم تمض بالطبع إلا أيام قلائل حتى يشيع خبر مغادرته خفية لأرض الوطن، فيصبح الخصوم باللخيانة الكبرى!! ويقولون: «ألم يكن ابن الخطيب حقا من الاستهتار بالعقود التي تجمع الخادم بالمخدوم بحيث سمح لنفسه بمكاتبة الخصم بالضفة الأخرى في شؤون سرية لا تتعلق إلا بمملكة الأندلس؟ ألم يسجل بفراره هذا على نفسه ضعف العقيدة والاستخفاف بمصير دولة رمى إليه صاحبها بمقاليدها في يده، فأساء التصرف وخابت فيه الظنون؟! ولم هذا التكتم وهذا التستر قبل الهروب للإفلات من العدالة لو كانت نيته حقا صافية سليمة؟

والواقع أنه ليس من اليسير على الخصوم مهما كثر عددهم، ونبغت اسماؤهم أن يقدموا الدليل على أن ابن الخطيب كان من المارقين عن الدين، مستهترا بأحكام الدولة. بل المصادر تثبت عكس ذلك بمعنى أنه كان على بينة مما يجب التمسك به من القوانين قصد المحافظة على كيان الدولة، ودليل ذلك ما جاء على لسان القاضي أبي العباس أحمد بن أبي القاسم الحسني، قال: «إن الرئيس أبا عبد الله ابن زمرك دخل على الشيخ ذي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب يستأذنه في جملة مسائل مما يتوقف فيها عادة على إذن الوزير، وكان معظمها فيما يرجع إلى مصلحة الرئيس أبي عبد الله. قال: فأمضاها كلها له. ما عدا واحدة منها تضمنت نقض عادة مستمرة، فقال له ذو الوزارتين ابن الخطيب: لا، والله. يارئيس أبا عبد الله. لا آذن لك في هذا، لأنا ما

استقمنا في هذه الديار إلا بحفظ العوائد». فكيف يصبح لابن زمرك بعد هذا أن يرمي أستاذه الجليل بالاستخفاف بقوانين الدولة وكل ما يستقيم به أمورها من العادات ؟

نعم كان ابن الخطيب، وهو بالأندلس، يتمتع بثروة واسعة ربما استعمل في جمعها وسائل قد لا يطمئن إليها الضمير، ولذلك راحت ألسن الناس تلوكه وتتقول عليه متهمة إياه بشتى العيوب التي من الصعب إثباتها في حق شخصية كانت تنعت في المجتمع الأندلسي بشمس أفق الأندلس، وواسطة سلكها، وفريدة دهرها. أما ما يتعلق بمغادرته لأرض الجزيرة فجأة فلم يتفطن أولئك الحساد والناقمون إلى أن تصرف ابن الخطيب لم يكن غريبا في حد ذاته، بل كان مفهوما ومقبولا في تلك الظروف التي كانت تعيشها بلاد الأندلس والمغرب، باعتبارهما مملكتين إسلاميتين متجاورتين، لا سبيل لإحداهما أن تحيا بمعزل عن الأخرى بحكم اقتناع المسؤولين هنا وهناك بضرورة العمل المستمر الذي تفرضه وحدة المصير؛ فقد كانت مملكة بني الأحمر تعتبر بمثابة الجناح الواقي بالنسبة لبلاد المغرب، ومن أجل ذلك كان سلاطين بني مرين يرون أنفسهم مطالبين بإمداد الثغر الشمالي بما هو في حاجة إليه من الجند والعتاد لتمكين المسلمين بالأندلس من رد هجمات العدو عند الضرورة. فلم لا يحل لكبير الوزراء بحضرة غرناطة، والحالة ما ذكر، أن يكاتب، ولو في ظل الخفاء، ملك المغرب في شؤون تتعلق بمستقبل حياة هاتين المملكتين، بعدما اصبحتا مشتركتين في السراء والضراء، متعاونتين دوما على البر والتقوى ؟ والدليل على أن ابن الخطيب لم يكن يرى أي ضير في مكاتبة السلطان عبد العزيز هو أن هذا الأخير لم يتأخر، وقد استجاب لرغبة الوزير، عن تعيين سفير له إلى الغني بالله - هو أبو يحيى بن أبي مدين - يرجو من أخيه الموافقة على ترحيل أسرة ابن الخطيب إلى المغرب، ولو لم يكن الجو السياسي السائد إذ ذاك داخل البلاط الأندلسي صافيا هادئا بحيث يمكن وصفه بالرضى والتعقل لما استطاع ابن الخطيب أن يكاتب ملك المغرب شخصيا، ولما تجرأ أحد في الجزيرة على وصفه بالغدر والخيانة، بل ربما رأى الناس في تصرفه هذا سلوكا طبيعيا مناسبا للأعراف السياسية في ذلك الزمان نظرا للثقة والحظوة اللتين كان هذا الفقيه الجليل والكاتب المبرز يتمتع بهما لدى المسؤولين في كلتا المملكتين، واعتبارا للخدمات القيمة التي ما فتئ يقدمها لهم بكل نزاهة واخلاص...

لكن تنكر المتنكرين كان قد بلغ بالقوم أعلى مستواه، فراح كل ناعق استطاع أن يعبر ويسفل لا يتورع من أن يتخذ لنفسه في هذه المعركة موقف المواطن الصالح، ويحاول في نفس الوقت أن يلبس الرئيس ابن الخطيب جلباب الضعفاء الخائنين لأمانتهم. أما ابن الخطيب فقد كان يعتقد عن حسن نية أن اعتبارات سياسية خاصة هي التي أباحت له أن يتصرف هذا التصرف الذي يبدو لنا غريبا بمغادرته أرض الأندلس فجأة.

والواقع أن المتتبع لحياة هذا الرجل العظيم ومغامراته السياسية لا يلبث أن يرى أن ابن الخطيب كان يتمتع بحس سياسي مرهف، هو ذلك الإحساس الدقيق الذي مكنه من أن يتصوره قبل غيره، خطورة الموقف الذي كان يوجد عليه المسلمون بالأندلس وما كان يتطلب ذلك الوضع من حذر ويقظة؛ ومن ثم فكان لا يفتر عن تنبيه المسلمين هنا وهناك من مغبة ما كانوا عليه من تنافر وتناصر في الوقت الذي كانت جيوش النصارى تعمل على احتلال أراضي المسلمين الواحدة تلو الأخرى طبق عملية منظمة مدروسة ستؤدي لا محالة بالملك فرديناند والملكة إيزابيلا زوجته - بعد حين من الزمان - إلى إخراج المسلمين من الأندلس نهائيا. وهذه بادرة لم يكن باستطاعة أحد من كبار المسؤولين أن يدلي بها لأنها كانت وليدة ذلك البعد السياسي الخاص الذي جعله يتنبأ بالأحداث الخطيرة قبل وقوعها. ثم لا يجب أن ننسى أن هذا الرجل ظل ردحا من الزمن منفذا لسياسة البلاط الأندلسي، مسيطرا على الأحوال السياسية بالأندلس باعتبار ما عرفه من ظروفها واتجاهاتها كأحد أقطابها المسيرين، فإذا أضيف إلى ما تقدم أن ابن الخطيب استطاع خلال الفترات التي قضاها في المغرب قبل النفي وبعده، أن يتصل شديد الاتصال بالبلاط المريني ويطلع من ثم بكل دقة على الظروف والاتجاهات

السياسية التي كانت تطبع الحياة السياسة بالمغرب أمكننا القول بأن صاحبنا استطاع نتيجة هذه التجارب كلها أن يكون لنفسه فكرة واضحة عن السياسة العامة التي لا بد أن تتمسك بها المملكتان معا، المغرب والأندلس في إطار ما يفرضه عليهما التماسك والالتحام خدمة لوحدة الهدف والمصير المشترك. وقد يكون هذا الذي سمح لابن الخطيب على مغادرة الأندلس دون اشعار ملكه بهذا القرار الخطير في أعيننا الذي كان يبدو للمواطنين بالأندلس غريبا خاطئا في حين كان يراه ابن الخطيب معقولا مقبولا.

والواقع أنه من حقنا أن نتساءل : «لو كان الأمر كما كان يظن الفقيه الجليل فلم رأى من الواجب أن يبعث برسالة إلى ملكه من جبل الفتح، يدافع فيها عن نفسه، ويشرح له الأسباب التي دفعته إلى الإقدام على هذه الخطوة الجريئة خوفا من تكالب الأعداء، واحتماء بالسلطان عبد العزيز ملك المغرب ؟ ولا غرابة أن يغتنمها الخصوم فرصة لمعاودة الكرة عليه، متهمين إياه بأشد التهم وأخطرها. وها هو أبو الحسن النباهي يجتاز خطوة أبعد من الأولى، فيوجه له - وقد تمكن ابن الخطيب من الاستقرار بالمغرب - صك اتهام شديد اللهجة، يعدد فيه ما سجله عليه من عيوب ومثالب لا تغتفر، في نظره، أهمها حرصه على كسب متاع الدنيا كاقتناء العقار والجنان مما أدى به إلى التدخل في شؤون الشريعة الإسلامية تلاعبا بالأحكام. كما أنكر عليه بشدة ما جاء في الرسالة التي بعث بها إليه ابن الخطيب من المغرب، معتدا بنفسه، مشيدا بالخدمات التي حققها لبلاده، وهو وزير. ويرد عليه أبو الحسن النباهي بقوله : «إن ذلك كله من باب المن المذموم...» ولم يقف عند هذا الحد من النقد المرير، بل تجرأ عليه حتى رماه بالزندقة. ومعلوم أن كل من كان يهتم بالفلسفة - وابن الخطيب من بينهم - أو كان يتعاطى علم التنجيم في الأندلس، كان عرضة للقدح، ومخاطرا بنفسه أمام الخاصة والعامة. ومن أجل ذلك كان الحاجب محمد بن أبي عامر - حرصا منه على توسيع دائرة النفوذ الذي كان يسعى لادراكه في أول حياته السياسية - لا يهتم أبدا بالفلسفة، ولا يجالس من كان يتعاطاها، أو كان يشتغل بعلم التنجيم. وجاء في صك الاتهام الذي حرره النباهي شيء آخر نجمله في قوله : «ولو أنكم سافرتم قبل تقلص ظل السلطة عنكم لكانت الدولة المسلمة، امتعاضا لدينها ودنياها، قد برزت لطلب الحق منكم، فليس يعلم أنه صدر من مثلكم، من خدام الدولة ما صدر منكم من العبث بالابشار والأموال، وهتك الأعراض، وافشاء الأسرار، وهتك الأستار، واستعمال المكر والحيل والغدر في غالب الأحوال للشريف والمشروف».

ومن الغريب المؤلم حقا أن ينحدر قاضي القضاة إلى هذا الدرك الأسفل من السباب في عداوته لابن الخطيب، وهو الذي كان ينعته، من قبل، بأسمى الصفات وأجمل النعوت والألقاب يوم كان هو الآخر لاجئا إلى المغرب أثناء المحنة السياسية الأولى التي اطاحت بسلطان ابن الخطيب ووزيره معا، بل كان أبو الحسن النباهي - وهو يشاطرهما إذ ذاك حياة المنفى - يتمنى بمجرد ما تنقشع غيوم المحنة، وتعود المياه إلى حالتها الطبيعية، أن يلتحق من جديد بوظيفته السامية وذلك طبعا بفضل ابن الخطيب وما كان يتمتع به من ثقة ونفوذ لدى أبي عبد الله محمد الغني بالله... إلا أن الأحداث درات دورتها، فانقلبت الأوضاع السياسية، فأطيح بسلطان بني مرين، وانتقل الحكم إلى غيره ممن كان مواليا لسلطان الأندلس الغني بالله - بعد فرار ابن الخطيب ومغادرته للأندلس فجأة كما سبق الحديث إلى ذلك بشيء من التفصيل - وكان الغني بالله، وقد تمكن من استرجاع عرش بلاده، قد أذعن للتهم التي كان يروجها ضد ابن الخطيب زعماء الفتنة... ويبادر إذ ذاك الغني بالله إلى المطالبة بالقبض على ابن الخطيب وسجنه. فلم يتردد احمد السعيد المريني في تلبية رغبة صديقه سلطان الأندلس الذي كان يتحرق انتقاما من وزيره السابق بما أكده الخصوم لديه من تآمره مع السلطان عبد العزيز واغرائه على غزو بلاد الأندلس... ورأى السلطان أحمد السعيد أن يعقد مجلسا بخاصة هذه القضية المؤلمة حضره، ويالأسف ! أبو عبد الله زمرك الذي صدرت إليه الإشارة بالتحقيق فيها...

واستدعي ابن الخطيب، كبير العلماء، ورئيس الوزراء للاستماع إلى ما جاء في صك الاتهام والدفاع عن نفسه... وراح ابن الخطيب يقدم الحجة تلو الحجة لتبرير ساحته بما عهد فيه من براعة في القول وبيان في الأدلة والبراهين، ولا يفوته أن يختتم مرافعته بقوله تعالى : «**إن ربك أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى**»، ورغما عن قوة تلك البراهين فإن أحدا من القضاة لم يتأثر ولا اقتنع بصحتها، بل أجمعوا كلهم على أن ابن الخطيب ارتكب من الجرائم حقا ما يستحق به الإعدام. وعقب هذا الحكم الجائر المتعسف، حمل فورا إلى السجن، ولم يلبث أن دخل عليه جماعة من الأوغاد وقتلوه خنقا، لا نادمين، ولا خائفين من عذاب الله، أولائك لهم سوء الحساب، ومأواهم جهنم وبئس المهاد». ثم أحرقت جثة الفقيد الشهيد، ومن الغد وقع دفنها قرب باب المحروق بفاس... وهكذا مات ابن الخطيب الفقيه الجليل، الفيلسوف اللامع والكاتب البارع الذي نعى نفسه بنفسه، وهو سجين بتلك المقطوعة الشعرية الرائعة المؤثرة التي يقول فيها :

بعدنا وإن جاورتنا البيوت
وجئنا بوعظ ونحن صموت
وأنفاسنا سكنت دفعة
كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما
وكنا نقوت منها نحو قوت
وكنا شموس سماء العلا
غربنا فناحت علينا البيوت
فكم خذلت ذا الحسام الظبا
وذو البخث كم خذلته البخوت
وكم سيق للقبر في خرقة
فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب
وفات ومن ذا الذي لا يفوت
فمن كان يفرح منكم له
فقل يفرح اليوم من لا يموت

وهكذا هدأت أنفاس ابن الخطيب بعدما سطع نجمه في سماء المغرب والأندلس، واطمأنت، لكن ليس بإمكان نفوس المجرمين الآثمين أن تميل إلى الهدوء، أو تحظى بالاطمئنان بعد جريمتهم النكراء، ولقد حقت فيهم كلمة ربك حيث قال وهو أصدق القائلين : «**والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا**»؛ والذي لا شك فيه أن هؤلاء المعتدين كانوا يدركون إزاء ما قاموا به من عمل ذميم شنيع يستوجب السخط والإنكار فداحة الخطب الذي ذهب ضحيته قطب من اقطاب الأمة الإسلامية وعلم من أعلامها المبرزين بالعدوتين.

الرباط ـ **محمد محي الدين المشرفي**



اشارات حول
الاشعاع الفكري والحضاري
لمدينة تطوان

للأستاذ محمد العربي الشاوش

نص المحاضرة التي ألقاها الكاتب في قاعة المكتبة العامة بتطوان بدعوة من المندوبية الجهوية لوزارة الثقافة بتطوان ضمن الأيام الثقافية التي نظمتها المندوبية المذكورة في شهر نوفمبر 1982 بمناسبة ذكرى المسيرة الخضراء.

الحديث عن مدينة تطوان ومركزها الفكري والحضاري لا يكتمل إلا بإلقاء نظرة سريعة على المنطقة الشمالية من المملكة المغربية التي كانت هذه المدينة المجيدة الأصيلة عاصمة لها، لا في عهد الحماية الإسبانية فقط، بل وفيما قبل الحماية بقرون، وخاصة منذ القرن الحادي عشر الهجري والسابع عشر الميلادي، حينما قام أمير المؤمنين مولاي إسماعيل العلوي بإسناد ولاية المنطقة الشمالية إلى المجاهد القائد علي بن عبد الله الحمامي، فامتد نفوذه من تطوان إلى الناضور، وكانت تطوان مركزا لهذه الولاية التي كانت من أبرز ولايات المملكة المغربية في القرن الأول لقيام الدولة العلوية الشريفة أدام الله عزها وخلد في الصالحات مجدها وذكرها.

وإذا كانت المنطقة الشمالية المغربية على وجه التحقيق تمتد حول البحر الأبيض المتوسط وبوغاز جبل طارق، من رأس اسبارطيل بطنجة غربا إلى ضفاف نهر ملوية شرقا، مرورا بمدينتي سبتة وتطوان في الناحية الغربية، إلى مليلية والناضور في الناحية الشرقية، فإن التحديد السياسي والإداري للمنطقة هو ما نقصده في هذه الإشارات، وقد وقع هذا التحديد طبقا للفصل الخامس من معاهدة باريس الإسبانية ـ الفرنسية المؤرخة في 27 نونبر 1912.

ووفقا للمعاهدتين المذكورتين، نستثني من المنطقة الشمالية مدينتي سبتة ومليلية لوجودهما سياسيا وإداريا في حكم المستعمرات الإسبانية منذ احتلالهما في القرن التاسع الهجري والخامس عشر الميلادي إلى الوقت الحاضر، هيأ الله أسباب تحريرهما في ظل أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني أعزه الله ونصره.

كما تستثني من المنطقة كذلك مدينة طنجة التي كانت تعتبر في وضعية دولية خاصة. بناء على ما نص عليه الفصل التاسع من معاهدة باريس المشار إليها فيما تقدم. وأكده الفصل الأول من معاهدة فاس المغربية - الفرنسية المؤرخة في 30 مارس 1912. وكذلك الفصل السابع من اتفاقية مدريد المذكورة فيما سبق. ووقع تطبيقه وفقا للاتفاقية الثلاثية الإسبانية - الفرنسية - الإنجليزية المؤرخة في 8 دجنبر 1923. ثم ضمت طنجة إلى المنطقة الشمالية سياسيا وإداريا بعد سقوط فرنسا في الحرب العالمية الثانية يوم 14 يونيه 1940 وصدر بذلك قرار من الجنرال فرانكو رئيس الدولة الإسبانية في 23 نونبر 1940 وبقي العمل جاريا بذلك إلى نهاية الحرب المذكورة سنة 1945 حيث طالبت الأطراف المعنية بإعادة منطقة طنجة إلى الوضعية الدولية. فعادت إلى تلك الوضعية التي انتهت في 29 اكتوبر 1956 بإلغاء النظام الدولي وإدماج منطقة طنجة في التراب المغربي المحرر بناء على اتفاقية باريس المغربية - الفرنسية المؤرخة في 2 مارس 1956 واتفاقية مدريد المغربية - الإسبانية المؤرخة في 7 أبريل 1956.

وكانت المنطقة الشمالية التي نتحدث عنها قد صارت تحت الحماية الإسبانية بناء على معاهدتي فاس ومدريد سنة 1912 كما تقدم. وكان دخول جيش الاحتلال الإسباني إلى تطوان دخولا سلميا يوم 19 فبراير سنة 1913 (12 ربيع الأول عام 1331 هـ) بقيادة الجنرال (فليب ألفاو مندوصة) وهو أول مقيم عام لإسبانيا بتطوان. وآخر مقيم عام هو الجنرال (رافايل غرسيا بالينيو) الذي انتهت مهمته بإعلان الاستقلال والوحدة بناء على اتفاقية مدريد سنة 1956 كما تقدم.

وقد نصت اتفاقية 27 نونبر 1912 السابقة الذكر على أن تكون تطوان عاصمة لمنطقة الحماية الإسبانية. وفيها يقيم خليفة جلالة ملك المغرب. وكان أول خليفة هو الأمير مولاي المهدي بن اسماعيل بن محمد الرابع. وبه تسمى الساحة المعروفة (بساحة مولاي المهدي) حيث توجد الكنيسة الكاثوليكية الإسبانية. وأرض هذه الكنيسة كانت ملكا للأحباس الإسلامية. وكانت مخصصة لصلاة الأعياد الدينية. فوضع الإسبانيون يدهم عليها وأقاموا فيها كنيستهم بعد الاتفاق على نقل المصلى إلى طريق مرتيل حيث توجد الآن. وكان تنصيب مولاي المهدي خليفة في تطوان يوم 27 أبريل سنة 1913 واستمر في مهمته إلى أن توفي سنة 1923 ودفن بالزاوية الحراقية بتطوان.

ثم أسندت الخلافة إلى ولده مولاي الحسن بن المهدي ووقع الاحتفال بتنصيبه يوم 8 نونبر سنة 1925 واستمر في مهمته إلى أن وقع إدماج المنطقة الشمالية في المغرب المستقل الموحد في تظاهرة وطنية كبرى كان في طليعتها جلالة الملك المقدس محمد الخامس يوم 9 أبريل سنة 1956. وأصبحت تطوان إقليما بارزا من أقاليم المملكة. وكان أول عامل لهذا الإقليم بعد الاستقلال والوحدة هو الأستاذ الطيب بنونة المتوفي سنة 1981. كما كان الأستاذ عبد الخالق الطريس المتوفى سنة 1970 وزيرا مشرفا على تسليم السلط من يد الحكومة الإسبانية إلى يد الحكومة المغربية. وإدماج الإدارة الشمالية في الإدارة المغربية المركزية في شهر يوليوز سنة 1956.

والجدير بالذكر أن المنطقة الشمالية المشمولة بالحماية الإسبانية عرفت كذلك بالمنطقة الخليفية نسبة إلى خليفة جلالة الملك الذي تقرر أن يمثل جلالة الملك في إطار الوحدة المغربية التي نصت عليها معاهدة الجزيرة الخضراء سنة 1906. وهذا الإطلاق من ابتكار الحركة الوطنية الشمالية لتعارض بها جملة (منطقة الحماية الاسبانية) معربة بذلك عن التمسك بالمشروعية الممثلة في خليفة جلالة الملك رمز الوحدة الوطنية. واستطاعت الحركة الوطنية أن تفرض اسم (المنطقة الخليفية) حتى على الإدارة الإسبانية التي لم تر بأسا في هذا الإسم ما دامت المنطقة الخليفية مشمولة بالحماية الإسبانية. ولم تعارض في هذا الإسم أيضا محاولة منها في كسب الرأي العام الوطني إلى جانبها لتأكيد مشروعية وجودها وإشرافها على ما كان يسمى بالحكومة الخليفية.

كانت المنطقة الخليفية تمتد من شواطئ أصيلا والعرائش على المحيط الأطلسي غربا إلى حدود نهر ملوية

شرقا، في مساحة تقدر بإثنين وعشرين ألف كيلومتر مربع، قسمت إداريا إلى مقاطعتين كبيرتين :

إحداهما هي المقاطعة الشرقية، وتشتمل على ناحيتين : 1) ناحية الكرت، وقاعدتها مدينة الناضور، 2) ناحية الريف، وقاعدتها مدينة الحسيمة.

والثانية هي المقاطعة الغربية، وتشتمل على ثلاث نواح : 1) ناحية غمارة، ومركزها مدينة شفشاون، 2) وناحية جبالة، ومركزها تطوان، 3) والناحية الغربية أو ناحية لكوس، ومركزها مدينة العرائش، وتتبعها مدينة أصيلا ومدينة القصر الكبير.

وكان عدد سكان المنطقة الخليفية في أول الحماية يقدر بستمائة ألف نسمة، من بينهم ثلاثون ألف نسمة في تطوان عاصمة المنطقة، وحسب النمو الديمغرافي للمنطقة فقد بلغ عدد السكان حسب الإحصاء الإسباني سنة 1950 مليون نسمة، من بينهم خمسة وثمانون ألف أوربي. أما عدد سكان تطوان خاصة حسب الإحصاء المذكور فقد ارتفع إلى واحد وثمانين ألف نسمة.

وكانت تطوان طيلة أعوام الحماية الإسبانية كما كانت قبل الحماية منارة جهاد وثقافة وحضارة، ففي سنة 1727 كتب ديبلوماسي انجليزي هو (برايت وايت) مذكرة عن زيارته للمغرب صحبة السفير الانجليزي (مستر جان روسل) قال فيها بخصوص مدينة تطوان بأنه وجدها : (أفضل بكثير من جميع المدن الأخرى التي شاهدوها في رحلتهم، ويؤيد فضلها جمال الأراضي التي تحيط بها، وبها تجارة شعب من أقوى الشعوب روحانية، وأكثرها تمدنا في الامبراطورية المغربية) وقد ترجم كتابه للفرنسية بعنوان : (هيستوار دي Histoire des révolutions de l'empire du Maroc أي (تاريخ ثورات الامبراطورية المغربية...) وطبع سنة 1731 في أمستردام، وقد أثبت ذلك الأستاذ محمد داود في (تاريخ تطوان) وهذه شهادة ديبلوماسية لها قيمتها التاريخية والحضارية.

وفي العصر الحاضر جاء الدكتور عبد المنعم سيد عبد العال ليعطينا وصفا أدبيا مركزا في كتابه : (لهجة شمال المغرب ـ تطوان وما حولها ـ طبعة وزارة الثقافة المصرية سنة 1388 هـ ـ 1968) قال فيه (تطوان أو عروس الشمال، مدينة تبعد عن طنجة بما يقرب من ستين كيلومترا، وهي مدينة جميلة، والجمال لا يصور حقيقتها، بنيت فوق تل درسة، إزاء جبال بني حزمار، وأحيطت ببساتين يسقيها وادي مرتيل إذا كنت مقبلا عليها نهارا بدت لك من بعيد بعماراتها وبيوتها وكأنها مجموعة من الزهر الأبيض، نسقتها الطبيعة تنسيقا يستهوي العين، ويسعد الخاطر، ويأخذ بمجامع القلوب، فإذا كان الليل رأيتها هيفاء، يغلبها الحياء، فتستتر وراء الجبل مختفية عن عينيك، ويملؤها الزهو فتخرج من مكمنها سافرة تعرض عليك مفاتنها في ثوب شفاف من الضوء يظهر جمالها ويضاعف بهاءها، ويتكرر السفور والحجاب فتنعم بدلالها، وتقر عيناك بمرآها، وإذا استقام لك الطريق هفت نفسك إليها حين تراها ترحب بك، وأريج حدائقها يدعوك، حتى إذا ما وصلت إلى حرمها ضمك صدرها، فتشعر بالراحة، ويسري إلى نفسك الاطمئنان، يرى فيها زائرها فتاة جميلة المحيا باسمة الثغر، لا يمل المقيم فيها بمرور الأيام لها عشرة، ولا يسأم لطول العهد فيها بقاء، شبابها رغم قدم مولدها في تجدد، وحيويتها في ازدياد، خطاب ودها كثيرون، والقاصدون إليها أكثر، وسعتهم رحبانها، ووجدوا مختلف أنواع الرزق في جنباتها، فامتلأت بسكانها، واكتظت بالوافدين عليها... وتطوان عامرة بالعديد من معاهد العلم التي يقصدها كثير من طلابه الوافدين عليها من نواح مختلفة، كما ان بها ثكنات للجيش، ومصالح حكومية عديدة...

وأظهر ما في تطوان تجارتها، وما يتصل بهذه التجارة من أعمال... وقد أغرت حركة التجارة الواسعة فيها كثيرا من سكان المغرب على الهجرة إليها، فاستوطنها سكان الريف من أهل الشمال، والفاسي والمكناسي والمراكشي والسوسي من أهل الجنوب، وغيرهم كثيرون...

شهادتان بارزتان، إحداهما لديبلوماسي انجليزي في القرن الثامن عشر، والثانية في القرن العشرين لكاتب عربي مصري أقام في مدينة تطوان أربعة أعوام ـ كما في مقدمة كتابه السابق الذكر ـ في إطار التعاون الثقافي المغربي المصري في السنوات الأولى لاستقلال المغرب.

أثبتناهما - وغيرهما كثير - تمهيدا لحديثنا عن مكانة تطوان وإشعاعها الحضاري قديما وحديثا. لكيلا يقال بأن المتحدث قد غمره الشعور بالتحيز لمسقط رأسه. والتعصب لمقر آبائه وأجداده وأسرته. فما في التحيز والتعصب فائدة لذوي العقول المستنيرة. وقد قال تعالى في الكتاب الكريم : **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم. إن الله عليم خبير)** س 13 الحجرات.

ونتوج الشهادتين السابقتين بشهادتين ساميتين وكريمتين. وهما رغم قدمهما في تجدد مستمر وإشراق دائم.

الأولى لجلالة الملك المقدس محمد الرابع في رسالة مؤرخة في 14 شوال سنة 1278 هـ (1862) إلى أهل تطوان بمناسبة جلاء القوات الإسبانية عن المدينة بعد الحرب المفروضة على المغرب سنة 1860 والمعروفة بحرب الستين. وقد ورد في الرسالة الملكية المذكورة ما يلي : « إن هذه المدينة المباركة كانت غرة في جبين المغرب الأقصى، لا تحد أوصافها ولا تستقصى. وأنه يتعين القيام على ساعد الجد لتعود بحول الله إلى حضارتها، وحسنها ونضارتها».

والثانية لجلالة الملك المقدس الحسن الأول في رسالة مؤرخة في 22 محرم سنة 1307 هـ (17 شتمبر 1889 م) إلى أهالي تطوان بعد أسبوع واحد من زيارته التاريخية لها حيث أقام بها أسبوعين كاملين من فاتح المحرم 1307 هـ إلى اليوم الخامس عشر منه. (27 غشت إلى 11 شتمبر 1889 م) يتفقد فيها أحوال المدينة وسكانها. وقد ورد في الرسالة الملكية المشار إليها ما يلي : «نعمت البلدة أهلا ووطنا، وثغرا ومأمنا، فهي مدينة الرياضة الروحية، وخلوة القراءة والعبادة والإلهام. وأهلها حملة القرآن وأهل الله. وعلى فطرتهم الدينية ليس فيها اشتباه. على ما تجمل به أهلها من التوفيق لحسن الائتلاف. ورقة الأخلاق وتوطئة الأكناف. تحقيقا منهم لحسن الديانة، وفوزا برضى من رفع على الأنبياء مكانه. لقوله صلى الله عليه وسلم إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة. أحاسنكم أخلاقا. الموطأون أكنافا. الذين يألفون ويؤلفون».

والجدير بالذكر أن جلالته بعد هذه الزيارة مباشرة أرسل ولده مولاي عمر إلى تطوان لدراسة العلم على شيوخها. فأقام بها لهذه الغاية معززا مكرما سنتين كاملتين.

وحيث قد عرفنا مقام تطوان الروحي. ومكانتها التاريخية البارزة بين مدن المملكة المغربية الشريفة. وجب علينا أن نتساءل : متى كانت تطوان ؟ وما هي الأدوار التي لعبتها على مسرح التاريخ وجعلت منها مدينة محبوبة ومرهوبة في نفس الوقت ؟. محبوبة لأنها مدينة الإلهام والإشراق والوداعة والسلام. ومرهوبة لأنها رباط جهاد ومعقل نضال. وعرين زعامة فكرية وروحية. ومنبر توجيه وريادة وقيادة. مع ما اتسمت به من مرونة السلوك. ورهافة الحس. وحسن التفهم. ولطافة الذوق. والجنوح إلى المسالمة والملاينة. في ترفع وإباء. وحذر ومضاء. فانطبقت هذه السمات على ما وصفت به من تفاحة فيحاء. وحمامة بيضاء. والتفاحة رمز للخصب والمودة والوفاء. والحمامة رمز للسلام والألفة والصفاء. كما وصفت بعروس الشمال الحسناء اليافعة. ونجمة الناحية الجبلية اللامعة. وحديقة الجمال اليانعة. وما أراني بالغت ولا أطنبت. وقد قدمت في صدر الكلام من النصوص ما قدمت. وذلك ما ساعد على إكمال الوصف. واستدراك ما تقدم بالإضافة وواو العطف

فصغت لها عقدا من الوصف لا معا

(وفي عنق الحسناء يستحسن العقد)

وفيما يلي سنقدم إشارات إلى ما ذكرناه وأومأنا إليه. توضيحا لاسم تطوان. وتاريخ ظهورها وتجديدها. ودورها الحضاري والفكري والنضالي عبر التاريخ.

فقد ذكرها المؤرخون بعدة أسماء. منها اسم تيطّوَن (بتاء مكسورة. وطاء مشددة ممدودة مع الفتح. وواو مضمومة. ونون في آخر الكلمة) ذكرت بهذا اللفظ في كتاب «نزهة المشتاق» للشريف الادريسي السبتي المتوفى سنة 1252 م. وفي (نزهة الحادي) للافراني المراكشي المتوفى سنة 1727 وهذه الصيغة هي المشهورة والمعتمدة عند سكان المدينة القدماء.

وذكرت باسم تطّاوين (بتاء مكسورة، وطاء مشددة مفتوحة مع المد، وواو مكسورة مع المد، ونون في الآخر) وردت بهذا اللفظ في كتاب (وصف افريقيا) للحسن الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي المتوفى سنة 1552. وفي كتاب (الاستقصا) لأبي العباس الناصري المتوفى سنة 1897. واعتمده الفقيه المؤرخ أحمد الرهوني التطواني المتوفى سنة 1953 في كتابه المخطوط الذي سماه (عمدة الراوين في تاريخ تطاوين).

وذكرت باسم تطوان (بتاء مكسورة، وطاء ساكنة، وواو مفتوحة مع المد، ونون في الآخر) كما في بعض المصادر منها (الترجمانة الكبرى) لأبي القاسم الزياني المتوفى سنة 1833 وفي أقدم مؤلف في تاريخ تطوان لأبي محمد عبد السلام السكيرج المتوفى سنة 1834 الذي سماه (نزهة الإخوان، وسلوة الأحزان، في الأخبار الواردة في بناء تطوان، ومن حكم فيها وتقرر من الأعيان) وهذا هو الإسم الذي اعتمده الأستاذ محمد داود مؤرخ تطوان الحالي حفظه الله لموسوعته التطوانية التي سماها (تاريخ تطوان) وهو الإسم الذي عرفت به المدينة نطقا ورسما في العصر الحاضر.

وقال بعض المؤرخين إن هذه الكلمة بربرية معناها (العيون الجارية) سميت بذلك لكثرة عيونها المائية الجارية. وهذا شيء معلوم عند التطوانيين الأصليين. فالمدينة القديمة زاخرة بالعيون المائية التي تجري في قنوات فخارية وضعت لهذه الغاية لتصل إلى المساجد والبيوت القديمة. وهذه المياه ثقيلة في الجملة وإن كانت عذبة صافية. وكانت تسمى بماء (السكوندو) ولعل هذا الإسم أطلق عليها بعد الحماية الإسبانية، لأن كلمة (سكوندو) بالإسبانية يراد بها (الثاني) فعرف هذا الماء بالماء الثاني بعد عثور الإسبانيين على عيون أخرى في ضاحية (سيدي طلحة) نسبة إلى الشيخ الصالح أبي يعلى سيدي طلحة الدريج الذي يوجد ضريحه بالضاحية المذكورة. وقد عدت مياه سيدي طلحة في الدرجة الأولى لخفتها وعذوبتها. ومدت أنابيبها إلى بيوت الإسبانيين بالمدينة الجديدة، قبل تزويد المدينة بقسميها القديم والجديد بالمياه المنحدرة من ضاحية (طوريطا) منذ سنة 1935. ومع ذلك احتفظت المساجد وكثير من البيوت الكلاسيكية بمياه (السكوندو) الأصلية.

هذه العيون النضاخة وما يوازيها من أنهار جارية كنهر كيتان والمحنش وبوجداد، ومنابع أخرى كمنبع بوعنان ومنبع الزرقاء، كل ذلك جعل من المدينة جنة خضراء، أوحت للشعراء بالكثير مما جادت به قرائحهم في وصف تطوان. ومن ذلك ما أنشده أبو عبد الله محمد بن زاكور الفاسي المتوفى سنة 1709 قال :

تطوان ما أدراك ما تطوان
سالت بها الأنهار والخلجان
قل ان لحاك مكابر في حبها
هي جنة فردوسها الكيتان

وذهب بعض المؤرخين أيضا إلى أن المقصود بكلمة تطوان هو (العيون الساحرة) أي العيون الباصرة الجميلة. ولعلهم أرادوا بذلك الكناية عن جمال المدينة ومفاتنها الطبيعية بالعيون الجميلة الجذابة التي تستهوي النفوس وتسحر الألباب.

والواقع أن كلمة العيون جمع عين، من الألفاظ المشتركة الدالة على معنيين مختلفين أو أكثر كما حققه علماء اللغة والبلاغة والأصول. وهكذا نجد لفظ العين يستعمل حقيقة كما يستعمل مجازا وكناية عن كثير من الأشياء والمعاني.

فالعين حقيقة هي العين الباصرة التي ينظر بها الإنسان وكل ذي بصر، وهذا شيء معروف لا يحتاج إلى مثال يقرب المعنى.

أما العين مجازا وكناية فتستعمل لعدة معان منها : (العين الجارية) كقوله تعالى في وصف الجنة دار الثواب والنعيم الخالد : **(فيها عين جارية** 12 ـ الغاشية وليس المراد بها عينا واحدة، وإنما هذا جنس، يعني فيها عيون جاريات كما قال عز وجل : **(إن المتقين في جنات**

وعيون. أدخلوها بسلام ءامنين) 45 ـ 46 الحجر. وفي آية أخرى تتعلق بظاهرة أرضية قال تعالى : **(وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر)** س 12 ـ القمر.

والعين تستعمل كناية عن العلم والعناية والحفظ كما قال تعالى في قصة نوح عليه السلام : **(فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا)** 27 ـ المومنون. والأعين جمع عين للمبالغة. ومثل ذلك قوله تعالى : **(واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا)** س 48 ـ الطور.

والعين يعبر بها عن الأثر الذي يصيب الإنسان ممن نظر إليه نظرة صادرة عن انفعالات نفسية شريرة، وفي الحديث الشريف : (العين حق) رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه. ومن ألطف ما قيل في هذا المعنى من باب التورية البلاغية :

وما بي سوى عين نظرت لحسنها
وذاك لجهلي بالعيون وغرتي
وقالوا بي في الحب عين ونظرة
لقد صدقوا. عين الحبيب ونظرتي

والعين يعبر بها عن الجاسوس المتتبع للأخبار والحركات والأحداث. لأن العين جزء منه أطلقت عليه وأريد بها هلاكه. قال الشاعر :

إذا العين نامت وهي عين على الجوى
فليس بسر ما تسر الأضالع

فأراد بالعين الأولى العين الحقيقية الباصرة. وبالعين الثانية حركة تتبع أخباره وأسراره كناية عن الجاسوسية.

والعين يعبر بها عن النقد من الدراهم والدنانير، وفي فقه الزكاة (زكاة العين) أي زكاة المال.

والعين تعبير عن السيد الشريف. واحد الأعيان. والأعيان هم السادة الأشراف. والاخوة الأشقاء كذلك. وعين القوم سيدهم. وعين الشيء نفسه كما قال الشاعر في العسل :

تقول هذا لعاب النحل تمدحه
وإن ذممت فقل : قيء الزنابير
مدح وذم وعين الشيء واحدة
إن البيان يري الظلماء كالنور

وقياسا على ما تقدم نجد أنه لا خلاف من جهة المعنى بين من قصد بتطوان العيون الجارية. ومن قصد بها العيون الساحرة. وإنما الخلاف في اللفظ. إذ العيون الجارية لها أيضا جمالها وسحرها. فالذي قال بأنها عيون جارية فهو صادق. والذي قال بأنها عيون ساحرة فهو أصدق. فإن الناس لا يقصدون تطوان لغزارة مياهها. بل لجمال وسحر عيونها.

هذه المدينة كانت موجودة على هيئة قرية صغيرة في عهد الرومان البيزنطيين الذين حكموا المغرب أكثر من مائة وخمسين سنة قبل الفتح الإسلامي للمغرب. وقد عرفت تطوان الإسلام سنة 682 م. بعد فتح مدينة سبتة فتحا سلميا على يد الفاتح عقبة بن نافع. ثم وصل إليها الفاتح الثاني موسى بن نصير سنة 710 م. فصارت قاعدة لتجمع المجاهدين الذين عبروا إلى الأندلس بقيادة طارق بن زياد لإعلاء كلمة الله ونشر الحضارة الإسلامية في الربوع الأندلسية.

وبعد وفاة الإمام مولاي إدريس الثاني، رضي الله عنه سنة 828 صارت مدينة تطوان ضمن المقاطعة التي تولى حكمها القاسم بن إدريس الثاني كخليفة لأخيه الإمام محمد بن إدريس الثاني. وفي صراع عنيف بين الفاطميين والأمويين والأندلسيين على حكم المغرب بعد انحلال الدولة الإدريسية سنة 917 تهدمت تطوان سنة 949 بعد أن شهدت تيارات إديولوجية ساخنة بين الفاطميين الشيعيين بشمال المغرب وأمراء بني أمية السنيين بالأندلس. ولا يعني تهديمها أنها خلت من السكان. بل انها بقيت كقرية آهلة أكثر من ثلاثة قرون. يقصدها بعض الأندلسيين والسبتيين للإقامة بها. كالشيخ الصالح أبي عبد الله الفخار السبتي المتوفى سنة 1106 م. وضريحه مشهور في الجناح الأخضر بتطوان. وكالشيخ الصالح عبد القادر التبين

الأندلسي الغرناطي المتوفى سنة 1170 م. ويعرف بسيدي عبد القادر التبي وضريحه مشهور خارج باب الرموز بينه وبين باب العقلة.

وبما أن المغرب كان في صراع عنيف مع القوات الصليبية الأندلسية منذ القرن السابع الهجري والثالث عشر الميلادي. فقد كان مضطرا لتحصين ثغوره لتأمين البلاد من أي هجوم أجنبي محتمل. وذلك ما دفع بالسلطان يوسف بن يعقوب المريني إلى بناء قصبة تطوان الأولى بسفح جبل درسة وذلك سنة 1286. وفي سنة 1308 أمر السلطان أبو ثابت عامر بن عبد الله المريني ببناء مدينة تطوان وتوسيع قصبتها وكان بناء المدينة خفيفا على شكل قرية كبيرة أهلة بالسكان. وبقيت على هذا الشكل إلى سنة 1400 حيث دمرها الجيش الإسباني بأمر الملك أنريكي الثالث بدعوى أنها مركز عسكري خطير مواجه لساحل اسبانيا. وكان هذا الحدث الكبير في عهد السلطان أبي سعيد عثمان بن أبي العباس أحمد المريني. وفي غمرة الصراع بين المرينيين والوطاسيين من جهة. وتكالب الاستعمارين الإسباني والبرتغالي على المغرب من جهة أخرى. بقيت تطوان خربة وأطلالا وقرية بسيطة مدة تسعين سنة كاملة.

وفي اليوم الثاني من شهر ربيع الأول سنة 897 الموافق لليوم الثاني من يناير سنة 1492 وقعت مدينة غرناطة الأندلسية في يد الإسبانيين الذين أجبروا المسلمين على اعتناق الديانة المسيحية أو الخروج من ديارهم وبلادهم إلى حيث شاؤوا. فهاجر كثير من الأندلسيين إلى المغرب وفي مقدمتهم أبو عبد الله ابن الأحمر آخر ملوك بني الأومر بغرناطة. ونزل ضيفا مكرما على السلطان محمد الشيخ الوطاسي بمدينة فاس. وبها توفي سنة 1533 واستقر كثير من الأندلسيين بمدينة فاس التي تعد بحق الأخت الكبرى لمدينة تطوان في مختلف المظاهر الاجتماعية. وفي طليعتها المحافظة على الأصالة الإسلامية والحضارة العربية الأندلسية.

وكان من أبرز المهاجرين أيضا القائد الكبير الشيخ أبو الحسن علي المنظري (نسبة إلى قلعة المنظر بغرناطة) مع نخبة من أعيان غرناطة وفرسانها نزلوا في ناحية تطوان. ثم قدموا على السلطان محمد الشيخ الوطاسي بفاس. فأكرم وفادتهم. ومنحهم مدينة تطوان لتجديدها وتعميرها واتخاذها مدينة لهم. ومقرا لاقامتهم. وأسند ولايتها والنظر في شؤونها إلى القائد أبي الحسن المنظري.

وبناء على ذلك شرع أبو الحسن المنظري في بناء مدينة تطوان في اليوم السابع من شهر شعبان سنة 898 هـ الموافق لفاتح يونيه سنة 1493 م وبذلك قال محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري المتوفى سنة 1052 هـ - 1642 م. ووثقه الأستاذ محمد داود. فأحاط المنظري المدينة بالأسوار. وهي الأسوار الأثرية المعروفة حاليا. ثم بنى قصبة سوق الحوت القديم. وهي القصبة الثانية المشهورة بعد القصبة الأولى المطلة على المدينة وقد أشرنا إليها فيما تقدم. ثم بنى المسجد الجامع قرب القصبة الثانية فعرف بجامع القصبة إلى الآن. أما أسوار المدينة فقد جددت في القرن الثاني عشر الهجري والثاني عشر الميلادي على يد قائد تطوان الحاج محمد تميم التطواني المتوفى سنة 1750 الذي صرف على التجديد والصيانة من أمواله الخاصة مع الإشراف بنفسه على البناء والتجديد. ويقول الأستاذ داود في تاريخ تطوان، إن هذا القائد يستحق أن يخلد اسمه في تاريخ المدينة لما بذله من جهود وأموال في سبيل مصلحة المدينة وأهلها.

والجدير بالذكر أن أبا الحسن علي بن راشد مؤسس مدينة شفشاون سنة 1471 قد آزر صديقه المنظري في بناء تطوان. وكانت بين القائدين الكبيرين مودة متينة وتعاطف قوي جعل من المدينتين أختين نابهتين متعاطفتين في السراء والضراء على الدوام. وكانت وفاة أبي الحسن علي بن راشد سنة 1511 وضريحه مشهور بشفشاون. كما كانت وفاة أبي الحسن علي المنظري سنة 1514 وضريحه مشهور بتطوان. ولا يعدله في الشهرة إلا ضريح الشيخ الصالح أبي عبد الله سيدي محمد السعيدي الذي بناه وجعله زاوية الشيخ الصالح قاسم الحاج التطواني الأندلسي المتوفى سنة 1611. أما سيدي السعيدي فلا

يعرف تاريخ وفاته. ولكن المعروف أنه كان من أولياء الله المستورين. وأن اسمه هو محمد السعيدي، نسبة إلى قبيلة بني سعيد. وقيل الصعيدي نسبة إلى صعيد مصر والله أعلم. ولكنه عرف على التحقيق بالسعيدي نسبة إلى بني سعيد وبذلك قال الأستاذ داود في تاريخه والفقيه الرهوني في عمدة الراوين. ولعل هذا الشيخ الصالح كان موجودا بتطوان في القرن التاسع الهجري والخامس عشر الميلادي ودليلنا على ذلك والله أعلم. انهم ذكروا أن هذا الشيخ كان يتعبد تارة في المحل المعروف برأس الطرف بسبتة، وتارة بالمحل الذي توفي ودفن فيه بتطوان. وحيث كان احتلال سبتة من طرف البرتغال سنة 818 هـ - 1415 م. ثم وقع تفويتها إلى إسبانيا سنة 1050 هـ - 1640 م. بعد اندحار البرتغال في معركة وادي المخازن - فإننا نستبعد أن ينتقل الشيخ من تطوان إلى سبتة ليتعبد فيها في ظل الاحتلال البرتغالي الصليبي. بل ان سلطة الاحتلال ربما تشك في حركته فتمنعه من الدخول إلى المدينة المحتلة أو تحجزه فيها. فنستنتج أن تنقله بين تطوان وسبتة كان قبل احتلالها. وان استقراره بتطوان ووفاته بها، كان بعد احتلال سبتة. وحيث كان احتلال سبتة كما أشرنا في أوائل القرن التاسع الهجري والخامس عشر الميلادي. فالمظنون والله أعلم أن الشيخ كان من رجال القرن المذكور. وهو القرن الذي جددت في أواخره مدينة تطوان.

ويذكرون أن الشيخ قاسم الحاج السابق الذكر. رأى في المنام سيدي السعيدي يأمره بالكشف عن قبره الذي اختفى بين الأعشاب والأشواك. فبحث الشيخ قاسم عن القبر بين العليف فوجده وكشف عنه. وأحاطه بسياج هو القبة المعروفة بداخل الزاوية. وقد دفن فيها الشيخ قاسم إلى جانب سيدي السعيدي. وفي القرن الثاني عشر الهجري والثامن عشر الميلادي اشترى «الدوكي دي ريبيردا» أملاكا حبسها على ضريح سيدي السعيدي. والدوكي المذكور أوربي مسيحي ديبلوماسي اختار الإقامة بتطوان ومات بها سنة 1737. والواقع أن ضريح سيدي السعيدي على تواضعه وبساطته ضريح مبارك ومسجد تقام فيه الصلوات الخمس. وهو أشهر الأضرحة التطوانية بعد ضريح مجدد المدينة سيدي علي المنظري الذي أدخلت عليه تحسينات مناسبة سنة 1390 هـ - 1970 م. ودفن فيه الزعيم التطواني الأستاذ عبد الخالق الطريس.

ونعود إلى بناء مدينة تطوان فنقول بأنه يتعين إعادة النظر في شعار المدينة الذي يحمل بداخله (تفاحة) وتشير حسب الحساب الأبجدي إلى أنها أسست سنة 889 هـ الموافقة لسنة 1484 م. والواقع أنها بنيت بعد استيلاء الإسبانيين على غرناطة سنة 897 هـ - 1492 م. كما قدمنا. وبإذن خاص من ملك المغرب لأبي الحسن المنظري الذي هاجر بعد سقوط غرناطة. وشرع في بناء المدينة اعتمادا على الأمر الملكي سنة 898 هـ - 1493 م كما تقدم.

نعم يحتمل أن يكون بعض الأندلسيين الغرناطيين هاجروا سنة 889 هـ - 1484 م. بسبب اضطهاد الإسبانيين لهم. فنزلوا في تطوان وبنوا فيها مساكنهم بصفة شخصية. ولكن هذا الأمر لا يعتبر رسميا تأسيسا أو تجديدا للمدينة. لأن العادة جرت بأن التأسيس أو التجديد لمدينة ما يكون بيد ملك أو أمير أو من يقوم مقامهما رسميا. ومثال ذلك أن البرتغال احتلوا مدينة الجديدة في القرن الحادي عشر الهجري والسابع عشر الميلادي. وكانت تسمى (البريجة) وفتحها الملك المقدس محمد الثالث في القرن الثاني عشر الهجري والثامن عشر الميلادي. فجلا عنها البرتغال بعد تهديمها. فسماها الناس (المهدومة) فلما آل الأمر إلى الملك المقدس مولاي عبد الرحمان بن هشام في القرن الثالث عشر الهجري والتاسع الميلادي. أمر عامله وابن محمد القائد سيدي محمد بن الطيب بن محمد الثالث بتجديد مدينة البريجة وإعادة بنائها. وسماها (الجديدة) فهي تعرف بهذا الإسم إلى الوقت الحاضر. فكان التجديد والبناء رسميا بأمر ملك الوقت. وكذلك الأمر في تجديد وبناء تطوان. فقد كان بإذن سلطان الوقت محمد الشيخ الوطاسي لعامله أبي الحسن المنظري الذي شرع في هذه المهمة كما قدمنا سنة

898 هـ ـ 1493 م. فيعتبر هذا التاريخ هو تاريخ بناء أو تجديد مدينة تطوان الحالية. وعليه المعول، ولا اعتبار لغيره.

تطوان الحالية إذن، هي تطوان الأندلسية التي أسسها وجدد معالمها المجاهد الأندلسي أبو الحسن علي المنظري في التاريخ الذي حققناه فيما تقدم. وبقي هذا القائد الكبير عاملا على المدينة ونواحيها إلى أن التحق بالرفيق الأعلى سنة 919 هـ ـ 1514 م. فخلفه ابن أخيه المعروف بالمنظري الحفيد، وتسميه في هذه الإشارات بالمنظري الثاني. وقد واصل خطة عمه المنظري الأول في تعمير المدينة التي صارت ملجأ للمسلمين واليهود الفارين من الأندلس بسبب طغيان المسيحيين الإسبانيين وتعصبهم الديني، حتى أنه في سنة 1609 أصدر الملك الإسباني فليب الثالث قرارا بنفي جميع المسلمين الأندلسيين المعروفين بالموريسكوس من البلاد الإسبانية. وقد استقر عدد كبير منهم بمدينة تطوان.

والجدير بالذكر أن الأندلسيين المهاجرين اتخذوا اللون الأبيض في اللباس والفراش شعارا لهم وتعبيرا عن الحداد على مفارقة بلادهم وديارهم. ولكنهم وجدوا في تطوان من الرفق والعطف والمواساة ما عوض الحنين والشوق إلى الفردوس المفقود، بالاطمئنان والرضى في الوطن الجديد الآمن المحمود. ولكن الفراش الأبيض في تطوان بقي كما كان أيام المحنة والحداد. حتى صار مع مرور الأزمنة هو القاعدة والعرف، فلا تدخل دارا من دور الأغنياء والفقراء من سكان المدينة الأصليين، إلا وتجد الغرف وقاعات الاستقبال مغطاة بالقماش الأبيض. ومن خالف شذ عن القاعدة. وأطلقوا على هذه الأغطية القماشية البيضاء كلمة (تلامط) جمع (تلميطة) ولعلها مشتقة من كلمة (لمط) ومعناها اللغوي ، الاضطراب وضياع الحق. فتقول ، لمط الرجل، أي اضطرب. والتمط فلان حق فلان، أي ذهب به. فهي بهذا المعنى قريبة من كلمة (غمط) بمعنى قهر وسلب. فلعلهم كانوا يشعرون رغم استقرارهم واستبشارهم بعوامل نفسية بئيسة كإحساس كامن بين الأضلاع بالاغتراب والقهر وضياع الحق، ويتجلى ذلك في شعور عميق بالأسى والاضطراب النفسي الذي أوحى بالتزام الحداد في ظاهرة التلميطة البيضاء. وورث الأبناء عن الآباء والأجداد هذا العرف بدون إرادة ولا إدراك لأسبابه. حتى صار مظهرا من مظاهر الحضارة التطوانية. وما زالت بعض البيوت التطوانية الأصيلة متشبثة بهذا المظهر مع إدخال تحسنات شكلية عليه. كتغطية التلميطة البيضاء بشال حريري أصفر. وطنفسة (زربية) مزخرفة فاخرة.

والجدير بالذكر أيضا أن مدينة تطوان احتضنت الحضارة الأندلسية بكل حرارة واستفادت منها استفادة تامة في جميع المظاهر العمرانية والعادات والأعراف الاجتماعية والثقافية الأصيلة. وهي بذلك اكتسبت شخصية مرموقة متميزة عن المدن المغربية الأخرى بالتزامها لطابعها الأندلسي العريق سواء في هندسة البيوت والمساجد، وفي زراعة البساتين والحدائق. وفي كثير من أنماط الصناعات التقليدية والفنون الجميلة. وخاصة منها الموسيقى الأندلسية التي كانت تطوان مدرسة عليا لها. وكان من أبرز شيوخ هذه المدرسة في القرن الثاني عشر الهجري والثامن عشر الميلادي الأستاذ الفنان أبو عبد الله محمد بن الحسين الحائك التطواني الأندلسي الذي دون الطرب الأندلسي بألفاظه ونوباته في كتابه المشهور باسم (كناش الحائك) وهو من ألمع المصادر في هذا الفن الإنساني الجميل. وحيث اشتهرت تطوان في القرن الثاني عشر الهجري بالإبداع في الطرب الأندلسي وتطبيق نوباته في قصيدتي «البردة والهمزية» للإمام البوصيري في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإن أمير المؤمنين محمد الثالث استدعى المنشدين والمادحين التطوانيين لإنشاد البردة والهمزية بين يديه في الاحتفال الكبير الذي أقامه ليلة عيد المولد النبوي الشريف سنة 1200 هـ بجامع السنة بالرباط. ولعل في هذه الالتفاتة الملكية ما يشعر بمكانة تطوان الفنية والأدبية في مستهل القرن الثالث عشر للهجرة.

ونعود إلى نشأة مدينة تطوان لنذكر حدثا بارزا له مغزاه في تاريخها. وهو زواج القائد المنظري الثاني

بالسيدة عائشة الحرة بنت أبي الحسن علي بن راشد صاحب مدينة شفشاون. وان هذه السيدة قد حكمت مدينة تطوان بعد وفاة زوجها المنظري الثاني سنة 1528 إلى أن تزوجها بمدينة تطوان السلطان أبو العباس أحمد بن محمد الوطاسي البرتغالي سنة 1541 ووثيقة زواجها منشورة بالجزء الأول من كتاب (الوثائق) الصادر عن مديرية الوثائق الملكية بتحقيق صديقنا الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور الذي يرجح أن اسم السيدة المذكورة هو الحرة. خلافا لمن قال بأن اسمها هو عائشة الحرة. ولا نرى خلافا في ذلك ما دام المغاربة منذ القديم اعتادوا على تسمية الشخص باسمين، كمحمد المهدي، وفاطمة الزهراء، وغالبا ما يذهب اسم ويثبت الآخر. ويبدو أن إضافة صفة الحرة إلى الإسم المؤنث كان معروفا في القرن العاشر الهجري والسادس عشر الميلادي. ويقول الأستاذ محمد داود بأن ذلك من باب تشريف المرأة وتكريمها. ويشهد لذلك ما ذكره الأفراني في (نزهة الحادي) من أن المنصور الذهبي السعدي كانت تسمى الحرة مسعودة بنت أحمد الوزكيتي. وقد كانت عائشة الحرة بنت علي بن راشد في عصر الحرة مسعودة فزال الإشكال.

وقد عرفت عائشة الحرة أيضا بالست الحرة. وكانت أمها إسبانية مسيحية أسلمت وسميت للا زهرة. وأنجبت الست الحرة التي وصفت بالذكاء والدهاء وقوة الشخصية. وهو ما جعلها تتحمل أعباء الحكم في عصر لم تكن فيه المرأة تتمتع بمكانة سياسية ملحوظة. وحكم هذه السيدة لتطوان ظاهرة حضارية مبكرة تميزت بها تطوان فيما نعلم عن بقية مدن المغرب.

ومن الأعلام البارزة في هذا العصر الفقيه الأديب القاضي محمد بن عبد الرحمان الكراسي الأندلسي الغرناطي المتوفى سنة 1556 وقد تقلد قضاء تطوان وبقي فيه إلى وفاته. وله أرجوزة تاريخية طويلة في تاريخ بني وطاس الذين حكموا المغرب بعد الدولة المرينية. وتسمى (عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل) وقد طبعت بالرباط بالمطبعة الملكية سنة 1383 هـ - 1963 م بتحقيق وتقديم الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ المملكة المغربية. كما أثبت بعضها الأستاذ محمد داود في تاريخ تطوان.

ومن أعلام هذا العصر كذلك الشيخ الصالح سيدي علي الفحل المتوفى كذلك سنة 1556 وضريحه معروف في مقبرة سيدي المنظري. وفوقه ضريح القاضي الكراسي السابق الذكر. وقد كادت قبور بعض الأعلام أن تندثر. فيجب على المصلحة الأثرية أن تهتم بأضرحة أعلام المغرب كما تهتم بالأسوار والأبراج.

تطوان محمد العربي الشاوش



ارتسامات حول كتاب

للسلطان سيدي محمد بن عبد الله

للأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

●● إن الاهتمام بالعلوم الدينية طابع يطبع كثيرا من أحوال المغرب في مختلف العصور سواء من حيث الأصول الدينية أو من حيث الفروع المتولدة عن طريق الدراسات الفقهية وما يتصل بها، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن جل الذين كانوا يحكمون البلاد المغربية كانوا هم أنفسهم ينتمون إلى زمرة العلماء.

فالعلم أصل من أصول الاستمرار الحضاري لا ترقى أمة دون أن تجعله شعارا لها يحميها من المهاوي المهلكة ويقيها من شر الجهل المقيت.

ولقد تبارى رجال الاصلاح في اعداد المدارس وتهييء المساجد الصالحة لنشر أمهات الكتب الاسلامية ودراستها وفهم ما يرتبط بها من أحكام سواء عن طريق الكتاب والسنة أو عن طريق الاطلاع على ما بلغ إليه المجتهدون من الفقهاء وأداهم الأمر إلى تعميم الأوقاف لتشجيع التعليم وإلى إنشاء الخزانات العامة للكتب وتزويد المساجد بخزانات محلية كانت خير زاد للمتعلمين الذين يجدون فيها ما يروي ظمأهم وما يخفف من غلوائهم إلى المعرفة النافعة.

وإن نظرة خفيفة إلى الحوالات الحبسية في المغرب لتزودنا بكثير من الحقائق الدالة على أن مساجدنا ومدارسنا لم تكن معطلة من رواد العلم ومن مشجعيه كما أن التأمل في واجهات الكتب المحبسة لتدلنا على أن الذين كانوا يجعلون تلك الكتب رهن القراء ليسوا منتمين لطبقة معينة فهم يمثلون طبقات شتى من المجتمع تجد فيها الحاكم والمحكوم وتجد فيها الغني ومتوسط الحال وتجد فيها الرجل والمرأة وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن المغاربة شعروا بواجبهم وعلموا أن كل عمل لا يقوم على علم لا استمرار له ولا خلود.

ومن أهم الظواهر التي تثير الإعجاب وجود التعاون العلمي بين المسؤولين وبين رجال العلم فنحن حينما نطلع على تاريخ بعض الملوك في القديم والحديث نجد علاقة متينة تربط بين الحاكمين والعلماء ويتجلى ذلك واضحا في المجالس العلمية التي كانت تقام على أساس من التوازن الفكري ومن الاحترام المتبادل ●●

ومن أشهر الدول المغربية التي عنيت بالعلم وقامت على أســـه الدولة العلوية الشريفة لما كان لذويها من الاعتزاز بأهل الفضل والصلاح ولما كانوا يشعرون به من

ضرورة بناء كيان دولتهم على قواعد متينة لا تنفصل عن روح الدين الإسلامي في مبادئه وسلوكه ولقد وجهت عنايتها إلى اصلاح التعليم وتطويره حسب الحاجيات

الاجتماعية التي كانت مهيمنة على المجرى التاريخي في كل حقبة من الحقب وفق ما هو متلائم مع طبيعة السكان ومع طبيعة الاستقرار.

إن جولة في تاريخ هذه الدولة العلوية لتعود بنا إلى عهد المولى اسماعيل والمولى الرشيد وإلى عهد سيدي محمد بن عبد الله والمولى عبد الرحمن وولده المولى محمد وإلى عهد المولى سليمان والحسن الأول وإلى عهدنا الذي يمثله الحسن الثاني نصره الله وإلى ما حققته هاته العهود من ازدهار ثقافي وفكري ناتج عن تجاوب هؤلاء الملوك مع أهل العلم فيما يرجون وما يأملون.

بل إننا إذا تتبعنا أسباب الازدهار الفكري فسنجد أن أحد هؤلاء الملوك وهو المولى محمد بن عبد الله ساهم بدوره في التأليف والتحليل والتوجيه وفق خطة منهجية هادفة إلى إقرار الطمأنينة في النفوس ونشر السعادة بين الناس وابعاد أسباب الفوضى والاضطراب وإزاحة كل ما من شأنه أن يضلل الفرد أو يشككه في قيمته الإنسانية أو في قيمة معتقداته.

إن سيدي محمد بن عبد الله كان يومن أشد الإيمان بأن المشكلة السياسية لا تنفصل مطلقا عن الاتجاه الثقافي الموجه للفرد في المجتمع فليس هناك أي معنى لأن يعيش الفرد سبهللا لا تقيده قوانين الدين ولا تهذبه عقيدة التوحيد إلا أنه كان يرى أن الدين يسر وليس بعسر ومن ثم لم يكن من حق الفقهاء أن يفسدوا على الناس سعادتهم وأن يضيقوا عليهم الخناق وأن يصوروا لهم الدين تصويرا زجريا وأن يحولوا بينهم وبين الرحمة فالله رحيم واسع المغفرة والإنسان ينبغي له أن يعيش متفائلا يبني وجوده على هذا التفاؤل فإن ذلك خير له من أنواع التضييقات والإحراجات التي لا تكون إلا سببا في إحداث القلق وفي سلب السعادة.

وهو في الوقت ذاته كان يرى أن تبسيط القواعد الدينية جزء لا يتجزأ من مهمة الاصلاح الديني سواء في العقيدة أو في الأحكام. ولهذا دعا إلى اجتناب البحث المعقد في الالهيات وإلى الابتعاد عن المنطق في الوصول إلى الأحكام التي يمكن الوصول إليها عن طريق النقل ولذلك نراه قد أقام ثورة على النظام الذي كان متبعا في دراسة الفقه ودراسة التوحيد وأعلن عن خطة تربط المتعلم بمنهاج فكري وبطريقة تعليمية محدودة فهو قد ضاق ذرعا بإهمال بعض الكتب المفيدة التي توسع المدارك وتفتح آفاق المعرفة مع أن الرجوع إليها أسلم والالتجاء إليها أحكم ولهذا اضطر إلى تتبع أحوال الفقهاء والمدرسين وإلى تحديد حرياتهم فيما يلقونه من مواد وفيما يدرسونه من كتب خشية تفويت الفائدة على المتعلمين أو خشية إثارة البلبلة في نفوس العوام فأمر رحمه الله بتدريس القرآن وبالاقتصار على الصحيح من الأحاديث كما أمر أن يقتصر المدرسون في علم الكلام على عقيدة ابن أبي زيد القيرواني التي افتتح بها رسالته.

وأما في الفقه فقد دعا إلى إحياء بعض الكتب القديمة الخالية من التعقيد والغموض مثل المدونة ومثل البيان والتحصيل ومثل مقدمة ابن رشد ومثل الجواهر لابن شاس والنوادر والرسالة لابن أبي زيد القيرواني وأما مختصر خليل فقد ألزم الناس إذا أرادوا قراءته بأن يدرسوه بشرح بهرام الكبير والمواق والحطاب والشيخ علي الأجهوري والخرشي الكبير وألا يتعدوا هذه الشروح إلى غيرها ولذلك أمر بنبذ ما عداها وإهماله وعدم استعماله في التدريس.

ولم يكتف بهذه الطريقة الإصلاحية بل نراه قد ساهم مساهمة عملية في الاستفادة من محيطه العلمي فألف كتبا كثيرة واستعان في ذلك بمجالسه العلمية الزاخرة وأحس بأن القيمة التي يكسبها الفرد من التحاور العلمي، أسمى من التعالي والتعاظم لذلك نراه في مؤلفاته متواضعا يتطلع إلى المعرفة ويبحث عن الأحسن ويستفيد ممن حوله ويعلن عن ذلك دون أن يجد حرجا أو تستبد به أنانيته والدليل على ذلك كتابه الموسوم بطبق الأرطاب فيما اقتطفناه من مساند الأئمة وكتب مشاهير المالكية والإمام الحطاب وهو الكتاب الذي توجد منه نسخة خطية بخزانة القرويين تحت رقم 748 من حجم 40 والمنجز قبل موت مؤلفه بنحو أربعة أشهر فقط فقد تم تأليف الكتاب

في أوائل ربيع الثاني من سنة أربع ومائتين وألف وتمت حياة المولى محمد بن عبد الله في الرابع والعشرين من رجب من نفس السنة.

إن هذا الكتاب هو التعديل الثاني لكتابه المسمى ببغية ذوي البصائر والألباب في الدرر المنتخبة من تآليف الحطاب.

كان قد اقتصر في هذا الكتاب سنة إحدى ومائتين وألف على ذكر عقيدة ابن أبي زيد وعلى كتاب الطهارة والصلوات فإذا بالعالمين الدينيين فقيهي العدوتين سلا والرباط سيدي محمد بن المير وسيدي محمد بن عبد الله الغربي يشيران عليه باتمام الكلام على قواعد الإسلام فيعمل بإشارتهما ويبني كتابه على شرح قول النبي صلى الله عليه وسلم... بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا..

وينهي عمله في شهر رمضان المعظم من سنة اثنتين ومائتين وألف ويسمي كتابه تسمية جديدة تتلاءم مع خطته وهي الفتح الرباني فيما اقتطفناه من مسانيد الأئمة وفقه الإمام الحطاب والشيخ ابن أبي زيد القيرواني.

ويشاء الله لهذا التعديل أن يطبع سنة 1941م بتحقيق الأستاذ الفريد البستاني معتمدا في ذلك على مخطوطة تطوان الأصلية وأن يجعله من ضمن منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو للأبحاث العربية الإسبانية بمطبعة الفنون المصورة «بوسكا» بالعرائش. وأن تحتفظ خزانة القرويين بنسخة مطبوعة تحمل رقم 695.

أما التعديل الثاني فهو طبق الأرطاب الذي نتحدث في هذا المقال عن نسخته الموجودة بالقرويين فهو يقول في مقدمته بعد أن تحدث عن التعديل الأول (1) ثم عدنا إلى إمعان النظر فيه بعد مرور سنتين من تأليفه والعود أحمد - ونسبنا كل مسألة إلى قائلها من الأئمة الذين عليهم المعتمد ونقلنا ذلك من نوادر ابن أبي زيد وابن يونس وابن رشد وابن شاسر ومنتقى الباجي على الموطا والزرقاني عليه أيضا وابن حجر على البخاري والخرشي الكبير والشيخ علي الأجهوري والمواق والتوضيح والتهذيب والتقييد عليه فأتى والحمد لله في أحسن ما يكون والله أسأل من فضله أن ينفع به كما نفع بأصله وأن يثيبنا عليه بجزيل الأجر وأن يجعله لنا من أعظم الأجر وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وسميته طبق الأرطاب الخ.

ابتدأ الكتاب بعقيدة ابن أبي زيد القيرواني ليجتنب بها مشاكل المتكلمين ويبتعد بها عن مزالق بعض الفلاسفة ويطمئن بواسطتها إلى الإيمان الصادق الخالي من أي التواء فالله واحد لا إله غيره ولا شبيه له ولا نظير له ولا والد ولا ولد ولا صاحبة ولا شريك له ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء ولا يبلغ كنه صفته الواصفون ولا يحيط بأمره المتفكرون يعتبر المتفكرون بآياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم العالم الخبير المدبر القدير السميع البصير العلي الكبير إلى آخر ما جاء في هذه المقدمة المشهورة التي خصها الفقيه محمد بن قاسم جسوس رحمه الله بشرح جيد انتهى من تأليفه سنة خمس وعشرين بعد مائة وألف من الهجرة.

وبعد ذلك شرع السلطان سيدي محمد بن عبد الله في التحدث عن أركان الاسلام الباقية وكان في ذلك دقيق العبارة واضح الأسلوب ينهج نهج الفقهاء الذين يربطون الأحكام بأصولها ويعتمد في الاستدلالات على مسانيد الأئمة وعلى كتب الأقدمين وينص في أحكامه أنه ينتمي إلى المذهب المالكي ومع ذلك فهو في العبادات غير متشدد وقد يستحسن أحيانا بعض الأحكام التي لم يقل بها مالك رضي الله عنه أو على الأقل كان يترك الخيار للذين يقرؤون بعد الإشارة إلى مختلف المذاهب فقد نص على أن ما كان يتعلق بحقوق الله في العبادات قد يقبل

1) الصفحة التاسعة من المخطوط حسب الترقيم الداخلي الموضوع بقلم الرصاص.

على اختلاف صوره المذهبية أما ما يتعلق بحقوق الناس فإن الواجب يقتضي الالتزام بروح المذهب حتى لا تستغل بعض الفتاوي لابطال الحقوق ولاهدارها وكان يسير على هذا الرأي في حل الأحكام التي صدرت عنه في كتابه هذا فهو مثلا أشار في باب الطهارة إلى أن بعض الأئمة يتسائلون في طهارة الخبث في الجزء اليسير الذي هو دون الدرهم وذكر أنه وجد ذلك في مسند الإمام أبي حنيفة وأنه أراد التحقق مما فيه فكتب إلى فقهاء القسطنطينية يستفتيهم فيما وجد فإذا بهم يؤكدون له ذلك ويزيدون مسألة أخرى كتبوها بخطوط أيديهم وهي أن البول إذا لم يبلغ قدر الكف فإنه معفو عنه. واستحسن هذا الحكم ورأى فيه سعة وقال بإزائه (2)... وأنا في نفسي أتبع الأئمة الأربعة في أبواب العبادة ولا نفرق بين واحد منهم فيها وأما في غير أبواب العبادة كالنكاح والطلاق والبيوع والحبس والهبة والعتق وغير ذلك فلا أتبع إلا مذهب الإمام مالك رحمه الله لأني مالكي المذهب حنبلي الاعتقاد مع أني مؤمن بأن الإمام أحمد على اعتقاد الأئمة الثلاثة وأنهم كلهم على هدى من ربهم ووجه الفرق بين أبواب العبادة والمعاملات أن من ارتكب رخصة في مسألة أبواب العبادة قد أفتى بها بعض العلماء الذين يعتمد عليهم لأجل ضرر به فلا تلحقه تهمة في ذلك إذ أبواب العبادة هي لله فلا تهمة فيها وغيرها فيه حقوق المسلمين فمن ارتكب رخصة في مسألة قد رخص فيها بعض الأئمة الأربعة في غير أبواب العبادة مثل الطلاق والنكاح والبيوعات وغيرها من حقوق العباد فإنه قد دخل بابا من أبواب التهم وربما نسب لغرض فيه شهوة نفسه فلا ينبغي لمن كان على مذهب أن يتخطى لغيره من المسائل التي فيها حقوق العباد.

ومن الواضح أن هذا التوجيه لا يكون مقبولا إلا إذا كان الفقهاء والمفتون يتلاعبون في المصلحة العامة بما اكتسبوه من معرفة بالأحكام فينتقلون من مذهب إلى مذهب رغبة في تحقيق هوى مدسوس أو حرصا على

2) صفحة 41.

3) صفحة 55 من نفس الكتاب.

تفويت حق على مظلوم أما إذا أصبح ذلك الانتقال قانونا عاما مفروضا على القضاة أو مدونة مشروعة بنيت على أساس اختيار من لدن فقهاء نزهاء مقتدرين فإن هذه الشبهة تزول ويصبح الرجوع إلى الحكم المذهبي حينئذ شبيها بالخروج عنه حينما كان مستعملا.

وعلى كل حال فإن الأحكام المتعلقة بالناس لا يصح التساهل في تحويرها أما الأحكام المتعلقة بالعبادات فإن الأمر المهم فيها هو حسن نية العبد في اتصاله بالله وحسن اعتماده على ما هو مدون سواء في المذهب الخاص أو المذاهب الأخرى ولعل هذه التوسعة في الأخذ بالمذاهب الأخرى أحيانا هي التي جعلت السلطان المولى محمد بن عبد الله حين تأليفه لهذا الكتاب يقبل كثيرا من الأحكام سواء كانت موافقة لمذهب الإمام مالك أو كانت مخالفة له بحيث لم يكن يتعصب لمذهبه المالكي إذا كان الأمر يتعلق بالعبادات لا بالمعاملات.

فمن ذلك حديثه عن انغماس الجنب في الماء إذا كان طاهر الجسد فإن ذلك الانغماس يكفيه سواء دلك أعضاءه أو لم يدلكها (3). ومن المعلوم أن جواز ذلك بدون دلك إنما هو مذهب الشافعي لا مذهب مالك.

ومن ذلك استحبابه لذكر البسملة مع الفاتحة في الفريضة وفي غيرها مع أن المشهور من مذهب الإمام مالك كراهية قراءتها في الفريضة نظرا لكونه لم يعدها آية من الفاتحة كما عدها الشافعي الذي يقول ببطلان الصلاة بدونها (4).

ولم يحدد سيدي محمد بن عبد الله صورة لذكرها سرا أو جهرا كما فعل بعض الفقهاء من المذهب فقد ورد عن المازري وهو من شيوخ المالكية أنه كان يقرؤها سرا فلما استفسر عن ذلك قال لأن أقرأها وارتكب مكروها على مذهب الإمام مالك خير لي من أن أتركها وتكون صلاتي باطلة على مذهب الشافعي رحمه الله.

ومن ذلك حديثه عن الخروج من الصلاة بتسليمه واحدة أو بتسليمتين اثنتين فهو لم يكن متشددا في هذا

4) نفس الكتاب صفحة 104.

الأمر فقد نقل عن المدونة أن التسليمة الواحدة كافية فكما دخل المصلي بتكبيرة واحدة يخرج منها بتسليمة واحدة وقال (5)... وإن سلم الفذ عن يمينه خرج من صلاته وإن زاد تسليمة ثانية عن يساره فزيادة خير قاله سند وبهذا كان يأخذ مالك في خاصة نفسه وقال بالتسليمة الثانية الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وهو قدوة ويؤيده ما أخرجه الإمام الشافعي في مسنده عن عامر بن سعد بن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم. «أنه كان يسلم في الصلاة إذا فرغ منها عن يمينه وعن يساره حتى يرى خداه».

ومن ذلك حديثه عن سجود السهو في الصلاة فهو قد استحسن رأي أبي حنيفة الذي لا يفرق بين الزيادة والنقصان فيجعل السجود كله بعديا بخلاف ما عليه الحال عند الإمام مالك الذي يجعل السجود القبلي للنقص والسجود البعدي للزيادة وقال في هذا الموضوع (6).. «ويعجبني قول أبي حنيفة أن السجود كله بعد السلام».

ومن ذلك حديثه عن التنفل يوم الجمعة فقد أشار إلى ماورد من الأحاديث في جواز التنفل والإمام يخطب كما أشار إلى ما يعارض هذه الأحاديث من أن قعود الإمام على المنبر يقطع السبحة وأن كلامه يقطع الكلام حسب ما ورد في مسند الإمام الشافعي وبذلك قال الإمام مالك رضي الله عنه (7).

ولم ينكر صحة ما ورد عن الرسول مما يتفق مع الاتجاهين إلا أنه قال إذا تعارض حديثان صحيحان فعليك بما جرى به العمل في مذهبك لأن الأئمة رضي الله عنهم كلهم على هدى من ربهم فهو لم يتعصب لرأي ولم يحرص على إبطال ما عند الآخرين بل تيسر سبيل الاتباع لكل المسلمين حسب ما هو قريب لمذاهبهم حتى لا يثيروا فتنة ولا يخلقوا عداوة.

إن خطة المولى محمد هاته تشيع الاطمئنان في النفس وتزيل كثيرا من أسباب الحقد وتبعث على الطاعة البريئة وتمحو كثيرا من الحزازات وتجعل المسلم حريصا على التوجه إلى الله من أي باب من أبوابه دون أن يكون هناك تضييق على المفاهيم الدينية أو تشكيك فيما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما صح عنه سواء كان يؤدي إلى هذا الحكم أو ذاك لأن الأمر حينئذ يتعلق بمعرفة الناسخ من المنسوخ وبمعرفة السابق من اللاحق.

وكان المؤلف في كتابه يحرص أحيانا على تعليل بعض الأحكام وابداء عللها وأسبابها لتكون منسجمة مع العقل والنقل معا ومن ذلك مثلا حديثه عن زكاة الفواكه فقد ذكر أن الإمام مالكا يرى أن السنة لا اختلاف فيها عنده أنه ليس في شيء من الفواكه كلها صدقة الرمان والفرسك والتين والمراد بالفرسك الخوخ والأشهر عند أهل المغرب أنه لا زكاة في التين وذهب جماعة من البغداديين كالقاضي اسماعيل والأبهري وغيرهما إلى أنه فيه الزكاة وهو مكيل يراعي فيه خمسة أوسق (8).

واقتصر في طبق الأرطاب على ما ذكر في حين أنه ذكر في الفتح الرباني إثر الحديث عن هذه الجزئية تعليلا لابن عبد البر يبين فيه أن الإمام مالكا لم يكن يأمر بالزكاة في التين لأنه لم يكن يعلم أنه ييبس ويدخر ويقتات كالتمر والزبيب (9) بحيث يستنتج من هذا القول أن الفاكهة إذا كانت تيبس كالبرقوق مثلا ويمكن الاحتفاظ بها تدخل في صنف المزكيات وبناء على هذا التوجيه يمكننا أن نقيس ما يمكن الاحتفاظ به بواسطة الآلات القادرة على حفظ الفواكه من التعفن وبذلك كان يقول بعض المتورعين من المسلمين الذين كانوا يعتبرون هذه القدرة على الاختزان بواسطة الآلة كأنها مبرر شرعي لوجوب الزكاة.

إن هؤلاء يأخذون تعليل ابن عبد البر منطلقا للحكم على أساس أن الزكاة مرتبطة بالقدرة على الاحتفاظ أما الذين لم يوجبوها فهم يرون أن الالتزام بقول الرسول يدخل في باب الواجب من غير البحث عن علة للحكم غير منصوص عليها.

5) نفس الكتاب ص 113.
6) نفس الكتاب صفحة 123.
7) نفس الكتاب صفحة 147.
8) نفس الكتاب صفحة 181.
9) الفتح الرباني صفحة 49.

ومن الغريب أن المؤلف في بعض الأحيان لا يذكر الأقوال المتعارضة وإنما يقتصر على حكم واحد على خلاف عادته المتبعة ومن ذلك حديثه عن صوم ستة أيام من شوال فقد وردت بعض الأحاديث القائلة بفضل صومها مثل ما ورد عن أبي أيوب الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من صام رمضان ثم أتبعه ستة من شوال كان كصيام الدهر (10) وهو حديث صحيح طالما سمعناه من وعاظنا وخطبائنا إلا أن الإمام مالكا يرى أن هذا الحديث لم يبق به عمل ولذلك يعتبر صيام هذه الأيام الستة ضربا من مخالفة السنة المعمول بها ويعدها من قبيل المكروه وعلى هذا القول الأخير إقتصر المؤلف في كتابه فقال : (11) «ويكره صوم ستة أيام بعد الفطر من رمضان ثم أردف ذلك بقوله : «قال الإمام مالك ولم أر أحدا من أهل العلم والفقه يصومها ولم يبلغني ذلك عن أحد من السلف وكره أهل العلم صومها وخافوا بدعته وأن يلحق برمضان ما ليس منه أهل الجهالة والجفاء لو رأوا في ذلك رخصة عند أهل العلم ورأوهم يعملون ذلك ونقله ابن شاس».

ولم يفصل المؤلف الحديث عن هاته الأيام الستة فهو قد ذكر الكراهة دون أن يبين هل هي مقصورة على فورية صومها بعد الفطر أو هي عامة سواء وقع الاتصال أو وقع الانفصال في حين نرى في بعض كتب المالكية أن الكراهة مرتبطة بالاتصال أما إذا أصبحت مفرقة فإن ذلك يعد من المندوب المرغب فيه (12) وحينئذ لا يكون خلاف بين لفظ الحديث وبين العمل على هذا الشكل المرغوب فيه.

ولقد كان المؤلف في بعض الأحيان ينتقي من الحقائق العلمية ما يدل على دقة اختياره وسعة معرفته وحسن اهتدائه لوسائل التلقين خصوصا في بعض الأركان الواجبة التي يحتاج المسلم فيها إلى معرفة دقائقها وأشكالها لمناسك الحج وما يتصل بها.

ومن أجمل ما نقل في ذلك فائدة تتصل بأعمال الحج وترتبط به نقلها عن الخطاب فقال (13).

فائدة : قال الحطاب مثلثات الحج أوجه الإحرام الثلاثة الإفراد والقرآن والتمتع. والاغتسال ثلاثة للاحرام ولدخول مكة وللوقوف بعرفة. والركوع ثلاثة للاحرام ولطواف الوداع ولطواف الإفاضة. ومن يجمع بين الحل والحرم ثلاثة الحاج والمعتمر والهدي. والخبب ثلاثة في الطواف وفي السعي وفي بطن محسر. وخطب الحج ثلاث. والجمار ثلاث. وأيام التشريق ثلاثة وأيام النحر ثلاثة ومتعدى الميقات ثلاثة مريد النسك ومريد مكة لغير النسك وغير مريد لمكة والمحرمون بالنسبة إلى الحلق والتقصير ثلاثة قسم يتعين عليهم الحلق وهم الملبدون ومن كان شعره قصيرا ومن لم يكن برأسه شعر وقسم يتعين عليهم التقصير وذلك في حق المرأة وقسم يجوز في حقهم الأمران والحلق أفضل وهم من عدا ذلك. والهدي ثلاثة ابل وبقر وغنم وكل أفعال الحج يطلب فيها المشي إلا الوقوف بعرفة والوقوف بالمشعر ورمي جمرة العقبة انتهى.

إن كتاب طبق الأرطاب رغم مرور السنين ما زال كتابا صالحا لتعليم أركان الدين ولتقريب قواعد الفقه ولتيسير سبل السعادة فهو بعيد عن التضييقات بفتح مجال الطاعة ويحبب الناس في العقيدة من غير أن يسلك مسالك المناطقة أو أن تتشعب به طرق البحث والتعليل وهو كتاب يسير وفق خطة المولى محمد بن عبد الله في إصلاح طريقة التعليم ومساهمة عملية منه لابداء المنهاج الذي يدعو إليه وبذلك كانت أعماله الفكرية والتربوية في مستوى أعماله السياسية والدولية رحمه الله وأعاننا على إحياء ذكراه بالعمل على نشر بعض كتبه وعلى التعريف بها. تلك الكتب التي كان لا يطمئن إلى ما في محتوياتها إلا إذا صادق عليها رجال العلم وأرباب المعرفة والتي كان يستفسر عن مضامينها علماء المغرب والمشرق. ولقد

---

10) رواه مسلم وقد روي موقوفا، انظر كتاب المحرر في الحديث في بيان الأحكام الشرعية للحافظ أبي عبد الله محمد المقدسي طبعة المكتبة التجارية مصر صفحة 113.

11) طبق الأرطاب صفحة 216.

12) نسب الأزهار اليمنية على الأنوار السنية للقلصادي مطبعة السعادة بمصر صفحة 75.

13) طبق الأرطاب صفحة 246.

اشتهرت كتبه في الآفاق ونسخت في مختلف البلدان ويكفينا دليلا على ذلك أن هذه النسخة التي نتحدث عنها قد كتبت بخط مشرقي جميل وأنها مصدرة بتقريظين لعالمين من علماء مصر هما محمد بن عبد المعطي الأزهري الحريري الحنفي ومحمد بن محمد الأمير المالكي الأزهري ولقد رأيت اتماما للفائدة أن أنقل بعض الفقرات من هذين التقريظين المفيدين.

فمن التقريظ الأول قوله بعد البسملة... أما بعد فلما سرحت طرفي في رياض كتاب طبق الأرطاب وشرحت صدري بأنوار بدوره المشرقة الرفيعة الجناب ألفيته طبا شافيا من أسقام الجهالات ودليلا مرشدا يهتدي به إلى تصحيح العبادات يروق ناظر اللبيب الماهر الفاضل وشرح صدر الأديب البالغ الكامل محتويا على عقائد الإيمان المنجية من الخلود في النيران منطويا على أركان الإسلام التي صح بها الحديث عن سيد ولد عدنان مع ما اشتمل عليه من حسن الترتيب على الأسلوب الغريب وجودة التركيب البديع العجيب الخ.

وأما التقريظ الثاني فيقول فيه كاتبه.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله الذي شرفنا بالفقه في الدين وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما.

أما بعد فقد قرأت جميع هذا المختصر الجامع فإذا نور الشريعة من مبانيه ساطع جمع مشهور الفقه ومأثور السنن في أوضح بيان وألطف سنن قرب غرر المسائل لسائليها وتحرى الصواب في غرر الأقوال لقائليها فجزى الله مؤلفه عن الذي صنع خيرا ومنع به وعنه ضررا وضيرا وحفظه للمسلمين وشيد به أركان الدين آمين والحمد لله رب العالمين.

ومن خلال هذين التقريظين الدقيقين الهادفين إلى تحديد موضوع الكتاب وإلى الطريقة المثلى في تأليفه يتبين لنا أن المولى محمد بن عبد الله بذل مجهودا موفقا وأنه كان حريصا على تتبع مصادر الأحكام الشرعية من القرآن والسنة وانه نقل أقوال مشاهير الفقهاء وأشار إليها سواء أكانت متصلة بالفقه المالكي أو كانت متصلة بغيره من غير أن يظهر تعصبا أو أن يرفض تأويلا اللهم إلا إذا كان الأمر يتعلق بمصالح العباد بعضهم مع بعض فإنه لا يقبل التخيير ولا يستسلم للتأويل خشية من الظلم أو التعدي أو البهتان.

واني رأيت بعد هذا التعريف بمضمون كتاب طبق الأرطاب أن أتعرض بصفة موجزة إلى وصف هذه النسخة الخطية التي نتحدث عنها فهي مكتوبة بخط مشرقي لم يضع ناسخها عليها زمن النسخ مقاسها (21 × 31) وأما مسطرتها فأربعة عشر سطرا وهي مجلدة تجليدا جميلا ومنقوشة بماء الذهب وفي مطلعها تزويق ملون جذاب كتبت عناوينها بالمداد الأحمر وقد غفل الناسخ كتابة عنوان فصل من الفصول وترك مكانه بياضا وهو الفصل المعنون بفرائض الصلاة (14) وقد أصيبت بعض أوراقها بتآكل ناتج عن الأرضة كما أصابت الرطوبة بعض صفحاتها.

أما الخط فواضح جميل إلا أن الناسخ قد يخطىء أحيانا في رسم بعض الكلمات خطأ لا يخفى على القارىء النبيه وإن المقابلة بين هذه النسخة وبين كتاب الفتح الرباني المطبوع قد تساعد على تصحيح الكتابين معا خصوصا لمن سيتولى طبع هذا الكتاب طبعا محققا وما أحوجنا إلى من يقوم بذلك فليس هذا الكتاب من الكتب التي تنقضي فوائدهما بانقضاء زمان تأليفها بل هو كتاب رائع يجمع بين صحة الجانب الموضوعي وجمال التعبير عنه ولقد وجدت نفسي مرتاحا إلى الحديث عنه في مناسبة عيد العرش السعيد إشعارا لما لهذه الدولة العلوية من مزايا ولما لها من فضل في نشر العلم وتشجيع أهله.

فاس **محمد بن عبد العزيز الدباغ**

---

14) نفس الكتاب صفحة 101 وقد اهتدينا إلى العنوان المحذوف من كتاب الفتح الرباني صفحة 28.

شعب الخلود أنا

للشاعر الأستاذ المرحوم أبو بكر المريني

شعب الخلود أنا. نار على علم ... ولست أرضى بغير المجد والقمم

دمي فدى الأرض والإسلام أهرقه ... ولا ترى فيّ إلا عالي الهمم

إذا أردت فإن الله ينصرني ... وإن خطوت تراني راسخ القدم

شعب المسيرة كم أدهشت من أمم ... بالعزم والحزم والاقدام والحكم

شعب إذا ما أدلهم الأمر قمت له ... بوحدة غير هياب جد مقتحم

شعب الصناديد في بيد وفي أكم ... حازوا البطولة في الهيجاء من قدم

شعب إذا أنجد الإخوان أسعدهم ... حتى ولو أنهم ليسوا بذي رحم

شعب الوفاء لمن وفوا بعهدهم ... أرعى الحقوق وإني جد ملتزم

شعب السلام بلا لف ولا نزق ... شعب الإخاء وشعب الجود والكرم

شعب عزيز أبي النفس ذو شيم ... عز المثيل لها في سائر الأمم

يا وادي الذهب الغالي فداك دمي ... وكل حبة رمل نقطة بدمي

الله أكبر أعليها مدوية ... يرتاع منها عدو لاذ بالصمم

اليوم عيد وعيد أؤرخه ... بوحدة الصف وجمع الشمل والكلم

فقل لمن نقضوا الميثاق إنكم ... خيرا فعلتم وما أخشى من الندم

لقد أبى الله إلا وحدتي وعلا ... ئي فليمت حاسدي بالغيظ والألم

وهذه بيعتي في ذمة الحسن ... الثاني ولا يستوى العملاق بالقزم

حر أنا وأحمي الدار من خطر ... آت من الجار أو من عابد الصنم

والحر ليس كعبد في تصرفه ... فالعبد عبد وفي الأسواق كالغنم

أقسمت بالله أحمي الدار من خطر ... العدا وإني أبر اليوم بالقسم

الحمد لله أعدائي قد اندحروا ... موتوا بغيظكم إني على القمم

المذهب المالكي والتعامل المغربي في المجال الزراعي.

للأستاذ علال الخياري

1 ـ نظرة عامـة :

الأرض مصدر الثروة، وعامل أساسي في الانتاج، وقد وردت في شأنها أحاديث نبوية كثيرة، منها هذا الحديث المروي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله (ص) قال :

«ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة» (1).

والملاحظ أن النظام الاقتصادي الاسلامي حين أقر قواعد كلية، وشرع أحكاما الزامية في مجال الانتاج الزراعي، لم يفرض على مالك الأرض إحتذاء شكل معين من أشكال الانتاج الزراعي، بل ترك له الحرية في أرضه يستغلها حسب ارادته وكفائته الشخصية تبعا للتحولات البنيوية في اطار التطور الاقتصادي، ومجاراة التقدم الصناعي.

2 ـ أساس الطرق الزراعيـة :

ويمكن القول بأن كل التحولات في المشاريع الزراعية، سواء منها التي حدثت بالفعل، أو تحدث في المستقبل، لا تخرج عن حدود طريقتين جوهريتين هما :

- طريقة الانتاج الزراعي الشخصي.
- طريقة الانتاج الزراعي المشترك أو التعاوني.

وتمثل هاتان الطريقتان المحور الذي تدور حوله كل أشكال وحدات الإنتاج الزراعي في تطورها التاريخي، منذ كانت وحدات فردية وعائلية، الى أن أصبحت في الوقت الحاضر وحدات مشتركة تقوم بها الشركات والجمعيات التعاونية الانتاجية.

3 ـ التعامل المغربي في المجال الزراعي :

ولا يتسع المجال هنا لبيان الأفضلية الشرعية (2) لطريقة الانتاج الزراعي الشخصي حيث يتولى المالك زراعة أرضه بنفسه أو بمساعدة فلاحين يستأجرهم لهذا الغرض. ولكن تحسن الاشارة إلى أن المغاربة ظلوا يفضلون هذه الطريقة على امتداد مسيرتهم التاريخية (3)مرغم أنهم

---

1 ـ صحيح البخاري، ج، 3، ص، 135 ورواه بطريقتين، الأول عن عبد الرحمن بن المبارك بلفظ «حدثني» والثاني عن قتيبة بن سعيد بلفظ «حدثنا» قال، حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله (ص)......... الحديث

2 ـ راجع «نيل الاوطار» للشوكاني، ج 5، ص، 15.

3 ـ ولم تمنع الظواهر الجديدة التي حدثت بعد الاستقلال من شيوع هاته الطريقة داخل البنية الفلاحية المغربية، ففي تقرير نشرته وزارة الفلاحة نقرأ ما يلي :

«تدور الفلاحة التقليدية حول الاستهلاك الذاتي، وتمثل ما يقرب من 80 % من الأراضي المزروعة وتحتوي على ملكيات صغيرة ومتوسطة ومجزأة»...

مارسوا بالفعل طريقة المزارعة وطريقة الكراء الموسمي أو الحكر (4)، وهذه هي صورة التعامل الزراعي بين المغاربة حتى قبل أن يستقر المذهب المالكي في كل ربوع المغرب كمذهب تشريعي يجري العمل بمقتضاه في جميع مرافق الحياة.

ويهمنا الآن أن نتساءل ما هو موقف المذهب المالكي من بعض الظاهرات الفلاحية التي تدخل في اطار التقليد الزراعي المغربي مثل ظاهرة «الخماس» التي جرى العمل بها مع أنها تخالف بعض قواعد المذهب في مجال تنظيم المشاركة في الانتاج الزراعي ؟

الواقع أن المذهب المالكي لم يستطع أن يغير من مسار هذا التطبيق العملي (5)، فإذا راجعنا كتب النوازل التي تعكس حياة المجتمع المغربي بمشاكلها التشريعية والاقتصادية، فاننا نجد أن الفقه المالكي لم يستطع بعد تمكنه أن يقف في وجه التقليد الزراعي أو يجري عكس تياره، وهكذا بقي مالك الأرض كما كان في الماضي، يعطي أرضه الى خماس على أن يحرثها ببذره ودوابه وآلته في مقابل جزء شائع من المحصول الزراعي يحدد في عقد الاتفاق الكتابي أو الشفاهي بالنصف أو الثلث.

4 ـ التخريجات الفقهية لظاهرة «الخماسة» :

ورغم مخالفة هذه الظاهرة لمقتضيات المذهب المالكي الذي يشترط أن يكون البذر من صاحب الأرض وأن يتساوى المتعاقدان فيما يساهم به كل واحد منهما، فأنها ظلت تمثل التطبيق العملي للمزارعة بالمغرب حتى الوقت الحاضر.

وقد ذهب الفقهاء كل مذهب في تبرير موقفهم من هذا التقليد الزراعي المغربي الموروث وأحسن رأي في هذا الصدد ما ذكره صاحب المعيار عن ابن لب : «أن ما ارتكبه الناس وتقادم في عرفهم وجرى به عملهم ينبغي أن يلتمس له وجه شرعي ما أمكن على خلاف وأوفاق، إذ لا يلزم ارتباط العمل بمذهب معين ولا بمشهور من قول (6).

والوجه الشرعي الذي ينبغي أن يلتمس لهذا التقليد الزراعي هو مذهب ابن حزم الذي لا يشترط أن يكون البذر من مالك الأرض (7)، أو يلتمس له وجه شرعي آخر يتمثل عند سحنون في أن الخماس شريك، وبهذا الاعتبار تكون المزارعة على هذا الشكل جائزة، ويتمثل عند غير سحنون في أن هذه المزارعة جائزة للضرورة قال صاحب «العمليات» :

وأجرة الخماس أمر مشكـــــل
وللضـــرورة بهـــا تساهـــل

5 ـ التأطير التشريعي للقطاع الفلاحي :

وفي الوقت الحاضر ما يزال التطبيق العملي للمزارعة على هذا السنن، في حين لم يتعرض القانون المدني المغربي لتنظيم هذا القطاع الحيوي بسن تشريعات تكون في مستوى الدور المنوط به في الاقتصاد الوطني، وكل ما في الأمر أن التصاميم الوطنية والدراسات المتعلقة بتنمية بعض الأقاليم أعطت بعض الأرقام عن الأراضي الزراعية بالمغرب، حيث قسمتها إلى قسمين :

ـ قطاع عصري ويمثل نسبة 25 %.
ـ قطاع تقليدي ويمثل نسبة 75 % (8).

ومن المعروف أن التطبيق العملي للمزارعة بمواصفاتها المتقدمة منتشرة جدا في القطاع التقليدي وعلى الأخص في الضيعات المعاشية الكبيرة التي تتراوح مساحتها بين 10 هكتارات و20 هكتارا، الشيء الذي يجعل صاحبها مضطرا إلى استخدام يد عاملة خارج العائلة أما في شكل عمل مأجور، واما في شكل «خماسة»

4 راجع «الاقتصاد السياسي» كامل المصري، ج : 2، ص : 14.
5 وسنرى كيف أن الفقهاء ذهبوا كل مذهب في تبرير موقفهم من هذا التقليد الزراعي المغربي الموروث الذي انتقل إلى الأندلس بمواصفاته السابقة.
6 البهجة في شرح التحفة للتسولي ج : 2 ـ ص : 194.
7 المحلى لابن حزم ج : 3، ص : 211 وما بعدها.
8 التخطيط الخماسي ـ 1968 ـ 1972.

ويلاحظ أن المزارعة في القطاع التقليدي تضر كثيرا بالأراضي الزراعية ولا تساعد أبدا على الزيادة في الانتاج، لأن الفلاح المشارك ـ الخماس ـ مثلا ـ لا يعير أي اهتمام للأرض التي يحرثها بسبب ضعف امكانياته المادية، وقصر مدة المشاركة وانعدام وجود أي وازع اقتصادي يدفعه للرفع من مستوى انتاجه الاجمالي.

وكيفما كان الحال فإن المغرب بلد فلاحي، وكل اصلاح زراعي أو تنظيم تعاوني أو غير ذلك ينبغي أن يراعى فيه أن القطاع الفلاحي يتميز عن بقية المجالات الاقتصادية الأخرى بظاهرة خاصة تنحصر في عدم وجود دخل منتظم على مدار السنة يتيح للفلاح توفير جزء في صورة ادخار أو استثمار في مجال الانتاج، الأمر الذي لا يساعده على امكان ادخال المعدات والأدوات اللازمة لتحسين مردود عائد الهكتار. لذلك وجب على الادارة المختصة أن تتحمل على عاتقها ضمان توفير مصادر الاقتراض لهذا القطاع الحيوي (9)، وفي ذلك أهم حل لمشكلات القطاع الفلاحي للسير به في طريق التنمية التي هي هدف الجميع. وبالله التوفيق.



9 انظر في مسألة التمويل والاقتراض «مجلة التعاون» التي تصدرها وزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي ص، 69 سنة 1976.

القاضي محمد بن أحمد العلوي الإسماعيلي

1288هـ - 1327 / 1871م - 1947م

للأستاذ محمد العرايشي

شخصية محمد بن أحمد العلوي الاسماعيلي شخصية لامعة في التاريخ، فهو من بين الأفذاذ الذين أنجبتهم البيئة المغربية، وأحد الاعلام المشار اليهم بالبنان.

قضى زهرة عمره في الكتابة والتأليف والتدريس، وأنتج الكثير الجيد، فنفسه الطويل في علوم التفسير والحديث، واطلاعه الواسع على أصول التشريع الاسلامي، وتضلعه في فنون الفتوى والأحكام، كل ذلك شاهد بمقدرته العلمية، وبالتالي ففي كل فن من فنون المعرفة له صولة، وفي كل ميدان من ميادينها له جولة.

وهو بالاضافة إلى ذلك مثال الوطنية الصادقة الصامتة، يكره بطبيعته الاستعمار والمستعمرين، ويفتي بوجوب رفع كابوس الاحتلال الأجنبي عن المغرب، مؤيدا بذلك مطلبا مقدسا لدى المغاربة أجمعين، ويحمل فتواه إلى القصر الملكي بالرباط في شهر يناير 1944، وقد ختمها بتلك العبارة الخالدة، التي رددت أنذاك صداها جميع الأوساط الوطنية - ومجمل القول - : «يجب أن ترفع يد الكفر عن الاسلام والمسلمين، لأن الرضا بالكفر كفر» ويلقى في طريقه إلى القصر ما كان يلقاه أنذاك كل وطني مخلص من التعسف والاضطهاد من طرف السلطة الاستعمارية، فيتحمل الأذى صابرا ويمضي في طريقة لا يثنيه عن عقيدته عجرفة المسيطرين ولا صلف المستعمرين.

ذلك هو محمد بن أحمد الذي سنقدم للقراء الكرام نبذة مختصرة من ترجمته التي كتبها بقلمه والتي صدر بها فهرسته.

نسبه :

يتصل نسبه بالسلطان المقدس المولى اسماعيل، ووسائطه إلى هذا العمود سبعة :

فهو محمد بن أحمد بن ادريس بن الشريف بن المهدي بن أحمد ابن المهدي بن المهدي مرتين بن أمير المؤمنين المولى اسماعيل

ولادته ونشأته :

ولد بمدينة زرهون في فاتح صفر الخير عام 1288 هـ موافق 1871 م، وتوفي والده وهو لازال رضيعا فكفله جده للأب مولاي ادريس، وفي سن مبكر دخل إلى الكتاب، وبعد أن حفظ القرآن الكريم غادر الكتاب، وألهمه الله تعالى ملازمة الطهارة والصلاة مع الجماعة بالضريح الادريسي.

طلبه للعلم ورحلته للعاصمة العلميـــة :

لما رأى صنو جده وأحد شيوخه مولاي الحسن بن الشريف حسن حاله أمره بحضور مجالس العلم وحفظ المتون.

وفي هذا الصدد يحدثنا المترجم له في ترجمته عن سبب تعاطيه للعلم فيقول : «ولما رأى ذلك مني - حسن الحال - صنو الجد المتقدم دعاني ذات يوم اثر الفراغ من الصلاة بالحرم الادريسي وقال لي : «لزوم الحال الحسن هو هذا، وكماله هو أن تشفعه بطلب العلم الشريف، فاتخذ لوحا واتني به، أكتب لك فيه بعض الجرومية والمرشد». فوقعت اشارته هذه مني الموقع الحسن وكأنها قدحت مني نارا كامنة، فذهبت فأتيته بلوح ودواة، فكتب لي فيه أوائل الجرومية والمرشد، ثم أمرني بحضور مجلس درسه، فحضرت درسه في الجرومية، فوجدته يقرر في أوائلها حقائق الاسم والفعل والحرف، فوعيت كل ما قرره في ذلك المجلس، وحملني ذلك على العودة اليه، وقوى عزمي على التجرد لطلب العلم، ووقع في نفسي أثر لا أبلغ ما قصدته من ذلك إلا بالرحلة لطلبه بفاس، فلم يزل ذلك ينمو في خاطري ويقوى، وفي ذلك الوقت بالذات هيأ الله لي رفيقا ساعدني على ما أنا مقبل عليه، بعدما طلبت منه أن يرافقني، وكان أقوى مني حالا في مباشرة الأسباب وكنا لا نروم شيئا منها إلا هيأه الله سبحانه، وقد حبب الله إلي في تلك الوجهة ملازمة الكراس والدرس، ومذاكرة من أستعين به من المتصفين بآداب طلب العلم، فكان ذلك كله ألذ عندي من كل شغوف به، بحيث كنت أستطيل أوقات ملابسة الأمور البشرية : من تناول طعام ونحوه، هذا مع الانقباض عن كل مخالطة لأستعين بها على ما أنا بصدده، ومع ملازمة الصمت، وعدم الخروج عن السمت، حتى أن بعض الناس استفهم الرفيق المتقدم قائلا : «هل يكلمك فلان حينما تكون في بيت المدرسة».

انهاء دراسته، والرجوع إلى مسقط رأسه :

ويستمر في عرض هذه الحالة فيقول : «ثم لما قرأت ما قدر لي هناك، وأحسست من نفسي فتورا في الجد من مزيد الطلب، مع شدة الحاح الجدة علي في التزوج، أجبتها حينئذ إلى ما طلبت، فكان تزوجي واستقراري بالزاوية الادريسية آخر عام 1311 هـ.

وكانت بلدتنا إذ ذاك عامرة بمشايخها الثلاثة :

1) حامل راية دروسها صنو الجد المتقدم العلامة مولاي الحسن بن الشريف.

2) خطيبها وامامها وقدوتها مولاي الفضيل بن الخطيب العلامة مولاي الفاطمي الشبيهي.

3) مفتيها المشاور سيدي محمد بن عبد الواحد النسب.

فكانت البلاد غنية بهؤلاء المشايخ الثلاثة يستغني بهم أهلها فيما يهمهم في دينهم ودنياهم، بحيث لا يروج لغيرهم فيها أمر إلا من طريقهم، وعلى حسب التبعية لهم، ومن أراد أن تروج بضاعته من غير طريقهم يكون مستهجنا مرفوضا.

فلما رأيت ذلك أغلقت علي بابي ولزمت مطالعة كتبي وصرت لا أخرج إلا إلى صلاة الجمعة ونحوها من المهمات.

انتقال صنو جده لمدينة مكناس :

ثم يقول : «وبقيت على ذلك مدة إلى أن وقع الله تعالى في قلب صنو الجد المذكور الانتقال إلى سكنى مكناسة الزيتون فكرهت ذلك منه لأني كنت أستأنس بالاجتماع به عندما يضيق خاطري مع ما كان عليه من عظيم المحبة لي، وكان انتقاله لمدينة مكناس فاتح عام 1316 هـ».

تعاطيه للفتـــوى :

لقد ذكر المترجم له في ترجمته أن سبب تعاطيه الفتوى هو أن بعض أعيان الشرفاء الأدارسة كان نازعه قريب ابن أخ له فيما يرجع للميراث وكانا معا جارين لي فترافعا لمجالس الأحكام الشرعية وكانت الدعوى اشتملت على فصلين أنكر العم المذكور ابن أخيه المذكور فيهما.

فطلب ابن الأخ التأجيل لاثبات أحدهما وتعجيل يمين العم في الآخر لعجزه عن الاثبات فيه، فحكم عليه القاضي باليمين حينا، فطلب الامهال ليأتي بمدفع، فأجله لذلك، فذهب إلى الشيخ الخطيب المتقدم ليفتيه في ذلك، وكان صديقا له، فوجده مريضا شغله ما حل به عن غيره،

فانصرف عنه إلى الشيخ المشاور السابق، فحجبه لأمر اقتضاه عنده، فانسدت عليه بذلك الأبواب، وبقي في ضيق وحيرة فاضطره ذلك إلى طرق بابي واستفتائه لي فيما نزل به، فأجبته في الحين بأنه ليس لخصمه عليه إلا أن يحلف على الأمرين ويبرأ من الدعوى كلها أو يؤخر اليمين حتى يثبت الفصل الآخر أو يعجز، عنه فيحلف يمينا واحدة على الفصلين، فلما سمع هذا مني كاد أن يطير فرحا، فطلبني في كتبه، فكتبت له نصوص أهل العلم بذلك، فذهب به إلى القاضي فأعذر فيه إلى الخصم فلم يجد فيه مدفعا، فاضطره الحال أيضا إلى أن جاءني راغبا في التوسط بينهما في فصل القضية، فذهب وجمعت بينهما وأحضرا عدلين، وفصلت القضية على وجه جميل للجانبين، فنقل وقوع ذلك الفصل على يدي إلى الشيخين المذكورين وراج أمره في الناس، فكان ذلك مفتاح طروق المستفتين لبابي وتواردهم إلى رحابي، وصار الشيخان المذكوران يدلان في بعض الأحيان من يستفتيهما علي، فهذا أصل ما أقمت فيه من الافتاء.

رحلاته بالمغرب :

رحل إلى زيارة القطب مولانا عبد السلام بن مشيش وزار أثناء تلك الرحلة وزان وشفشاون وتطوان وطنجة والقصر الكبير، ورحل أيضا إلى زيارة الشيخ المتبرك به مولاي العربي الدرقاوي بقبيلة بني زروال، ودخل غيرها من بلاد القبائل هناك، كقبيلة اغزاوة وبني مستاوة وبني يحمد، كما شد الرحلة لزيارة الشيخ أبي يعزى وزار الحوز والشاوية وبني مسكين والرحامنة وتادلة، وكثرت زيارته لمدينة مكناس واستقراره بها، ومما قاله في هذا الصدد : «ولقيت بهذه الوجهات أفاضل من علماء وصالحين وأخيار، وفاوضناهم وفاوضونا، وأخذنا عن بعضهم اذكارا ودعوات، وانتفعنا بحالهم ومقالهم فيما تزكو به الديانات.

رحلته إلى الحجاز :

في سنة 1366 ـ 1947 توجه للبقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، بعدما عينه جلالة المغفور له محمد الخامس على رأس وفد الحج الرسمي.

وقد مثل المغرب أحسن تمثيل، وكان يسهر على مصالح الحجاج المغاربة، ويلقنهم مناسكهم، وينبههم إلى الآداب التي ينبغي أن يسلكوها منذ مغادرتهم لبلادهم إلى حين عودتهم اليها.

شيوخه :

شيوخه الذين أخذ عنهم بمدينة زرهون هم :

أولا : مولاي الفضيل بن الفاطمي الادريسي الشبيهي المتوفي ليلة الجمعة 20 شعبان عام 1318 هـ ـ 1900 م.

يقول عنه المترجم له : «كان معتنيا بالكتابة والتقييد والحديث وشروحه، ذاكرا للمسائل، له تعليق على صحيح البخاري سماه : «الفجر الساطع»، يقع في أربعة أجزاء بخطه، وهو نفيس لا يستغنى عنه، وكان متين الدين صدرا في المجالس، مهابا في الأعين مرموقا بالاجلال من العامة والخاصة موصوفا بالسمت الحسن، والهدى المستحسن، حضرت دروسه في صحيح البخاري».

ثانيا : سيدي محمد بن عبد الواحد الادريسي الشبيهي المتوفي ليلة عيد الأضحى من شهر ذي الحجة عام 1324 هـ ـ 1907 م.

يقول عنه المترجم له أيضا : «كان فاضلا علما، عقلا وسياسة وكرامة وجاها، محبا لأهل الخير، رؤوفا بالضعفاء حلو المحادثة جميل البشر، مع علو قدر وكمال تؤدة، وحسن سمت، حضرت دروسه في الصحيح، وجالسته وفاوضته كثيرا، إذ كانت بيني وبينه رابطة وداد، له تقاييد وفتاوي، وكان يكتب حاشية على البخاري فمات قبل كمالها.

ثالثا : صنو جده، ومحل والده المتقدم الذكر مولاي الحسن بن الشريف العلوي الاسماعيلي المتوفي صباح الجمعة ثاني شوال الفطر عام 1330 هـ ـ 1912 م.

يقول عنه أيضا : «كان مدرسا نفاعا علامة نزيها، صوفيا صالحا منور السريرة والبصيرة، حضرت دروسه في العربية وفاوضته كثيرا، وكان بمنزلة الوالد مودة وبرورا.

الشيوخ الذين أخذ عنهم بالعاصمة العلمية :

ذكر المترجم له منهم عشرة شيوخ، وفيما يلي نص ما كتبه عن كل واحد منهم :

أولا : ومنهم من شيوخ الحضرة الفاسية عمدتنا الذي فتحت به أقفال قلوبنا العلامة المشارك الحجة الناسك ذو الهدى الأرشد والسمو الأرفع أبو عبد الله سيدي محمد بن التهامي الوزاني. كان هذا الهمام حامل راية الدروس والافادة، كامل المعارف، مستحضرا للتالد منها والطارف، طالما اهتزت الدروس لتحبيره، وانفتحت القلوب لتقريره، مع جلالة ومهابة، وجد وصيانة وانابة. لا تكاد تراه الا مدرسا أو تاليا، أو منتصبا بين يدي مولاه مصليا، كم بث في صدور الرجال من المعارف، فانتصبوا في أرجاء الأقطار المغربية كعبة الافادة للطالب روح الله روحه وأسكنه من أعلا الجنان بحبوحه. انتقل إلى كرامة الله، ليلة الاثنين ثاني عشر شعبان عام أحد عشر وثلاثة وألف (1311)، وكانت له جنازة مشهودة لم ترعيني مثلها بالحضرة الفاسية. لازمت دروسه في النحو والتصريف والفقه والفرائض والكلام والمنطق والحديث.

ثانيا : شيخنا العلامة عميد عصره وقدوة قطره، أبو العباس سيدي أحمد بن خالد الناصري السلوي، استخدم بالحضرة الفاسية، فحضرت دروسه في مختصر خليل. كان هذا السيد فصيح اللسان، كامل البيان، له صرامة وحزم، وتآليفه شاهدة له بالتقدم والبراعة، وتمام المشاركة وقوة البضاعة. كانت وفاته عام خمسة عشر وثلاثمائة وألف (1315).

ثالثا : الشريف العلامة البركة القدوة أبو محمد مولانا عبد المالك بن محمد العلوي الضرير، وكان هذا السيد منور الشيبة والوجه، جليل القدر، رفيع الذكر، مشارا إليه بالمعرفة والصلاح، وكم له من تضرعات وأحزاب وأشعار ربانية، يستنجد بها من أناب. وقد سمعته يحدث عن رؤيته النبي صلى الله عليه وسلم، وهو صادق في ذلك. حضرت دروسه في الفقه وسمعت منه ختمه على المختصر. وكانت وفاته يوم الجمعة السابع عشر من جمادي الثانية عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف (1318).

رابعا : قاضي الحضرة المكناسية شيخنا العلامة المشارك المحقق الحجة أبو العباس سيدي أحمد ابن الطالب بن سودة المري. كان تام المعرفة، واسع الاطلاع، كثيرا الاعتناء بالكتابة والتقييد، بارع القلم، صدرا في المجالس الحديثية السلطانية إلى دماثة أخلاق، وطيب أعراق، وبذل واحسان، وتودد لأهل الخصوصية من أبناء الانسان. توفي صبيحة يوم الجمعة الحادي عشر من رجب عام واحد وعشرين وثلاثمائة وألف (1321). حضرت دروسه الحديثية.

خامسا : الشريف العلامة البركة القدوة أبو محمد سيدي جعفر الكتاني. كان هذا السيد من السمو والجلالة بالمكان الأرفع، له قلم بارع في التصنيف والافتاء، وله مصنفات مفيدة في موضوعات عديدة شتى، قد نبه على أسمائها في فهرسته. حضرت دروسه في الحديث والفقه والكلام والوعظ، وكانت وفاته في ثاني عشر شعبان عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف (1323).

سادسا : العلامة الفاضل البركة المحقق أبو عبد الله سيدي محمد ـ فتحا ـ بن سيدي قاسم القادري. كان هذا السيد حلو الشمائل، طيب المفاكهة، آية في سرعة الادراك وتلخيص التقرير، يقرب العويص إلى الأفهام بأسهل طريق وأقصرها، وينهض بهم الطالبين إلى سلوك منهاج التحقيق والتمكين. له تآليف مبسوطة معروفة. لازمت دروسه في الفقه والأصلين، وجالسته وفاوضته كثيرا، وأخرجت له بعض حاشيته على الشيخ الطيب من المبيضة. وكان رحمه الله يحبني ويجلني، وكانت وفاته يوم الأربعاء الثالث عشر من رجب عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف (1331).

سابعا : العلامة الفاضل النزيه سيدي التهامي بن المدني جنون. حضرت دروسه في الفقه والحديث، وكانت مجالسه كثيرة الافادات والانشادات، وكان من أهل الديانة والصيانة، والسمت الحسن، والهدى المستحسن والبعد من المناصب والولاية، وكانت وفاته سابع رجب من سنة وفاة الذي قبله.

ثامنا : العلامة القاضي أبو محمد عبد السلام بن محمد الهواري قاضي الحضرة الفاسية. حضرت دروسه في العربية وأصول الدين، وكانت لمجالس درسه حلاوة

وطلاوة، لما فيها من حسن الإلقاء، وسلامة التقرير، ووضوح التعبير، فكانت بذلك كنوز نفع للطالبين، وموائد اكرام للمستفيدين، وله تصانيف ملخصة حسنة.

تاسعا : الشريف العلامة قاضي الحضرة الفاسية أبو محمد سيدي عبد الهادي الصقلي، كان هذا السيد في مجد شامخ، وسؤدد باذخ، رفيع القدر، عالي الذكر، عظيم التؤدة ظاهر الجلالة والمهابة، حافظا لافظا، فصيح اللسان، حلو التقرير والبيان، حضرت دروسه في الحديث والسيرة، وتوفي حاجا لبيت الله الحرام روح الله روحه.

عاشرا : العلامة الحافظ اللافظ أبو عبد الله سيدي محمد - فتحا - جنون، كان هذا الشيخ كامل الحفظ، بارع التقرير، له ولمجالسه طلاوة ورونق، وله تقاييد في الفقه وأصول الدين، وسمعت عليه ختمه على المختصر.

الشيوخ الذين روى عنهم وأجازوه :

أولا : الشيخ جعفر الكتاني المتقدم الذكر، سمع منه خاتمة الصحيح والشفا لعياض مرتين، وأجاز بجميع ما اشتملت عليه فهرسته وأهدى له نسخة منها وكتب له في أخرها ما يلي :

«حمدا لمن جل قدره عن أن يفي به المدح، والحمد وصلاة وسلاما على سيدنا محمد خير من أجاز الوفد، وعلى اله وأصحابه المتواتر ما لهم من الشرف والمجد، صلاة وسلاما لا ينتهيان بغاية أوحد، أما بعد، فقد أجزت بهذه الفهرسة إجازة خاصة، سيدنا الشريف الجليل الفقيه النبيل، الماجد الفاضل، أبا عبد الله سيدي محمد بن مولاي أحمد العلوي، حفظه الله ونفع به، اسعافا له فيما طلب، ورجاء دعوة صالحة منه، يعود على النفع بها في المنقلب، رزقنا الله واياه الاخلاص، وجعلنا من عبيد الاختصاص، وأنعم علينا بالمشاهدة الدائمة، ومن علينا بحسن الخاتمة آمين، مث جمادي الأولى عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف (1323)، عبيد ربه جعفر بن ادريس الكتاني لطف الله به ومنحه دار التهاني».

ثانيا : الشيخ يوسف النبهاني الشامي صاحب التاليف العديدة، أجازه بواسطة بعض الفضلاء، وبعث اليه بنسخة من فهرسته وكتب له في آخرها ما نصه :

«وقد أجزت سيدي العلامة الأوحد السيد الشريف بن أحمد ابن الشريف العلوي الاسماعيلي الزرهوني بجميع ما اشتمل عليه هذا الثبت وما ألفته بعد طبعه وما رويته عن أشياخ أجلة، أجلهم سيدي الامام العارف بالله السيد أحمد بن حسن العطاس ممن يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة».

ثالثا : الشيخ سليم المسوى الدمشقي، أجازه بواسطة الطريقة الخلوتية وغيرها من العلوم الشرعية واللادونية.

رابعا : الشيخ عبد الكبير الكتاني أجازه خصوصا وعموما ونص أجازته له :

«نحمدك يا من يجير من استجاره سبل الرشاد ونصلي ونسلم على نبيك محمد السيد السند العلم المفرد وعلى آله ذوي الجاه العظيم الذي لا يدرك برسم ولا حد، وعلى صحابته البالغين في تبليغ سنته منتهى الجهد، أما بعد فقد استجازني الشريف الجليل الحائز كمال الاجلال وموجب التبجيل الأمثل الفاضل العالم الكامل الصموت اللوذعي الحي السميذعي الناسك أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد العلوي الزرهوني، فبعدما علمت أنه لا يمكنني إلا اسعافه واجابته وما سعدته، قلت أجزتك أيها السيد الشريف الجليل المنيف بكل ما تجوز لي روايته، كما أجازني بذلك جماعة من العلماء الأعيان، فمن أهالي فاس والدي الامام محمد بن عبد الواحد، ومن مصر الشيخ ابراهيم السقا خطيب جامع الأزهر والعلامة الشيخ محمد عليش، ومن مكة جماعة، ومن المدينة الشيخ عبد الغني الهندي وتلميذه الشيخ علي بن ظاهر وغيرهم من لي منه مجرد السماع، فسندهم مسندي وبأسانيدهم إلى كتب العلم اهتدى، وأجزته خاصة بالأسانيد التي بمحول هذه الورقة، ثم إني أطلب من فضله الجزيل وخلقه الجميل أن لا يقطع عني دعاء الخير الذي هو بكل مرام كفيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، عبيد ربه وأسير ذنبه، أفقر الفقراء، وأحقر كل ما يرى عبد الكبير بن محمد الكتاني الحسني وفي أواسط ربيع الثاني عام عشرين بعد ثلاثمائة وألف (1320)»، ونص ما بمحول الورقة :

«أما بعد حمدا لله سبحانه وشكره بما هو أهله، فإني أروى صحيح امام المحدثين أبي عبد الله محمد بن

اسماعيل البخاري عن الشيخ الجامع بين العلمين أبي محمد عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوى ثم المدني الحنفي النقشبندى سماعا عليه لأوله بالمدينة المنورة واجازة لجميعه وكل مروى له عن شيخه الامام محمد عابد السندى الانصاري المدني عن شيخه صالح بن محمد الفلاني عن محمد بن سنة الأزهرى عن أحمد بن موسى بن عجل عن قطب الدين النهرولي عن نور الدين محمد بن عبد الله الطاوسي عن المعمر بابا يوسف الهروى عن محمد بن شادنجة الفارسي الفرغاني عن أحمد الابدال بسمرقند يحيى بن عمار الختلاني عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربرى عن الامام البخاري وأروى الموطأ لإمام الايمة. مالك بن أنس. بهذا السند. إلى ابن عمار الختلاني عن أبي اسحاق بن عبد الصمد الهاشمي. عن أبي مصعب الزهري. عن الامام مالك. وأروى شفاء القاضي عياض عن والدي أبي الاجلال سيدي محمد بن عبد الواحد المدعو الكبير. عن محمد بن عبد السلام الناصرى. عن مولاي ادريس العراقي. عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي. عن جده عن أبيه العارف. عن أخيه أبي المحاسن. عن أبي العباس المنجور. عن الونشريسي. عن ابن غازي. عن سيدي علي منون المكناسي. عن الجادري عن ابن الأحمر. عن ابن السراج. عن أبي البركات البلقيني. عن ابن الزبير عن عياض. وأروى الأربعين النبوية عن السقا عن ابن الأمير. عن والده العلامة الأمير. عن العارف الحنفي. عن الشيخ محمد بن علي العلوي. عن محمد بن سعد الدين. عن محمد ابن الترجمان. عن سيدي عبد الوهاب الشعراني. عن البرهان بن أبي الشريف. عن البدر القباني. عن سيدي محمد بن الخباز. عن النووي. **بهذا السند أروى جميع مؤلفات النووي وبه إلى الشعراني أروي جميع مؤلفاته** كفهرسته التي في آخر العهود. **ثم بعد هذا قرأت جميع الرسالة العجلونية** المشتملة على أربعين حديثا. وهي أوائل أربعين كتابا من كتب الحديث على الشيخ المجيز المذكور في ملجس واحد أواسط رجب عام 1325. وهو سمعها بالمدينة المنورة على مسند الحجاز في حينه أبي الحسن علي بن ظاهر الوترى المدني الحنفي. وهو على الشيخ أحمد منة الله. وهو عن محدث عصره الشيخ عبد الرحمن الكزبرى. وهو عن المسند شهاب الدين أحمد بن عبيد العطار عن الشيخ اسماعيل العلجوني مؤلف الأوائل. المذكور بأسانيده المرقومة بهوامشها.

خامسا : الشيخ حسين الحبشي أجازه بواسطة. ونص أجازته له :

«الحمد لله قد حصل التفضل من مولانا الامام بركة الحجاز العالم الصالح الكنز المذخر السيد حسين ابن مولانا محمد بن حسين الحبشي الباعلوى. نزيل مكة المكرمة بالإجازة في كل ما رواه أو تلقاه من كافة شيوخه إجازة عامة مطلقة لصاحبنا وحبيبنا العلامة الفاضل الجليل الكامل أبي عبد الله سيدي محمد بن أحمد العلوي الاسماعيلي الزرهوني والله تعالى ينفعه وينفع به آمين» فكتب السيد المجيز عقب ذلك بخطه ما صورته : «الاجازة المذكورة صحيحة كما ذكر. كتبه الفقير المقصر حسين بن محمد بن حسين الحبشي» وذلك في مت عام 1323.

سادسا : الشيخ عبد الله بن ادريس بن محمد بن أحمد السنوسي.

قدم إلى فاس في ربيع النبوي عام 1324 وسمع منه حديث الأولية. وأول صحيح البخاري. وجملة من الأدب المفرد للبخاري وغير ذلك وأجازه بالكتب المسموعة له بعضها وغيرها اجازة عامة.

سابعا : قاضي الحضرة الفاسية الشيخ حميد بن محمد بناني سمع منه حديث الأولية بشرطة وأجازه عامة سنة 1324 هـ.

ثامنا : الشيخ التهامي جنون المتقدم الذكر. أذن له في أن يروي عنه سائر ماله وما لشيخه صنوه الحاج محمد بن المدني جنون مؤلف (اختصار حاشية الرهوني) وغيره اباحة واذنا شفاهيين عاميين.

«بعد أن أعلمني بأنه سمع من شيخه المذكور جميع الموطا والصحيحين والشفا ومختصر خليل وغير ذلك. كل ذلك بقراءته هو على شيخه المذكور. ولم يفته شيء من ذلك. وسمى لي من مؤلفات شيخه المذكور التي أرويها عنه على سبيل الخصوص والتعيين. تعليقه على الموطأ. الزجر والاقماع. الدرر المكنونة. تسلية من يودى. تأليف في

النشور. تآليفه في حديث لا عدوى. نصيحته. نوازله. قال وأنا الجامع والمرتب لها. اختصار حاشية الرهوني على الزرقاني. وغير ذلك. كما عين لي من تآليفه هو التي أرويها عنه كذلك. تآليفه على الموطأ. والصحيحين. والشفا. وشرحه لنظم ابن يامون في أدب النكاح. وتقييد في أسباب الرؤية النبوية. وهذا قد كان اسمعنا بعضه في درسه وغير ذلك».

تاسعا : الشيخ محمد القادري المتقدم الذكر أجازه بلفظه بكل ما له.

عاشرا : الشيخ محمد بن جعفر الكتاني سمع منه أوائل العجلوني وأجازه بها وبغيرها وكتب له ما نصه.

«الحمد لله سمع مني هذه الأوائل بالزاوية الزرهونية ازاء الضريح الادريسي سيدنا الشريف الأجل. الفقيه البركة الأمثل. أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد العلوي واستجازني فيها وفي غيرها. فأجزته في الجميع اجازة عامة بشرطها المعروف. وقد سمعتها بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام. عن شيخنا العلامة الراوية المشارك أبي الحسن سيدي علي بن ظاهر الوترى المدني وأجازني فيها وفي غيرها وكتب لي بخطه سندنا فيها إلى جامعها العلجوني رحم الله الجميع ونفعنا بالعلم ورزقنا به أمين. قاله وكتبه عبيد ربه تعالى محمد بن جعفر الكتاني في أول ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من ربيع الثاني عام 1325 من هجرة خير الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام صح به من خطه». ثم كتب لي أيضا اجازة مطولة عين لي فيها من أجازه وبعض تآليفه وهي ، الأزهار العاطرة. وسلوة الأنفاس والمولد. وشفاء الأسقام.

الحادي عشر : الشيخ محمد بن عبد الواحد المتقدم أجازه اجازة امة بلفظه إلا أنه استعظم اجازته له وامتنع من اجازته له إلا بعد أن يجيزه المترجم له فلم يسعه إلا تلبية رغبته.

مروياتـــه :

له مرويات خصوصية فيما يرجع لكتب الحديث وغيرها. ومرويات خصوصية فيما يرجع للأوراد والأذكار والدعوات.

أما مروياته فيما يرجع لكتب الحديث وغيرها فقد ذكر عنها في ترجمته ما يأتي ؛

صحيح البخاري والموطأ حسبما تقدم في روايتنا عن أبي المكارم عبد الكبير وعن أبي العلاء السوسي وعن السيد التهامي جنون وغيرهم.

ومنها صحيح مسلم في روايتنا عن الثالث من هؤلاء. ومنها الشفا في روايتنا عن الأول والثالث. ومنها الأدب المفرد. وحديث الأولية في روايتنا عن الثاني. وكذا في روايتها عن القاضي حميد بالنسبة إلى حديث الأولية. ومنها الأربعون. والحزب. والأذكار للنوري. حسبما مر في روايتنا عن الأول. ومنها عهود الشعراني حسبما تقدم فيها أيضا. ومنها الكتب الأربعون التي سمعنا أوائلها على الأول وابن أبي عبد الله بن جعفر وهي الموطا والكتب الست ومسانيد أبي حنيفة والشافعي وابن حنبل والبزار وأبي داوود الطيالسي وعبد ابن حميد. والداومي. والحارث. ابن أبي أسامة. وأبي يعلى. وصحيحا ابن حبان. وابن خزيمة. ومصنفا عبد الرزاق وابن شيبة. وسنن أبي مسلم الكشي. وسعيد بن منصور. البيهقي وتاريخا ابن معين. وابن عساكر. والزهد والرقائق لابن مبارك. ونوادر الأصول للحكيم. وكتاب الدعاء للطبراني. واقتضاء العلم العمل للخطيب. ومستدرك الحاكم. ومستخرجا الاسماعيلي وأبي عوانة. والفرج بعد الشدة. لأبي الدنيا. وحلية أبي نعيم. ومشكاة الأنوار للحاتمي. وشرح السنة للبغوى. والشفا لعياض. وعمل اليوم والليلة لابن السني. والذرية الطاهرة. للدولابي. وجياد المسلسلات. للسيد وهو آخرها. ومنها مختصر خليل في روايتنا عن الثالث. ومنها ما تقدم من مؤلفات السيد التهامي جنون. وشيخه وأبي عبد الله ابن جعفر. فهذه كلها قد سبق التنصيص على تعيينها في روايتنا ويلي ذلك في رتبة التعيين والتنصيص. ما اشتملت عليه فهرستا أبي محمد جعفر. والنبهاني. لما سبق من تعيينها في الرواية وكذا فهرست الشعراني كما تقدم في الرواية عن أبي المكارم. ومن مروياتنا الخاصة ما سبق التنبيه على سماعنا اياه من الشيوخ. فإن السماع أعلا طرق الرواية.

وأما مروياته الخصوصية فيما يرجع للأوراد والأذكار والدعوات. فقد ذكر أنها كثيرة. وانما لم يتعرض لها لكون

السائل الذي سأله وضع ترجمة خاصة به لم يعرج على هذا السؤال.

أسانيده :

تعرض في هذا الفصل الأخير من فهرسته إلى وصل مروياته بالأسانيد المشهورة، وذكر عن ذلك ما يأتي :

أعلم أولا أننا نروى عن الشيخ التاودى سائر مروياته المفصلة في سنده وسائر مؤلفاته المشهورة بواسطة شيخنا السيد التهامي جنون عن صنوه العلامة سيدي الحاج محمد عن شيخه الشريف العلامة المعمر سيدي بدر الدين الحمومي عن شيخه سيدي التاودى المذكور. وهذا سند صحيح متصل، لأن السيد التهامي أجازني عموما وهو أجازه صنوه السيد ج محمد كذلك، وهو أجازه السيد بدر الدين كذلك. وبهذا السند أروى سائر مروياته الشيخ بدر الدين المذكور، ومؤلفاته، كشرح المرشد والشمائل. والحمومي المذكور يروى أيضا عن الشيخ محمد (فتحا) الرهوني مؤلف حاشية الزرقاني وغيرها، كما يروي عن سيدى عبد القادر بن شقرون شارح العشرة من الأربعين النبوية، وكذا يروي عن سيدي عبد الكريم اليازغي، فبهذا السند نروى عن الثلاثة أيضا، كما أن شيخ شيخنا ج محمد جنون يروى أيضا سماعا واجازة عامة عن شيخ جماعة عصره سيدي محمد بن عبد الرحمن الحجرتي عن سيدي عبد السلام الأزمي عن الشيخ بناني محشي الزرقاني بأسانيده المفصلة في فهرسته. فبهذا السند نروى ما للشيخ بناني وكذا يروى شيخ شيخنا المذكور سماعا واجازة عامة عن الشيخ صالح الرضوى البخارى وهو عن الشيخ عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول عن الراوية المسند الشيخ صالح الفلاني بأسانيده المفصلة في فهرسته. فبهذا السند الصحيح المتصل نروي سائر ما اشتملت عليه فهرسة الفلاني المذكور. وقد حوت من أسانيد الكتب وخصوصا العوالي ما فيه الشفا، وقد اتصلت لنا الرواية بها من طرق أخرى. فمنها عن شيخنا أبي محمد جعفر عن الشيخ عابد السندى بعموم اجازته لأهل عصره. وهو منهم عن الفلاني المذكور. وهذه الطريق أعلا بدرجة. ومنها عن شيخنا أبي المكارم المتقدم عن الشيخ عبد الغني الدهلوى المجد. محدث المدينة المنورة. عن الشيخ عابد عن الفلاني. ومنها عن شيخنا السنوسي المتقدم عن الشيخ عبد الغني... الخ.

وهنا ينتهي ما وجد مخطوطا من الترجمة والفهرس بقلم المترجم.

مؤلفاته :

جل مؤلفاته لا زالت مخطوطة، بل وفي مبيضاتها.

وفيما يلي لائحة بأسماء ما وقفت عليه منها :

الكتب المطبوعة :

1) اتحاف النبهاء الأكياس، بتحرير فائدة مناقشة الأوصياء بفاس.

طبع سنة 1349 هـ - 1932م بالمطبعة الجديدة بطالعة فاس.

2) تحرير المقال، في منع ادعاء جمال الدين ابن مالك على - متى - من الاهمال.

طبع سنة 1358 هـ - 1940م بالمطبعة الوطنية بالرباط.

3) توضيح طرق الرشاد، لحسم مادة الالحاد، في حديث : صك الرسول المكلم، موسى عليه السلام، للملك المكرم، الموكل بقبض أرواح العباد.

طبع بنفس المطبعة سنة 1362 هـ - 1943م.

الكتب المخطوطة :

1) أجوبة عن اعتراضات صدرت من الفقيه السيد الغالي السنتيسي على بعض ما كتبه في شرحه لميمية مولاي عبد الرحمان ابن زيدان.

2) بلوغ الأمنية، شرح ثالث فصول الانموذجية.

3) تعليق على كتاب شرب أصل الصفاء فيما خص به أبناء المصطفى للشيخ عبد الكبير الكتاني.

4) تقييد في حكم لبس السراويل.

5) تقييد على أوائل شرح البخاري.

6) تمهيد الحجة وتنظيف المحجة، من دنس تمويه سياح الافرنجة.

7) تحرير في مسألة التأويل عند الأصوليين.

8) ترجمة الإمام مالك.

9) تقييد بشرى وتانيس، بتعجيل شرح فصول الحديث المروي وفي التأسيس، مما لا يوجد مجموعا في غير هذه القراطيس.

11) خلاصة شروح البخاري، مرصعة بزيادات من فضل الباري.

12) شرح حديث «إنما الأعمال بالنيات».

13) شرح آخر حديث من البخاري.

14) شرح بردة ابن زيدان مختوم بتقريظين، للشيخ المكي البطاوري، وسيدي المدني بن الحسني **أما فتاويه** وأحكامه النهائية، فتعد بالمآت.

وتعتبر كنانيش نسخ الأحكام بمحاكم المدن التي تولى منصب القضاء بها مرجعا هاما لأحكامه التي تدل على تضلعه في مادة الفقه الإسلامي وتمكنه منها.

وظائفه :

بعد أن ابان مترجمنا عن مقدرته العلمية بواسطة فتاويه التي أظهر فيها كفاءة نادرة، وتضلعا واسعا في مادة الفقه الإسلامي، إنتدب للعمل بجهاز الدولة الذي أصبح مفتقرا للاستفادة من خبرته العلمية وذلك في عهد السلطانيين : مولاي يوسف، ومحمد الخامس، قدس الله روحهما، فعين :

أولا : قاضيا بمدينة زرهون في ثاني عشر ذي القعدة عام 1336 موافق غشت 1918، وأثر تدخل السلطات المحتلة آنذاك في شؤون القضاء الشرعي قدم استقالته من منصبه.

ثانيا : وبعد فترة زمنية مرت على تقديم استقالته من منصب قضاء زرهون، عين عضوا بمجلس الاستيناف الشرعي الأعلى بالرباط.

ثالثا : ثم رشح لقضاء مدينة مكناس أواسط سنة 1344 موافق 1925.

رابعا : نقل لقضاء مقصورة القرويين بمدينة فاس في تاسع شعبان الأبرك 1346 موافق 1928.

خامسا : ومن مدينة فاس نقل لقضاء مدينة وزان في عشري ذي القعدة عام 1350 موافق 1932.

سادسا : بعد أن قضى بمنصب القضاء بمدينة وزان ثمانية أعوام وبضعة شهور عين للمرة الثانية قاضيا بمدينة مكناس من أوائل سنة 1359 موافق 1940 وبقي بها قاضيا إلى حين وفاته رحمه الله.

مجالسه العلمية :

ولم يمنعه منصب القضاء واشتغاله بالتأليف عن التدريس، فقد كان مدة سكناه بمدينة مكناس يقوم بتدريس التفسير والحديث والشمائل بالجامع الكبير، وكان لتلك الدروس صدى كبير في الأوساط العلمية، وقد حضرت بعض دروسه في التفسير بشرح البيضاوي واستفدت منها كثيرا، وذلك في آخر الفترة الثانية التي تولى فيها القضاء بمكناس.

اطلاق اسمه على إحدى شوارع العاصمة العلمية :

وتقديرا من العاصمة العلمية، لمكانة المترجم السامية، فقد أطلقت السلطات المحلية اسمه على أحد الشوارع المهمة المحدثة أخيرا بمدينة فاس، قرب باب الجديد، ونقش اسمه على لوحة بارزة في مقدمة الشارع هكذا : «شارع محمد بن أحمد العلوي».

لجنة إحياء تراث المترجم :

في فاتح محرم 1394 - 1975 وبدعوة من نجل المترجم الأستاذ الشريف مولاي المهدي العلوي، تأسست بمدينة مكناس لجنة لجمع تراث المترجم واستخراج مؤلفاته من مبيضتها تتألف من الأعضاء الآتية أسماؤهم.

كاتبه محمد العرائشي، «رئيس قسم المخطوطات بخزانة الجامع الكبير بمكناس» نجل المترجم الأستاذ مولاي المهدي «العامل حينه بوزارة الداخلية».

الفقيه العدل المدرس الحاج محمد بن عبد القادر العرائشي، رئيس المجلس العلمي سابقا بمكناس الأستاذ المرحوم بكرم الله مولاي عبد السلام بن بناصر الأمراني.

وأول عمل قامت به، هو استخراج مؤلفه.

«تنقيح تمهيد الحجة، وتنظيف المحجة من دنس تمويه سياح الافرنجة» من مبيضته والذي لازال ينتظر الطبع.

وتنقيح التمهيد هذا هو مختصر التمهيد الكبير، الذي ارتأى مؤلفه بعد الفراغ منه أن يختصره تسهيلا على القارىء.

وان الأمل معقود على وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية التي لها في ميدان إحياء التراث الإسلامي مواقف تشكر عليها تحت الرعاية السامية لجلالة الملك **الحسن الثاني**، نصره الله أن تتولى طبع ماتم تحقيقه في مؤلفات مترجمنا ليعم النفع بها، وحتى لاتتعرض للاهمال والتلف.

نماذج من فتاويه

فتوى في حكم بيع رقع بالصفقة

نص السؤال :

الحمد لله سيدنا الشريف الفقيه العلامة حفظ الله مجادتكم وأبقى لحل المشكلات سيادتكم.

جوابكم الشافي عن مسألة قضية البلاد المتخلفة عن الشريف سيدي محمد بن الفضيل العلوي حيث توفى رحمه عن زوجه سليمة وأولاده فمنها البتول ومن غيرها الأشقاء مولاي عبد الرحمن ولال هنية ثم توفى مولاي إسماعيل المذكور عن زوجه طاهرة وولديه من غيرها مولاي ادريس ولال خديجة ثم توفى مولاي عبد الرحمن عن زوجه البتول الإدريسية وأولاده، فمنها سيدي محمد، وعائشة ، وزينب، ونفيسة، ومن غيرها مولاي أحمد، وأم كلثوم، والكبيرة، ثم تصدقت الزوجة سليمة المذكورة بنصف ثمنها على اولاد مولاي عبد الرحمن المذكورين عدى نفيسة منهم كما تصدقت أيضا بالنصف الباقي على ولدي مولاي إسماعيل المذكورين ثم ان البتول بنت الهالك الأول باعت البلاد المذكورة صفقة عنها وعمن شاركها فيها فكفل الصفقة جميع ورثة مولاي عبد الرحمن كما كملت الصفقة طاهرة زوجة مولاي اسماعيل المذكور فهل يدخل في الضم مولاي ادريس وشقيقته خديجة المذكوران مع السيدة هنية المذكورة وتكون نسبتهما في الضم معها على قدر نسبتهما في الإرث والصدقة أو تختص هنية المذكورة بالضم وحدها دونهما أفيدونا ماجورين ولكم مزيد الشكر والسلام.

ونص الجواب :

الحمد لموليه والصلاة والسلام على حبيبه وصفيه.

وبعد ، فالجواب وبالله الإعانة عن السؤال المرقوم حوله هو أن ضم حصة السيدة البتول المصفقة تختص به أختها السيدة هنية لكونها من أهل الاراثة الأولى ومن أهل الطبقة العليا فالاتحاد الشخصي التحقيقي في المدخل حاصل بينها وبين أختها المصفقة بخلاف ابني أخيها مولاي اسماعيل وهما مولاي ادريس ولال خديجة فإنهما من أهل الاراثة والطبقة السفلى فلم يحصل بينهما وبين المصفقة اتحاد تحقيقي وهو غير معتبر كما نبه عليه في العمليات بقوله ، والاتحاد وارد بالشخص لا.

وأما نصف حصة سليمة أم الهالك الأول فإنه حيث انتقل منها بالتبرع لأولاد مولاي عبد الرحمن فقد فقد فيه الاتحاد التحقيقي بين مدخل السيد هنية وبين مدخل اولاد مولاي عبد الرحمن لوضوح كون مدخل السيدة هنية هو الإرث من الهالك الأول، وكون مدخل أولاد مولاي عبد الرحمن هو التبرع من سليمة فالمدخلان مختلفان شخصا وزمانا وذلك يحقق أنه لاضم فيه للسيدة هنية لما سبق آنفا لكون الاتحاد التحقيقي في المدخل شرطا في استحقاق الضم، ثم إذا كان تبرع سليمة وقع في زمن واحد على اولاد مولاي عبد الرحمن بنصف حصتها وعلى ولدي مولاي اسماعيل بالنصف الآخر فإن ذلك يحقق أن المستحق حق بضم ذلك النصف من تلك الحصة هما الأخوان مولاي ادريس الأول ولال خديجة لتحقيق اتحاد مدخلها فيه مع بائعيه اولاد مولاي عبد الرحمن وأما حصة طاهرة أم مولاي اسماعيل فإنما يختص بضمها الأخوان مولاي ادريس ولال خديجة لاتحاد مدخلهما تحقيقا مع مدخل أم أبيها طاهرة المذكورة ولفقد ذلك في مدخل السيدة هنية مع مدخل طاهرة وأما حصص

ورثة مولاي عبد الرحمن. فإنها حيث رام كل هنية ومن الأخوين المذكورين ضمها فعلى مثل ذلك يتنزل قول الشيخ التاودي في شرح الزقاق ما نصه ، وأما إذا أرادوا كلهم الضم أو المتعدد فكالشفعة في القسم بينهم انتهى وقد أقره محشوه التسولي فمن بعده. وإذا كان الحكم عند تعدد مريدي الضم هو اجراؤهم على المقرر في تعدد مريدي الشفعة فإن المقرر في الشفعة هو ما يلي عن المدونة والمختصر وغيرهما.

قال الشيخ بناني عند قول المتن ، هناك وقدم مشاركه في السهم ما نصه ، قال في التوضيح ، لو حصلت وراثة عن وراثة لكان أهل الوراثة السفلى أولى نص عليه في المدونة فيما إذا ورث ثلاث بنين دار ثم مات أحدهم عن أولاد فإنه إذا باع أحد اولاد الولد كان اخوته أولى. ثم الأعمام انتهى وقد أقره الرهوني وغيره وقد جزم بمثله سيدي عبد القادر الفاسي في نوازله والسجلماسي في شرح العمل وغيرهما وهو نص في أن من كان من أهل الوراثة العليا فقط لا يستحق الشفعة فيما بعض أهل الوراثة السفلى إلا أن تخلى عن الشفعة أهل الوراثة السفلى وبذلك مع النص المتقدم على أن ما كان مثل ذلك يجرى حكم الصفقة فيه على حكم الشفعة علمنا أن السيدة هنية التي هي بقية أهل الوراثة العليا لا تستحق ضم حصص ما باعه بعض الوراثة السفلى ارثا في مولاي عبد الرحمن لأن السيدة هنية تكون حينئذ مريدة لضم تلك الحصص المبيعة في أهل الطبقة السفلى.

والحالة أنه قد وجد من أهل الطبقة التي وقع فيها ذلك البيع لتلك الحصص من يطلب ضمها وهما الأخوان مولاي ادريس ولال خديجة المذكوران وقد تقدم وما بالعهد من قدم تصريح المدونة وغيرها بأنه لاشفعة لأهل العليا فيما باعه أهل السفلى إلا إذا تركها أهل السفلى كما تقدم أيضا النص على ان مثل ذلك يجرى في الصفقة غير أن هذا وإن كان متضحا في كون السيدة هنية لاتستحق ضما لتلك الحصص مع طلب ولدى أخيها لضمها ولاكنه ليس بمتضح في كون الأخوين المذكورين يستحقان ذلك الضم من جهة أن شرط استحقاق الضم الاتحاد التحقيقي في المدخل بين الضم وبين من كان مالكا للمضموم حسبما تقدم صدره وذلك مفقود في مدخل الحصص الموروثة عن مولاي عبد الرحمن لكون مدخل الأخوين هو الإرث من مولاي اسماعيل فاختلف المدخل شخصا وزمانا.

وهذا الإشكال مع ظهوره وروده على كل ما كان من هذا القبيل لم أر من نبه عليه فضلا عمن أجاب عنه والظاهر في دفعه أن يقال ، نص اشتراط الاتحاد التحقيقي هو حسبما مر مطلق قابل للتقييد وإن كان ظاهرة العموم ونص الأجزاء عند تعدد الضام على حكم تعدد الشفيع هو خاص بصورة التعدد للضام. وقد تقرر أن المطلق تحمل على المقيد وان الخاص يقدم على العام فيعدد ذلك بالتحصيص على شرط الاتحاد التحقيقي في المدخل فإنه في غير ما تعدد فيه مريد الضم.

وبذلك تجتمع النصوص وينتفي التخالف بينهما والله تعالى أعلم.

ولأجعل ختام هذه الترجمة قصيدتين لشاعرين عالمين من مدينة مكناس.

الأولى لشاعر مكناس ، أبي محمد عبد القادر بن أحمد العرائشي العلمي [1] المتوفى سنة (1350 - 1932) قالها بمناسبة التعيين الأول للمترجم قاضيا بمدينة مكناس.

وأشار في ختامها إلى تاريخ هذا التعيين بقوله ، (جا مشرق) [2].

غنت ببلدتنا السكان من طرب
وعمها البشر وارتاحت من التعب
وأعلنت شكرها لله قائلة
سبحان خالقنا مفرج الكرب
لما أتاها شريف عالم العلما
قاضي القضاة أجل كل منتخب
ذاك الفقيه النزيه الأسعد العلوي
إمام أهل العلا ذو الفخر والحسب

---

1) والد محرر هذه الترجمة.

2) انظر ترجمة الشاعر أبي محمد عبد القادر العرائشي المكناسي ص 46. ط كريما ديس بتطوان.

محمد طيب طابت سريرتــــه
أعني ابن أحمد تاج العلم والأدب
مفتي الأنام ومصباح الظلام وأكبر
الكلام رفيع القدر والرتـــب
جم المآثر لباس المفاخر مـــن
فتواه سالمة من كل ما عطـب
فما امتطى عزمه لحل مشكلــة
إلا أجابته عن فور ولم يخــب
ولا تصدر في فن ليقرئـــه
إلا أجاد وعم النفع ذا طلــب
ولا تدبر في فتوى ليتقنهــا
الا وأفرغها في قالب الذهــب
ولا تصدى إلى نثر يحسنـــه
الا تراه أخي قد جاء بالعجــب
بشرى لكم معشر الطلاب والفقها
بذا الشريف الأجل الطاهر النسب
فكم يفيض عليك من معارفــه
أصف من المزن أو أحلى من الضرب
صدق أخا العلم فيما قلته وسلــن
عنه الخبير الذي قد فاز بالأرب
بعدله ابتهجت مكناسة وغــدت
تقول أهلا بنجل سيد العــرب
محمد سيد الارســال خاتمهم
أمام أهل التقى المطهر النســب
صلى عليه إلاه العرش ما شملت
كل امرىء رحمة المعطى بلا سبب
وأله كلما قد قال قائلهــــا
غنت ببلدتنا السكان من طــرب
وافقاً بتاريخها عين الحسود وقــل
(جا مشرق) عالم كالبحر ذي عبب

والثانية للعالم المفتي الشريف سيدي العلمي الغالبي قالها في رثائه :

حل القضاء فحلت الأهــوال
وتحولت لحلوله الأحــــوال
وتكدرت منه الخواطــر كلها
وتعطلت لوصوله الأوصـــال
وتناقلته بدمعة حرافطــــا
حلة البلاد ونخبة عمـــال
وعرا عقول السامعين لرزئنــا
خلل مخل متلف وخبـــال
وغدا سؤال الوافدين منقبــا
عما قضاه الخالق الفعـــال
عدل القضاة الغر مفرق جمعهم
شيخ الشيوخ القدوة المفضال
طود الرزانة والفخامة والعــلا
بحر العلوم الزاخر الهطـــال
ذو همة عليا وأعجب نخـــوة
ومهابة تهواهمـــا الأقيـــال
من لايجيد بحـــدة وصرامة
عن صوب ما لصوابـــه وصـال
وإذا أتته عويصة وتعارضـت
حجج غدا لغموضها استفحـــال
أشفا الغليل مقـــررا ومحبـــرا
لا يخشى ما يدعى هـــوال
وتتابعت شهب الهداية مذعلت
شبه المضل وزانها استيصـــال
وتفاخرت حلل النزاهة إذ غدت
ولجسمه من نوعها سربـــال
لا يعدلن عن عدله ان اعتدى
بعدولهم عن عدله العـــذال
ولكم درى من كان من املائه
وبيانه يومــا لــه انهــــال
ماشئت من هدى ومن ورع ومن
حلم ومن خلق له إقبـــال
يكفيك منه بعاده عن حيلة
سوأى غدت يحتالها المحتال
وبأنه دوما لنهضة شعبــه
ولرقيه ونجاحه عمـــال

متفانيا ومشجعا لا يعتريه
تكاسل كلا ولا إغفال
متكاتفا عونا لا خلص مخلص
ولمرتجى معنا لديه سؤال
علنا يحارب بالشريعة خائفا
وحرابه طعن بها ونزال
متحاشيا هذر الكلام ووصمه
ولخوفه من ربه اجزال
يا عين فلتجر الدموع كما جرى
الغيث العميم الهاطل السيال
ولتبك يا فخر المجالس مثلها
يبكي على إيضاحه الأشكال
وليبكه قلم البيان وطرسه
وليبكه التبليغ والايصال
ولتبكه الفتوى وكل رجالها
وليبكه التطبيق والانتقال
ولتبكه الأحلام وهو زعيمها
ولصعب ما بسجلها سجال
وليبكه الكرسي كذلك منبر
ومن الحداد كلاهما ميال

ولتبكه الكتب التي عنها وعن
تدوينها لم تلهه اشغال
هيهات أن يهنى لدى فقدانها
وبعادها فكر له أوبال
اها لفقدك يا ابن أحمد اننا
بوفاتك خابت لنا آمال
فليزعمن من شاء بعد مصابكم
ما شاءه فلزعمه لمجال
صبرا فما ينفى البكا شجوا ولا
يجدى الفدا بل ان ذا لمحال
ولنحتسب وبمن مضى فلنأتسي
يا أيها التلميذ والأشبال
فمن السعادة لن يوالي حججه
غير الممات وتمت الأعمال
فالله يرحمه ويجزل بره
وينيله ملقى له اجلال
سنة الوفاة امن يحاول ضبطها
ويعدها لحياته اكمال
فلتقرئن تندب بلفظ مقولنا
حل القضاء فحلت الأهوال



المبررات التاريخية

لغياب الفعل المسرحي من الأدب العربي

للأستاذ محمد أديب السلاوي

من الأكيد أن ما نصطلح عليه في وقتنا الراهن بـ «الفن المسرحي» لم يكن قبل قرن من الزمن، فنا من فنون الآداب التقليدية التي عرفها العرب في تاريخهم القديم والحديث، إذ بقي مجال المسرح ـ معلقا ـ في الحياة الفكرية العربية لقرون طويلة بدعوى أن هذا الفن «المركب» لا يتفق وعبقرية العرب الفنية (1).

فالفن المسرحي، بمواصفاته، وشروطه المتعارف عليها لم يفتح في اللغة العربية وآدابها إلا في العصر الحاضر، حيث ولدت «التمثيلية»، ووجدت «التراجيديا»، وانشأت «المسرحية الشعرية» وأصبح في الحياة العربية حركة أدبية مميزة، تسمى «المسرح» تتسع رقعة العمل فيها يوما بعد آخر، حتى أمست هذه الرقعة قاسما مشتركا بين المذاهب والتيارات والمدارس، شأنها في ذلك شأن رقعة الشعر، والقصة، والرواية، وفن التشكيل، والموسيقى.

وعلى الرغم من أن دارسي الأدب العربي يعتبرون سنة 1848 بداية لتاريخ المسرح العربي، وهي السنة التي كون فيها مارون النقاش فرقته التمثيلية في بيروت، فإن الحديث عن نشأة المسرح العربي، والعوامل التي أثرت في تطوره وأسباب غيابه كل هذا ما زال من الأمور التي تثير النقاش بين الباحثين العرب والأوروبيين والمستشرقين.

فما هي إذن وجهات نظر الباحثين في غياب الفعل المسرحي عن الآداب العربية ؟ وكيف عالج الباحثون العرب هذا الموضوع الهام ؟

1 ـ تؤكد الباحثة السوفياتية تـ. أ. بوتينيسوفا في تساؤلاتها وآرائها حول نشأة المسرح العربي (2)، أن الثقافة العربية وعلومها امتد إلى ما يزيد على ألفي عام، وأن هذه الثقافة كانت قد غزت أوروبا عن طريق الشعر في أدوارها الأولى، إذ اعطى الشعر العربي امثلة حية لشعراء أوروبا، واستلهم الكثير من أدبائها شيئا لا يستهان به من تلك الملاحم الشعرية... والتي ظهرت آثارها جلية في الثقافة الأوروبية.

كما أن الموسيقى العربية في تلك الفترة قد تحددت ملامحها وخطوطها وأصولها الثابتة. غير أن أحد مجالات الثقافة العربية قد ظل مجهولا. وبشكل يلفت الانتباه. هذا المجال هو المسرح.

---

1) محمد مندور ـ فنون الأدب العربي صفحة 17.

2) فصل من كتاب «المسرح العربي في ألف عام» ترجمة طارق عبد المجيد عمر، مجلة آفاق عربية (بغداد) السنة الخامسة عدد 4 ديسمبر 1979.

فمن المعلوم ـ تقول الباحثة السوفياتية ـ أن العلوم العربية في عصرها الذهبي قد فاقت بأشواط عديدة العلوم الأروبية. لقد قدم العرب في تلك الفترة على الخصوص انتاجاتهم في الرياضيات والفلك والفيزياء والطب، والتي كانت الغذاء، والمصدر الرئيسي لعلماء أروبا حتى القرن السادس عشر.

وفي الوقت الذي لم يقترب فيه عصر ازدهار الحضارة الأروبية كانت الثقافة العربية الراقية قد أعطت نتاجات كتابها ورياضييها، وفلكييها، وفلاسفتها ومؤرخيها، وأطبائها، وجغرافييها، وشعرائها.

وتعتبر مؤلفات الفلاسفة والمؤرخين العرب ـ المغربي، ابن خلدون، وابن رشد ـ قاعدة أساسية في دراسة تطور المجتمعات، إضافة إلى علوم اللغة والتراث الشعري والمدونات التاريخية التي ساهمت في بناء صرح الحضارة الإنسانية.

والآن يطرح السؤال التالي ، هل من الممكن في ظل هذه القرون الثقافية، وتلك القاعدة التاريخية أن يكون المسرح العربي غير موجود أساسا ولو بأبسط صوره وعناصره ؟.

إن تاريخ الثقافة العربية يضعنا أمام لغز محير. ترى لماذا حاول الفلاسفة والعلماء العرب الذين ابدعوا وأضافوا إلى صرح البشرية الكثير، واكملوا ما بدأه سابقوهم من اليونانيين القدماء، في بعض الحقول أن يعزلوا أو يتناسوا بصورة غريبة نتاجات اسخيل، سوفوكل، افريبيدا ؟ وما السبب الذي دفع بهم لنسيان وتناسي الأجزاء المتعلقة بالفن المسرحي أثناء ترجمة نتاجات ارسطو طاليس والتي استند عليها كل المسرح الأروبي ؟

2 ـ الباحث المسرحي التونسي محمد عزيزة يجيبنا على هذه التساؤلات جميعا من خلال جمعه المحكم لكل التغيرات العربية والأجنبية في هذا الموضوع (3) ليقول أن غياب المسرح في الأدب العربي، ووجوده في الاداب الأخرى التي عاصرته كالأدب اليوناني حيث ولد المسرح، يعود بالأساس إلى أن ارادة المسلم هي جزء من ارادة الله، لذلك لا يمكن أن تواجهها كما هي حال ابطال المسرح اليوناني في مواجهتهم للآلهة. ثم أن الانتماء المطلق من الإنسان المسلم إلى مجموعته، ومفهوم التاريخ الدرامي عنده لا يمنعان وجود هذا الصراع على مستوييه الثنائيين. أي أن الفردية مصدر كل صراع داخلي، تبدو مستحيلة لديه، وبالتالي فإن الصراعات النفسية والفردية تتجه نحو الذوبان في بوتقة التصرفات الجماعية.

ويؤكد محمد عزيزة أن هذا الصراع يمكن أن يظهر في اشكال أربعة ،

الأول ـ الصراع الذي يمكن أن نسميه عموديا، أي الصراع بين الإنسان والحكم الالهي، ويأتي بمسرحية «برميتوس المقيد» مثلا لذلك.

الثاني ـ الصراع الذي يمكن أن نسميه أفقيا وهو الذي يجعل الإنسان يصطدم بنظام المجتمع الذي يعيش فيه، ويكون في هذه الحالة في نزاع المجموعة البشرية التي يعيش وسطها، ويأتي الدكتور عزيزة مثالا لهذا النوع من الصراع بمسرحية «أنتيجون».

الثالث ـ الصراع الذي يمكن أن نسميه متحركا، حيث يتصادم الإنسان مع التاريخ وضد القضاء والقدر، وخير مثال لهذه الحالة مسرحية «الفرس».

الرابع ـ الصراع الذي يجعل الإنسان في صراع مع نفسه، وهو الصراع الذي يفجر الخلف المسرحي ومثاله «أوديب».

ويخلص الدكتور محمد عزيزة إلى أن ولادة ونشوء فن الدراما لا يمكن أن يتواجد لدى أمة ما إلا في حالة وجود مجموعة من المتناقضات في داخل المجتمع والتي تدفع بالتالي إلى ظهور فن مسرحي متطور.

---

3) الاسلام والمسرح، ترجمة الدكتور رفيق الصبان ـ دار الهلال ـ القاهرة.

4) هنري روكير ـ انطلوجية الأدب المغربي ـ منشورات بلون ـ باريس.

أما هذه التناقضات والتي يتطلبها ظهور فن المسرح فترتبط بالصراعات الأربعة الآنفة الذكر - ويعتقد جازما - أن ظهور مثل هذه التناقضات والصراعات دفعة واحدة غير وارد في المجتمعات الإسلامية، وبضمنها المجتمع العربي.

ويؤكد محمد عزيزة، أن مثل هذا التعارض بين المسرح والدين، لم يكن ظاهرة تميز بها الإسلام فحسب، إنما الديانات التي تقول بالاه واحد والتي أقامت حدا بينها وبين الفعل المسرحي. إلا أن طبيعة الديانة المسيحية التي فصلت بين الأمور الدينية والدنيوية في المدنية المسيحية قد خففت من سيطرة الدين كظاهرة اجتماعية على المسرح.

3 - في هذا الموضوع بالذات، وضع الباحث الدكتور الحجاجي كتابه الهام «العرب وفن المسرح» (5) إذ يؤكد في فصوله أنه إذا كان المسرح في العهد الجاهلي - العربي - لم يجد الأرضية الملائمة لنموه، فلان المجتمع العربي في ذلك الوقت لم يكن في حاجة إليه، لقد تكامل الشعر العربي الغنائي في العصر الجاهلي، وظهرت القصة في أخرياته، ولم تنبعث الملحمة أو المسرح في ذلك العصر لأن الحاجة إليهما لم تكن قد وجدت.

أما عندما ظهر الإسلام، فإن الدين الجديد قدم تصورا كاملا للوجود والكون، وجدد العلاقات بين الناس بعضهم البعض، وبين علاقتهم بإله واحد وكان الإسلام عقلانيا إنسانيا تخطى بالعرب مرحلة القومية إلى العالمية وتخطى بدائية التفكير الديني إلى الارتفاع به إلى مستوى العقل البشري المتحضر، ولم يكن تأثير الإسلام مقتصرا على العرب، بل تعداه إلى العالم أجمع، وهو لم يحو فكر العرب فقط، وإنما تعداه إلى احتواء أقوم ما في الفكر البشري في منطقة الشرق الأوسط، وكان واقعيا في نظرته للإنسان والوجود والكون، وكانت هذه النظرة الواقعية ووضوحها من أهم العوامل التي أوقفت النمو الشعائري، وكانت شعائره في معظمها شعائر فردية بين الفرد وربه، وكان الأداء الجماعي للشعيرة لا يمثل سيطرة كهان، وإنما يمثل عملية تجمع اجتماعي للبشر لترتفع به العلاقات بينهم إلى الأخوة المتعاونة.

وهكذا نجد أن التحديد الإسلامي للشعيرة كان من العوامل الهامة في عدم نمو شعيرة أسطورية ينمو المسرح من خلالها، وكذلك كانت تصفية الإسلام للإنسان من العناصر البطولية الخارقة للعادة، مانعا كبيرا واجه خلق الأسطورة.

ولئن كانت الأسطورة لم تظهر في العصور الإسلامية فإن الملحمة لم تظهر كذلك، لأن الحاجة إليها لم تكن قد وجدت، فالبطولة كانت حية معاشة ولم تكن حلما يحلم به العربي، وكان الفارس سيد مجتمعه وكان العقل العربي يقظا يسجل البطولة ولا يبعدها عن الواقع، وعدم وجود الملحمة - في رأي الباحث - يحسب للإسلام، ولا يحسب ضده، وإذا كانت الملحمة لم توجد، فأثرها في خلق المسرح لم يوجد أيضا في هذه الفترة.

4 - وهناك آراء أخرى شائعة في تفسير تأخر ظهور المسرح بالعالم العربي تعتمد في تحليلها، وتأكيدها على أسلوب الحياة لدى العرب آنذاك، إذ يذكر هؤلاء، أن الفن المسرحي يتطلب مشاهدين حضوريين، يعيشون بصورة دائمة في المدن ويتسمون بدرجة من الفهم والوعي للفن المسرحي، ويتمسك بهذا الرأي الفنان المصري زكي طليمات، وهو يؤكد أن حياة العرب التي كانوا يعيشونها في الماضي، والتي تتطلب الرحيل من مكان إلى آخر، والذي يحول دون وجود كثافة سكانية تؤدي بالضرورة إلى تأكيد وتطور المسرح.

× × ×

وهكذا نرى من خلال هذه الآراء، أن العديد من الباحثين يعزون تأخر ظهور المسرح عند العرب إلى تأثير الإسلام، وبعض المؤرخين الأوربيين والمستشرقين يذهبون إلى أبعد من ذلك أن الاسلام قد منع عمل ما يشابه

---

(5) سلسلة المكتبة الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة) عرض عبد الرحمان شلش، مجلة الاقلام (بغداد) العدد الخامس أبريل 1978.

الاشكال البشري وأن الممثل والرسام أو كل من يحاول عمل ما جاز لله وحده، سوف يلقى أشد العذاب يوم الحساب لتجاوزه حدود الله. غير أن من الملاحظ أن مثل هذه الأحكام لم تؤخذ من القرآن. وليس هناك أي نص محدد بذلك.

فالملاحظ أن وجود الأديان وتأثيرها على المجتمعات يتفاعل ويتواجد في كل زمان ومكان. ولدى جميع الأمم بدون استثناء، ومنذ القدم، ومن الصعوبة القول أن تلك الأديان وقفت حائلا أمام ظهور الفنون، وتطور الآداب (6) من هنا يتضح أن محمد عزيزة في نظريته السالفة الذكر، لم يضع المقومات الصحيحة في تحليل لطبيعة المسرح العربي. وذلك باعتماده على العوامل الدينية. علما أن تلك الأديان تمد جذورها، وتترك بصماتها في ثقافات لكل الشعوب والأمم وهو يعزل بالتالي رغبة الشعب بتطوير ثقافته في فن الظهور والعرض ويرفض تأثيرها بذلك على المسرح نفسه وتطوره (7).

إن حل مجمل الالغاز حول الفن المسرحي يجب أن ينطلق من النظرة الشمولية للثقافة العربية. وأن لا يعزل هذا الفن المتطور عن المنظور العام عند تحليل تلك الثقافة.

ههه

انطلاقا من هذه الفكرة، تجدنا مع الدكتور الحجاجي مع رأيه الذي يقول ، أن انعدام فن ما في أمة من الأمم، لا يعني قصورا في هذه الأمة، بقدر ما يعني أن هذه الأمة ليست في حاجة إلى هذا الفن. فالفن حاجة، ولم يوجد فن من الفنون في مجتمع من المجتمعات إلا كان ذلك تابعا من حاجتها إليه. ولقد ولد العرب فنونهم تبعا لحاجتهم، فوجد لديهم فن الشعر الغنائي نتيجة لهذه الحاجة وعندما وجدت ظروف أخرى أدت إلى احتياجهم إلى فن الحكاية ولد هذا الفن (8).

وهكذا نجد أن المسرح لا ينشأ من فراغ، ولا ينمو من عدم، فهو يولد تلبية لاحتياج، فالمسرح حاجة أولا وأخيرا. وكل التجارب الثابتة في تاريخ المسرح العالمي، تؤكد أن الظاهرة المسرحية، لم تنشأ من عدم وإنما نشأت تلبية لحاجة الجماهير.

فهناك طريقان ـ يقول الدكتور الحجاجي ـ يؤديان لظهور فن ما في أمة ما ، الطريق الأول هو النمو الذاتي لهذا الفن داخل الأمة نفسها، كما حدث لفن الشعر الغنائي العربي. وكما حدث لفن المسرح اليوناني، والطريق الثاني هو الانتقال، فإن الفنون كنتاج إنساني تنتقل من أمة إلى أمة، ومن مكان إلى مكان، ولكن ليس عن طريق النقل الحرفي المباشر، وإنما عن طريق الانتقال المستجاب له داخل الأمة الناقلة. فلكي ينتقل فن من الفنون إلى أمة من الأمم فإننا نرى أن جميع ظروفها تكون مهيأة لتقبل هذا الفن، مستجيبة له متأثرة به، تضع فيه سماتها وموكوناتها، فيكون هذا الفن جزءا من تراثها (9).

حقيقة أن الفكر البشري سلسلة متصلة الحلقات، ووحدة متكاملة، إلا أن هناك حقيقة لا يمكن التغاضي عنها، وهي أن دور الولادة للمسرح قد قام بها المسرح الاغريقي عن طريق تطوير الأسطورة، وتوظيفها، إلا أن عملية انتقال المسرح من بلاد اليونان إلى بلاد العرب، كان أمرا مستحيلا في تاريخ العرب القدماء، لأن عملية الانتقال نفسها، كانت تحتاج إلى مستوى حضاري كبير، حتى يتم هذا الانتقال على أسس قوية متينة، وكان لابد أن تتم عملية انتقال للمجتمع العربي قبل أن تتم عملية انتقال المسرح.

ونعتقد أن ظهور المسرح في الحياة العربية، في منتصف القرن الماضي قد جاء بعد أن تهيأت الأسباب للمجتمع العربي لهذا الظهور، وهي أسباب اقتصادية واجتماعية، سياسية وثقافية، ساهمت فيها أحداث تاريخية

6) ت. أ. بوتيتسيوفا ، تساؤلات وآراء حول نشأة المسرح العربي مجلة آفاق عربية (بغداد) السنة الخامسة عدد 4 ديسمبر 1979.

7) المرجع السابق.

8) الدكتور الحجاجي، العرب وفن المسرح، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة.

9) المرجع السابق.

متعددة، تبتدء بالحملة الصليبية على العالم العربي وتنتهي بالحملة الاستعمارية الأروبية عليه في القرن الماضي.

□□ 4 □□

بقي بعد هذا أن نتسأل ، هل كانت للثقافة العربية أشكال للفرجة، يمكن اعتبارها اشكالا مسرحية ؟

1 ـ إذا ما تجاوزنا الإسلام قليلا إلى الديانات التي سبقته في الجزيرة العربية، فإن مصادر التاريخ العربي، المختلفة تشهد على غياب كل شواهد النشاط التمثيلي، على الرغم من أن الدكتور محمد يوسف نجم يفترض أن «وثنية العرب لم تكن بدائية ضعيفة الصلة بنفوس أصحابها، بل كانت وثنية لعقدة ضربت جذورها في أعماق النفوس، واتصلت غاياتها ومظاهرها بدورة الطبيعة ومواسمها، وتمثلت في شعائرها إماتة الجسد وقهره، ثم شعائر التطهير، وشعائر البعث والاخصاب، وأخيرا شعائر البهجة، وما يتصل بها من مأدب وحفلات، وقد كانت هذه الوثنية معقدة تقوم على معبد وصنم وسادن وقرابين وطقوس، وشعائر تمثيلية...» (10) إلا أن ذلك لا يمكن أن يذهب بنا إلى أن عرب الجاهلية قد عرفوا فن التمثيل أو مارسوه في عبادتهم، ولا نظن أنه سيختلف اثنان في أن ذلك النشاط الديني القائم على الطقوس الوثنية لم يتطور ليكون لدى عرب الجاهلية مسرح أو طقوس تمثيلية منفصلة عن غاياتها الدينية (11).

ولا شك أن السر في ذلك يعود إلى أن ـ الدراما ـ تعتمد في جوهرها على الصراع بين الآلهة أنفسهم، وبين الآلهة والافراد، وبين الفرد والآخر، وبما أن الحياة العربية في العصور السابقة للاسلام، كانت قد أذابت الفرد في الجماعة فخلقت تصورا جماعيا للعالم، ورأيا عاما مشتركا في الكون، فقد ترتب ذلك غياب الصراع داخل المجتمع أو اختفاء، حدثه على الأقل، فلم تكن مثل تلك الحال تستدعي الدراما قدر ما تستدعي التغني بالجماعة (القبيلة) والترنم بمآثرها (12)، وذلك ما قام به الشعر الجاهلي خير قيام، إذ كان الصراع مما يدور بين القبائل نفسها، أما الصراع الذي يدور داخل القبيلة نفسها، فيحل ـ في أسوأ الأحوال ـ بانقسام القبيلة جماعيا، وليس فرديا، فالفرد الخارج على القبيلة مخلوع منها، فهو خليع لا يعتد به، ولا يسأل عنه، ومعنى هذا أن الصراع الفردي لا قيمة له في حياة الجماعة (13).

(10) مجلة آفاق عربية (عراقية) صور من التمثيل في الحضارة العربية من الجرح حتى المقامات ع 3، س 3، نوفمبر 1977 صفحة 59.

(11) الدكتور محمد حسين الاعرجي، فن التمثيل عند العرب، الموسوعة الصغيرة (عراقية) العدد 28.

إلا أن هذه الحقائق وغيرها لا يمكن أن تمنعنا من البحث عن اشكال مسرحية في الحياة العربية ـ قبل وبعد الاسلام ـ يقينا منا بأن الشعب العربي، في المشرق والمغرب، وعبر فنونه، وتقاليده، وطقوسه، قد تأثر بما حملت الحضارات الواردة عليه من آسيا، وافريقيا، وأروبا، فقدس الشعر والاهازيج، ومزج الحكاية والامثولة بالرقص، وربط التقاليد المتوارثة بالغناء، وأصبح «الاحتفال عنده يرتبط بالكيان القومي، وبالمعتقد الديني».

وفي هذا الاطار يضعنا الدكتور محمد حسين الاعرجي (14) أمام عدة صور من التمثيل عند العرب في صميم تقاليدهم المتوارثة، فيعتبر «الكرج» و«الحكاية» ألعابا تمثيلية لها جذور جاهلية عريقة.

«فالكرج» تماثيل خيل مسرجية من الخشب معلقة بأطراف يلبسها النسوان ويحاكين بها امتطاء الخيل، فيكرون ويفرون ويتاقفون بها، وفي الأصل كانت اللعبة مقصورة على النسوة، إذ تعلق بها الجلاجل» والكرج في أصله رقص ولعب يعده العرب للولائم والأعراس، وأيام الأعياد، ومجالس الفراغ واللهو والحكاية فنا مسرحيا عريق الجذور في الحياة العربية القديمة ،

قال ابن منظور ، «الحكاية كقولك حكيت فلانا، وحاكيته، فعلت مثل فعله.. وقلت مثل قوله سواء لم أجاوره..» (15) ومثل هذا القول المعجمي يدل دلالة واضحة على التمثيل، ولعله هو المعنى الأصلي في الكلمة العربية.

(12) المرجع السابق (عن مقدمة في دراسة المسرح العربي للدكتور جميل نصيف).

(13) المرجع السابق.

(14) المرجع السابق.

(15) لسان العرب.

وإذن، فالأصل في الحكاية عند الاعرجي، أن تكون تقليد الآخرين واعادتها مما يقرب أن تكون تقمصا لشخصياتهم، إذا شئنا أن نستعمل المصطلح الشائع لدى أهل المسرح اليوم. وقد أورد الباحث العراقي صورا لهذه الحكاية في العصر العباسي، مؤكدا أن هدفنا كان هو المحاكاة والاضحاك. ثم تطور هذا الهدف فاكتسب صيغة اجتماعية وجهته انتقاص الخصوم من خلال الضحك بهم.

وقد أورد الباحث عدة نصوص تؤكد على أن «الحاكي» كان ممثلا، يستعمل اللباس المناسب للحكاية، ويستعين بالماكياج والاكسوار المسرحي. ومن الأماكن المعهودة التي كان يؤدي فيها أدواره الهزلية الأسواق العربية الكبرى ومنها «الميدان الأخضر» بدمشق، ومجالس الخلفاء والأكابر.

وأكيد أن الأستاذ الأعرجي في هذا الموضوع، قد فتح الباب على مصراعيه للذين يؤدون استنباط الاشكال المسرحية العربية العريقة في بطون الكتب والمراجع التراثية، كما أن مثل هذا البحث نبه إلى مختلف أشكال «الاحتفال» العربي، التي لا تختلف في رسمها الفني عن الاشكال المسرحية المعاصرة.

2 ـ ويخلص الباحث محمد عزيزة في أطروحته «الاسلام والمسرح» إلى أن الاستثناء الوحيد لقاعدة الغياب المسرحي في الاسلام، بدأت مع مقتل الحسين فكانت التعازي الشيعية في بلاد فارس هي الشكل الدرامي الوحيد الذي انتقل بعد ذلك إلى البلاد العربية باسم «عاشوراء».

إن الشيعة اكتشفت المسرح ـ في نظره ـ لأنها مرت بتجربة الانفصال عن الدين فقد نسبت اليها جريمة مقتل عثمان، وكانت تعاني من الندم العميق لأنها مسؤولة في شكل ما عن مصرع علي، ثم الحسين، لذلك اكتشفت الشيعة الشعور بالذنب ووخزات الضمير...

ولأنها وضعت خارج المدينة السنية فانها اكتشفت بذلك قوانين اللانتماء القاسية في الوقت الذي أحست بالقوة المحررة في الخروج عن القواعد، واغراء اللعنات الكبرى أمام جدران المدينة... وفقد التاريخ ـ من وجهة نظر الشيعة ـ براءته الأصلية، وتلوث الميثاق الذي يربط بين الله وعباده بدم علي وحسين.

ويمكن اعتبار مقاطع ـ التعازي الشيعية ـ انطلاقة للعمل المسرحي في الاسلام، إذ عن طريقها عرفت العربية أولى الاشكال المسرحية، ولكنها لم تتطور، ولم تعرف أي تقدم على المستوى الشعري أو الابداعي إذ بقيت الثقافة العربية، ولمدة طويلة خالية من أي ابداع مسرحي يمكن اعتماده كمؤشر لحركة أو نهضة ومن ثمة كانت هذه الثقافة سكونية حسية لا أثر فيها للصراع الدرامي.

3 ـ ويتناول الدكتور الحجاجي في كتابه الهام «العرب والمسرح» هذا الموضوع فيؤكد أن مرحلة صدر الاسلام وعصر بني أمية، والعصر العباسي، تمثل كتلة فكرية موحدة الجوانب من حيث التطور الفني ارتفاعا وهبوطا حتى عصر الحروب الصليبية، إذ واجه العرب الغزو الخارجي، وكان أول إختبار واجهه العرب، ثم تلاه الغزو التتري، وعلى الرغم من أن العرب صمدوا أمام الغزوين إلا أن ذلك استنفد منهم أكبر الجهد، وكشف عن الخلل الذي أصاب مجتمعهم.

ولقد ظهر واضحا منذ أن غزا الصليبيون الأرض العربية، أن القوة السياسية والإجتماعية والاقتصادية للعرب أخذت في الاضمحلال والتدهور يوما بعد يوم، حتى وصلت الحضيض من النواحي الثقافية، فأخذ فن الشعر الغنائي في الانحطاط وفقد فن الكتابة القصصية ـ المقامات ـ مقدماته الفنية وركدت الحركة الفكرية ودهم الجهل أبناء الشعب العربي.

ولم يكن في واقع العرب ما يدعو إلى التفاؤل، فلجأوا إلى الحلم ـ كما يقول الباحث ـ وكانت أحلامهم منصبة حول البطل المخلص، واتخذ ذلك عدة مظاهر فنية منها الغنائية ومنها الدرامية، وهي التي اتجهت نحو البطل الفرد للخلاص على يديه، وكان شكلها الفني الذي عبرت به عن وجدانها هو فن السيرة.

وفي فن السيرة لم يتجه العرب نحو أبطال تاريخهم كخالد ابن الوليد وعقبة بن نافع، وموسى بن نصير، وغيرهم من الأبطال الفاتحين، وإنما اتجهوا في معظم

سيرهم إلى أبطال ذكروا في التاريخ، ولكن دون تعزيز دقيق لأحداث حياتهم مثل سيف بن ذي يزن، وأبي زيد الهلالي، وأبي حمزة البهلوان وسواهم.

ولقد أفادت السيرة - حسب قول الباحث - في أنها قدمت صورة حضارية مجموعات من المتلقين، كانت السيرة بالنسبة لهم معلمهم الوحيد، وكانت السيرة تبتلع بذلك جميع المفاهيم الحضارية المتبقية لهم من عصور ازدهارهم السابقة.

وإلى جانب هذا، ساهمت السيرة بدور المتعة لجماهيرها، وخلقت ما يسمى بفن الممثل، وبذلك مهدت لفن المسرح، فالقاص الشعبي، وهو يقص السيرة يقوم بدور أشبه بدور الممثل، حيث يؤدي حركات الأبطال، ويلون صوته حسب المواقف والانفعالات، فلحظات الحرب يختلف فيها الصوت عن لحظات الحب وصوت أحد أفراد العدو يختلف عن صوت البطل العربي وكلما ازدادت قدرة الممثل على التمثيل ازداد معجبوه أو العكس، وكثيرا ما كان أسلوب السيرة معتمدا على الحوار.

لهذا كان هذا العصر هو عصر السيرة، لأن العرب عاشوا على أمل الخلاص بالفرد البطل، فالسيرة انعكاس لأحلامهم حول بطلهم ومخلصهم، وهي تمثل حاجتهم إلى هذا الفن.

وبذلك يكون المسرح قد سار في غدره الطبيعي في المجتمع العربي، فظهرت السيرة أولا كبديل للملحمة، ومن خلال رواية السيرة وتقدمها في شكل تمثيلي برز فن التمثيل، وكان هناك تمهيد لميلاد مسرح عربي.

٥ ٥ ٥

إن هذه الحقائق التي تؤكد في عمقها على أن العالم العربي - وفي غياب الفصل المسرحي - عرف بعض الاشكال المسرحية المرتبطة بالسيرة، والحكاية والاسطورة، والألعاب الاحتفالية الأخرى، والتي افرزت فنونا هي أشبه ما تكون بفنون التمثيل، أن هذه الحقائق لم تمنع الشعب العربي في المشرق والمغرب عبر فنونه وتقاليده، وأدابه من التقائه بما حملته الحضارات الواردة عليه من آسيا، وأروبا، وافريقية، فقدس الشعر والأهازيج، ومزج الحكاية والامثولة بالرقص، وربط التقاليد الاجتماعية المتوارثة بالغناء، وأصبح الاحتفال عنده يرتبط بالكيان القومي وبالمعتقد الديني.

وعليه، فيمكن اعتبار كل حركات الرقص والايماء، وأنواع الاحتفالات الاجتماعية والدينية والألعاب الموسمية والرياضية، والمهرجانات التقليدية للقبائل العربية وغيرها من تعابير الحضارة الشفوية، اشكالا بدائية لفنون المسرح في صورته المعاصرة.

إن الرقص الجماعي، والغناء المتعدد الأصوات الرجالية والنسائية، وحلقات المداحين في الأسواق العربية، ومواكب الصوفية، والمواكب الدينية، أضافة إلى الألعاب، خيال الظل، والحكواتي، وسلطان الطلبة، كلها اشكال لاحتفالات مسرحية في صورتها الحديثة، لا يمكن نكران أهميتها، لأنها ترتبط أساسا بعلم عادات الشعوب العربية، ولأنها تقدم بديلا مباشرا للعمل المسرحي قبل ظهور هذا العمل بالوطن العربي نهاية القرن الماضي.

لقد كانت الساحات العمومية والأسواق الكبرى في المدن العربية «مسارح» للرواة وللمداحين الذين يجمعون حولهم في حلقات دائرية عشرات المستمعين المتلهفين لسماع نوادر جحا، وملاحم سيف ذي يزن، وبطولات عنتر بن شداد، وغراميات قيس وليلى، وقصص ألف ليلة وليلة، وغيرها من المواضيع التي تخلق أمام المشاهدين شخصيات عديدة غنية بالإبداع والايثار.

وقد كان هؤلاء الرواة والمداحون والحكواتيون، يستخدمون جميع الحيل الفنية، من إشارة وتشويق لشد المشاهدين اليهم، ولأحداث انسجام تام بين الملقى والمتلقى، في ذلك المسرح الدائري، حيث يصبح التواصل بين الجمهور والممثلين أكثر أهمية من التواصل في المسارح المصنوعة على الطريقة الايطالية الحديثة (16).

---

16) عبد الله الستوكي ، إلى أين يسير المسرح المغربي ـ مجلة اللواء (مغربية) العدد الأول 1979.

إلا أنه يجب الاعتراف في هذا الموضوع، أنه رغم الأهمية القصوى التي تحتلها هذه الفنون - إما قبل المسرحية - في الحياة الشعبية العربية سواء ما يتصل منها «بالاحتفالية الشعبية» أو «الاحتفالية الشعبية العربية» فإنها لم تستطع أن تخلق لنا أدبا مسرحيا يمكن الاعتماد عليه في أي دراسة منهجية أو تاريخية، إذ كانت هذه الفنون جميعا، فنونا ارتجالية، لا أثر فيها للنص، ولا تقوم على التدوين، مثلها مثل باقي الفنون الشعبية الأخرى معتمدة على الحركة والايماء فقط، ومن ثمة لا يمكن اعتبارها «مسرحا» بالمعنى العلمي للكلمة، على الرغم من أنها تشكل قاعدة هامة لأعمال مسرحية مستقلة في الوطن العربي.

من هذه الزاوية نجد أنفسنا أمام حقيقة ثابتة، وهي، أن ما يمكن أن نصطلح عليه بـ «الأدب المسرحي» لم يتوفر للحياة الثقافية العربية، إلا بعد ظهور «النص المسرحي» بالمفهوم اللغوي المتعارف عليه.

ومن الناحية التاريخية، فإن ظهور هذا النوع من الأدب اقترن بظهور الكوميديا التي اقتبسها مارون النقاش من أكثر المسرحيات العالمية شعبية وهي بخيل موليير سنة 1948، حيث كانت الانطلاقة الانجابية للمسرح العربي (17) في عصرنا الحاضر.

ومن خلال مسيرة هذه الحركة التي انطبعت بصماتها قوية على الفكر العربي المعاصر، اكتسب الأدب العربي اعلاما وروادا مبدعين في الكتابة المسرحية النثرية والشعرية، إلى جانب اكتسابه لعدد من المخرجين والتقنيين والممثلين، الشيء الذي أعطى لحركة المسرح عموما، مركزا هاما في الحياة الفكرية العربية المعاصرة.

وإذا ما أردنا أن نتعرف على السمات الأساسية التي تطبع هذه الحركة حتى نضعها في اطارها التاريخي والفكري، ونتعرف على واقعها الأدبي والفني فسنجد أنفسنا أمام جملة من الحقائق الهامة (18).

1 - باعتبار أن التأليف المسرحي عمل صعب، يفوق بصعوبته بقية أنواع التأليف الأدبي والعلمي، إذ يتطلب قدرة فائقة، ومواهب نادرة، وخصائص ذهنية معينة، فقد أثبتت التجارب أن مؤلفي المسرحيات العرب، ما زالت تنقصهم على أنساب متفاوتة هذه المؤهلات، مما جعل المسرح العربي في حالة طويلة من التلمس، والمحاولات، والانتظار والنزوع نحو التأمل (19).

2 - ان المسرح العربي بكل عطاءاته ومكتسباته الأدبية والفنية، هو مسرح أمة تنتمي للعالم الثالث، يناضل بشتى الوسائل من أجل تحريره، وتجذيره في الطموحات والتقاليد الشعبية العربية، وتأصيله في الموروث الأدبي للأمة العربية.

3 - إن هذا المسرح يتطلع بوجه عام، إلى تحديد موقع العالم العربي ينشد العدل، والحرية، وكرامة الإنسان، ويؤكد على ذلك من خلال صيغ فكرية، وفلسفية، وسياسية مختلفة.

4 - ولأن هذا المسرح ينبع من مجتمع محكوم عليه بالتخلف، فإنه ينطلق عند العديد من رواده، من النقد الذاتي، لينشد واقعا أفضل وأحسن.

5 - إن هذا المسرح، وفي حدود إمكاناته الفكرية، يتميز برغبة أكيدة وحارة في تحديد ماهية وجوده، باستلهام التراث التاريخي، والحضاري والشعبي للأمة العربية، ولاستنباط صورة مشرقة للشخصية الوطنية والعلاقات العربية الحضارية.

6 - ومن خلال الممارسة الفعلية للعمل التراثي في المسرح العربي ازدادت علاقة هذا المسرح عمقا بالفكر العربي، ذلك لأن علاقته بالتراث، كانت وما تزال علاقة استلهام، وايجاد الخط الرابط بين الماضي والحاضر والمستقبل.

---

17) راجع دراسة رشيد بنشنب في اكسلوبيديا العروض المسرحية عن المسرح العربي ومعجم المسرحيات العربية والمعربة ليوسف اسعد (بغداد) 1978.

18) فيما يخص تاريخ المسرح العربي، يمكن مراجعة الكتاب القيم للدكتور محمد يوسف نجم (المسرحية في الأدب العربي الحديث) دار الثقافة بيروت 1953.

19) الدكتور ابراهيم كيلاني، مجلة المعرفة (سورية) عدد خاص بالمسرح.

7 ـ وإن المسرح العربي، وهو يمثل وحدة عضوية، كانت وما زالت رؤاه موجودة للإنسان العربي في المشرق والمغرب، باعتبار أن هذه الرقعة من العالم، يتواجد عليها تاريخ وحضارة، لا يمكن انفصامها أو تجزيء رؤاها.

8 ـ إن رجال المسرح في الوطن العربي، كانوا أو مازالوا ينظرون إلى علاقة المسرح بالسلطة بالكثير من الحذر، ذلك لأنهم كطليعة واعية وملتزمة يقفون في مواجهة الظلم، والاستبداد في شتى أنواعه واشكاله، وفي مختلف النقط الجغرافية المتصلة بالعالم العربي.

واعتقد أن هذه السمات وغيرها، جعلت حركة المسرح العربي، تفوق خلال هذا القرن من الزمن، أي حركة فنية أو أدبية أخرى، لا من حيث استيعابها للجماهير الواسعة، بل من حيث طروحاتها الثقافية + الاجتماعية + السياسية كذلك. إلا أن هذا الاستيعاب من جهة ثانية لم يكن مرجعه اصالة الشخصية المسرحية العربية، بقدر ما كان مرجعه، ارتباط الإنسان العربي بالفرجة والاحتفال.

طنجة : محمد أديب السلاوي

وعرشك يا متنبي خير عرش

للشاعر الأستاذ عبد الكريم التواتي

●● وصلتنا في وقت متأخر قصيدة بهذا العنوان من الشاعر الأستاذ عبد الكريم التواتي، ونحن إذ نأسف لعدم تمكننا من إدراجها ضمن مواد هذا العدد نعتذر للشاعر الفاضل ونؤجل النشر إلى العدد القادم إن شاء الله ●

دعوة إلى نبذ المختصرات الفقهية في عهد الدولة العلوية

للدكتور عمر الجيدي

بدأت المختصرات الفقهية - في المذهب المالكي - تظهر للوجود أوائل القرن الثالث الهجري، وازداد انتشارها في القرن الرابع، ثم تضخم حجمها بشكل لفت انتباه الناس في القرن السابع.. ولعل أول من تصدى لاختصار المؤلفات الفقهية، هو الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم المصري (214 - 829) الذي اختصر كتب أشهب(1)، ومن هذا التاريخ بدأت فكرة المختصرات تلوح في الأفق، وإن كان الاختصار في هذه المرحلة له طابع خاص يختلف شكلا ومضمونا عما آل إليه الوضع في العصور المتأخرة، على أن الاهتمام بهذه الظاهرة ما لبث أن تطور مع مرور الزمن نتيجة تقاعس الهمم عن تحصيل المبسوطات، والتعامل مع المطولات من جهة، وقصور الفقهاء عن الابتكار والإبداع من جهة ثانية، حتى إذا أزفت مرحلة اغلاق باب الاجتهاد ازدادت الحالة سوءا بحيث ركن الناس إلى الخمول الفكري، واقتصروا على ما وجدوه مدونا لدى الأقدمين مكتفين به.. ولا ريب أن هذه الظاهرة جنت كثيرا على الفقه من حيث نموه وتطوره وازدهاره، حتى ان الكثير من الباحثين عد هذه الظاهرة سببا في تقهقره وضعفه وانحلاله، ذلك أن المنهج الذي سار عليه المختصرون يقوم على أساس فهم مختلف للتراث الفقهي، لم يستوعبوا مضامينه ومحتواه على الوجه الذي كان عليهم أن يفهموه ويتمثلوه، فجاء كلامهم ضربا من الألغاز يستعصي فهمها حتى على الفقيه المتمرس، إذا هو لم يستعن بالشروح والأصول القديمة عله يظفر بما يريد..

والاختصار معناه : ضم بعض الشيء إلى بعض، بقصد الإيجاز، والغرض منه ، إيراد المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، قال النووي ، اختلفت عبارات الفقهاء في معنى المختصر، فقال الإسفراييني ، حقيقة الاختصار ضم بعض الشيء إلى بعض، ومعناه عند الفقهاء، رد الكثير إلى القليل، وفي القليل معنى الكثير، وقيل هو إيجاز اللفظ مع استيفاء المعنى(2) وقال الخليل ، هو ما دل قليله على كثيره(3) وسمي اختصارا لاجتماعه ودقته، وفي اللسان ، اختصار الكلام إيجازه، والاختصار في الكلام أن تدع الفضول وتستوجز الذي يأتي على المعنى(4) وفي نور البصر للهلالي ، الاختصار هو الإتيان بالمعنى الكثير في اللفظ القليل، ومثله الإيجاز، وضده الإطناب والإسهاب(5) وفي

1) المدارك 3 / 365.
2) تهذيب الأسماء واللغات.
3) مواهب الجليل للحطاب 1 / 24.
4) لسان العرب 4 / 243.
5) نور البصر ص 132.

كشف الظنون ، قال بعضهم ، الاختصار إذا جمع ثلاثة أشياء أحدها الاستقصاء في الصفة، والثاني الاهتمام في المعنى، والثالث الإيجاز كان إفادة ذلك أبلغ(6)...

ويرجع السبب في ظهور هذه المختصرات، وركوب الناس هذا المهيع إلى أن المتأخرين صعب عليهم استيعاب المؤلفات المطولة، وشق عليهم حفظها واستقصاؤها، فاستعاضوا عنها كتبا مختصرة تيسيرا على المبتدئين، وتسهيلا - للحفظ - على المتعلمين. ولا يخفى أن المؤلفات التي صنفت في عهد مبكر، كانت كبيرة الحجم، سهلة العبارة، واضحة الأفكار مثل المدونة لسحنون (240 - 854) والموازية لمحمد بن المواز (269 - 882) والواضحة لعبد الملك بن حبيب (238 - 852) والمبسوطة للقاضي اسماعيل (282 - 895) والحاوي لأبي الفرج الليثي (331 - 942) والنوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني (386 - 996) وغيرها من المصنفات التي كانت تشكل أمهات الفقه المالكي.

ولما ضعفت الهمم وفترت العزائم قام أهل المائة الرابعة باختصار هذه المؤلفات ويقال إن أول من اختصر بعض هذه المصنفات الفقيه فضل بن سلمة الجهني الأندلسي (319 - 931) اختصر المدونة والواضحة والموازية وغيرها، وتبعه محمد بن عبد الله بن عيشون الطليطلي (341 - 952) صاحب المختصر المشهور، اختصر المدونة، ثم جاء من بعدهما محمد بن عبد الملك الخولاني البلنسي (364 - 974) فاختصرها أيضا، كما اختصرها من بعده أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين (399 - 1008) وكذا ابن أبي زيد القيرواني (386 - 996) وأبو القاسم اللبيدي (440 - 1048) والبرادعي صاحب التهذيب الذي اختصر به مختصر ابن أبي زيد السابق الذكر، ثم جاء بعد هؤلاء رجل المختصرات أبو عمرو عثمان بن الحاجب (646 - 1248) فاختصر تهذيب البرادعي وهو الذي سيختصره خليل بن اسحاق الجندي (776 - 1374) فيما بعد، وسيبلغ الاختصار إذ ذاك أشده... وغير هؤلاء كثير ممن تصدوا لاختصار المؤلفات الطويلة، وقصدهم بهذه المختصرات - كما قيل - تحقيق هدفين : (أ) تقليل الألفاظ تيسيرا للحفظ. (ب) جمع ماهو متفرق في كتب المذهب من الفروع ليكون أجمع للمسائل، وهذا قصد حسن لولا أنهم غالوا فيه حتى جاوزوا الحد المعقول بجمعهم أكبر عدد من المعاني في أقل عدد من الألفاظ، الشيء الذي أضر بالفقه ضررا بليغا، كان من أثره أن الناظر في هذه المختصرات لا يستطيع إدراك سر ما قصده المختصر، ونتج عن ذلك تضارب في الرأي، واختلاف في وجهات نظر الفقهاء، كل بحسب ما تيسر له من فهم مراد المختصر، مما أثار الجدل بينهم، وأوقعهم في اضطراب شديد، فحدثت - نتيجة لذلك - هفوات وأخطاء، بسبب طبيعة هذه المختصرات، إذ أصبحت عبارة عن ألغاز تحتاج إلى من يفكك عباراتها، ويحل ألفاظها، فكان عصر الشروح والحواشي، وضاع بذلك القصد الذي لأجله حدث الاختصار، وأدى الحال ببعض المختصرين من فرط تعمقهم في الاختصار، أن بعضهم لم يعد يفهم ما سطره في مختصره كما وقع لابن الحاجب، إذ يحكى أنه لما كان مشتغلا بوضع كتابه كان يجمع الأمهات ثم يجمع ما اشتملت عليه تلك الأمهات في كلام موجز ثم يضمنه كتابه حتى أنهاه، ثم يأتي بعد ذلك إلى بعض التعابير التي وضعها فيحتاج في فهمها إلى فكر وتأمل(7) والأمر نفسه حدث لابن عرفة عندما استعصى عليه فهم بعض التعريفات التي وضعها(8)...

وإذ وصل الأمر إلى هذا الحد، كان من الطبيعي أن يظهر في الناس بعض المتنورين يتصدون لنقد هذه الطريقة، والتنديد بهذا المنهج العقيم، ينقصون من قيمة هذه المختصرات، ويحذرون من الاعتماد عليها في الأحكام والإفتاء، وينعون على أصحابها، فكانوا يشددون النكير على ذلك، ويصدون الطلبة عن قراءة المختصرات الصعبة، وكان أول من تصدى لنقد هذا المنهج ، الحافظ أبو بكر ابن

6) كشف الظنون 2 / 1625.
7) جذوة الاقتباس 1 / 297.
8) الفكر السامي 2 / 400.

العربي (543 ـ 1148) الذي أرجع سبب نضوب ماء العلم في الإسلام ونقصان ملكة أهله، إلى انكباب الناس على تعاطي المختصرات الصعبة الفهم، وإعراضهم عن كتب الأقدمين المبسوطة المعاني الواضحة الأدلة التي تحصل لمطالعها الملكة في أقرب مدة(9) وتابعه على هذا النهج الفقيه المحدث عبد الحق الإشبيلي (581 ـ 1185) الذي انتقد مسلك البرادعي في اختصاره للمدونة، والفقيه اليزناسني الذي استشاره ابن شاس (610 ـ 1213) في وضع مختصره (الجواهر) فأشار عليه ألا يفعل ولكنه لم يعمل بإشارته(10) وأبو عبد الله المقري (756 ـ 1355) وشيخه الآبلي (757 ـ 1356) والشيخ النظار أبو اسحاق الشاطبي (790 ـ 1388) وعصريُّ الآبلي أبو العباس القباب الفاسي (778 ـ 1376) والمؤرخ ابن خلدون (807 ـ 1404) وغيرهم كثير...

يقول المقري منددا بهذا المنهج، «ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغريبة أربابها، ونسبوا ظواهر ما فيها لأمهاتها.. » إلى أن يقول، «.. ثم تركوا الرواية فكثر التصحيف، وانقطعت سلسلة الاتصال، فصارت الفتاوي تنقل من كتب لا يدري ما زيد فيها مما نقص منها لعدم تصحيحها وقلة الكشف» (11) ثم يصف ما وقع لأهل عصره من علماء القرن الثامن فيشبه حالتهم بحالة من سبقهم من حافظ المختصرات وشق الشروح، واصفا إياهم بأنهم قد اقتصروا على حفظ ما قل لفظه ونزر حظه، وأفنوا عمرهم في حل الألغاز وفهم الرموز دون أن يوفقوا إلى إرجاع ما في هذه الكتب المختصرة إلى أصولها بالتصحيح وعدم التمييز بين السقيم والسليم، وإنما اكتفوا فقط بحل ما هو مقفل، وفهم ما هو مجمل، والاكتفاء بمطالعة تقييدات زعموا أنها تستنهض الهمم وتثير النفوس(12).

ويذكر أن الفقيه القباب لم يكن يعتمد على الكتب المختصرة أو يدرسها، وإنما كان يأخذ الفقه من الكتب الأمهات، وكان يقول، شأني ألا أعتمد على هذه التقييدات المتأخرة البتة، تارة للجهل بمؤلفيها، وتارة لتأخر زمان أهلها جدا، أو للأمرين معا، فلذلك لا أعرف كثيرا منها ولا أتيقنه، وإنما المعتمد عندي كتب الأقدمين المشاهير(13) وكان يرى أن ابن بشير وابن الحاجب وابن شاس أفسدوا الفقه بما ألفوه في مختصرات ولما كان في طريقه إلى الحج اجتمع بابن عرفة في تونس فأطلعه هذا الأخير على مختصره الفقهي ـ وكان قد شرع في تأليفه ـ فقال له القباب ما صنعت شيئا، فقال له ولم ؟ فقال، لأنه لا يفهمه المبتدي، ولا يحتاج إليه المنتهي(14).

وكان الشاطبي لا يعتمد على الكتب المتأخرة المختصرة ويحث الناس على الرجوع إلى الأصول ومؤلفات الأقدمين فقد قال في الموافقات، إن كتب المتقدمين وكلامهم وسيرهم أنفع لمن اراد الأخذ بالاحتياط في العلم على أي نوع كان وخصوصا علم الشريعة الذي هو العروة الوثقى(15) ولقد اشترط لمن اراد أخذ العلم أن يتحرى كتب المتقدمين، فإنهم أقعد به من غيرهم من المتأخرين، إذ المتأخر لا يبلغ من الرسوخ في علم ما ما بلغه المتقدم، فأعمال المتقدمين على خلاف أعمال المتأخرين وعلومهم في التحقيق (16)، ويصف ابن خلدون عيوب هذه الظاهرة فيقول،

«ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون بها، ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائلها وأدلتها باختصار في ألفاظها وحشو القليل فيها بمعاني كثيرة من ذلك الفن، وصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسيرا على الفهم»(17).. ثم مضى يعدد الأنواع التي عمد إليها المختصرون والأسباب التي دفعتهم إلى أن يركبوا هذا المهيع، معتبرا ذلك من عيوب التربية وسوء التعليم، لأن ذلك يؤدي إلى الإخلال بتحصيل العلوم بسبب التخليط على المبتدئين، بحيث تلقى إليهم الغايات

9) الاستقصا 8 / 67.

10) النبوغ 193.

11) المعيار 2 / 479.

12) المعيار 2 / 479 ونيل الابتهاج 247.

13) المعيار 11 / 142.

14) ما حدث للقباب مع ابن عرفة لا يعد صحيحا في نظر الونشريسي، أنظر أزهار الرياض 3 / 37.

15) الموافقات 1 / 99.

16) نفس المصدر.

17) المقدمة 532.

والمسائل الصعبة في الوقت الذي لم يهيئوا فكريا - بعد - لتلقي هذه المسائل. فيؤدي ذلك إلى بذل الكثير من الجهد، وإهدار طاقة المتعلم بتتبع ألفاظ المختصرات العويصة، نظرا لتزاحم المعاني عليها، وصعوبة استخراج المسائل منها، إذ ألفاظ هذه المختصرات عادة ما تكون صعبة تحتاج إلى كثير من الوقت والجهد. فيضيع بسبب ذلك جهد كبير، ويقطع المتعلم شوطا بعيدا وشطرا من حياته غير يسير في فهم هذه النصوص والألغاز دون أن يحصل على مطلبه. وحتى إذا استطاع الوصول وحقق شيئا فإن فهمه لهذه المسائل كثيرا ما يكون معلولا، وتبقى ملكته قاصرة على خلاف ما لو استقى هذا الفهم من الكتب المبسطة. فأساء هؤلاء المختصرون إلى المتعلمين من حيث أرادوا نفعهم...

وإذا كان هؤلاء قد نظروا هذه النظرة، ووقفوا هذا الموقف وصرحوا بعقم هذه الطريقة وقد عاشوا في عصر كان أهله لا يزالون يشتغلون ببعض المطولات المبسطة مثل التهذيب للبرادعي والكافي لابن عبد البر، والجامع لابن يونس وشروح مختصر ابن الحاجب لكل من ابن عبد السلام التونسي وابن راشد القفصي وابن هارون وغيرها.. فماذا كان عساهم أن يقولوا لو تأخر بهم الزمان إلى عصر دخول مختصر خليل إلى بلاد المغرب والذي تهافت الناس عليه، وانقطعوا إليه حتى جعلوه مرجعهم الأساس لا يتجاوزونه إلى غيره.

إلا أن هذه الصيحات التي أطلقها هؤلاء لم تجد آذانا صاغية، واستمر الناس على ذلك النهج يتنافسون على اقتناء المختصرات والجري وراءها يعملون بما ورد فيها، يدرسونها ويدرسونها للطلاب، ويفتون منها للناس، ويحكمون بمقتضى ما ورد فيها بينهم، حتى ليروى أن هذه التقييدات والمختصرات كان يبذل في سبيل الحصول عليها أضعاف ما كان يبذل في سبيل اقتناء الأمهات(18) بل إن بعضهم لم يجد حرجا في الإعلان بأن الصواب هو في الاختصار وصاغ في ذلك نظما جاء فيه :

قصدت إلى الإجازة في كلامي
لعلمي بالصواب في الاختصار
ولم أحذر فهوما دون فهمي
ولكن خفت ازدراء الكبار
فشأن فحولة العلماء شأني
وشأن البسط تعليم الصغار(19)

وعلى الرغم من أن الاختصار في المذهب بدأ مبكرا - كما سبق القول - إلا أن كتب المختصرات راجت في العصر المريني وتكاثرت بشكل لفت أنظار النقاد حتى إن البعض اعتبر ذلك من عيوب هذه الدولة لما أولع به طلبتها من المختصرات الفقهية...

وفي عهد الدولة العلوية حاول السلطان محمد بن عبد الله أن يرد الناس إلى كتب المتقدمين ويصرفهم عن الاشتغال بالكتب المختصرة التي اشتدت عناية الناس بها من دارسين وطلاب طوال العصر المريني وما تلاه إلى عصره، وأصدر في الموضوع رسالة يحذر فيها من الاعتماد في الفتوى على كتب المتأخرين المختصرة، ويحض الناس على أخذ الفقه والأحكام من كتب المتقدمين وينفر من دراسة الكتب الغامضة التي تحتاج إلى كثير من الجهد وبذل الكثير من العناء دون أن يحصل منها القارئ على طائل..

ويقول من أرخ له إنه أصدر منشورا جاء فيه : أن أول ما ينبغي التوجه إليه والعناية به القرآن الكريم ثم السنة النبوية ونبذ المختصرات الفرعية والابتعاد عن التعقيد والتفريع ما أمكن. كما نبه فيه إلى نبذ شروح مختصر خليل المتأخرة والاكتفاء بشرح بهرام والخرشي. وما فعله بالفقه فعله بغيره من الفنون بحيث حدد المناهج والمؤلفات التي ينبغي أن تدرس في كل فن تلافيا للغموض وتضارب الآراء، وحسما للتشغيبات التي تحدث عادة في مثل هذه الأمور. كما منع القضاة والمفتين في الحكم والإفتاء بشروح مختصر خليل المتأخرة والاكتفاء

18) أزهار الرياض 3 / 36.

19) جذوة الاقتباس 1 / 152 والأبيات لابن البناء المراكشي.

بالشروح القديمة وقد تصدى هو نفسه لتأليف كتاب فقهي مبسط متحديا فقهاء عصره، ومحفزا لهم على انتهاج هذا الخط. ويقول الناصري إنه كان ينهى عن ذلك غاية ولا يترك من يقرأ مختصر خليل ومختصر ابن عرفة وأمثالهما، ويبالغ في التشنيع على من اشتغل بشيء من ذلك حتى كاد الناس يتركون قراءة مختصر خليل وإنما كان يحض على كتاب الرسالة والتهذيب وأمثالهما حتى وضع في ذلك كتابا مبسوطا»(20) وكان يقول ، من أراد أن يقرأ الفقه فعليه بكتاب المدونة والبيان والتحصيل ومقدمات ابن رشد والجواهر لابن شاس والنوادر والرسالة لابن زيد القيرواني وغيرها من كتب الأقدمين ومن أراد تدريس مختصر خليل فإنما يدرسه بشرح بهرام الكبير والمواق والحطاب والأجهوري والخرشي الكبير لا غير فهذه الشروح بها يدرس خليل مقتصرا عليها وما عداها من الشروح كلها ينبذ ولا يدرس به، ومن ترك الشراح المذكورين واشتغل بالزرقاني وأمثاله من شراح خليل يكون كمن يتبع السراب(21)...

وهكذا يكون هذا السلطان قد جدد الفكرة القديمة التي بدأها ابن العربي ومن سار على رأيه. لكن لما أفضى الأمر إلى نجله السلطان سليمان صار يحض الناس على التمسك بالمختصر ويبذل على حفظه وتعاطيه الأموال الطائلة(22) فكان عمله هذا فتحا لباب الاختصار من جديد والتشبث بالحواشي إذ ألزم الناس بالعودة إلى مختصر خليل بعدما سبق لوالده أن حذر الناس من العكوف عليه وعلى شروحه المتأخرة وللحديث بقية...



20) الاستقصا ، 8 / 67.
21) النبوغ ، 277.
22) الاستقصا ، 8 / 67.



شكت إليكم رمال البيد غربتها   أين الأحبة جن الرمل مرتقبا ؟

أين الأباة حماة الحق مذ خلقوا   ليطردوا الحزن عمن عاش مكتئبا ؟

أين الذين عماد العزم عندهم   ألا يفرط في شبر لهم سلبا ؟

اين الذين بنوا للعلم مفخرة   ينشي الوجود صدى نغماتها حقبا ؟

أين الكرام ليوث الحرب إن برزوا   تلق السيوف لدى أعدائهم خشبا ؟

أين الذين أجل الدهر قولتهم :   قد آن للرمل أن يحظى بما رغبا ؟

ما أروع العزم في الفرسان إذ هرعوا   صوب الرمال رياحا تهزم السحبا ؟

يعلون للمجد رايات بها انتشت   روح الحياة وفاض النور منسكبا

فطافت البيد من إيمانهم أملا   وقرت العين إذ صاروا لها الهدبا

بصرت فيها عيون الأهل باسمة   والشوق يلمع في أحداقها عذبا

كأن روحا صباها الوصل قبلته   فمات هجر بجمع الشمل ملتهبا

عزائم الصدق تجلي حبها مطرا   فتلبس الأرض من أثوابها القشبا

وتغمر الأرض خيرا من روائعه   أن صفق المجد مفتونا بما وهبا

كم يفرح النخل مرأى خيمة ضحكت   لها الحياة فأنست أهلها النوبا

يوم النعيم لقاء الشمس ساطعة   يمزق الحق في إشراقها الكذبا

هو النخيل بلقيا أهله فرح   يغرد الطير في واحاته طربا

قد عانق اليوم بعد البين عاشقه   فنفض الوصل من أغصانه الكربا

إن النخيل يحيي همة وهبت   إلى الرمال منارا يخرق الحجبا

ويبلغ الشمس إذ يسمو بها شرفا   ويفرش الأرض من نعمائه رطبا

لم يعرف الحزن مذهلت مواكبكم ... حبا يعانق في إخلاصه الشهبا

أفلا تر رمال البيد إذ سمعت ... بوح الحمام إلى الأعشاش ملتهبا ؟

حنت إليها قلوب الخير طافحة ... بالجد دأبا وبالإقدام منتشبا

صحراؤنا الروح واحات مفردة ... درج الفخار على أفيائها وربا

أن يحرثوا البحر خير من هوى حلم ... شم الغريب شذى نفحاته فلبا

فما الحياة على أوهامهم وقفت ... وما الحكيم بحبل الزيف قد جذبا

هرعت إليها قلوب الأهل تحضنها ... وجثا الشقي على الأحلام منتحبا

من أضرم النار في بستان وحدتنا ... وأغضب النخل والأمتان والعشبا ؟

هم يحسبون بأن البيد إن غضبت ... ستخرج الغيظ من أعماقها عنبا

فليبصروا الأرض إن هاجت مواجعها ... ماذا سيقذف جوف الأرض إن غضبا ؟

ستجرف البيد أعداء بها طمعوا ... وتطعم النار من من أشلائهم حطبا

لن يفلح الغزو في شبر لنا أبدا ... وهل سيحصد غير الموت من غصبا ؟

فالنجم أقرب مما يدعون به ... ولينطحوا الصخر حتى يبلغوا الأربا

أنا النخيل حباني الصبر نعمته ... لكن صبري يهدى الموت إن نضبا

ماذا يجيب عدو النخل سائله ، ... بأي كهف قضيت الأمس محتجبا ؟

من أغرق البيد في الخيرات إذ ظمئت ... وعمر البيت بعد الزحف إذ خربا ؟

من كابد المر حبا في سعادتنا ... وأفهم البيد أن الدين قد وجبا ؟

فهل ترون كريما مثله شهما ... يغالب الدهر حتى يدرك القصبا ؟

إني لأسأل من حزن ومن عجب ... هل تبصر البيد في قسماتكم عربا ؟

إنا على الحق مذ عشنا نعانقه ... فكم فؤاد فداء الحق قد نكبا ؟

درب الفداء رصفنا حبه زمنا ... فلن تخاف لقاء الموت إن مربا

الباس يعشق في الآساد وثبتها ... وفارس البيد فاق الأسد إذ وثبا

يعدو إلى البذل يوم الروح مبتسما ... فيعشق الموت في كأس بها شربا

هنا البطولة صاغ المجد أحرفها ... وعطرتها ورود تعشق النجبا

مرت علينا رياح الشرعاتية ... فما انثنيتم وما ألفت بكم تعبا

بل كان فيكم من الايمان ماهزمت ... به الرياح ومات الرعب مرتقبا

أيسعد الرمل أن تفنى عزائمنا ... بما يسر عدوا ينسج السببا

نامت عن الذئب عين الشر لاهية ... بما يرحم ظلما ينبت الشغبا

فكيف يزرع في الآمال مديته ... ويدعي الحب - يا أختاه - وأعجبا !

طار الحياء ولن نلقى ملامحه ... في من يكون إلى ساداته ذنبا

لن تؤنس النفس ريح ما بصرنا بها ... إلا الحماقة ترمي شهبها لهبا

بالحق يثبت يوم الهول فارسنـــــا كما النخيل يغيظ الريح منتصبـــا

ويطعم الظلم من إيمانه محنـــــا حتى يجرجر ذيل الخزي منسحبـــا

لو مثلوا الرمل من صحرائه نصبـــا لهم يعبد بعد الله ما نصبـــا

فالقدس ترقب فجر الحق عاشقـــة فمن يعين لرد الروح مغتربـــا

عود البلية محـــزون بفرقتنـــا ويد القطيعة قد ملت به اللعبـــا

فمتى نكفـن بالنسيـان آفتنـــا ونبصر القلب للأشرار مجتنبـــا

وليسمع الخلق صوت البيد هاتفـــة كأنما البحر هز الكون مضطربـــا

صبوا على رملها إن شئتمو حمما فلن يكون لغير العرش منتسبـــا

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

•• من واجب دعاة الإسلام أن يجتمعوا على كلمة سواء، ويدعموا فيما بينهم روابط التضامن والإخاء، وأن يعملوا على أن تكون دعوتهم خالصة لوجه الله يسودها طابع التعاون والصفاء ••

● قصة قصيرة:

محبة الأرض..

للأستاذ محمد الخضر الريسوني

... رفع الفأس بيدين معروقتين بقوة وإصرار قبل أن يهوي بها على الأرض، وكانت السماء صافية والشمس تبدد بحرارتها برد الصباح وبقايا الضباب الذي كان يجثم على التلال المنخفضة، وأرسل نفسا عميقا وهو يلقي بقطعة سوداء من التراب، إن أفكارا تجيش في خاطره، فتكاد تقلقه وتنغص عليه عيشه، لقد حصل على قطعة أرض بصعوبة، ومنذ أكثر من ست سنوات وهو يؤدي ثمنها أقساطا للحاج عبد الله الذي رحل مع أولاده وأسرته إلى مدينة الدار البيضاء للسكنى في بيت من الصفيح اشتراه هو الآخر من الارملة «فاطمة» التي تربطه بها وشائج عائلية، إن صديقيه «السي حمو» و«السي قدور» ينصحانه بأن يزرع أرضه الجديدة بالذرة والشعير، بينما هو في قرارة نفسه يعتزم الشروع في تجربة فلاحية جديدة، إن مشروعا عزيزا إلى نفسه تكاد خطوطه تتم كلها في مخيلته لكن كيف يتصرف ؟ ومن أين يبدأ ؟

كان يخيل إليه وهو يهوي بفأسه على الأرض في إيقاع رتيب بأنه لابد أن يأتي اليوم الذي قد تتحول فيه أرضه إلى بستان أخضر، وارف الظلال، غزير الانتاج، بيد أن شيئا واحدا كان يقف حجر عثرة دون تحقيق مشروعه.. المال والوسائل..؟ وحدق بعينين فيهما بريق الأمل إلى أغوار حفرة كانت على مقربة منه، ثم دنا منها وجعل يتحسس ترابها بأصابعه، فألفاه مبللا وتمتم هامسا :

ـ لابد أن يكون الماء قريبا.

وبينما كان سارحا في تأملاته إذا به يسمع من الخلف صوتا مألوفا لديه :

ـ صباح الخير السي بوجبي.

والتفت ليرى صاحبه وجاره القريب السي حمدان مقبلا عليه وهو يخاطبه بصوت أجش :

ـ أراك «يا السي بوجبي» مشغولا هذه الأيام بحفر الأرض.. فماذا تراك تنتظر منها..؟

وصوب إليه «السي بوجبي» نظرات صامتة، ولم يقل شيئا، بيدان «السي حمدان» استأنف بزهو قائلا :

ـ في علمك بدون شك أنني وأسرتي سنرحل إلى البيضاء بعد شهر بقصد الاقامة بها نهائيا.

وهنا بادره «السي بوجبي» وهو يمسك بفأسه بعد أن توقف لحظة عن الخدمة :

ـ لكن هل أعددت ما يلزمك من مصاريف ووسائل العيش ؟

ـ أموري مدبرة.. «زوجة» الحرث بعتها.. والغنم سأبعث بها إلى السوق قريبا، ثم إني لا أهتم بهذه الأشياء وإنما سأرحل على بركة الله.

ـ والسكنى..؟

ـ «براكة» من الخشب استلمت مفتاح قفلها أخيرا وهي كافية لتأويني.. أنا والعائلة.

ـ هذا هو الغلط «السي حمدان».

ـ غلط...؟

ـ نعم، والا كيف يمكنك أن تعيش كفلاح في مدينة صاخبة كالبيضاء، لا تتوقف حركتها في الليل وفي النهار...؟

ـ بالعكس «ياالسي بوحبي» إن فلاحين كثيرين، وأنت تعرفهم.. منهم «السي جلول» و«الطاهر» و«الحاج فضول» رحلوا بدورهم إلى المدينة منذ أكثر من خمس سنوات وهم يعيشون الآن في أحسن الظروف والأحوال.

ـ ومن قال لك إنهم يعيشون في أحسن حال..؟

ـ كل الذين يعودون من البيضاء لقضاء أيام في القرية يؤكدون هذه الحقيقة..

وأحنى «السي بوحبي» رأسه، وشد قبضته على الفأس في حالة من الانفعال الذي سيطر على أعصابه فجأة، وتتابع وقع الفأس وهي تعلو وتنزل على الأرض.

وعاد «السي حمدان» دون أن يضيف شيئا جديدا إلى ما قاله، وغمغم هامسا وهو في طريقه إلى بيته ،

ـ مسكين جاري المعذب.. المفتون بحفر الأرض والباحث في أعماقها... ما شاء الله... كيف يهلك صحته..؟

وظل «السي بوحبي» وحده يستعيد مع نفسه ما سمعه من «السي حمدان» وتساءل في قرارة أعماقه ، أأكون أنا المخطىء وهو المصيب..؟ أصحيح أن الذين يرحلون إلى المدينة للاقامة بها يعيشون أحسن ؟ وحتى عند عودته إلى داره القائمة بجوار «البرية» العجوز يفصلها عن بيت «السي حمدان» سياج من القصب وأشجار صغيرة من الصفصاف، لاحظ ببديهته أن زوجته رحمة مطرقة صامتة على غير عادتها، فبادر يستفسرها ،

ـ أرى أن حالتك ليست على ما يرام.. هل تحسين بتعب ؟ مالك..؟

ـ لا شيء.

ـ قولي.. بماذا تحسين..؟ أتكون أعراض الحمل..؟ وانفجرت فجأة تنتحب، وتركز في نفس الوقت نظرات زائغة على وجه زوجها الذي كان ينوء من الإرهاق، ثم قالت ،

ـ إنك تعلم أن دخلنا من الفلاحة قليل.. ولم يرحمنا الجفاف منذ سنتين.. وأولادنا يجب أن يعيشوا ويقرأوا في المدرسة.. كيف..؟ وما العمل...؟

وهاله أن يرى زوجته هي الأخرى تثبط عزيمته وتطفىء جذوة حماسه كما فعل تماما جاره «السي حمدان» فقاطعها صارخا ،

ـ رحمة.. أرجوك... إفصحي.. ماذا تقولين..؟

ـ أريد أن أقول إن جيراننا سيرتحلون إلى المدينة ولا بد أن نفعل مثلهم.

وجلجل صوته ، "

ـ اسكتي... اسكتي يا امرأة.. أتريدينني أن أرحل عن قطعة الأرض التي اشتريتها من عرقي وجهدي ؟ كيف أرحل عنها وقلبي يحدثني بأنها ستكون معطاءة وكريمة مع أولادي..؟ كيف أرحل وأسكن في بيت من صفيح تحوله شمس الصيف إلى جحيم..لا ..لا يارحمة.. هذا لن يكون أبدا.. مستحيل...

ثم سادتهما فترة صمت رهيبة، بعدها عاد يقول، ولكن في هدوء وسكينة، ودون أن يرفع رأسه ،

ـ صحيح يا رحمة.. إننا نريد أن نعيش في ظروف أحسن، وأولادنا في حاجة إلى القراءة، لكنني أرى أن العيش الكريم مرهون بالعمل وحده.. في المدينة أو في القرية.. ولا أظن أن مدينة الدار البيضاء ستمنحنا بسهولة كنوزها في حالة رحيلنا وسكنانا بها.. لا أعتقد. ثم إني لا بد أن أخبرك بأنه تقرر من طرف الجماعة بناء مدرسة ابتدائية بجوار السوق. أما القرض الذي طلبته لغرس أشجار «الشهدية» فقد وافق عليه صندوق القرض الفلاحي كما أخبرني بذلك شيخ القبيلة «السي الهاشمي».

وفي لحظة صمت حاسمة من عمر الزمن في حياة أسرة «السي بوحبي» كان جهاز راديو صغير «ترانزستور» معلقا على الحائط الى جوار إطار يحتوي على صورة «سيف سيدنا علي بن أبي طالب» وهو يشق رأس الغول

إلى نصفين. وبواسطة هذا الجهاز كان السي بوحيى يشرف على دنيا جديدة. ويتلقى عن طريقه ثقافة عامة في شتى المجالات. واقترب منه. وأدار مفتاحه عله يبعث في البيت أنسا ومرحا. أو يستمع منه إلى أهازيج شعبية من «عيطة الحوز».

وكم فوجىء وهو يستمع إلى خبر لفت اهتمامه وشد حواسه كلها. ذلك أن جلالة الملك أعطى إشارة الانطلاق إلى رعاياه الفلاحين ليبدأو عملية الحرث الجماعية «التويزة». وتذكر كلمة قالها جلالته، **الفلاحة هي قبل كل شيء التفكير هي المحبة في الأرض، وهي مقابلة الأرض.**

وتألق وجه «السي بوحيى». وأشرقت ملامحه بفرحة عارمة. ودنا من زوجته رحمة وهو يهتف متحمسا،

ـ اسمعي يارحمة.. هذا هو البرهان.. اسمعي.. ألست على حق..؟ وكانت ابتسامة واسعة تنتشر قليلا على محيا زوجته. وأقبل الاولاد ـ «فضول» و«علي» و«خديجة» جذلين، فأحاطوا بالراديو الصغير. فيما كان أبوهم ينظر إلى فاسه الموضوعة في ركن البيت وابتسامة الأمل تتألق على وجهه الأسمر المعروق القوي.

محمد الخضر الريسوني

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

•• علينا أن نجعل من المدرسة والكلية والجامعة إلى جانب المسجد، الملتقى المفضل والدائم للعلم والإيمان، وأن نتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ••



للأستاذ عبد القادر زمامة

883 ـ مثقال شريفي...!

وجدت في كتاب «الرحلة العياشية» ص 20 ج 1 عند كلامه على توات ؛

«... وغالب أهلها عوام أهل تجارة، جل عيشهم التمر. وبخارج البلد مرعى حسن للإبل صلحت فيه إبل الحجاج أيام الإقامة.. وعدد المثقال عندهم أربع وعشرون موزونة. ويقولون للمثقال الأربعيني ، مثقال شريفي... نسبة للأمير الشريف صاحب سجلماسة. وكل هذه البلاد في طاعته....»

884 ـ وعلمك ما لم تكن تعلم...

وجدت في كتاب «انتصار الفقير السالك» لمؤلفه شمس الدين الراعي الأندلسي ص 184:

«وروي أن رجلا هم بالمرور بين يدي الإمام مالك وهو في الصلاة لبعد سترته... فقال له الرجل ؛

ـ أدن من سترتك...

فدنا مالك وتلا ؛

«وعلمك ما لم تكن تعلم. وكان فضل الله عليك عظيما...».

885 ـ فسكت الناس عن عيوبهم...!

ووجدت في كتاب الراعي المذكور ص 173 ؛

ـ قال مالك ؛

ـ أدركت ناسا بالمدينة لم تكن لهم عيوب... فتكلموا في عيوب الناس... فأحدث الناس لهم عيوبا...

ـ وأدركت وأدركت ناسا بالمدينة كانت لهم عيوب... فسكتوا عن عيوب الناس.. فسكت الناس عن عيوبهم...!!

886 ـ العطلة الأسبوعية...!

وجدت في كتاب الرحلة العياشية ج 1 ص 284 ؛

«ومن عادات المدرسين بالمدينة أيضا تعطيل القراءة في المكاتب والتدريس يوم الثلاثاء والجمعة... ويقرأون فيما سوى ذلك من الأيام خلاف عادتنا بالمغرب. من التعطيل يوم الخميس والجمعة...!

فكنت أيام إقرائي بالحرم الشريف يكلفونني القراءة يوم الخميس..! فيشق ذلك علي لكونه خلاف المعتاد لدينا...!!».

887 ـ الخطاطير والفقاقير...!

ووجدت في كتاب الرحلة العياشية ص 22 ج 1 عند مشاهدته لطريقة الري في توات :

«ويسميها أهل هذه البلاد : الفقاقير... وهو أنسب، لأنها آبار متعددة يفقر من جنب كل واحد إلى آخر فيزيد ماؤه، وينمي بزيادة ماء غيره عليه...! ولا يزال كذلك حتى يخرج على وجه الأرض، فتسقى به الأجنة والمزارع، وتجزأ أجزاء كثيرة بالأيام، وقد يجزأ اليوم بأجزاء كثيرة، فتباع تلك الأجزاء...!!»

888 ـ تماسين...!

ووجدت في كتاب الرحلة العياشية ص 49 ج 1

«ورحلنا إلى بلد تماسين، وهي بلدة كثيرة العمارة والنخيل، وأميرها ابن عم أمراء تكوت، وهو كالمستقل في بلده.. وأجزل ضيافة الحجاج...

وفي مسجدهم صومعة وثيقة البناء طويلة جدا فيها نحو من مائة درجة، على بابها اسم صانعها...

وهو المعلم أحمد بن محمد القاسي، وتاريخ بنائها سنة سبع عشرة وثمان مائة...!!»

889 ـ نفزاوة...!

ووجدت في كتاب الرحلة العياشية ص 53 ج 1 :

«وبلاد نفزاوة هذه قرى كثيرة تقرب من الألف، كل قرية منفردة وحدها على نشز من الأرض، ينخل مجتمع بإزائها وماؤها فيها حياض واسعة في وسط ذلك النخل والعجب من كون الماء فيها إنما يبرز في الغالب من الأماكن المرتفعة، وقراها شبيهة بقرى ريف مصر ! إلا أن الأرض غير الأرض، وماؤها حلو...

والحجاج يزعمون أن أصل تسمية هذا البلد بنفزاوة أنها كانت فيها ألف زاوية...! فقيل لها :

ـ ألف زاوية... ثم تصرف في التسمية فسميت «نفزاوة» وما ذكروه وإن كان قريبا لا يصح.. لأن تسميتها بذلك قديمة من قبل الاسلام على ما في التواريخ، والأصل المذكور عربي... ولا عربية في المغرب قبل الإسلام اتفاقا...!!!»

890 ـ من أكل عيون الدفلة طرد الأسد...!!

وجدت في كتاب التشوف ص 200 :

«وحدثني محمد بن خالص الأنصاري قال :

ـ سمعت الشيخ أبا الحسن يحيى بن محمد الأنصاري المعروف بابن الصائغ يقول :

ـ زرت أبا يعزى فلما كان وقت غروب الشمس خرجت إلى الوضوء، مع جماعة فبعدنا عن القرية فحال أسد بيننا وبين القرية، فقيل لأبي يعزى : قد حال الأسد بين أصحابك وبين القرية فأخذ أبو يعزى عصاه في يده وجعل يضرب بها الأسد إلى أن فر أمامه، وقربنا منه فجعل يأكل عيون الدفلى...!

فقال لترجمانه :

ـ قل لأبي الحسن ما تقولون أنتم معشر الفقهاء فيمن يأكل عيون الدفلى...؟

فقلت له : قل له يقولون :

ـ من أكل عيون الدفلى.. طرد الأسد !!!»

891 ـ درنة... بناها الأندلسيون...!

وجدت في كتاب «الرحلة الناصرية» ج 2 ص 129 عند كلامه على درنة :

«... ولم تكن بها عمارة، وإنما أحدثت في حدود الأربعين وألف بناها الأندلسيون لما خرجوا من جزيرتهم، وخرجوا في ذلك المكان، وأعجبهم وفجروا فيه أنهارا وغرسوا أشجارا وحفروا سواقي، وبنوا وسكنوا، واستقلوا بأنفسهم ولم يكونوا تحت حكم أحد، ثم طغوا واشتغلوا بالفساد ومدوا أيديهم إلى عمالة طرابلس في زمان عثمان باشا وغاظ ذلك أهل طرابلس، ووجهوا إليهم عسكرا وتقاتلوا معهم وأخذوهم وقتلوا من قتلوا، ونفوا من نفوا، ولم يبق منهم إلا أقل القليل...! واستولى أهل طرابلس على البلد فهي تحت أيديهم إلى الآن...!!!»

892 ـ لا تقم القيامة...!

وجدت في كتاب «رائق التحلية في فائق التورية» لابن زرقالة ص 59.

«... وأنشدني أيضا حفظ الله سناده. قال : لما تحدث شيخنا القاضي أبو البركات ابن الحاج بالرحلة إلى المشرق. وظهرت منه عزيمة على ذلك. على أن تكون وجهته في (قرقورة) تجهزت برسم افريقيا وذلك بتاريخ السادس والعشرين من شهر جمادى الأخيرة من سنة تسع وثلاثين وسبعمائة...

أنشدته مخاطبا له ومثبطا عن عزيمته»

أشمس الغرب حقا ما سمعنا
بأنك قد سئمت به الإقامة
وانك قد عزمت على طلوع
الى شرق تلوح به علامة
لقد زلزلت منا كل حلم
بحق الله لا تقم القيامة

ثم اتفق أنه من قدر الله تعالى أن غرقت «القرقورة» المذكورة عشية يوم إقلاعها من مرسى المرية بالتاريخ المذكور...!!!»

893 ـ اتخذنا بيوتنا جلبابا....!

وجدت في كتاب «تكملة إكمال الإكمال» لابن الصابوني ص 162 في ترجمة عبد الوهاب القصري المعروف بابن الرشيق :

«... دخلت على الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن هابيل العبدري المعروف بالأشقر بمدينة القصر فوجدته ملتحفا بملحفة فقلت له :

ـ ما هذا....؟

فأنشدني :

نحن قوم إذا غسلنا الثيابا
اتخذنا بيوتنا جلبابا...!!

894 ـ بسطة... وصالحة...!

وجدت في مخطوطة كتاب «روضة الأعلام» لابن الأزرق الغرناطي :

«قال الشيخ الرئيس لسان الدين ابن الخطيب وورى (بسطة) من بلاد الأندلس... و (صالحة) من حصونها...

وهامت الدنيا بجهال الورى
فمساعيهم لديها ناجحة
والذي يوتى في العلم بسطة
لا ترى الدنيا لديه صالحة

895 ـ يمدح ابن خلدون...!

وجدت في ترجمة ابن حجة الحموي. أنه لما دخل القاهرة التقى بابن خلدون وأعجب بعقله وحنكته وعلمه فمدحه بقصيدة كافية هذا مطلعها :

«رضيع الهوى يشكو فطام وصالك
فداوى قتيل الحب يا ابنة مالك»

896 ـ الخمسة...!

وجدت في تفسير الإمام ابن جزي المسمى (التسهيل لعلوم التنزيل) ج 4 ص 452 ط القاهرة. عند تفسير سورة الفلق.

«قال ابن عطية : قال بعض الحذاق :

ـ هذه السورة خمس آيات... وهي مراد الناس بقولهم للحاسد الذي يخاف منه العين :

ـ الخمسة على عينك...!!»

فاس ـ **عبد القادر زمامة**

عرض السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أمام لجنة الشؤون الاجتماعية بمجلس النواب

ألقى الأستاذ الهاشمي الفيلالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، عرضا أمام لجنة الشؤون الاجتماعية بمجلس النواب خلال مناقشة اللجنة لميزانية وزارته يوم 13 ديسمبر الماضي والتي انتهت بالمصادقة على هذه الميزانية التي قدمت في وقت لاحق الى مجلس النواب للمصادقة عليها.

وفيما يلي نورد نص كلمة الأستاذ الهاشمي الفيلالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى الأمين.

حضرة السيد رئيس لجنة الشؤون الاجتماعية المحترم

حضرات السادة والإخوة النواب المحترمين.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد، فإنه ليشرف وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية - الذي هو في ذات الوقت عضو منكم - أن يقدم لكم عرضا مقتضبا عن منجزات الوزارة ويبسط بين أيديكم ميزانية سنة 1983، شاكرا لكم - مسبقا - ما به تتدخلون من ملاحظات وتوجيهات، ومؤكدا لكم بأن ما في الاستطاعة منها سيؤخذ بعين الاعتبار.

فمن المعلوم أن المملكة المغربية اشتهرت برسوخ الفكر والحضارة الإسلاميين مع حماية الوجود الاسلامي فيها طيلة 14 قرنا، وظل الحكم في هذا البلد الأمين وعلى رأسه أسرة أمير المومنين التي تستمد وجودها وقوتها ومشروعيتها من شريعتنا الغراء - مظهرا من مظاهر الأصالة العاقلة والوعي الذكي الذي يدفع الى التجديد والابتكار والاقتباس في إطار الشخصية الذاتية المغربية الأصيلة، من هذا المنطلق - إذن - تنطلق رسالة الأوقاف والشؤون الإسلامية التي تعتز بكونها تستهدي في سيرها بالتعليمات

الرشيدة، والتوجيهات السديدة، لمولانا أمير المومنين حفظه الله.

وتتلخص هذه الرسالة في :

1) المحافظة على الحياة الروحية عن طريق رعاية الشعائر الدينية وتوفير شرائطها وتسهيل ممارستها بإقامة المساجد وتجهيزها التجهيز الروحي والمادي اللازم. والعناية بالقيمين الدينيين وقد زيد لهم في رواتبهم ما بين 30 ٪ و 40 ٪ والوزارة حريصة على الرفع من مستوى هذه الرواتب كلما كان ذلك في الإمكان.

2) بعث وإحياء نفائس التراث المخطوط الذي يعكس وجه الأمة الفكري ودورها العلمي. وقد تأسست لذلك لجنة من الأساتذة لمراجعة المخطوطات واختيار ما تعطي له الأولوية في النشر والتقديم. وقد طبع وكمل طبع هذه الكتب في هذه السنة المعيار 12 جزءا - التمهيد ج. 10 ترتيب المدارك ج. 7 دليل الرفاق - مشارق الأنوار - مظاهر النهضة الحديثية في عهد المنصور الموحدي . ومن الكتب الذي أعيد طبعها التمهيد ج. 1 و 2 و 5. الصوارم والأسنة - والمصحف الشريف والتعريف بالقاضي عياض. الى جانب الكتب المترجمة الى اللغة الفرنسية وهي ، أركان الإسلام. الأعلام بحدود قواعد الاسلام أضواء على الإسلام. دروس من الهجرة.

وفي إطار التعريف بهذا التراث أقامت الوزارة عدة معارض لمطبوعاتها الإسلامية بعدة جهات من المملكة نذكر منها الرباط - (مرتين) والدار البيضاء. (ثلاث مرات) وتيزنيت. وتطوان. وبني ملال. والجديدة. وسطات.

3) إنشاء المراكز الدينية والتعليمية بمختلف أنحاء المملكة والحرص على تنميتها حتى تؤتي ثمرتها المرجوة. وان الوزارة بصدد إصلاح 21 منها في هذا العام وسيكلف ذلك 2.129.920.50 درهما.

4) المساهمة في الميادين الاجتماعية بتشييد البنايات السكنية.

5) صرف الإعانات والمساعدات للعاجزين والمعوزين.

6) المشاركة في الإصلاح الزراعي.

7) تشييد المراكز الاسلامية والمؤسسات الدينية بالخارج.

8) استقبال الطلبة الأفارقة الواردين من الخارج.

9) الإعانات الاجتماعية انطلاقا من أن فكرة الحبس العام قائمة أساسا على تعاضد وتكافل أفراد المجتمع.

10) تنظيم الوعظ والارشاد وتوسيع دائرته بمشاركة وتنسيق بين المجالس العلمية والنظارات، وإحياء الكراسي العلمية بالمساجد وتعميمه بالمدارس، والأحياء الجامعية، والسجون، وأندية الشباب والمواسم.

11) التوعية العامة عن طريق الإذاعة والتلفزة وذلك بإقامة الندوات في المناسبات الدينية والوطنية ومواسم العبادات كرمضان والحج. وقد تكونت لجينة من وزارة الأوقاف ووزارة الاعلام للتنسيق والاشراف على إعداد البرامج الإسلامية وإذاعتها.

12) الاهتمام بجالياتنافي أوربا بتنظيم جديد للبعثات العلمية بتنسيق مع وداديات العمال، والسفارات والقنصليات. ومن خلال التقارير التي رفعها المبعوثون الى الوزارة هذه السنة يتبين أن العمل الذي قامت به هذه البعثات كان عملا مثمرا ومفيدا.

13) تنظيم الحج لهذه السنة تم في ظروف حسنة وقد قامت اللجنة الإدارية التي عينتها الوزارة مع بعثة الطلبة المغاربة المقيمين بالسعودية للدراسة بمجهود طيب في ارشاد الحجاج والأخذ بيدهم وإعانتهم على حل المشاكل التي تعرض لهم. وذلك بتنسيق مع سفارة المملكة المغربية بجدة.

14) الاتصال بالخارج ، لقد شاركنا في مؤتمر المجلس الافريقي للتنسيق الإسلامي المنعقد بدكار عاصمة السينغال خلال سنة 1981 بوفد مثل بلادنا أشرف تمثيل، وكان لتدخلاته أثر طيب وصوت مسموع بين إخوانه المؤتمرين. كما شاركنا في مؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية المنعقد بمكة المكرمة سنة 1982.

ومن الأنشطة التي قمنا بها في الخارج زيارة الإمارات العربية المتحدة الشقيقة وتجديد الاتفاقات المعقودة معها.

15) العمل الإداري ، لقد قمنا بتنشيط الأقسام، وعقد اجتماعات موسعة مع السادة النظار توجناها بالاجتماع العام للنظار وقد خرجنا من هذه الاجتماعات بفكرة عامة حول ما يجب عمله لتيسير العمل وقهر الصعاب والرفع من مستوى الأحباس.

كما أولينا العناية للتفتيش وزودنا المصلحة بالأطر الصالحة للقيام بهذا العمل بما يتعين من الضبط والنزاهة، والتوجيه الصحيح.

16) اتخاذ التدابير والإجراءات اللازمة لتصفية الأحباس المعقبة والمشتركة.

17) العمل لتنمية مداخيل الأوقاف بتنظيم ورفع المداخيل العقارية والفلاحية بمشاركة الإدارة المركزية بالحضور في السمسرات الفلاحية وأن حضور الإدارة المركزية في السمسرات الفلاحية رفع من نتائجها هذه السنة بصورة ملحوظة.

وفي نطاق إعداد المخطط الخماسي 1985/1981، أبت حكومة صاحب الجلالة ـ مشكورة ـ إلا أن تخص وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ ولأول مرة ـ بلجنة وطنية على غرار اللجان المماثلة في المرافق الحكومية ذات الصبغة العامة. وقد انكبت هذه اللجنة على دراسة مشروع المخطط وصادقت عليه وعرض على مجلسكم الموقر في حينه ثم شرع في تطبيقه حسب الإمكانيات المتوفرة. وإذا لوحظ أن هناك بعض التأخير، فإن مرده الى وسائل التمويل التي نسعى الى الحصول عليها بالاتصال مع بعض الدول الشقيقة والبنوك الوطنية. وقد تم بناء 26 مؤسسة دينية والمشاركة في بناء مؤسسات دينية أخرى بالخارج كما تمت صيانة وإصلاح 36 مؤسسة، وتم تشييد 19 بناية ذات مردود وتجزئة 26 من الأراضي الحبسية التي توفرت منها آلاف القطع.

كما تم بناء نحو خمسين مسجدا بالجماعات القروية. وبناء أو إصلاح أزيد من أربعمائة ملك. كما تم ضم 180 مسجدا الى الأوقاف من المساجد التي بناها الخواص.

ومن المشاريع الهامة التي أنجزت، بناء مركب تجاري كبير بشارع الجيش الملكي بالدار البيضاء، وقد تم تدشينه في الشهر المنصرم.

وخصصت الدولة في السنة الماضية ميزانية قدرها مائتان وخمسون مليون سنتيم للمجالس العلمية التي تم تأسيسها بأمر من صاحب الجلالة نصره الله والذي ترأس أشغال مجلسها الأعلى في البدء والختام.

وقد أعدت الوزارة المرسوم التنظيمي للظهير الشريف المتعلق بتكوين المجالس العلمية ورفعته الى دواليب الدولة.

هذا، ويهم مشروع ميزانية التجهيز لسنة 1983 في الشطر الممول من ميزانية الدولة اتمام بناء مسجد محمد الخامس بطنجة وبناء مسجد حي السلام بسلا ومسجد ابن مسيك والمسجد الأعظم بالدار البيضاء والمركز الإسلامي الثقافي بطنجة ومسجد المسيرة بالرباط. أما في الشطر الممول من الأوقاف يوجد عدد من المؤسسات الدينية والاجتماعية والأملاك ذات العائد وتجزئة وتجهيز الأراضي وبناء المؤسسات الإدارية وإصلاح وصيانة المؤسسات مما تجدونه مفصلا في المشروع.

أما جانب التسيير فهو أيضا ممول في شطر من الدولة ويهم السير الإداري للمصالح المركزية والمعدات والأدوات وشطر من ميزانية الأوقاف ويهم السير الإداري للمصالح الخارجية (النظارات) والمعدات ومصاريف الصيانة وتسيير المؤسسات الدينية كما تجدونه مفصلا في المشروع.

حضرة السيد الرئيس ،

حضرات السادة والإخوة النواب المحترمين ،

هذه باختصار هي رسالة هذه الوزارة وما تخططه لصيانة الوقف ليستمر في أداء دوره. أما التفاصيل فهي أمامكم. والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما فيه صلاح هذه الأمة الإسلامية بقيادة مولانا أمير المومنين وحامي حمى الملة والدين جلالة الحسن الثاني نصره الله. والسلام عليكم ورحمة الله.

الإجتماع الأول للجنة الاستشارية لإحياء التراث الإسلامي



● عقد بمكتب السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية اجتماع حضره إلى جانب السيد الوزير والسيد الكاتب العام للوزارة كل من أعضاء اللجنة الاستشارية لإحياء التراث الإسلامي الذين تم تعيينهم وهم السادة الأساتذة العلماء :

عبد الكريم غلاب.

محمد العربي الخطابي.

د. محمد حجي.

عبد الرحمان الفاسي.

د. عباس الجراري.

محمد المنوني.

د. عبد الكريم اكريم.

كما تضم هذه اللجنة كل من السادة الأساتذة العلماء :

عبد الله كنون.

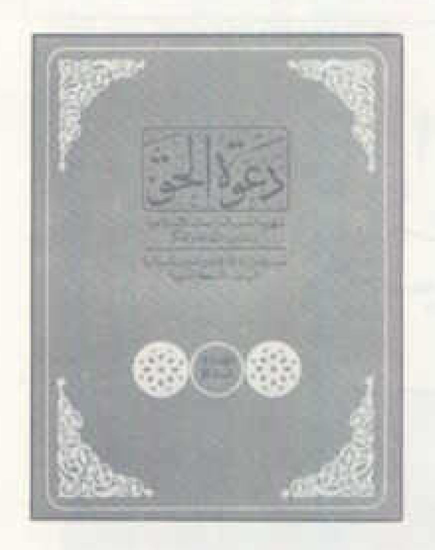
إبراهيم الكتاني.

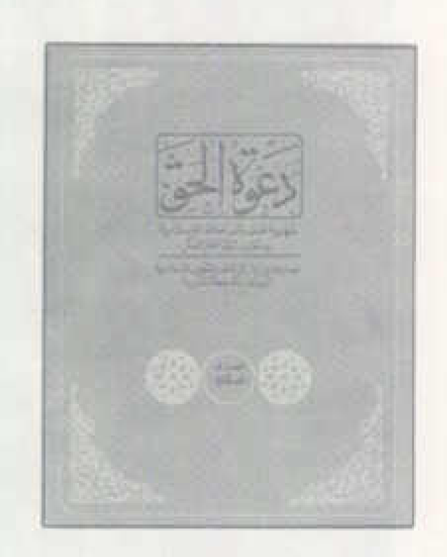
محمد التطواني ●

"دعوة الحق" رائدة الصحافة الإسلامية في المغرب العربي

















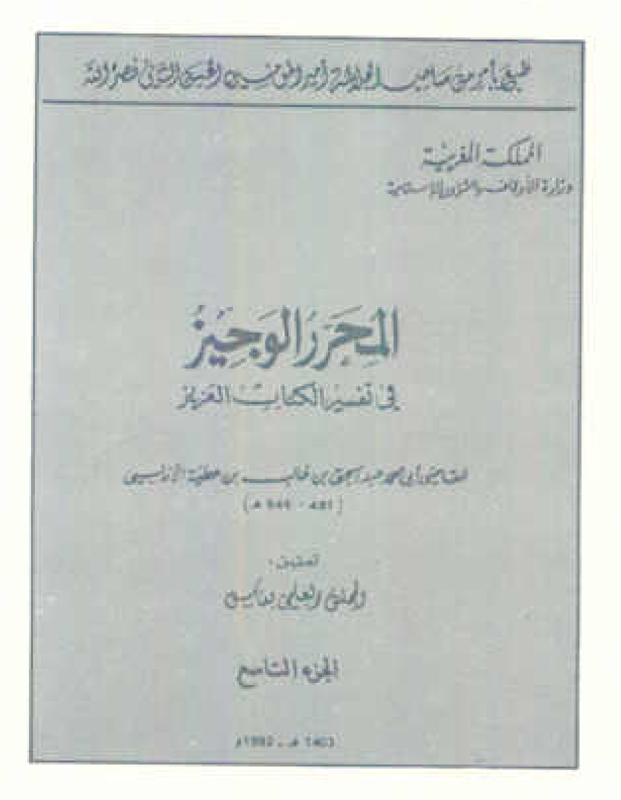


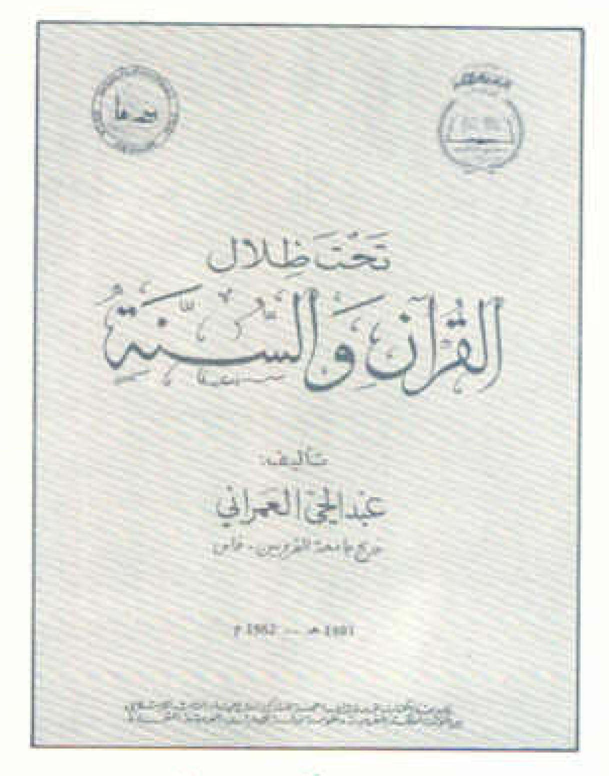
○ فهرس العدد: 227 ○

مطبعة فضالة . المحمدية . المغرب
رقم الايداع القانوني 1981/3

من مطبوعات
وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية









من أعداد "دعوة الحق" الممتازة، الصادرة بمناسبة

